منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تلفون ٥٢٥٣٤٨ - ٥٢١٩٦٦

مِنْهاجُ البَراعَةِ

في شرح نهج البلاغة

شبكة الفكر
alfeker.net

يا علي يا فاطمة

لِمُؤلِّفِهِ

العَلّامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عنى بتصحيحه و تهذيبه العالم الفاضل : السيد ابراهيم الميانجي

الجزء التاسع

الطبعة الرابعه

النّاشر:

مكتبة الاسلامية بطهران

شارع ابوذر جمهری تلیفون (٥٢١٩٦٦)

حق چاپ و عکسبرداری از این نسخه محفوظ است

طبع فی المطبعة الاسلامیة بطهران

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة لـه عليه السلام في الاستسقاء وهي المأة والثالثة و الاربعون من المختار في باب الخطب .

أَلاَ وَ إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ، وَالسَّماءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتانِ لِرَبِّكُمْ، وَما أَصْبَحَتا تَجُودانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِما تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوانِهِ مِنْكُمْ. وَلٰكِنْ أُمِرَتا بِمَنافِعِكُمْ فَأَطاعَتا، وَ أُقِيمَتا عَلىٰ حُدُودِ مَصالِحِكُمْ فَقامَتا، إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبادَهُ عِنْدَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَراتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكاتِ، وَإِغْلاقِ خَزائِنِ الْخَيْراتِ، لِيَتُوبَ تائِبٌ، وَ يُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَ يَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَ يَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَ قَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحانَهُ الاِسْتِغْفارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، وَ رَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقالَ: ـ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ ـ فَرَحِمَ اللهُ امْرَءً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقالَ

خَطِيئَتَهُ ، وَ بادَرَ مَنِيَّتَهُ .

أَللّٰهُمَّ إِنّا خَرَجْنا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتارِ وَالْأَكْنانِ ، وَ بَعْدَ عَجِيجِ الْبَهائِمِ وَالْوِلْدانِ ، راغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَ راجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخائِفِينَ مِنْ عَذابِكَ وَ نِقْمَتِكَ ، أَللّٰهُمَّ فَاسْقِنا غَيْثَكَ ، وَلا تَجْعَلْنا مِنَ الْقانِطِينَ ، وَ لا تُهْلِكْنا بِالسِّنِينَ ، وَلا تُؤاخِذْنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، أَللّٰهُمَّ إِنّا خَرَجْنا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ ما لا يَخْفى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنا الْمَضايِقُ الْوَعِرَةُ ، وَ أَجاءَتْنا الْمَقاحِطُ الْمُجْدِبَةُ ، وَ أَعْيَتْنا الْمَطالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ ، وَ تَلاحَمَتْ عَلَيْنا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعَبَةُ ، أَللّٰهُمَّ لا تَرُدَّنا خائِبِينَ ، وَلا تَقْلِبْنا واجِمِينَ ، وَلا تُخاطِبْنا بِذُنُوبِنا ، وَ لا تُقايِسْنا بِأَعْمالِنا ، أَللّٰهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنا نِعْمَتَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ، وَاسْقِنا سُقْيًا نافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِها ما قَدْ فاتَ ، وَ تُحْيِي بِها ما قَدْ ماتَ ، نافِعَةَ الْحَيا ، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنى ، تَرْوِي بِهَا الْقِيعانَ ، وَ تُسِيلُ الْبُطْنانَ ، وَ تَسْتَوْرِقُ الْأَشْجارَ ، وَ تُرْخِصُ الْأَسْعارَ ، إِنَّكَ عَلى ما تَشاءُ قَدِيرٌ .

اللغة

(الأَرض) مؤنثة و الجمع أرضون بفتح الرّاء (و السّماء) المظلّة للأرض

قال ابن الأنباري: تذكّر وتؤنّث وقال الفراء: التذكير قليل وهو على معنى السّقف والسّماء أيضاً المطر قال الفيومي: مؤنّثة لأنّها في معنى السّحابة و كلّ عال مظلّ سماء حتّى يقال اظهر الفرس سماء و (جاد) بالمال بذله وجادت السّماء أمطرت والأرض أنبتت و (توجّع) لفلان رثاه و (أقلع) عن الأمر اقلاعا تركه و(الاكنان) جمع الكنّ و هو ماستر من الحرّ و البرد من كننته أى سترته و أخفيته في كنّه بالكسر .

و (السّنين) جمع السّنة وهي الجدب و أرض سنواء وسنهاء أصابتها السّنة و (المضايق) جمع المضيق و هو ما ضاق من الأمور و (الوعر) بسكون العين وكسرها ضدّ السّهل قال الشارح المعتزلي: الوعرة بالتسكين و لا يجوز التحريك و (المقاحط) أماكن القحط أو أزمانه جمع المحقط يأتي للمكان والزّمان و(الوجم) والواجم العبوس المطرق لشدّة الحزن و (السّقيا) بالضمّ اسم من سقاه الله الغيث أنزله له و(القيعان) جمع القاع وهو المستوى من الأرض .

و (تسيل) في بعض النسخ بفتح التاء مضارع سال كباع و في بعضها بالضمّ من باب الافعال و (البطنان) بالضمّ جمع البطن كعبد وعبدان وظهر وظهران وهو المنخفض من الأرض كما قاله الطريحى ، أو الغامض منها كما في شرح المعتزلي وقال الفيروزآبادي جمع الباطن وهو مسيل الماء في غلظ

و (الرخص) بالضمّ ضدّ الغلاء ورخص الشيء من باب قرب فهو رخيص ويتعدّي بالهمزة فيقال : أرخص الله السّعر و تعديته بالتضعيف غير معروف و (الأسعار) جمع سعر بالكسر وهو تقدير أثمان الأشياء وارتفاعه غلاء وانحطاطه رخص وقيل تقدير مايباع به الشيء طعاماً كان أو غيره ، ويكون غلاءً ورخصاً باعتبار الزيادة على المقدار الغالب في ذلك المكان والأوان والنقصان عنه .

الاعراب

جملة تجودان ، منصوبة المحلّ على أنّه خبر أصبحت أو أصبح بمعنى صار قال نجم الأئمة ما محصّله : إنّ من خصائص كان ما ذهب إليه ابن درستويه ،

وهو أنّه لا يجوز أن يقع الماضي خبر كان فلا يقال كان زيد قام ، وفعل ذلك لدلالة كان على المضيّ فيقع المضيّ في خبره لغواً فينبغي أن يقال كان زيد قائما أو يقوم ، وكذا ينبغي أن يمنع يكون زيد يقوم لتلك العلّة إلى أن قال : ومنع ابن مالك وهو الحقّ من مضيّ خبر صار وليس ومادام وكلّ ماكان ماضيا من مازال ولازال ومرادفاتها ، لدلالة صار على الانتقال في الزمن الماضي إلى حالة مستمرّة و هي مضمون خبرها ، وكذا مازال وأخواتها موضوعة لاستمرار مضمون اخبارها في الماضي و ما يصلح الاستمرار هو الاسم الجامد نحو هذا أسد أو الصّفة نحو زيد قائم أو غنيّ أو مضروب أو الفعل المضارع نحو زيد يقدم في الحرب و يسخو بموجوده ، فناسبت الثلاثة لصلاحيتها للاستمرار أن يقع خبراً لصار و أخواتها من أصبح و أمسى و ظلّ وبات وكذا مازال وأخواتها بخلاف الماضي فانّه لايستعمل في استمرار هذه الثلاثة فلم يقع خبراً لهذه الأفعال .

و توجّعا ، مفعول لأجله و العامل فيه تجودان ، وقوله ليتوب ؛ تعليل ليبتلي ومتعلّق به ، ومدراراً ، حال من السّماء و الفاء في قوله : فرحم الله ، فصيحة والجملة دعائية لامحلّ لها من الاعراب .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة خطبها في الاستسقاء وطلب السّقيا كالخطبة المأة والرابعة عشر ، وقد قدّمنا في شرح تلك الخطبة كيفية الاستسقاء ومايناسب شرحها من الأخبار .

وأقول هنا : انّه عليه السلام لماكان بصدد الدعاء وطلب الرحمة من الله سبحانه وتعالى وكانت استجابة الدّعاء موقوفة على وجود المقتضي وانتفاء الموانع ، قدّم أموراً مهمّة أمام الدّعاء تنبيها للسامعين و من كان معه عليه السلام من المستسقين على ماله مدخلية في استجابة دعائهم وانجاح مقصدهم كي لايردّوا خائبين ولا ينقلبوا واجمين .

فنبّه أوّلا على أنّ الأرض والسّماء مخلوقان مقهوران تحت قدرة الله سبحانه والنّفع والضّرر الحاصلان منهما بالجود والامساك لاينشآن منهما بنفسهما وبالاستقلال

وإنّما ينشآن منهما بتعلّق مشيّة الفاعل المختار وتدبير الحكيم المدبّر سبحانه ، وعلى ذلك فاللاّزم على العباد في الدّاهية والنّاد أن تقرعوا بأيدى السّؤال والذلّ والابتهال بابه ، ويتوجّهوا في انجاح الآمال إلى جنابه عزّ وجلّ .

و هو قوله : (ألا وإنّ الأرض الّتي تحملكم و السّماء الّتي تظلّكم) أى تعلوكم و تشرف عليكم أو تلقى اليكم ظلّها والمراد بالسّماء إمّا معناها المجازى أعنى السّحاب ، أوالحقيقي باعتبار أنّ زوال المطر من السّماء لالكون السّماوات بحركاتها أسباباً معدّة لكلّ ما في هذا العالم من الحوادث كما زعمه الشّارح البحراني .

ويؤيّد الثّاني ظواهر الآيات التي تدلّ على نزول المطر من السّماء مثل قوله سبحانه : «هوالّذي أنزل من السّماء ماء» وقوله : «والله أنزل من السّماء ماء» ونحوها مما يقرب عشرين آية .

ويؤيّد الأوّل ظاهر قوله سبحانه : «الله الذي أرسل الرّياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها» وقوله : «وهو الذي يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماء» الآية.

ويدلّ على الاحتمالين ما في البحار من علل الشّرائع للصّدوق عن أبيه عن الحميري عن هارون عن ابن صدقة عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال : كان علي عليه السلام يقوم في المطر أوّل مطر يمطر حتّى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه فيقال له : ياأمير المؤمنين الكنّ الكنّ فيقول : إنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش ثمّ أنشأ عليه السلام يحدّث فقال إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوانات و إذا أراد الله أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله عزّ وجلّ فمطر منه ماشاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى السّماء الدنيا ، فتلقيه إلى السّحاب و السّحاب بمنزلة الغربال ثمّ يوحى الله عزّ وجلّ إلى السّحاب أن اطحنيه واذيبيه ذوبان الملح في الماء ثم انطلقي به إلى موضع كذا و كذا وعباباً أو غير عباب ، فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلاّ ومعها ملك حتّى تضعها بموضعها ، الحديث .

.ورواه في الكافي عن هارون عن مسعدة بن صدقة نحوه .

قال الرّازي في تفسير قوله : «هو الّذي أنزل من السّماء ماء» اختلف النّاس فيه؛ فقال الجبائي إنّه تعالى ينزل الماء من السّماء إلى السّحاب ومن السّحاب إلى الأرض يقال لأنّ ظاهر النّص يقتضي نزول المطر من السّماء و العدول عن الظاهر إلى التّأويل إنّما يحتاج إليه عند قيام الدّليل على أنّ إجراء اللّفظ على ظاهره غير ممكن ، وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السّماء فوجب إجراء اللّفظ على ظاهره إلى أن قال :

والقول الثّاني المراد انزل من جانب السّماء ماء .

و القول الثالث انزل من السّحاب ماءً وسمّى الله السّحاب سماء لأنّ العرب تسمّي كلّ ما فوقك سماء كسماء البيت، انتهى .

و رجّح في موضع آخر نزول المطر من السّحاب قال : لأنّ الانسان ربما كان واقفاً على قلّة جبل عال ويرى الغيم أسفل فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطراً عليهم ، وإذا كان هذا الأمر مشاهداً بالبصر كان النزاع باطلا ، هذا .

وقوله : (مطيعتان لربّكم) وصفهما بالاطاعة تنبيها على عظمة قدرته سبحانه و نفوذ امره فيهما كما قال تعالى : «فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» (و ما أصبحتا تجودان لكم ببر كتهما) أى ما صارت السّماء تجود لكم بالأمطار ولا الأرض تجود لكم بالانبات (توجّعا لكم) أى تألّما لما أصاب بكم (ولا زلفة) وتقرّبا (اليكم ولا لخير ترجوانه منكم) كما هو المعهود المتعارف في جود النّاس بعضهم لبعض حيث إنّهم يبذلون المال للترحّم أو التقرّب أو لجلب الخير أو لدفع الضرّ أو نحو ذلك ، و أمّا السّماء والأرض فلا يتصوّر في حقوقهما ذلك لأنّهما أجسام جامدة غير شاعرة لايوجد مايوجد منهما بالارادة والاختيار .

(و لكنّ) هما مسخّرتان تحت قدرة الله و مشيّته تعالى (اُمرتا بمنافعكم فأطاعتا و اُقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا) والمراد بالأمر والاقامة الأمر والاثبات التكويني كما أنّ المراد بالقيام و الاطاعة الثبات و الجرى على وفق ما أراد الله

سبحانه منهما .

و في هاتين القرينتين تلميح إلى قوله سبحانه : «و من آياته يريكم البرق خوفا وطمعا و ينزّل من السّماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السّماء والأرض بأمره » أى يريكم البرق خوفا من الصّاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث وللمقيم، وينزل من السّماء مطر فيحيى به الأرض بالنّبات بعد موتها و يبسها وجدوبها ، وقيام السّماء والأرض بأمره باقامته لهما وإرادته لقيامهما .

قال الطبرسي: بلادعامة تدعمها ولا علاقة تتعلّق بهما بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى : «إنّما أمرنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون» و قيل بأمره أى بفعله وامساكه إلاّ أنّ افعال الله عزّ اسمه تضاف إليه بلفظ الأمر لأنّه أبلغ في الاقتدار فانّ قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان ، ومعنى القيام الثّبات والدّوام انتهى.

وقد مضى تفصيل الكلام في منافع السّماء والأرض وتحقيق مايتعلّق بمصالحها في شرح الخطبة التّسعين فليراجع هناك هذا .

و لمّا نبّه على أنّ السّماء والأرض مخلوقان مسخّران تحت قدرة الفاعل المختار وأنّ جودهما بالامطار والانبات إنّما هو بتعلّق أمر الله سبحانه ومشيّته وإرادته أردف ذلك بالتنبيه على أنّ المانع من نزول الخير و إفاضة الجود إنما هو أمر راجع إلى الخلق و حادث من جهة العبد وهو سوء فعله وذنبه المانع من استعداده لقبول الرّحمة و فيضان الجود فقال (إنّ الله يبتلي عباده عند الأعمال السّيئة) لأنّ البلاء للظالم أدب (بنقص الثمرات وحبس البركات و إغلاق خزائن الخيرات) كما قال سبحانه «ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس و الثّمرات».

و إنّما يبتليهم بذلك لطفا منه تعالى (ليتوب تائب) عن سوء عمله (ويقلع مقلع) أى يكفّ عن ضلاله وزلله (ويتذكّر متذكّر) بما أعدّ الله سبحانه

من النّعيم في دارالقرار للمتقين الأبرار (ويزدجر مزدجر) بما أعدّ الله تعالى من العذاب الأليم في دار البوار للفجّار والأشرار .

ثم نبّه على مابه يرتفع المانع من الخير والجود ويتأهّل لافاضة الرّحمة من واجب الوجود فقال (وقد جعل الله سبحانه الاستغفار) ممحاةللذّنب و (سبباً لدرور الرزق) و كثرته (فقال) في سورة نوح (استغفروا ربّكم انّه كان غفّاراً يرسل السّماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين) ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهاراً .

قال الطّبرسي في تفسيره : أى اطلبوا منه المغفرة على كفركم و معاصيكم إنّه كان غفاراً لكلّ من طلب منه المغفرة ، فمتى رجعتم عن كفركم ومعاصيكم وأطعتموه يرسل السّماء عليكم مدراراً ، أى كثيرة الدّرور بالغيث ،وقيل:إنّهم كانوا قدقحطوا واسنتوا وهلكت أموالهم و أولادهم فلذلك رغّبهم في ردّ ذلك بالاستغفار مع الايمان والرّجوع إلى الله تعالى ، ويمددكم بأموال و بنين ، أى يكثر أموالكم و أولادكم الذّكور ، و يجعل لكم جنّات ، أى بساتين فى الدّنيا و يجعل لكم أنهاراً تسقون بهاجنّاتكم ، قال قتادة :علم نبيّ الله نوح عليه السلام أنّهم كانوا أهل حرص على الدّنيا فقال : هلمّوا إلى طاعة الله فانّ فيها درك الدّنيا والآخرة.

وروى الرّبيع بن صبيح أنّ رجلاً أتى إلى الحسن عليه السلام فشكى إليه الجدوبة فقال له الحسن عليه السلام : استغفر الله ، وأتاه آخر فشكى إليه الفقر ، فقال له : استغفر الله وأتاه آخر فقال : ادع الله أن يرزقني ابناً ، فقال له : استغفر الله ،فقلنا: أتاك رجال يشكون أبوابا و يسألون أنواعا ، فأمرتهم كلّهم بالاستغفار ، فقال عليه السلام : ما قلت ذلك من ذات نفسي إنّما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيّه نوح عليه السلام أنّه قال لقومه : «استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً» إلى آخره ، هذا .

و الآيات و الأخبار في فضيلة الاستغفار و كونه سببا لدرور الرزق و سائر ما يترتّب عليه من الثمرات كثيرة .

فمن الآيات مضافة إلى مامرّ قوله تعالى في سورة هود عليه السلام حكاية عنه انّه

قال لقومه: «وياقوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يرسل السّماء عليكم مدراراً».

ومن الأخبار في الكافي بإسناده عن زرارة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول إنّ العبد إذا أذنب ذنباً اُجّل من غدوة إلى اللّيل فان استغفرالله لم يكتب عليه

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من عمل سيّئة اُجّل فيها سبع ساعات من النّهار، فان قال: أستغفرالله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم، ثلاث مرّات لم تكتب عليه.

و عن عبد الصّمد بن بشير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: العبد المؤمن إذا أذنب ذنبا أجّله الله سبع ساعات و إن استغفرالله لم يكتب عليه شيء و إن مضت السّاعات ولم يستغفر كتب الله عليه سيّئة وإنّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتّى يستغفر ربّه فيغفر الله له وإنّ الكافر لينساه من ساعته.

و فيه مرسلا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مامن مؤمن يقارف في يومه و ليلته أربعين كبيرة فيقول و هو نادم: أستغفرالله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم بديع السّماوات والأرض ذو الجلال والاكرام وأسأله أن يصلّي على محمّد وآل محمّد وأن يتوب عليّ، إلاّ غفرها الله له عزّ وجلّ و لا خير في من يقارف في يوم أكثر من أربعين كبيرة.

و في ثواب الأعمال بسنده عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكلّ داء دواء ودواء الذّنوب الاستغفار.

و فيه عن سلام الخيّاط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال: أستغفرالله مأة مرّة حين ينام بات وقد تحاتت الذنوب كلّها عنه كما تتحات الورق من الشّجر و يصبح وليس عليه ذنب.

و عن مسعدة بن صدقة عن جعفر الصّادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن وجد في صحيفته يوم القيامة تحت كلّ ذنب أستغفرالله

و عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: من استغفرالله بعد صلاة الفجر

سبعين مرّة غفر الله له ولو عمل ذلك اليوم سبعين ألف ذنب، و من عمل أكثر من سبعين ألف ذنب فلا خير له.

وفي الوسائل من الكافي عن ياسر الخادم عن الرّضا عليه السلام قال: مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فتناثر، والمستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزىء بربّه

وعن عبيد بن زرارة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا كثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ.

وعن السّكوني عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام في حديث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كثرت هموم فعليه بالاستغفار.

وفيه من عدّة الدّاعي لأحمد بن فهد قال: قال عليه السلام إنّ للقلوب صداء كصداء النّحاس فأجلوها بالاستغفار.

قال: وقال: من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجا ومن كلّ ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب.

و فيه من أمالي ابن الشّيخ مسنداً عن أبي الحسن المنقري قال: سمعت عليّ بن أبيطالب عليه السلام يقول: عجباً لمن يقنط ومعه الممحاة: قيل: وما الممحاة؟ قال: الاستغفار.

وفيه من كتاب ورّام بن أبي فراس قال: قال عليه السلام أكثروا الاستغفار إنّ الله لم يعلّمكم الاستغفار إلاّ وهو يريد أن يغفر لكم، هذا.

ولمّا نبّه على كون الاستغفار سببا لدرور الرزق واستشهد عليه بالآية الشريفة أردفه بالدّعاء على المستغفرين التائبين بقوله (فرحم الله امرءً استقبل توبته) أى استأنفها (و استقال خطيئته) أي طلب الاقالة منها ومن المؤاخذة بها قال الشّارح البحراني: ولفظ الاقالة استعارة ووجهها أنّ المخطى كالمعاهد والملتزم لعقاب اخرويّة بلذّة عاجلة لما علم من استلزام تلك اللّذة المنهيّ عنها للعقاب، فهو يطلب للاقالة من هذه المعاهدة كما يطلب المشتري الاقالة من البيع (و بادر منيّته) أى سارع

إليها بالتوبة ، والاستقالة قبل إدراكها له ، هذا .

ولمّا فرغ عليه السلام من تمهيد مقدّمات الدّعاء شرع فيه فقال (اللّهمّ إنّا خرجنا إليك من تحت الأستار والأكنان) الّتي ليس من شأنها أن تفارق إلّا لضرورة شديدة (وبعد عجيج البهائم والولدان) وأصواتها المرتفعة بالبكاء و النحيب (راغبين في برّك و (رحمتك وراجين فضل) منك و (نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك اللّهمّ فأسقنا غيثك) المغدق من السّحاب المنساق لنبات أرضك المونق (ولا تجعلنا من القانطين) الآيسين (ولا تهلكنا بالسّنين ولا تؤاخذنا بما فعل السّفهاء منّا يا أرحم الرّاحمين) والمراد بالسّفهاء الجهّال من أهل المعاصي وبفعلهم معاصيهم المبعدة عن رحمته سبحانه كما في قوله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام : «أتهلكنا بما فعل السّفهاء منّا »

ثمّ عاد عليه السلام إلى تكرير شكوى الجدب بذكر أسبابها الحاملة عليها فقال : (اللّهمّ إنّا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك) من الضّرّ والسّوء (حين ألجأتنا المضائق الوعرة) المستصعبة (وأجاءتنا المقاحط المجدبة) أي السّنون المحلّة (وأعيتنا المطالب المتعسّرة ، وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة) أي تزاحمت علينا أمور من الجوع والعرى وسائر مسبّبات القحط ما كانت لنا فتنة أي بلاء ومحنة أي صارفة للقلوب عمّا يراد بها .

(اللّهمّ) إنّا نسألك أن (لا تردّنا خائبين) من رحمتك (ولا تقلبنا واجمين) محزونين باليأس عن عطيّتك (و لا تخاطبنا بذنوبنا) قال الشّارح المعتزلي : أي لا تجعل جواب دعائنا لك ما يقتضيه ذنوبنا كأنّه يجعله كالمخاطب لهم والمجيب عمّا سألوه إيّاه كما يفاوض الواحد منّا صاحبه و يستعطفه فقد يجيبه و يخاطبه بما يقتضيه ذنبه إذا اشتدّت موجدته عليه ونحوه قوله (ولا تقايسنا بأعمالنا) أي لا تجعل ما تجيبنا به مقايسا ومماثلا لأعمالنا السّيئة ، وبعبارة أخرى لا تجعل فعلك بنا مقايسا لأعمالنا السّيئة ومشابها لها وسيئة مثلها .

(اللّهمّ انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك ، واسقنا سقيا نافعة)

سالمة من الافساد بالافراط (مرويـة) مسكتة للعطش (معشبة) أى ذات العشب والكلاء (تنبت بها ما قد فات) أي مضى وذهب (وتحيي بها ماقدمات) .

قال بعض الأفاضل : أى تخرج وتعيد بها ما قد ذهب ويبس من أصناف النّبات وضروب الأعشاب و ألوان الأزهار وأنواع الأشجار والثمار، وما انقطع من جواري الجداول و الأنهار فاستعار الاحياء الذي حقيقته هو إفاضة الرّوح على الجسد للاخراج و الاعادة المذكورين كما استعار الموت الذي هو حقيقة انقطاع تعلّق الرّوح بالجسد لليبس والذّهاب، و الجامع في الأولى إحداث القوى النّامية في المواد و المنافع المترتّبة على ذلك ، و في الثانية استيلاء اليبوسة و عدم النّفع ، و هما استعارتان تبعيّتان لأنّ المستعار في كلّ منهما فعل و القرينة في الأولى المجرور أعني الضمير في بها العايد إلى السّقيا لظهور عدم حصول الاحياء الحقيقي بالسّقيا ، وفي الثّانية الاسناد إلى الفاعل لأنّ الموت الذي يحيي المتّصف به بالسّقى لا يكون حقيقيا البتة .

(نافعة الحياء) و المطر (كثيرة المجتنى) و الثّمر (تروى بها القيعان) والأراضي المستوية (وتسيل بها البطنان) و الأراضي المنخفضة ، ونسبة السّيلان أو الاسالة إلى البطنان من المجاز العقلي إذ حقّه أن يسند أو يوقع على الماء ، لأنّه الماء حقيقة و لكنّه أوقع على مكانه لملابسته له كما اسند الفعل إليه في سال النهر ، والغرض طلب كثرة المطر ، (وتستورق الأشجار ، وترخص الأسعار ، إنّك على ماتشاء قدير) وبالاجابة حقيق جدير .

تنبيه

قال بعض شرّاح الصحيفة الكاملة : اختلف في التّسعير فقيل هو من فعل الله سبحانه و هو ما ذهبت إليه الأشاعرة بناء على أصلهم من أنّه لا فاعل إلاّ الله تعالى ، و لما ورد في الحديث حين وقع غلاء بالمدينة فاجتمع أهلها إليه وقالوا : سعّر لنا يارسول الله ، فقال : المسعّر هو الله .

و اختلف المعتزلة في هذه المسألة فقال بعضهم هو فعل المباشر من العبد إذ

ليس ذلك إلاّ مواضعة منهم على البيع و الشرى بثمن مخصوص ، وقال آخرون هو متولّد من فعل الله تعالى و هو تقليل الأجناس و تكثير الرّغبات بأسباب هي من الله تعالى

و الذي تذهب إليه معشر الامامية أن خروج السّعر عن مجري عادته ترقّيا أونزولا إن استند إلى أسباب غير مستندة إلى العبد واختياره نسب إلى الله تعالى . وإلاّ نسب إلى العبد كجبر السلطان الرّعية على سعر مخصوص ، وما ورد في الحديث النّبوي المذكور محمولٌ على أنّه لاينبغي التّسعير ، بل يفوّض إلى الله ، ليقرّره بمقتضى حكمته البالغة ورحمته الشاملة .

و ما ورد من الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المعنى كما روى عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال : إنّ الله وكّل ملكا بالسّعر يدبّره بأمره، وعن أبيعبدالله عليه السلام إنّ الله وكّل بالأسعار ملكا يدبّرها بأمره ، فالمراد بالسّعر ما لم يكن للعبد و أسبابه مدخل ، والله أعلم .

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن وليّ دين وسيّد وصيّين است درمقام استسقا وباران خواستن ازخدا كه فرموده :

آگاه باشيد بدرستيكه زميني كه برميدارد شما را ، و آسماني كه سايه مى‌افكند برشما ، مطيع ومنقاد هستند پروردگار شمارا ، ونگرديده‌اند آن آسمان وزمين كه ببخشد بشما بركت خودشان‌را بجهة غمخوارى ازبراى شما ، و نه بجهة تقرّب و منزلت بسوى شما ، و نـه از جهة‌خيري كه‌اميدواز باشند بآن‌ازشما، ولكن مأمورشدند ازجانب خداوند قادرقاهر بمنفعتهاي شما ، پس اطاعت كرده‌اند وبرپا داشته شده‌اند برنهايات مصلحت‌هاى شما ، پس قيام نموده‌اند .

پس بدرستيكهٔ خداوند تعالى مبتلا مينمايد و امتحان ميفرمايد بندگان خودرا هنگام اقدام برأعمال ناشايست بنقص ميوجات وحبس كردن بركات وبستن خزينهاى خيرها تا اينكه توبه نمايد توبه كنندهٔ ، وترك كند گناه را ترك كنندهٔ ،

ومتذکّر شود صاحب تذکّر ، ومنزجر شود قابل‌زجر .

وبتحقیق که گردانیده‌حق‌تعالی طلب مغفرت واستغفاررا سبب‌فرود آمدن روزی ورحمت ازبرای خلق ، پس فرمود در کلام مجید خود : « استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً » ، يعني طلب‌مغفرت و آمرزش نمائید ازپروردگار خود بدرستیکه اوست صاحب مغفرت و آمرزنده ، تابفرستد أبررا برشما در حالتی که ریزان شود بباران ، ومدد فرمایدشمارا بأموال وأولاد ، پس‌رحمت نماید خدا بر کسی که روی آورد بدرگاه خدا به توبه و انابـه و طلب اقاله وفسخ خطای خودرا نمودومبادرت وپیش دستی کرد بسوی مرك خود باتوبه نمودن ازمعصیت .

بارالها بدرستی که مابیرون آمده‌ئیم بسوی رحمت تو اززیر پردها وپوششها یعني از خانهای خود بیرون آمده وپا برهنه روبصحرا نهاده ومتوجّه تو شده بعداز ناله چهار پایان وفرزندان درحالتي که راغبیم در رحمت تو ، و امیدواریم بزیادتي نعمت تو ، وترسانیم ازعذاب تو وعقاب تو ، بار پروردگارا پس آب ده مارا بباران خودت ، ومگردان مارا ازنومیدان ، وهلاك مكن مارا بسـالهای قحطی ، ومؤاخذه مکن بما بجهت فعل قبیح سفیهان و بی خردان ما أی پروردگاری که ارحم الرّاحمین هستی .

بار خدایا بدرستی که ما بیرون آمده‌یم بسوی تو شکایت میکنیم بسوی تو چیزیرا که پنهان وپوشیده نیست بتو وقتي که مضطر گردانید مارا تنگیها بغایت سخت ، وملجأ نمود مارا سالهای قحطي ، و عاجز ساخت مارا مطلب‌هائی دشوار ، وهجوم آور شد بما فتنه‌های صعب وباشدّت .

بارالها بدرستي که ما سؤال میکنیم از فضل و کرم تو این که برنگردانی مارا درحالتی که مأیوس باشیم ، وبازنبری‌مارا درحالتی که محزون و پریشان شویم وخطاب عتاب نکنی بما بجهة گناهان ما ، وقیاس نکنی مارا بأعمال قبیحهٔ ما ..

پروردگارا پراگنده کن برما باران خودرا ، وسیراب کن مارا سیرابی با منفعت که سیراب سازندهٔ هرموجود است ، ورویانندهٔ گیاه که برویاني بسبب آن

سيرابي آنچه كه فوت شده باشد ازغلاّت ، و زنده گرداني بواسطهٔ آن آنچه كه مرده از نبات ، آن چنان سيرابي كه صاحب باران را منفعت باشد ، وبسيار شود ميوهٔ آن كه سيراب گرداني بآن زمينهاى همواررا ، و روان گرداني بآن زمينهاي پسترا، وبرگ دار گرداني درختان را بآن ، وأرزان گرداني نرخهارا ، بدرستي كه تو برآنچه كه ميخواهى از رخص وجدب صاحب قدرت وتوانائى .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة والرابعة والاربعون من المختار فى باب الخطب

وشرحها فى فصلين :

الفصل الاول

بَعَثَ رُسُلَهُ بِما خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، لِئَلاّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعاهُمْ بِلِسانِ الصِّدْقِ إِلىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ ، أَلا إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ، لا أَنَّهُ جَهِلَ ما أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرارِهِمْ ، وَمَكْنُونِ ضَمائِرِهِمْ ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، فَيَكُونَ الثَّوابُ جَزاءً ، وَالْعِقابُ بَواءً ، أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا كَذِباً وَ بَغْياً عَلَيْنا ، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَ أَعْطانا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنا وَأَخْرَجَهُمْ ، بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدىٰ ، وَ يُسْتَجْلَى الْعَمىٰ ، إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، غُرِسُوا فِي هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هاشِمٍ ،

لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

اللغة

(الاعذار) التخويف والوعيد و (الكشف) الاظهار ورفع كلّ شيء عما يواريه و يستره و (البواء)الكفوءوباء الرّجل بفلان قتل به ، وأبأت القاتل بالقتل واستبأته أى قتلته به و (كذب) يكذب من باب حسب كذِبا و كذْباً و كِذْبة و كذْبةو كذّابا و (البطن) دون القبيلة أو دون الفخد وفوق العمارة كذا في القاموس و قيل : أوّل العشيرة الشعب قال سبحانه : «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ثمّ القبيلة ، ثمّ البطن ، ثمّ العمارة ثمّ الفخذ .

الاعراب

قوله : من وحيه ، بيان لما الموصولة ، وقوله : ليبلوهم أيّهم أحسن عملا ،كلمة أيّ استفهاميّة مضافة إلى مابعدها وهي مبتدء و أحسن خبره ، وعملا تميز و جملة الاستفهام بدل من مفعول يبلو على حدّ قوله سبحانه : «وأسرّ واالنجوى الذين ظلموا هل هذا إلاّ بشر مثلكم» فانّ جملة هل هذا إلاّ بشر ، بدل من النّجوى .

ويجوزأن يكون الجملة الاستفهاميّةاستينافا بيانياً، كأنّه سئل عن المبتلين و قيل : من هم ؟ فقيل : أيّهم أحسن عملا نظير ما قاله بعض النحويّين في قوله : «لننزعنّ من كلّ شيعة أيّهم أشدّ على الرّحمن عتيّا»من أنّ أىّ استفهاميّة و جملة الاستفهام مستأنفة ، ومن كلّ شيعة ، مفعول ننزعنّ ، والمعنى لننزعنّ بعض كلّ شيعة ، وكأنّ قائلاً يقول : ومن المنزعين؟فقيل : أيّهم أشدّ .

و قوله : أين الذين ، استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ ، و قوله : دوننا في محلّ النّصب حال من فاعل الرّاسخون وهوبمعنى سوى وغير مبنيّ على الفتح لملازمته الاضافة ، و كذباً و بغياً منصوبان على الحال من فاعل زعموا و همابمعنى الفاعل أى كاذبين في زعمهم ، وعلينا ، متعلّق ببغياً ، وأن رَفَعَنَا ، في محلّ النّصب مفعول له لبغياً ، أى بغيهم علينا لأن رَفَعَنَا الله ، وقوله : لا تصلح ، فاعله راجع إلى

الامامة المفهومة من قوله : إنّ الأئمة من قريش .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة حسب ما أشار اليه الشّارحان البحراني والمعتزلي منافرة بينه وبين قوم من الصّحابة الذين كانوا ينازعونه الفضل ، وصدّر الفصل بالاشارة إلى بعث الرّسل والحكمة في بعثهم فقال : (بعث رسله بما خصّهم به من وحيه)الضمائر راجعة إلى الله سبحانه و إن لم يجر له ذكر لعدم الالتباس كما في قوله تعالى : «و أوحى إلى عبده ماأوحى .»

والوحى كلام مأخوذ من الله سبحانه بواسطة الملك، والالهام يحصل منه سبحانه بغير واسطة ، و قيل: الوحى قد يحصل بشهود الملك و سماع كلامه فهو من الكشف الصّورى المتضمّن للكشف المعنوي ، والالهام من المعنوى، وأيضا الوحى من خواصّ الرّسالة و متعلّق بالظاهر ، والالهام من خواصّ الولاية ، وأيضا هو مشروط بالتبليغ كماقال : «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك » دون الالهام ، و منهم من جعل الالهام نوعا من الوحى فيكون إطلاق الوحى على الالهام في قوله سبحانه : «وأوحى ربّك إلى النّحل »«وأوحينا إلى اُمّ موسى» على سبيل الحقيقة، وأمّا على الأقوال السّابقة فهومن باب التوسّع والتجوّز .

(و جعلهم حجّة له على خلقه لئلا)يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل و (تجب الحجّة لهم عليه بترك الاعذار) و التّخويف و إبداء العذر في العقاب وتقديمه (إليهم) يعني أنّه سبحانه إنّما أرسل رسله مبشّرين و منذرين إتماما للحجّة وإزالة للعذر عنه في العقاب على العصيان لأنّ العقاب بلا بيان قبيح على الحكيم كما قال تعالى: «وما كنامعذّبين حتّى نبعث رسولا».

فان قلت : هذاينافي بالقول بالواجبات العقليّة و كفاية حكم العقل بالوجوب أو التحريم فيما استقل بحسنه أوقبحه ولو لم يبعث الرّسل كما هومذهب العدليّة من الامامية والمعتزلة .

قلت : قد أجاب عنه الشّارح المعتزلي بأنّ صحّة مذهبهم يقتضي أن يحمل عموم الألفاظ على أنّ المراد بها الخصوص ، فيكون التّأويل لئلا يكون للنّاس على الله حجّة فيما لم يدلّ العقل على وجوبه ولا قبحه كالشّرعيّات ، و كذلك وما كنّا معذّبين على ما لم يكن العقل دليلاً عليه حتّى نبعث رسولاً ، و محصّله أنّ العمومات مخصوصة بغير المستقلات ، و أنّ المقصود بالآية وما كنّا معذّبين قبل بعث الرّسل إلاّ فيما استقلّ لحكمه العقل ، هذا .

و يمكن الجواب بابقاء الآية على عمومها و التصرّف في البعث بأن يجعل بعث الرّسل كناية أو مجازاً عن مطلق بيان التكليف و لو بلسان العقل كما في المستقلات العقليّة إلاّ أنّه لمّا كان الغالب بل الأغلب كون البيان بالرّسول ، فعبّر به عنه كما في قولك لاأبرح هذا المكان حتّى يؤذّن المؤذّن ، مريداً به دخول الوقت إذ كثيراً مايعلم دخوله به .

(فدعاهم بلسان الصّدق) وهولسان الأنبياء والحجج ، لأنّهم تراجمة وحى الله سبحانه و يقرب منه ما في شرح البحراني قال : هولسان الشريعة النّاطقة عن مصباح النّبوة المشتعل عن نورالحقّ سبحانه (إلى سبيل الحقّ)وهوسبيل الدّين ونهج الشّرع المبين .

و لمّا أشار عليه السلام إلى الحكمة في بعث الرّسل أردفه بالتّنبيه على الغرض من التّكليف و هو قوله : (ألا إنّ الله تعالى فد كشف الخلق كشفة) أى أبداهم وأظهرحالهم بماتعبّدهم به من الأحكام إذ بالتعبّد بهايظهر ما هم عليه من السّعادة و الشّقاوة و الجحود و التّسليم ، و هذا معنى ماقيل إنّه أراد بالكشف الاختبار و الابتلاء (لا) لـ(ـأنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم و) أضمروه من (مكنون ضمائرهم) بل هوالعالم بالسّرائر والخبير بمكنونات الضّمائر .

و إن تجهر بالقول فانّه يعلم السّر وأخفى ، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض و لا في السّماء ، و مايكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هومعهم ، على مامرّ تحقيقاً وتفصيلاً في

تنبيهات الفصل السّابع من الخطبة الأولى ، وفي شرح الخطبة التّاسعة و الأربعين والخطبة الخامسة والثّمانين فليراجع (ولكن) كشفهم (ليبلوهم أيّهم أحسن عملا) اقتباس من الآية الشّريفة في سورة هود قال تعالى :«وهو الذى خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملا».

قال الطّبرسيّ : معناه أنّه خلق الخلق ودبّر الامور ليظهر إحسان المحسن فانّه الغرض في ذلك أى ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لئلا يتوهم أنّه سبحانه يجازى العباد على حسب ما في معلومه أنّه يكون منهم قبل أن يفعلوه .

وفي سورة الملك «الّذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا» .

قال الطبرسيّ : أى ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنّهى فيجازى كلّ عامل بقدر عمله ، وقيل : ليبلوكم أيّكم أكثر للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأحسن صبراً على موته وموت غيره ، و أيّكم أكثر امتثالا للأوامر واجتنابا عن النّواهي في حال حياته .

قال أبوقتادة سألت النّبي صلّى الله عليه وآله عن قوله تعالى :« أيّكم أحسن عملا » ماعنى به ؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : يقول : أيّكم أحسن عقلا ثمّ قال : أتمّكم عقلا ، و أشدّكم لله خوفاً ، وأحسنكم فيما أمرالله به ونهى عنه نظراً ، وإن كان أقلّكم تطوّعا .

وعن ابن عمر عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه تلى تبارك الذي بيده الملك إلى قوله : أيّكم أحسن عملا ، ثمّ قال : أيّكم أحسن عقلا ، و أورع عن محارم الله ، و أسرع في طاعة الله ، وعن الحسن أيّكم أزهد في الدّنيا وأترك لها انتهى .

أقول : وقد مضى تفصيل الكلام في معنى ابتلاء الله سبحانه لعباده في شرح الخطبة الثانية و السّتين ، ومحصّله أنّه سبحانه يختبر عباده مع علمه بما يؤل اليه أمرهم من سعادة أوشقاوة بأوامره ونواهيه ، ويعاملهم معاملة المختبر ليجازي كلّ عامل بمقتضى فعله و عمله ، كما لا يجازي المختبر للغير إلاّ بعد وقوع الفعل و العمل منه (فيكون الثواب) منه تعالى (جزاء) للحسنات بمقتضى فضله (والعقاب بواء) للسيّئات بمقتضى عدله .

. ثمّ إنّه لمّا أشار الى الحكمة في بعث الرّسل ونبّه على الغرض من التّكليف أردفه بقوله : (أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا) وغرضه بذلك توبيخ الزّاعمين لذلك والانكار عليهم والتّنبيه على أنّ الرّسوخ في العلم مخصوص بأهل بيت الولاية عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأنّ غيرهم كاذب في دعوى الرّسوخ .

وهذه الدّعوى منهم أعنى اختصاصهم بالرّسوخ قد شهد عليه البراهين العقلية والنقلية ونصّ عليه العامّة والخاصّة .

اما العامة فلما أورده الشّارح المعتزلي في شرح هذا المقام حيث قال : إنّه كناية وإشارة إلى قوم من الصّحابة كانوا ينازعونه الفضل ، فمنهم من كان يدّعى له أنّه أفرض ، ومنهم من كان يدّعى له أنّه أقرء ، ومنهم من كان يدّعى له أنّه أعلم بالحلال والحرام ، هذا .

مع تسليم هؤلاء له أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل «أقضى ظ» الأمّة وأنّ القضاء يحتاج إلى كلّ هذه الفضائل و كلّ واحدة منها لا تحتاج إلى غيرها ، فهو إذا أجمع للفقه وأكثرهم احتواء عليه إلاّ أنه لم يرض بذلك ، و لم يصدق الخبر (١) الذي قيل أفرضكم فلان إلى آخره ، فقال إنّه كذب و افتراء حمل قوما على وضعه الحسد و البغى و المنافسة لهذا الحىّ من بني هاشم .

وأما الخاصة فقد تظافرت رواياتهم على ذلك .

ففي البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : نحن الرّاسخون في العلم ونحن نعلم تأويله .

ومن البصائر أيضاً عن إبراهيم بن إسحاق عن عبدالله بن حمّاد عن بريد البجلي «العجلى ظ» عن أحدهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في قوله تعالى : «وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم» آل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فرسول الله أفضل الرّاسخين في العلم قد علّمه الله جميع ما أنزله عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله ، و أوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه .

١ـ وهو ما رووه من أنّ أفرضكم زيد بن ثابت وأقرءكم ابىّ ، منه

و من مناقب ابن شهر آشوب عن أبي القاسم الكوفي قال: روى في قوله: «ومايعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم» إنّ الراسخون في العلم من قرنهم الرّسول بالكتاب وأخبر أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

قال صاحب المناقب: و في اللّغة الرّاسخ هو اللاّزم لا يزول عن حاله و ليس يكون كذلك إلاّ من طبعه الله على العلم في ابتداء نشوه كعيسى عليه السلام في وقت ولادته قال: «إنّي عبدالله آتاني الكتاب» الآية، فأما من يبقى السنين الكثيرة لايعلم ثمّ يطلب العلم فينا له من جهة غيره على قدر مايجوز أن يناله منه فليس ذلك من الراسخين يقال: رسخت عروق الشجر في الأرض ولايرسخ إلاّ صغيراً انتهى.

و هذا هو الدّليل العقلي على اختصاص الرّسوخ لهم مضافا إلى الأدلّة الأُخر لا نطول بذكرها.

ولمكان الاختصاص كذب المدّعين للاتصاف بالرسوخ والزاعمين لاختصاصه بهم دونهم بقوله (كذبا وبغيا علينا) وحسداً لنا وعلّة كذبهم وبغيهم (أن رفعنا الله ووضعهم) أى رفع الله درجاتنا في الدّنيا والآخرة على الكافّة ووضعهم.

كما يدلّ عليه قوله سبحانه: «في بيوت أذن الله أن ترفع» فقد روى في غاية المرام من تفسير الثعلبي في تفسير هذه الآية برفع الاسناد إلى أنس بن مالك قال: قرء رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية فقام رجل فقال: يا رسول الله أىّ بيوت هذه؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبوبكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ يعني بيت عليّ و فاطمة، قال صلى الله عليه وآله: نعم من أفاضلها، وبمعناها روايات اخر عامية وخاصية.

(و أعطانا و حرمهم) أى آتانا النبوّة والخلافة والامامة وحرمهم هذه كما قال تعالى: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»، قال أبوجعفر عليه السلام في المرويّ من بصائر الدّرجات: فنحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله جميعا.

و من مناقب ابن شهر آشوب و تفسير العياشي عن أبي سعيد المؤدب عن ابن عباس في قوله «أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله» قال: نحن الناس

وفضله النبوة .

(وأدخلنا) في عنايـة الخاصّة (وأخرجهم) منها و من جملة تلك العنايـة الخاصّة أنّه سبحانه أمر بسدّ الأبواب الشّارعة في المسجد غير باب أمير المؤمنين عليه السلام ، روى الحمويني بسنده عن بريد الأسلمي قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بسدّ الأبواب فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الصّلاة جامعة حتّى إذا اجتمعوا صعد المنبر فلم يسمع لرسول الله تحميداً وتعظيماً في خطبة مثل يومئذ فقال : يا أيّها النّاس ما أنا سددتها و لا أنا فتحتها ، بل الله عزّ وجلّ سدّها ، ثمّ قرء : «والنّجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى و ماينطق عن الهوى إن هو الاّ وحي يوحي» ، وقال رجل: دع لى كوّة تكون في المسجد فأبى وترك باب عليّ صلوات الله عليه مفتوحا وكان يدخل ويخرج منه وهو جنب .

(بنا يستعطى الهدى) لأنهم عليهم السلام الأعلام و المنار و نور الأنوار و شموس الضّياء و كواكب الدّجى ونجوم الظّلماء ، والهداة لمن اهتدى في الآخرة والأولى على مامرّ تحقيقاً وتفصيلاً في شرح الخطبة الرابعة .

(ويستجلى العمى) وهو استعارة وفاقيّة مرشّحة حيث استعير العمى للضلالة بجامع عدم الاهتداء وقرن بما يلايم المستعار منه وهو الاستجلاء .

وقوله عليه السلام (إنّ الأئمة من قريش) مأخوذ من الحديث النّبوي المعروف بين الفريقين حسب ماتطلع عليه في التنبيه الآتى ، وهو مفيد للحصر كما نبّه عليه العلامة التفتازاني في باب تعريف المسند من شرح التلخيص حيث قال : إنّ المعرّف بلام الجنس إن جعل مبتدء فهو المقصور على الخبر سواء كان الخبر معرّفا بلاّم الجنس أو غيره ، نحو الكرم هو التقوى أي لا غيرها ، والأمير الشّجاع أى لا الجبان والأمير هذا أو زيد أو غلام زيد أو كان غير معرّف أصلا نحو التوكل على الله والتفويض إلى أمر الله والكرم في العرب والامام من قريش لأنّ الجنس حينئذ يتّحد مع واحد ممّا يصدق عليه الخبر فلا يتحقّق بدون ذلك الواحد ، لكن يمكن تحقّق واحد منه في الجملة بدون ذلك الجنس فيلزم أن يكون الكرم مقصوراً على الاتّصاف بكونه

في العرب ، و لا يلزم أن يكون ما في العرب مقصوراً على الاتصاف بالكرم ، وعلى هذا القياس .

قال المحقق الشريف في وجه إفادته القصر لأنّ المعنى أنّ كلّ توكّل على الله و كلّ تفويض إلى أمر الله و كلّ كرم في العرب فيلزم أن يكون الكرم مقصوراً على الاتصاف بكونه في العرب ، لأنّ كلّ فرد منه موصوف بكونه فيهم فلا يوجد فرد منه في غيرهم ، ولا يلزم من ذلك أن يكون كلّ ماهو كائن في العرب موصوفاً بكونه كرماً ، لئلا يلزم قصر الخبر على المبتداء انتهى .

فقد ظهر بذلك أنّه لاغبار على إفادته القصر وإن اختلف أنظارهم في وجه إفادته له ، وليكن هذا على ذكر منك تتنبّه به على فساد أكثر ما ذهب إليه المعتزلة في باب الامامة حسب ماحكاه الشّارح المعتزلي عنهم على ما تطلع عليه في التنبيه الآتي إنشاءالله.

و قوله: (غرسوا في هذا البطن) المعيّن (من هاشم) أُراد به نفسه الشّريف مع الأحد عشر من ولده على ماهو مذهب أصحابنا الاماميّة المحقّة رضوان الله عليهم

وقوله : (لاتصلح) أى الامامة المستفادة من سوق الكلام (على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم) وهو تأكيد لما قد دلّ عليه القصر السّابق و اختصاص الامامة بالعترة الطاهرة أعنى الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام كما هو مدلول الفقرة الأخيرة .

ووجهه أنّ للولاية والامامة خصائص بها يتأهل لها ، وتلك الخصائص موجودة فيهم غير موجودة في غيرهم ، فلا تصلح إلاّ لهم عليهم السلام كما تقدّم تحقيق ذلك و توضيحه في شرح الفصل الخامس من الخطبة الثّانية في معنى قوله: ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة .

تنبيه

قال الشّارح المعتزلي في شرح قوله : إنّ الائمة من قريش إلى آخر الفصل

ما لفظه : قد اختلف النّاس في اشتراط النّسب فى الامامة .

فقال قوم من قدماء أصحابنا : النّسب ليس فيها شرطاً أصلا وأنّها تصلح في القرشيّ وغير القرشي إذا كان فاضلا مستجمعاً للشّرائط المعتبرة واجتمعت الكلمة و هو قول الخوارج .

وقال أكثر أصحابنا وأكثر النّاس: إنّ النّسب شرط فيها وإنّها لا تصلح إلاّ في العرب خاصّة ومن العرب فقريش خاصّة .

وقال أكثر أصحابنا: معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: الأئمة من قريش أنّ القرشيّة شرط إذا وجد في قريش من يصلح للامامة فان لم يكن فيها من يصلح فليست القرشيّة شرطاً فيها .

و قال بعض أصحابنا . معنى الخبر أنّه لا يخلو قريش أبداً ممّن يصلح للامامة فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها في كلّ عصر وزمان .

وقال معظم الزّيدية : إنها في الفاطميّين خاصة من الطالبيين لا تصلح في غير البطنين ولا تصح إلاّ بشرط أن يقوم بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس

و بعض الزيدية يجيز الامامة في غير الفاطميّين من ولد عليّ و هو من أقوالهم الشاذّة .

وأما الراوندية فانهم خصّصوها بالعباس وولده من بطون قريش كلّها وهو القول الذي ظهر في أيام المنصور والمهدي .

وأما الامامية فانهم جعلوها سارية في ولد الحسين عليه السلام في الأشخاص المخصوصين ولا تصحّ عندهم لغيرهم .

وجعلها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده .

ومنهم من نقلها منه إلى ولد غيره .

ثمّ قال الشارح : فان قلت : إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة واصولهم فماقولك في هذا الكلام وهو تصريح بأنّ الامامة لا يصلح من قريش إلاّ في بني هاشم خاصة وليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدّميهم ولا متأخّريهم .

قلت: هذا الموضع مشكل ولي فيه نظر وإن صح أنّ عليا قاله كما قال لأنّه ثبت عندي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: إنّه مع الحقّ و إنّ الحقّ يدور معه حيثما دار، و يمكن أن يتأوّل على مذهب المعتزلة فيحمل أنّ المراد به كمال الامامة كما حمل قوله صلّى الله عليه وآله: لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد على نفي الكمال لا على نفي الصحّة، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول محصّل: ماحكاه الشّارح من الأقوال وأورده في هذا المقام عن أصحابه المعتزلة وغيرهم عشرة.

أمّا القول الأوّل فيبطله قوله صلّى الله عليه وآله: الأئمة من قريش لافادته القصر واشتراطه النّسب حسب ما عرفت سابقا.

و أمّا القول الثاني فهو مسلّم لكن لا على اطلاقه بل بتقييد القرشي بالبطن المخصوص من هاشم أعني عليا و ولده للأدلة الآتية الدالة عليه مضافة إلى ماتقدّم من تصريح علي عليه السلام به.

و أما القول الثّالث ففيه إنا قدّمنا أنّ معنى النّبوى أنّه لابدّ أن يكون الامام من قريش، وعليه فلامعنى لقولهم فان لم يكن فيهامن يصلح فليست القرشيّة شرطا فيها، ضرورة أنه إذا لم تكن شرطا فيها على تقدير عدم وجود من يصلح لجاز أن يكون من غيرها لكنه باطل بمقتضى القصر ولازمه أنه إذا فرض عدم وجود من يصلح من قريش لها أن لايكون هناك امام أصلا على ماهو قضية الشرطية المستفادة من القصر لا وجوده من غير قريش على مازعموا.

وأما القول الرّابع ففيه أنّ مفاد الخبر أنّ الامام لابدّ أن يكون من قريش وأما أنّ قريشا لابدّ أن يكون منهم في كلّ عصر وزمان من يصلح للامامة فلا دلالة للخبر عليه باحدى من الدلالات، نعم قد قامت الأدلّة العقلية والنقلية على ماتقدّمت في شرح الفصل الخامس عشر من الخطبة الاولى و في غيره أيضا على أنّ الزّمان لا يخلو من حجّة، فيضمّ قوله: إنّ الأئمة من قريش إلى تلك الأدلّة يثبت أنّ قريشا لا تخلو من أن يكون منهم في كلّ عصر إمام، نظير دلالة قوله سبحانه:

«والوالدات يرضعن اولادهنّ حولين كاملين» بضميمة قوله : «و حمله وفصاله ثلاثون شهراً » على أنّ أقل مدّة الحمل ستة أشهر إلاّ أنه دلالة تبعيّة غير مقصودة .

و أما القول الخامس فهومسلّم لكن لا في مطلق الطالبى والفاطمي ، بل في الأشخاص المخصوصة أعني الأئمة الاثنى عشر ، و ما ذكروه من الشروط أعنى القيام والدّعوة و السياسة لم يدلّ عليها دليل من الكتاب والسنة ، وعمدة شروطها العصمة والنص والأفضلية ، و لهاشرايط أُخر مذكورة في الكتب الكلامية لأصحابنا

و أماالقول السادس والسابع فشاذّان صعيفان لايعبأ بهمامع قيام الأدلّة القاطعة على خلافهما .

وأماالقول الثامن فهوالمذهب الحقّ الذي أحقّ أن يدان و يتّبع ، و عليه دلّت النصوص المعتبرة المتواترة .

وأماالقول التاسع والعاشر فكالسادس والسابع ضعيفان أيضا ، هذا .

و بقى الكلام مع الشارح فيما ذكره جوابا عن الاعتراض الذى أورده على نفسة أعني قوله قلت : هذا الموضع مشكل ولى فيه نظر إلى قوله: حيثما دار .

فأقول : هذا الجواب يستشمّ منه ميل الشارح إلى مذهب الشّيعة الاماميّة كما هو زعم بعض العامّة بل أكثرهم حيث ينسبونه إلى التشيّع و يتبرّون منه إلاّ أنّ أكثر كلماته صريحة في اختياره مذهب الاعتزال حسب ماعرفتها و ستعرفها إنشاءالله في تضاعيف الشرح على ماجرى عليه ديدننا والتزمنا به من حكاية كلّما وقع فيه منه خطاء وزلّة من كلامه وتعقيبه بالتنبيه على هفواته و آثامه ،

ثمّ أقول : إنّ هذا الموضع ليس محلّ اشكال و لا نظر لأنّ صحّة الرّواية لاغبارعليها فانّها وإن رواها السّيد (ره) على نحو الارسال إلاّ أنّ مضمونها معتضد وموافق للاخبار النبوية وغير النّبوية المعتبرة العاميّة والخاصيّة القطعيّة السّند حسب ماتعرف جملة منهاعن قريب انشاءالله تعالى ، وبالجملة فليس الدليل منحصراً في المقام في هذه الرّواية حتّى يستشكل في صحّتها ، بل لنا على هذه الدّعوى أدلّة قاطعة متظافرة بل متواترة حسب ماتطلع عليها .

وأما قول الشارح ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة ففيه :

أولا إن الامامة منصب إلهي وملك عظيم غير قابل للكمال والنقصان والشدة والضعف ، بل لها شروط و خصال بها يتأهل لها ، فحيث ما وجدت تلك الشرائط وجدت ، و حيث ما انتفت انتفت ؛ فلا معنى لحمل قوله عليه السلام : الأئمة من قريش ، على الامامة الكاملة إذ ليس لنا إمامة ناقصة .

اللهم إلا أن يجعل المراد بالامام معناه اللغوي أعني مطلق المقتدى فحينئذ يصح توصيفه بالكمال والنقصان ، فيراد بالكامل الأئمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، و بالناقص الأئمة الذين يدعون إلى النار و هم للحق جاحدون ، و على ذلك فيكون معنى قوله : الأئمة من قريش آه ، المقتدين الكاملين يعني أئمة الهدى من قريش غرسوا في البطن المخصوص من هاشم ، فلاينافي وجود المقتدين الناقصين أعني أئمة الضلال من غير ذلك البطن .

لكن هذا المعنى مضافا إلى أنه مجاز مما لايلتزم به الشارح ، لأن غرضه من حمل الحديث على كمال الامامة ، ومن تمحل ذلك التأويل إنما هو تصحيح مذهب المعتزلة ورفع تضاد الحديث لذلك المذهب ، فكيف يقر ويذعن بضلال أئمته وله أن يجيب عن ذلك ويقول إن المراد بالامام الكامل الأفضل والأجمع للخلال (١) الحميدة ، وبالناقص من دون ذلك كما يؤمي إليه اعترافه وفاقاً لأصحابه المعتزلي بأن علياً أفضل من سائر الخلفاء على ماتقدم تفصيلاً حكاية عنه في المقدمة الثانية من مقدمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية .

إلا أنه يتوجه عليه ما قدمناه في المقدمة المذكورة في المقصد الثاني منها من أنه بعد القول والالتزام بأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام لا يبقى لغيره إمامة وخلافة أصلا ، لقبح ترجيح المرجوح على الراجح و غير الأفضل على الأفضل عقلاو شرعا فيبقى ايراد الذي أوردناه أعني عدم كون الامامة قابلة للنقصان على حالها .

١ــ الظاهر الخصال يكون صحيحا وان كان فى الاصل الخلال منه

و ثانيا إنّ بعد الغضّ عمّا قلنا والمماشاة نقول: إنّ قوله: الأئمة من قريش، جمع محلّى باللّام و كذلك قوله، لا تصلح الولاة من غيرهم، و الجمع المحلّى مفيد للعموم و حقيقة في الاستغراق الحقيقي على ما قرّر في الأُصول وحملها على الأئمةوالولاةالكاملين يوجب صرف الاستغراق إلى المجاز أعني الاستغراق العرفي والأصل في الاستعمال الحقيقة.

لا يقال: لا نسلّم كون اللّام في لفظ الأئمة والولاة للاستغراق، وإنّما هي للجنس كما صرّح به العلامة التّفتازاني على ماحكيته عنه فيما تقدّم، وعليه فلا ينا في كون بعض أفراد الأئمة أعني غير الكاملين من غير قريش.

لأنّي أقول: مراده من الجنس هو الاستغراق، لأنّه صرّح في باب تعريف المسند إليه بكون الاستغراق قسما من الجنس تبعا لصاحب التلخيص، و يومي إلى ذلك أيضا ما قال المحقق الشريف: من أنّ معنى قولنا: التوكّل على الله والكرم في العرب، أنّ كلّ توكّل على الله، و كلّ كرم في العرب، سلّمنا ولكن نقول إنّ كون بعض أفراد الأئمة من غير قريش ينافي القصر المستفاد من الحديث على ما حقّقه المحقّقان المذكوران وقدّمنا حكايته عنهما فيما تقدّم.

هذا كلّه مضافا إلى وقوع التّصريف «يح ظ» في الأخبار النبويّة الآتية بالاستغراق الحقيقي و عدم احتمالها للتأويل لكونها نصّا في العموم و هو مؤكّد لكون الاستغراق هنا أيضا حقيقيا.

و ثالثا انّ قياس الحديث على نحو لا صلاة لجار المسجد والتمثيل به فاسد ضرورة أنّ لاء النّافية للجنس موضوعة لنفي الماهيّة وحقيقة فيه كما في لا رجل في الدّار، و استعماله في نفي صفة من صفات الجنس كالصّحة والكمال ونحوهما مجاز لا يصار إليه الاّ بدليل، وقد قام الدّليل على إرادة المعنى المجازي نحو لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد، ولا طلاق إلاّ بشهود، ولا نكاح إلاّ بوليّ، ولا عتق إلاّ في ملك، وما ضاهاها، لعلمنا بأنّ الماهيّة موجودة فيها جزما، وإنما المنفيّ

صحتها أو كمالها ، و أما فيما نحن فيه فأصالة الحقيقة محكمة لم يقم دليل على خلافها ، فلا وجه للتأويل بكمال الامامة علي ما زعمه .

إذا عرفت ذلك فلنتصد لذكر الأخبار الدالة على أن الأئمة كلهم من قريش وأن الامامة مخصوصة بعلي أمير المؤمنين عليه السلام و ولده الأحد عشر ، و هي كثيرة جداً عامية و خاصية و نحن نورد طائفة منها من طريق العامة لكونها أقلع لعذر الخصم وأبلغ حجة ، نرويها من كتاب غاية المرام للسيد المحدث العلامة السيد هاشم البحراني وهو أحد وعشرون حديثا .

الاول أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه عن عبدالملك قال : سمعت جابر بن سمرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : يكون بعدي اثناعشر أميراً فقال صلى الله عليه وآله كلمة لم أسمعها فسألت أبي ماذا قال؟ قال : إنه قال : كلهم من قريش .

الثاني البخاري رفعه إلى ابن عيينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايزال أمر الناس ماضيا ماوليهم اثناعشر رجلا ، ثم تكلم بكلمة خفيت علي فسألت أبي ما ذا قال رسول الله ؟ فقال : قال : كلهم من قريش .

الثالث مسلم في صحيحه مسنداً عن حصين عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول : إن هذا الأمر لاينقضي حتى يمضي فيه اثناعشر خليفة ، قال : ثم تكلم بكلام خفي علي قال : فقلت لأبي ماقال؟ قال : كلهم من قريش .

الرابع مسلم في صحيحه قال : حدثنا ابن أبي عمر وقال : حدثنا سفيان عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : لايزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثني عشر رجلا ثم تكلم النبي بكلمة خفيت علي فسألت أبي ماذا قال رسول الله؟ فقال : قال : كلهم من قريش .

الخامس مسلم في صحيحه قال : حدثنا هداب بن خالد الأزدي قال : حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا يزال الاسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة

لم أفهمها، فقلت لأبي ماقال؟ فقال : قال: كلّهم من قريش .

السادس مسلم في صحيحه قال حدّثنا أحمد بن عثمان النّوفلي حدّثنا أزهر حدّثنا أحمد بن عون بن عثمان عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال : انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي فسمعته يقول : لايزال هذا الدّين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة فقال ﷺ كلمة أخفيها النّاس فقلت لأبي ما قال ؟ قال : كلّهم من قريش

السابع الحميدى في الجمع بين الصحيحين قال : وفي رواية مسلم عن حديث عامر بن أبي وقاص قال : كتب إليّ جابر بن سمرة مع غلامى نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ فكتب إليّ : سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشيّة رجم الأسلمي قال : لايزال الدّين قائما حتّى تقوم ويكون عليهم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش، الحديث .

قال السّيد البحراني : بعد ايراد هذه الأخبار السّبعة وعشر روايات كلّها من طريق المخالفين عن جابر بن سمرة مالفظه : أقول : قد ذكر يحيى بن الحسن البطريق في كتاب المستدرك أنّه ذكر في كتاب العمدة من طريق العامّة عشرين طريقا في أنّ الخلفاء بعده إثناعشر خليفة كلّها من الصّحاح من صحيح البخاري ثلاثة طرق ، ومن مسلم تسعة ، ومن صحيح أبي داود ثلاثة ، وفي الجمع بين الصحاح الستة طريقين ، و منها من الجمع بين الصحيحين للحميدى ثلاثة كلّها ينطق بأنه لايزال الاسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة وماوليهم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش

الثامن أبوعلي الطبرسى الفضل بن الحسن في كتاب اعلام الورى من طريق المخالفين وهو عدّة روايات منها مارواه عن أبي سلمة القاضي قال : أخبرنا أبو القاسم القسوى «أبوالعباس النسوى خ» حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدّثنا حاتم بن إسماعيل عن المهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته عن رسول الله ﷺ فكتب إليّ أني سمعت رسول الله يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول : لا يزال الدّين قائما حتى تقوم الساعة و يكون عليكم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش و سمعته يقول . أنا

الفرط على الحوض .

التاسع مارواه من طريق المخالفين الشيخ أبوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان المفيد عن محمدبن عثمان الذهبي حدثنا عبدالله بن جعفر الرقي قال : حدثنا عيسى ابن يونس عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال : كنا عند عبدالله بن مسعود فقال له رجل : أحدثكم بنبيكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ فقال له : نعم من الخلفاء عدة نقباء موسى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش .

العاشر مارواه حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبدالله ابن مسعود وزاد فيه قال : كنا جلوساً إلى عبدالله يقرينا القرآن ، فقال له رجل : يا عبدالرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وآله كم يملك أمر هذه الأمة خليفة بعده فقال له عبدالله : ما سألني بها أحد منذ قدمت العراق ، نعم سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اثنى عشر عدة نقباء بني اسرائيل .

الحاديعشر ما رواه عبدالله بن أبي امية مولى مجامع عن يزيدالرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لم يزل هذا الدين قائما إلى اثنىعشر من قريش فاذا مضوا هاجت الأرض بأهلها .

الثانيعشر ما رواه سليمان بن أحمر قال : حدثنا أبوعون عن الشعبي عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لايزال أهل هذا الدين ينصرون على من ناداهم الى اثنى عشر خليفة فجعل الناس يقومون ويقعدون، وتكلم بكلمة لم أفهمها فقلت لأبي أو لأخي : أي شيء قال ؟ قال : كلهم من قريش .

الثالثعشر ما رواه قطر بن خليفة عن أبي خالد الوالبي عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله مثله .

الرابع عشر ما رواه سهل بن حماد عن يونس بن أبي يعفور قال : حدثني عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله و عمي جالس بين يدي فقال

رسول الله صلى الله عليه وآله لايزال أمر امّتي صالحا حتّى يمضى اثناعشر خليفة كلّهم من قريش اسم أبي جحيفة وهب بن عبدالله .

الخامس عشر مارواه الليث بن سعد عن خالد بن زيد عن سعد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف قال : كنّا عند شقيق الأصبحي فقال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :يكون خلفي اثنى عشر خليفة .

السادس عشر مارواه الشيخ أبوعبدالله جعفر بن محمد بن أحمد الدورستي في كتابه في الرّد على الزّيدية قال : أخبر أبي قال : أخبرنا الشيخ أبوجعفر بن بابويه قال : حدّثنا محمد بن عليّ ماجيلويه عن عمّه عن أحمد بن أبي عبدالله عن أبيه عن خلف بن حماد الأسدي عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته وفاته فقلت إذا كان مانعوذ بالله منه فإلى من ؟ فأشار إلى علي عليه السلام فقال : هذا ، فانّه مع الحقّ والحقّ معه ثمّ يكون بعده أحد عشر إماماً مفترضة طاعتهم كطاعته .

السابع عشر الدورستي أيضاً قال : أخبرنا أبوعبدالله محمد بن وهبان قال : حدّثنا أبوبشر أحمد بن إبراهيم بن أحمد قال : أخبرنا محمد بن زكريّا بن دينار العلائي حدّثنا سليمان بن إسحاق عن سليمان بن عبدالله بن العبّاس قال : حدّثني أبي قال : كنت يوما عند الرّشيد فذكر المهدي و ما ذكر من عدله فأطنب من ذلك فقال للرّشيد : إنّي أحسبكم أنكم تحسبونه أبا المهدي حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال : يا عم تملك من ولدي اثنى عشر خليفة ثمّ يكون اُمور كريهة و شدّة عظيمة ثمّ يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة فيملاء الأرض عدلا كما ملئت جوراً يمكث في الأرض ماشاءالله ثمّ يخرج الدّجال .

قال أبوعليّ الطبرسي عقيب هذه الأخبار وما بمعناها ممّا لم نوردها : هذا بعض ماجاء من الأخبار من طريق المخالفين و رواياتهم في النّص على عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام و إذا كانت الفرقة المخالفة قد نقلت ذلك كما نقلته الشّيعة

الامامية ولم ينكر ماتضمنه الخبر فهو أدل دليل على أن الله تعالى هو الذي سخر لروايته اقامة لحجته و إعلاء لكلمته وما هذا الأمر إلا كالخارق للعادة و الخارج عن الأمور المعتادة ، ولا يقدر عليها إلا الله تعالى الذي يذلل الصعب ويقلب القلب ويسهل له العسير وهو على كل شيء قدير انتهى .

الثامن عشر صدر الأئمة أخطب خوارزم أبوالمؤيد موفق بن أحمد في كتاب فضائل أمير المؤمنين قال : حدثنا فخر القضاة نجم الدين أبومنصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي فيما كتب إلي من همدان ، قال : أنبأنا الامام الشريف نور الهدى أبوطالب الحسن بن محمد الزيني قال : أخبرنا إمام الأئمة أحمد بن محمد بن شاذان قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عبدالله الحافظ قال : حدثنا علي بن سنان الموصلي عن أحمد بن محمد بن صالح عن سلمان بن محمد عن زيد بن مسلم عن زياد بن محمد عن عبدالرحمن بن يزيد عن جابر عن سلامة عن أبي سليمان الراعي راعي رسول الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ليلة اسرى بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله : آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه فقلت : والمؤمنون ، فقال : صدقت يا محمد من خلفت في أمتك ؟ فقلت : خيرها ، قال : علي بن أبيطالب ؟ قلت : نعم يارب قال : يا أحمد اني اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فاشتققت لك اسما من اسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها عليا فشققت له اسما من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي ، يا محمد إني خلقتك وخلقت عليا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من نور من نوري ، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرضين ، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ، و من جحدها كان عندي من الكافرين ، يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ماغفرت له حتى يلقاني بولايتكم ، يا محمد تحب أن تراهم ؟ قلت : نعم يارب ، قال : فالتفت عن يمين العرش ، فالتفت فاذاً بعلي و فاطمة و الحسن والحسين وعلي بن الحسين و محمد بن علي وجعفر بن محمد و موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي

ابن محمّد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلّون ، وهو في وسطهم يعني المهدي كأنّه كوكب درّيّ ، و قال : يا محمّد هؤلاء الحجج وهذا الثائر من عترتك وعزّتي وجلالي انّه الحجّة الواجبة والمنتقم .

قال السيّد المحدّث البحراني : روى هذا الحديث جماعة من الخاصّة والعامّة : رواه الشيخ الطوسي في الغيبة و أبوالحسن محمّد بن أحمد بن الحسن بن شاذان في المناقب المأة من طريق العامّة ، ورواه صاحب المقتضب وصاحب الكنز الخفي والحمويني من العامّة

التاسع عشر إبراهيم بن محمّد الحمويني من أعيان علماء العامّة في كتاب فرائد السمطين في فضائل المرتضى و فاطمة والحسن والحسين بسنده عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن العبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ خلفائي و أوصيائي و حجج الله على الخلق بعدي الاثنى عشر أوّلهم أخي و آخرهم ولدي ، قيل : يارسول الله ومن أخوك ؟ قال : عليّ بن أبيطالب ، قيل : فمن ولدك ؟ قال : المهدي الذي يملأها قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلما ، والّذي بعثني بالحقّ بشيراً لولم يبق من الدّنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل فيه روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.

العشرون الحمويني هذا بالاسناد إلى ابن بابويه قال : حدّثنا أحمد بن الحسن القطان قال : حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا القطان قال حدّثنا بكر بن عبدالله بن حبيب قال : حدّثنا الفضل بن الصّقر العبدي قال : حدّثنا أبومعاوية عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن عبدالله بن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا سيّد النّبيين و عليّ بن أبيطالب سيّد الوصيّين و إنّ أوصيائي بعدي اثنى عشر أوّلهم عليّ بن أبيطالب و آخرهم القائم .

الحادى والعشرون محمّد بن أحمد بن شاذان أبوالحسن الفقيه في المناقب المأة والفضائل لأميرالمؤمنين والأئمة من طريق العامة عن سلمان المحمّدي قال:

دخلت على النّبيّ صلّى الله عليه وآله إذا الحسين بن علي على فخذه و هو يقبّل عينيه ويلثم فاه وهو يقول : أنت سيّد و ابن سيّد و أبو السّادات أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة ، أنت حجّة ابن حجّة أبو الحجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة لاتستقصى وفيما ذكرناه كفاية في هذا الباب ومن أراد الزيادة فعليه بكتاب غاية المرام ، وقد عقد السّيد المحدّث البحراني فيه بابين على هذا المعنى قال : الباب الرابع والعشرون في أنّ الأئمة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله اثنى عشر بنص رسول الله صلّى الله عليه وآله إجمالاً وتفصيلاً: علي وبنوه الأحد عشر من طريق العامة و فيه ثمانية و خمسون حديثاً ، ثمّ أورد الرّوايات العاميّة فقال : الباب الخامس والعشرون في أنّ الأئمة بعد رسول الله اثنى عشر إجمالاً وتفصيلاً هم: علي بن أبيطالب و بنوه الأحد عشر من طريق الخاصّة و فيه خمسون حديثا ثمّ روى الأحاديث الخاصيّة والله الهادي إلى سواء السّبيل .

الترجمة

ازجملهٔ خطب شريفهٔ آن امام مبين وولي ربّ العالمين است كه متضمّن فائده بعثت پيغمبران عاليمقدار و اظهار مناقب عترت رسول مختار و أهل بيت اطهار است چنانچه فرموده :

مبعوث فرمود حق سبحانه و تعالى پيغمبران خودرا بآن چه كه مخصوص ساخت ايشانرا از وحى خود ، و گردانيد ايشانرا حجّة واضحه از براى خود برمخلوقات خود تا اينكه واجب نشود حجّت مر ايشان را بسبب ترك تخويف وترساندن ايشان ، پس خواند ايشان را بزبان راست كه دعوت أنبياء است بسوى راه درست كه طريق شريعت غرّا است ، آگاه باشيد بدرستى كه خداوند آشكارا ساخت خلقرا آشكار ساختنى نه ازجهة اينكه جاهل بود بآنچه مخفى داشته‌اند از أسرار محفوظه ومكنونات قلوب ايشان ، وليكن ازجهة اينكه امتحان نمايد ايشان‌را تا كدام يك از ايشان بهترند از حيث عمل تا باشد ثواب جزاى حساب و عقاب

پاداش سیئآت .

کجایند کسانیکه دعوی باطل کردند که ایشان راسخان درعلمند نـه ما ازروی دروغ و ظلم برمابجهةاینکه خداوند رتبهٔ مارا بلند فرموده و پست کرد ایشان را ، وعطانمود بمامنصب امامت وخلافت را ومحروم کرد ایشان را ، وداخل نمود ما را در عنایت خاصّه خود وخارج کرد ایشان را ، بوجود ما خواسته میشود هدایت ، و طلب روشنی میشود از کوری و ضلالت ، بدرستی که امامان از طائفهٔ قریش‌اند کاشته شدند دراین بطن معیّن ازهاشم بن عبد مناف یعني در ذرّیه علویّه صلاحیت ندارد امامت برغیر ایشان وصلاحیت ندارند والیان از غیر ایشان .

الفصل الثاني

منها : آثَرُوا عاجِلاً ، وَأَخّرُوا آجِلاً وَتَرَكُوا صافِياً وَشَرِبُوا آجِناً ، كَأَنّي أَنْظُرُ إِلى فاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ ، وَبَسَأَ بِهِ وَوافَقَهُ ، حَتّى شابَتْ عَلَيْهِ مَفارِقُهُ وَصُبِغَتْ بِهِ خَلائِقُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيّارِ لا يُبالي ما غَرَقَ ، أَوْ كَوَقْعِ النّارِ فِي الْهَشِيمِ لا يَحْفِلُ ما حَرَقَ ، أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصابِيحِ الْهُدى ، وَالْأَبْصارُ اللّامِحَةُ إِلى مَنارِ التَّقْوى ، أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتي وُهِبَتْ لِلّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلى طاعَةِ اللّهِ ؟ إِزْدَحَمُوا عَلَى الْحُطامِ ، وَتَشاحُّوا عَلَى الْحَرامِ ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا عَلَى النّارِ بِأَعْمالِهِمْ ، وَدَعاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعاهُمُ الشَّيْطانُ فَأَطاعُوا وَأَقْبَلُوا

اللغة

(الآجن) الماء المتغيّر الطّعم واللّون و (بسأ) به كجعل و فرح بسئاً و بسئاً وبسوءاً أنس و(المفارق) جمع المفرق وزان مجلس ومقعد وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر و(الخلائق) جمع الخليقة أى الطبيعة و (أزبد) البحر أى صار ذا زبد ورجل مزبد أى ذو زبد و هو مايخرج من الفم كالرغوة و (التيّار) مشدّدة موج البحر و (الهشيم) النّبت اليابس المتكسّر أو يابس كلّ كلاء و (حفل) الماء يحفل من باب ضرب حفلا و حفولا اجتمع ، و قال الشّارح المعتزلي لايحفل أى لا يبالي و (المستصبحة) في بعض النّسخ بتقديم الحاء على الباء من الاستصحاب وفي بعضها بالعكس كما ضبطناه من الاستصباح وهو الأوفق .

الاعراب

ما في قوله : ما غرق ، موصول في محلّ النّصب أى لا يبالي ممّا غرق ، و كذلك في قوله ما حرق إن كان يحفل بمعنى يبالي كما فسّره الشارح وإن كان بمعنى يجتمع كما في القاموس فما في محلّ الرّفع فاعل له وهو ظاهر .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل وارد في معرض التّوبيخ و التّقريع لطائفة غير مرضيّة الطريقة .

فقال بعض الشّارحين: إنّه عني بذلك الصّحابة الذين مضى ذكرهم في الفصل السّابق يعني الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم .

وقال بعضهم: إنّ المراد به بنو اُميّة .

و قال الشّارح البحراني: أراد بذلك من تخلّف من النّاس إلى زمانه ممّن هو غير مرضيّ الطريقة و إن كان معدوداً من الصّحابة بالظاهر كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية ونحوهم من امراء بني اُميّة ، ويقرب منه

كلام الشّارح المعتزلي وستطلع عليه .

وكيف كان فقوله (آثروا عاجلا وأخّروا آجلا) أراد به أنّهم اختاروا الدّنيا على الآخرة وقدّموها عليها وأخّروها عنها و ذلك لكون شهواتها حاضرة معجّلة ولذاتها غائبة مؤجّلة (وتركوا صافيا وشربوا آجناً) أي تركوا اللّذات الاخرويّة الصّافية من الكدورات والعلائق البدنيّة ، و استلذّوا باللذات الدّنيوية المشوبة بالآلام والاسقام فاستعار لفظ الآجن للذّاتها والجامع عدم السّوغ أو عدم الصّفاء فيها كما أنّ الماء المتغيّر الطّعم واللّون لا يسوغ ولا يصفى وذكر الشّرب ترشيح .

(كأنّي أنظر إلى فاسقهم) قال الشارح البحراني : يحتمل أن يريد فاسقاً معيّناً كعبد الملك بن مروان ، ويكون الضّمير عائد إلى بني اميّة و من تابعهم ، ويحتمل أن يكون مطلق الفاسق أى من يفسق من هؤلاء فيما بعده ويكون بالصّفات الّتي أشار اليها بقوله (وقد صحب المنكر فألفه) أى أخذه الفاً له (وبسأ به ووافقه) أى استأنس به ووجده موافقا لطبعه (حتّى شابت عليه مفارقه) وهو كناية عن طول عهده بالمنكر إلى أن بلغ عمره غايته ، لأنّ شيب المفارق عبارة عن بياضها و هو إنّما يكون إذا بلغ الشّيوخيّة و لتأخر شيب المفرق عن شيب الصّدغ و تأكّد دلالته على طول العهد خصّصه بالذّكر (وصبغت به خلائقه) أى صارت طبايعه مصبوغة ملوّنة بالمنكر أى صار المنكر خلقاً له وسجيّة ، فاستعار لفظ الصبغ لرسوخ المنكر في جبلته لشدّة ملازمته له .

(ثمّ أقبل مزبداً كالتيّار) شبّهه بالبحر الموّاج ورشح التشبيه بذكر لفظ الازباد و وجه الشبه أنّه عند الغضب لا يبالى بما يفعله فى النّاس من المنكرات كما (لا يبالي) البحر بـ (ما غرق) و شبّهه اخرى بالنّار المضرمة الملتهبة فقال (أو كوقع النّار في الهشيم) يعني أنّ حركاته في الظّلامات مثل وقع النّار في النّبت اليابس و الدّقاق من الحطب ووجه الشّبه أنّه (لا يحفل) ولا يبالي بظلمه

كما لا يحفل وقع النّار ولا يبالي بـ(ما حرق) (١) أو أنّ ما أفسده لا يرجى اصلاحه كما أنّ ما احرقه النّار لا يمكن اجتماعه .

ثمّ استفهم على سبيل الأسف والتحسّر فقال (أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى) استعار لفظ المصابيح لأولياء الدّين وأئمّة اليقين المقتبس عنهم نور الهداية و رشّح بذكر لفظ الاستصباح ، ويجوز أن يكون استعارة لأحكام الشّرع المبين الموصلة لآخذها والسّالكة بعاملها إلى حظيرة القدس .

و مثله لفظ المنار في قوله (و الأبصار اللامحة إلى منار التقوى) إذ أئمّة الهدى أعلام التّقى بهم يهتدى في ظلمات الضّلال وغياهب الدّجى و كذلك بأحكام سيّد الأنام والانقياد بها يهتدي إلى نهج الحقّ وسواء الطريق الذي يؤمن لسلوكها ويتقى من النّار وينجي من غضب الجبّار جلّ وتعالى.

ثمّ استفهم اخرى بقوله (أين القلوب الّتي وهبت لله) أى و هبها أهلها لله سبحانه والمراد بهبتها له جعلها مستغرقة في مطالعة أنوار كبريائه و التوجّه إلى كعبة وجوب وجوده وهي القلوب الّتي صارت عرش الرّحمن واشير اليها في الحديث القدسي لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدى المؤمن .

(وعوقدت على طاعة الله) أى أخذ الله عليهم العهد بطاعته إمّا في عالم الميثاق أو بألسنة الأنبياء و الرّسل و إليه اشير في قوله سبحانه : «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلا»

ثمّ رجع إلى ذمّ الفرقة المتقدّمة المصدّرة بهذا الفصل فقال (ازدحموا على الحطام) أى تزاحموا على متاع الدّنيا و استعار له لفظ الحطام الموضوع لليابس من النّبت المتكسّر لسرعة فنائه وفساده (وتشاحّوا على الحرام) أى تنازعوا عليه لأنّ غرض كلّ منهم جذبه اليه (و رفع لهم علم الجنّة و النّار) قال الشّارح البحراني :أشار بعلم الجنّة إلى قانون الشريعة القائد إلى الجنّة و بعلم النّار إلى

(١) هذا مبنيّ على جعل يحفل بمعنى يجتمع كما أنّ الأول مبنيّ على جعله بمعنى يبالى على ما مضى سابقا، منه ره

الوساوس المزينة لقنيات الدّنيا ، والعلم الأوّل بيد الدّعاة إلى الله وهم الرّسول و من بعده من أولياء الله من أهل بيته و التّابعين لهم باحسان ، و العلم الثّاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الجنّ والانس الدّاعين إلى النار .

(فصرفوا عن الجنّة وجوههم) وأعرضوا عنها (وأقبلوا إلى النار بأعمالهم) القبيحة الموصلة إليها (ودعاهم ربّهم فنفروا) واستكبروا (وولّوا ودعاهم الشيطان فأطاعوا وأقبلوا) و استجابوا .

تنبيه

قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الفصل :

فان قلت : هذا الكلام يرجع إلي الصّحابة الذين مضى ذكرهم في أوّل الخطبة .

قلت : لا و إن زعم قوم أنّه عناهم ، بل هو إشارة إلي قوم ممّن يأتي من الخلف بعد السّلف ، ألا تراه قال : كأنّي أنظر إلى فاسقهم و قد صحب المنكر فألفه ، وهذا اللّفظ إنّما يقال في حقّ من لم يوجد بعد كماقال في حقّ الأتراك : كأنّي أنظر اليهم قوماً كأنّ وجوههم المجان ، و كما قال في حقّ صاحب الزّنج كأني به يا أحنف و قد سار بالجيش ، و كما قال في الخطبة التّي ذكر ناها آنفاً كأني به قد نعق بالشّام ، يعني به عبدالملك .

و حوشى عليه السلام أن يعنى بهذا الكلام الصّحابة لأنهم ما آثرواالعاجل ، و لا أخرّوا الآجل ، ولاصحبوا المنكر ، ولا أقبلوا كالتيّار لايبالي ماغرق ، ولا كالنار لايبالي ما احترقت ، ولاازدحموا على الحطام ، ولا تشاحّوا على الحرام ، ولاصرفوا وجوههم عن الجنّة ، و لا أقبلوا إلى النّار بأعمالهم ، و لا دعاهم الرّحمن فولّوا ، ولادعاهم الشيطانفاستجابوا ، و قد علم كلّ أحد حسن سيرتهم و سداد طريقتهم وإعراضهمعن الدّنياوقدملكوها ، وزهدهم فيهاوقد تمكّنوامنها ، و لولاقوله : كأنّي أنظرالى فاسقهم ، لمأبعد أن يعني بذلك قوماً ممّن عليهم اسم الصّحابة وهوردّى الطّريقة كالمغيرة بن شعبة ، وعمروبن العاص ، و مروان بن الحكم ، و معاوية ،

وجماعة معدودة أحبّوا الدّنيا واستغواهم الشّيطان، وهم معدودون في كتب أصحابنا من اشتغل بعلوم السيرة والتواريخ عرفهم بأعيانهم انتهى كلامه.

أقول: ولايبعد عندي أن يعنى عليه السلام به المتقدّمين ذكرهم في أوّل الخطبة واستبعاد الشارح له بظهور لفظ كأنّي أنظر في حقّ من لم يوجد بعد لا وجه له، لا مكان أن يقال: إنّ نظره في الاتيان بهذا اللّفظ إلى الغاية أعني قوله: حتى شابت عليه مفارقه، وبعبارة اخرى سلّمنا ظهور هذا اللفظ في حقّ ما لم يوجد إلاّ أنّ مراده عليه السلام به ليس نفس الفاسق حتّى يقال إنه كان موجوداً في زمانه عليه السلام، وإنما مراده بذلك الاخبار عن استمرار الفاسق في فسقه وتماديه في المنكرات الى آخر عمره، وهذا الوصف للفاسق لم يكن موجوداً، فحسن التعبير بهذه اللفظة فافهم جيداً

وأما استيحاشه من أن يعنى به الصحابة بأنهم ما آثروا العاجل إلى آخر ما ذكره فهو أوضح فساداً لأنه لولا اختيارهم الدّنيا على الاُخرى لم يعدلوا عن امام الورى، فعدولهم عنه دليل على أنهم اشتروا الضلالة بالهدى، وآثروا العاجل، وأخّروا الآجل وقد تركوا الشرب من الماء المعين، ومنهل علوم ربّ العالمين، واستبدّوا بعقولهم الكاسدة، وارتووا من آرائهم اللآجنة الفاسدة، ومصاحبتهم جميعاً للمنكر بالبدعات التي أحدثوها واضحة، واقبال فاسقهم كالتيار والنار لايبالي مما غرق وحرق لاغبار عليه

وما فعل عثمان من ضرب ابن مسعود وكسر بعض أضلاعه، وضرب عمار وإحداث الفتق فيه، وضربه لأبي ذرّ وإخراجه إلى الرّبذة ونحوها ممّا تقدّم ذكرها في شرح الكلام الثالث والأربعين وغيره شاهد صدق على ماقلناه.

وكذلك اجتماعه مع «بني ظ» أبيه إلى الحطام ومشاحتهم على الحرام وخضمهم لمال الله خضم الابل نبتة الرّبيع على ما تقدّم في شرح الخطبة الثالثة أوضح دليل على ما ذكرنا فبعدولهم جميعاً عن الله وعن وليّه صرفوا وجوههم عن الجنّة، وأقبلوا بأعمالهم إلى النار، فاستحقّوا الخزى العظيم والعذاب الأليم في أسفل درك من الجحيم.

الترجمة

بعض دیگر ازاین خطبه در ذمّ وتوبیخ طائفه غیر مرضیّه از غاصبین خلافت وبني اميه وأمثال ایشان میفرماید که :

اختیار کردند ایشان متاع دنیای نا پایدار را ، و تأخیر أنداختند امورات دارالقراررا، وترك کردند زلال صافي را ، وآشامیدند ازآب متغیر کندیده ، گویا من‌نظرمیکنم بسوی فاسق ایشان درحالتی که مصاحب شده‌است باقبایح ومنکرات والفت گرفته بآنها و استیناس‌یافته بآنها وموافق طبع خود یافته آنها را تا آنکه عمراو بپایان رسید ، وسفید شده میانهای سر او ورنگ گرفته بآنها طبیعتهای او .

پس ازآن رو آورد درحالتي که کف برآورده مثل دریای موج دار اصلا باك ندارد ازآنچه غرق گرداند ، یامثل افتادن آتش‌در کیاه خشك که هیچ باك نمیکند از آنچه که سوزاند ، کجایند عقلهای چراغ بر افروزنده بچراغهای هدایت ، و چشمهای نظر کنندهٔ به نشانهای تقوی ، کجایند قلبهائی که بخشیده شده اند بخدا ، و بسته شدند برطاعت خدا ، ازدحام کردند آن طایفهٔ بد کردار بر متاع دنیای بی اعتبار ، و نزاع کردند با یکدیگر در بالای حرام ، و بلند شد از برای ایشان علم بهشت و جهنم ، پس گردانیدند ازبهشت روهای خودرا ، و اقبال کردند بسوی دوزخ باعملهای خود ، و دعوت کرد ایشان را پرورده‌گار ایشان بعبادت و اطاعت پس رمیدند و اعراض نمودند ، و دعوت کرد ایشان را شیطان لعین بسوی‌قبائح‌پس قبول کردند واقبال نمودند .

و من خطبة له عليه السلام وهى المأة والخامسة والاربعون من المختار فى باب الخطب

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّما أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنايا ،

مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ، لا تَنالُونَ مِنْها نِعْمَةً إِلّا بِفِراقِ أُخْرى ، وَلا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلا تُجَدَّدُ لَهُ زِيادَةٌ فِي أُكُلِهِ إِلّا بِنَفادِ ما قَبْلَها مِنْ رِزْقِهِ ، وَلا يَحْيى لَهُ أَثَرٌ إِلّا ماتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ جَدِيدٌ ، وَلا تَقُومُ لَهُ نابِتَةٌ إِلّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ ، وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُها ، فَما بَقاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهابِ أَصْلِهِ

منها

وَما أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلّا تُرِكَ بِها سُنَّةٌ ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ ، إِنَّ عَوازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُها ، وَإِنَّ مُحْدَثاتِها شِرارُها

اللغة

(الغرض) ما ينصب للرّمي و هوالهدف و (ناضلته) مناضلة و نضالا راميته فنضلته نضلا من باب قتل غلبته في الرمي ، وتناضل القوم وانتضلوا تراموا للسّبق و (الشّرق) محرّكة مصدر من شرق فلان بريقه من باب تعب غصّ و (الغصص) محرّكة أيضاً مصدر من غصصت بالطّعام كتعب أيضاً ، قال الشارح المعتزلي : و روى غصص جمع غصّة و هى الشجى و (المهيع) من الطّريق و زان مقعد الواضح البيّن .

و (العوازم) جمع العوزم وهى النّاقة المسنّة والعجوز قال الشارح المعتزلي: عوازم الأمور ما تقادم منها ، من قولهم: عجوز عوزم ، أى مسنّة ، ويجمع فوعل على فواعل كدورق وهو جلّ ويجوز أن يكون جمع عازمة ويكون فاعل بمعنى مفعول

أى معزوم عليها أى مقطوع معلوم بيقين صحّتها ، و يجيء فاعلة بمعنى مفعولة كثيراً كقولهم : عيشة راضية بمعنى مرضيّة ، ثمّ قال : والأوّل أظهر عندي ، لأنّ في مقابلته قوله : وانّ محدثاتها شرارها ، والمحدث في مقابلة القديم .

الاعراب

قوله : فما بقاء فرع، الفاء فصيحة والاستفهام إمّا للتّعجب كما في قوله تعالى: «مالى لا ارى الهدهد» أو للتحقير .

المعنى

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبة التنفير عن الدّنيا والترغيب عنها بالتنبيه على معائبها ومثالبها المنفرة منها فقوله (أيّها النّاس انما أنتم في هذه الدّنيا غرض) من باب التشبيه البليغ ورشّح التشبيه بقوله (تنتضل فيه المنايا)وهي استعارة بالكناية حيث شبّه المنايا بالمتناضلين بالسّهام باعتبار قصدها للانسان كقصد المتناضلين للهدف، وذكر الانتضال تخييل ، و المعنى أنكم في هذه الدّنيا بمنزلة هدف تترامى فيه المنايا بسهامها،وسهامها هي الأعراض والأمراض،وجمع المنايا إما باعتبار تعدّد الأسباب من الغرق والحرق والتردّى في بئر و السّقوط من حائط ونحوها ، و إمّا باعتبار تعدّد من تعرض عليه و كثرة أفراد الأموات ، و لكلّ نفس موت مخصّص بها .

(مع كلّ جرعة شرق وفى كلّ اكلة غصص) قال الشّارح البحراني : كنّى بالجرعة و الاكلة عن لذّات الدّنيا ، و بالشرق والغصص عما فى كلّ منها في ثبوت الكدورات اللاّزمة لها طبعاً من الأمراض والمخاوف وساير المنقصات لها .

أقول: ومحصّل مراده عليه السلام أنّ صحتها مقرونة بالمحنة ، ونعمتها مشفوعة بالنقمة واحسانها معقبة بالاسائة ، ولذّتها مشوبة بالكدورة .

ولكمال الاتصال بين هذه الجملة و بين الجملة التالية لها أعني قوله (لاتنالون منها نعمة إلاّ بفراق اُخرى) و صل بينهما و لم يفصل بالعاطف ، فانه لما أشار إلى أنّ الدّنيا رنق المشرب ردغ المشرع لذّاتها مشوبة بالكدورات عقّبه بهذه الجملة ،

لأنها توكيد وتحقيق وبيان لما سبق ، وفيه زيادة تثبيت له .

والمراد بها أنّ الانسان لا يكون مشغولاً بنوع من اللّذات الجسمانية إلاّ وهو تارك لغيره ، وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لايعدّ في الحقيقة نعمة ملتذاً بها .

توضيح ذلك ما أشار إليه الشّارح البحراني : من أنّ كلّ نوع من نعمة فانما يتجدّد شخص منها و يلتذّ به بعد مفارقة مثله ، كلذّة اللّقمة مثلا ، فانّها تستدعي فوت اللّذة باختها السّابقة ، و كذلك لذّة ملبوس شخصي أو مركوب شخصي وسائر ما يعدّ نعماً دنيويّة ملتذّاً بها ، فانّها إنّما تحصل بعد مفارقة ما سبق من أمثالها ، بل وأعمّ من ذلك فانّ الانسان لا يتهيّأ له الجمع بين الملاذّ الجسمانيّة في وقت واحد ، بل ولا اثنين منها ، فانه حال ما يكون آكلا لا يكون مجامعاً و حال ما هو في لذّة الأكل لا يكون يلتذّ بمشروب ، و لا حال مايكون خالياً على فراشه الوثير يكون راكباً للنزهة ونحو ذلك.

(ولا يعمّر معمّر منكم يوما من عمره إلاّ بهدم آخر من أجله) لظهور أنّ بقائك إلى الغد مثلا لا يحصل إلاّ بانقضاء اليوم الذي أنت فيه و هو من جملة أيّام عمرك و بانقضائه ينقص يوم من عمرك ، و تقرب إلى الموت بمقدار يوم ، و اللّذة بالبقاء المستلزم للقرب من الموت ليست لذّة في الحقيقة

(ولا تجدّد له زيادة في أكله إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه) أى من رزقه المعلوم أنّه رزقه وهو ما وصل إلى جوفه مثلا ، فانّ مالم يصل جاز أن يكون رزقا لغيره ، ومن المعلوم أنّ الانسان لا يأكل لقمة إلاّ بعد الفراغ من أكل اللّقمة الّتي قبلها فهو اذاً لايتجدّد له زيادة في أكله إلاّ بنفاد رزقه السّابق و ما استلزم نفاد الرّزق لايكون لذيذاً في الحقيقة .

(ولايحيى له أثر إلاّ مات له أثر) قال الشّارح البحراني : أراد بالأثر الذكر أو الفعل ، فانّ ما كان يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود أو مذموم أو ذكر حسن أو قبيح ويحيى له بين النّاس يموت منه ما كان معروفاً بـه قبله من الآثار وينسى .

(و) كذلك (لايتجدّد له جديد) من زيادات بدنه ونقصانه وأوقاته (الاّ بعد أن يخلق لهجديد) إلاّبتحلّل بدنه ومعاقبةشيخوختهبشبابهومستقبلأوقاته لسالفها .

(و) كذلك (لاتقوم له نابتة إلاّ وتسقط منه محصودة) أراد بالنابتة ماينشأ من الأولاد و الأحفاد ، وبالمحصودة من يموت من الآباء والأجداد ، و لذلك قال (وقد مضت أُصول) يعني الآباء (نحن فروعها) .

ولما استعار الأُصول والفروع اللّذين هما من وصف الأشجار ونحوها للسّلف والخلف وكان بناء الاستعارة على تناسى التشبيه حسن التّعجب بقوله (فمابقاء فرع بعد ذهاب أصله) لأنّ الشجر إذا انقطع أصله أو انقلع لا يبقى لفرعـه قوام ، ولا يكون له ثبات ومثل هذا التّعجب له المبنى على تناسي التشبيه قول الشّاعر :

فبتّ ألثم عينهاومن عجب ... إنّي أُقبّـل أسيافا سفكن دمي .

و قد مرّ مثال آخر في التّقسيم السّادس من تقسيمات الاستعارة في أوائل هذا الشّرح .

قال السيد ره (منها) أى بعض هذه الخطبة فى النّهى عن متابعة البدعات والتّنبيهعلى ضلالها والأمر بالتجنّب عنها ، وقد مضى معنى البدعة وتحقيق الكلام فيها في شرح الكلام السّابع عشر ، و قال الشّارح المعتزلي هنا : البدعة كلّ ما احدث لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمنها الحسن كصلاة التراويح ، و منها القبيح كا لمنكرات التّي ظهرت في أوائل الخلافة العثمانيّة و إن كانت قد تكلّفت الاعذار عنها .

إذا عرفت ذلك فنقول قوله : (وماأحدثت بدعة إلاّ ترك بها سنّة)معناهانّ السّنةمقتضيهلترك البدعةوحرمتهابقوله صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ بدعةضلالةو كلّ ضلالة في النّار، فاحداث البدعة يوجب ترك السنة أعنىمخالفة قول رسول الله صلى الله عليه وآله لا محالة ، وفي هذا تعريض على الخلفاء في بدعاتهم التي أحدثوها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما تقدّمت تفصيلها في الخطبة التي رويناها عن أمير المؤمنين عليه السلام في شرح الخطبة الخمسين فتذكّر .

(فاتقوا البدع والزموا المهيع) أى الطريق الواضح والنّهج المستقيم وهي الجادّة الوسطى الّتى من سلكها فازونجى ، ومن عدل عنها ضلّ وغوى ، وهي الّتي تقدّمت ذكرها في شرح الفصل الثّاني من الكلام السّادس عشر عند شرح قوله هناك : اليمين و الشّمال مضلّة و الطريق الوسطى هى الجادّة ، عليها باقي الكتاب وآثار النّبوة ، ومنها منفذ السّنة ، فليراجع ثمّة .

و علّل وجوب التجنّب من البدع و لزوم سلوك المهيع بقوله : (إنّ عوازم الأمور أفضلها) أراد بها الأمور القديمة التي كانت على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و على التفسير الآخر الأمور المقطوع بصحّتها والخالية عن الشكوك والشبهات والمصداق واحدٌ .

(و انّ محدثاتها شرارها) لكونها خارجة عن قانون الشريعة مستلزمة للهرج والمرج والمفاسد العظيمة ، ألاترى إلى البدعة التّي أحدثها عمر من التفضيل في العطاء فضلا عن سائر بدعاته أىّ مفاسد ترتّبت عليها حسب ما عرفتها في شرح الكلام المأة و السّادس والعشرين ، والله الموفق والمعين .

الترجمة

ازجملۀ خطب شريفۀ آن امام مبين ووصيّ رسول ربّ العالمين است درمذمّت دنيا وتنبيه برمعائب آن غدّار بي‌وفا ميفرمايد :

أى گروه مردمان جزاين نيست كه شما دراين دنيا بمنزلۀ هدف ونشانگاهيد كه تير اندازند دراو مرگها ، با هر آشاميدني ازشراب دنيا اندوهى است گلوگير ، و در هر خوردني محنتها است گلو گرفته ، نمي‌رسيد از دنيا بنعمتي مگر بجدا شدن از نعمت ديگر ، ومعمّر نميشود هيچ طويل العمري ازشما يك روزي از عمر خود مگر بويراني يك روز ديگر از عمر او ، وتجديد كرده نميشود از براى او زيادتي درخوردن او مگر به نابود شدن آنچه پيش از اين زيادتي است از روزى

او ، وزنده نمیشود ازبرای اواثری مگر آنکه میمیرد ازبرای او اثر دیگر ، وتازه نمیشود از برای اوهیچ تازهٔ مگر بعداز آنکه کهنه شود از برای او تازهٔ دیگر ، وقائم نمیشوداز برای اوروبندهٔ مگر آنکه میافتد از او روینده‌خشك شده،وبتحقیق که گذشت اصلهائی که ما فرعهای ایشانیم یعنی پدرانی که ما فرزندان ایشانیم ، پس‌چه عجب است باقی‌ماندن فرع بعداز رفتن اصل او .

ازجملهٔ فقرات این خطبه درنهی از متابعت بدعت میفرماید :

و پدید آورده نشد هیچ بدعتی مگر آنکه ترك کرده شد بجهت آن بدعت سنّتی، پس پرهیز نمائید از بدعتها ، ولازم شوید براه روشن آشکارا ، بدرستی که أمرهای قدیمه بهترین أمرها است ، و بدرستی که امور متجدّدهٔ تازه پیدا شده بدترین امور است ، زیرا که مخالف دین خاتم النّبیّین است .

و من كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب فی الشخوص لقتال الفرس بنفسه و هو المأة والسادس والاربعون من المختار فی باب الخطب

وقد رواه غير واحد من الخاصّة والعامّة على اختلاف تطلع عليه :

إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَ لا خِذْلانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلا بِقِلَّةٍ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذي أَعَدَّهُ وَ أَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ ما بَلَغَ ، وَطَلَعَ حَيْثُ ما طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلى مَوعُودٍ مِنَ اللهِ ، وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدِهِ ، وَناصِرُ جُنْدِهِ ، وَمَكانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكانُ النِّظامِ مِنَ الْخَرَزِ ، يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ، فَإِذَا انْقَطَعَ النِّظامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذافِيرِهِ

أَبَداً ، وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالْاِجْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْباً وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هٰذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هٰذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ .

اللغة

في بعض النّسخ بدل قوله (أعدّه) أعزّه و (طلع) الكوكب طلوعاً ظهر وطلع الجبل علاه و (نظمت) الخرز نظماً من باب ضرب جعلته في خيط جامع له و هو النظام بالكسر و (الخرز) محرّكة معروف و الواحد خرزة كقصب وقصبة و (الحذفور) و زان عصفور الجانب كالحذ فار والجمع حذافير ، وأخذه بحذافيره أى بأسره أو بجوانبه و (صلى) اللّحم يصليه صلياً من باب رمى شواه أو ألقاه في النّار للاحراق كأصلاه و صلاه و يده بالنّار سخنها وصلى النّار وبها كرضى صليا وصليّاً قاسى حرّها ، وأصلاه النّار وصلا إيّاه وفيها وعليها أدخله إيّاها وأثواه فيها و (العورة) في الثغر والحرب خلل يخاف منه والجمع عورات بالسّكون

للتخفيف و القياس الفتح لأنّه اسم وهو لغة هذيل و (الكلب) محرّكة الحرص و الشدّة .

الاعراب

قوله : وطلع حيث ما طلع ، حيث ظرف مكان في محلّ النصب على الظّرفيّة أوجرّ بمن إن كان طلع بمعنى ظهر ، وإن كان بمعنى علا فهو مفعول لطلع كمافي قوله تعالى : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، و على أيّ تقدير فلفظ مابعده مصدريّة وفي بعض النّسخ حيث طلع بدون ما ، جملة يجمعه ويضمّه حال من النّظام ، والعامل فيها معنى التشبيه، ويجوز الوصف ،واليوم ظرف لقليلا وتقدّمه للتوسّع و اللاّم فيه للعهد الحضورى ، والباء في قوله : بالعرب ، للاستعانة ، ودونك ، حال من فاعل أصل أى متجاوزاً الاصلاء أو الصلى المستفاد منه عنك أومن نارالحرب فتقديمه على ذيها على التوسع ، ويمكن كونه حالا من مفعول أصل أى متجاوزين عنك فافهم .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام لعمر في وقعة القادسيّة أو نهاوند على اختلاف من الرواة تطلع عليه ، و ذلك حين أراد عمر أن يغز و العجم و جيوش كسرى ، وقد استشاره عمر واستشار غيره في الشخوص والخروج لقتال الفرس بنفسه فأشاروا عليه بالشخوص و نهاه عليه السلام عن ذلك و أشار إلى وجه الصّواب و الرأى الصّواب بكلام مشتمل على أنواع البلاغة

فقال (إنّ هذا الأمر) مؤكّداً بإنّ واسميّة الجملة لأنّ المخاطب إذا كان متردّداً في الحكم حسن التقوية بمؤكّد ، قال الشيخ عبدالقاهر : أكثر مواقع إنّ بحكم الاستقراء هو الجواب ، لكن يشترط فيه أن تكون للسّائل ظنّ على خلاف ما أنت تجيبه به ، هذا وتعريف المسند إليه بالاشارة وايراده اسم الاشارة لقصد التعظيم و التفخيم على حدّ قوله سبحانه ذلك الكتاب تنزيلا لبعد درجته ورفعة محلّه منزلة بعدالمسافة ، والمراد به الاسلام .

(لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا بقلّة) نشر على ترتيب اللّف (وهو دين الله الذي أظهره) أى جعله غالبا على سائر الأديان بمقتضى قوله : ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون ، و في الاتيان بالموصول زيادة تقرير للغرض المسوق له الكلام وهو ربط جاش عمرو وسائر من حضر ، وإزالة الخور والفشل عنهم .

و لهذا الغرض أيضاً عقّبه بقوله (و جنده الذي أعدّه وأمدّه) أى هيّأه أو جعله عزيزاً و أعطاه مدداً و كثرة (حتّى بلغ ما بلغ) من العزّة و الكثرة (و طلع حيث ماطلع) أى ظهر في مكان ظهوره و انتشر في الآفاق ، أو طلع من مطلعه أى أقطار الأرض و أطرافها ، أو أنّه علا مكان علوّه والمحلّ الذي ينبغي أن يعلى عليه ، وعلى أىّ تقدير فالاتيان بالموصول في القرينة الأولى أعني قوله : بلغ مابلغ ، و ابهام مكان الطلوع في هذه القرينة على حدّ قوله تعالى : فغشيهم من اليمّ ما غشيهم .

قال أبو نواس :

و لقد نهزت مع الغواة بدلوهم واسمت سرح اللحظ حيث أساموا
و بلغت ما بلغ امرء بشبابه فاذاً عصارة كلّ ذاك اثام

ثمّ أكّد تقوية قلوبهم و تشديدها بقوله (و نحن على موعود من الله) أى وعدنا النصر والغلبة والاستخلاف بقوله : «وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً» .

و عقّبه بقوله (و الله منجز وعده وناصر جنده) من باب الايغال الذي قدّمنا ذكره في ضمن المحسّنات البديعيّة من ديباجة الشّرح ، وقد كان المعنى يتمّ دونه لظهور أنّ الله منجز لوعده لا محالة ، لكن في الاتيان به زيادة تثبيت لقلوبهم وتسكين لها .

ثمّ قال : (ومكان القيّم بالأمر) أى الأمراء والولا (مكان النظام من الخرز) وهو من التشبيه المؤكد بحذف الأداة ، والغرض به تقرير حال المشبّه ووجه الشّبه

قول (يجمعه ويضمّه) يعنى أنّ انتظام أمر الرّعية إنما هو برئيسهم كما أنّ انتظام الخرز إنّما هو بالنظام والخيط الّذى ينتظم به ومحلّه من الرّعيّة محلّه من الخرز.

(فاذا انقطع النظام) و انفصم (تفرّق الخرز وذهب) وانتشر (ثمّ لم يجتمع بحذافيره) أى بجوانبه (أبدا) وكذلك إذا ارتفع الأمير من بين الرعيّة ولم يكن فيهم فسد حال الرّعية وضاع نظم أُمورهم .

ثمّ رفع الفزع عن عمر بقلّة جنده و كثرة العدوّ فقال (و العرب اليوم و ان كانوا قليلا) بالعدد (فهم كثيرون بالاسلام) قال الشارح البحرانى : أراد بالكثرة القوّة والغلبة مجازاً اطلاقا للاسم مظنّة الشيء على الشيء (عزيزون) أى غالبون (بالاجتماع) أى باجتماع الرّأى و اتّفاق القلوب ، وهوخير من كثرة الأشخاص مع النفاق .

و لما مهّدما مهّده من المقدّمة أمره بالقيام في مقامه والثبات فى مركزه فقال (فكن قطبا) قائما بمكانك (واستدر الرّحى) أى رحى الحرب (بالعرب) و استعانتهم(و اصلهم) أى ادخلهم (دونك نار الحرب) لأنّهم ان سلموا و غنموا فهوالغرض، وان انقهروا واوغلبوا كنت مرجعاً لهم وظهراً يقوى ظهورهم بك وتتمكّن من اصلاح مافسد من امورهم .

ولمّا أمره بالثبات في مقامه نبّهه على مفاسدالشخوص و ما فيه من الضّرر و هو أمران :

أحدهماماأشار إليه بقوله: (فانك إن شخصت من هذه الأرض) و نهضت معهم إلى العدوّ (انتقضت عليك العرب من أطرافها)أى من أطراف الأرض (و أقطارها) وذلك لقرب عهدهم يومئذ بالاسلام و عدم استقراره في قلوبهم و ميل طبائعهم الى الفتنة والفساد ، و مع علمهم بخروجك وتركك للبلادهاج طمعهم وصار فتنتهم على الحرمين ومايضاف إليهما(حتّى يكون ماتدع ورائك من العورات) وخلل الثغور (أهمّ إليك ممّا بين يديك)

والأمرالثانى ما أشار إليه بقوله : (انّ الأعاجم إن) تخرج اليهم بنفسك

و (ينظروا إليك غدا) طمعوا فيك و (يقولوا هذا أصل العرب) أى به قوامهم وثباتهم (فاذا قطعتموه استرحتم) إذلا أصل لهم سواه و لا لهم ظهر يلجأون به (فيكون ذلك أشدّ لكلبهم) وحرصهم (عليك و) أقوى لـ(طمعهم فيك)

ثمّ إنّ عمر حسب ما نذكره بعد تفصيلا قد كان قال له عليه السلام في جملة ما قال : إنّ هؤلاء الفرس قدقصدوا المسير إلى المسلمين و قصدهم إيّاهم دليل قوّتهم و أناأكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم فأجابه عليه السلام بقوله : (فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فانّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك) وأشدّ كراهيّة لذلك (وهوأقدر على تغيير مايكره) .

قال الشّارح البحراني ، و هذا الجواب يدور على حرف ، و هوأنّ مسيرهم إلى المسلمين وان كان مفسدة إلاّ أنّ لقائه لهم بنفسه فيه مفسدة أكبر ، و إذا كان كذلك فينبغي أن يدفع العظمى ويكل دفع المفسدة الأُخرى إلى الله تعالى فانّه كاره لها ومع كراهيّته لها فهو أقدر على إزالتها .

(و أمّا ماذكرت من) كثرة القوم و (عددهم فانا لم نكن نقاتل) الأعداء (فيما مضى) أى في زمن رسول الله و صدر الاسلام (بالكثرة و إنّما كنّا نقاتل بالنصروالمعونة) أى بنصر الله سبحانه ومعونته.

ويصدّقه قوله تعالى : « يا أيّها النّبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين و إن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مأتين ، و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله و الله مع الصّابرين »

تبصرة

قد أشرنا فيمامضى إلى أنّ هذا الكلام مما رواه الخاصّة والعامّة ، وقداختلف في الحال الّتي قاله فيها لعمر ، فقيل : قاله عليه السلام له في غزاة القادسيّة ، و قيل في غزوة نهاوند ، ولا بأس بايراد مارووه .

فأقول : روى المحدّث العلاّمة المجلسي في المجلّد التاسع من البحار عن المفيد في الارشاد في فضل ماجاء عن أمير المؤمنين في معنى صواب الرّأى و إرشاد القوم إلى مصالحهم و تداركه على ماكان يفسدهم لولا تنبيهه على وجه الرّأى عن سبابة بن سوار عن أبي بكر الهذلي قال :

سمعت رجالاً من علمائنا يقولون : تكاتبت الأعاجم من أهل همدان و أهل الرى واصفهان وقومس (۱) و نهاوند وأرسل بعضهم إلى بعض أنّ ملك العرب الذي جائهم بدينهم وأخرج كتابهم قد هلك ، يعنون النبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأنّه ملكهم من بعده رجل ملكا يسيراً ثمّ هلك ، يعنون أبابكر ، ثمّ قام بعده آخر قد طال عمره حتّى تناولكم في بلادكم واغزاكم جنوده ، يعنون عمر بن الخطاب ، وأنه غير منته عنكم حتى يخرجوا من في بلادكم من جنوده وتخرجون إليه وتغزون في بلاده ، فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليه .

فلمّا انتهى الخبر إلى من بالكوفة من المسلمين أنهوه إلى عمر بن الخطاب فلمّا انتهى إليه الخبر فزع لذلك فزعاً شديداً ، ثمّ أتى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله فصعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال :

معاشر المهاجرين والأنصار إنّ الشيطان قد جمع لكم جموعاً وأقبل بها ليطفىء نورالله ألا إنّ أهل همدان وأهل اصبهان وأهل الرى وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها، قد تعاقدوا وتعاهدوا أن يخرجوا من بلادهم إخوانكم من المسلمين ويخرجوا إليكم فيغزوكم في بلادكم ، فأشيروا إليّ فاوجزوا ولا تطنبوا في القول فانّ هذا يوم له مابعده من الأيّام فتكلّموا .

فقام طلحة بن عبيدالله فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال : يا أمير المؤمنين قد حنكتك (۲)

---

(۱) قومس صقع كثير من بلاد خراسان واقليم بالاندلس، ق

(۲) حنكتك الاموراى راضتك وهذبتك و جرستك الدهوراى حنكتك و احكمتك التجارب اى جعلتك خبيراً بالامور مجرّبا وعجمتك البلايا اى خبرتك من العجم وهو العض تقول عجمت العود إذا عضضته لتنظر أصلب هو أم رخو، بحار

الأمور وجرستك الدّهور وعجمتك البلايا وأحكمتك التّجارب ، وأنت مبارك الأمر و ميمون النقيبة و قد وليت فخيّرت واختبرت ولم تكشف من عواقب قضاء الله إلاّ عن خيار فاحضر هذا الأمر برأيك ولا تغب عنه ثمّ جلس .

فقال عمر : تكلّموا

فقام عثمان بن عفان فحمدالله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أمير المؤمنين إنّي أرى أن تشخص أهل الشّام من شامهم وأهل اليمن من يمنهم و تسير أنت في أهل هذين الحرمين و أهل المصرين الكوفة و البصرة فتلتقي جميع المشركين بجميع المؤمنين ، فانك يا أمير المؤمنين لا تستبقي من نفسك باقية بعد العرب ، و لا تمتع من الدّنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز فاحضره برأيك ولا تغب عنه ثمّ جلس

فقال عمر : تكلّموا

فقال : أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : الحمدلله حتّى تمّ التحميد و الثناء على الله و الصّلاة على رسوله ثمّ قال: أمّا بعد فانّك إن أشخصت أهل الشّام من شامهم سارت أهل الرّوم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم ، و إن شخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها و أكنافها حتّى تكون ماتدع وراء ظهرك من عيالات العرب و العجم أهمّ إليك ممّا بين يديك، فأمّا ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم فانا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله بالكثرة، وإنما كنّا نقاتل بالنّصرة و أمّا ما بلغك من اجتماعهم على المسير إلى المسلمين فانّ الله لمسيرهم أكره منك لذلك و هو أولى بتغيير ما يكره ، و إنّ الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا : هذا رجل العرب فان قطعتموه قطعتم العرب و كنت أشدّ لكلبهم و كنت قد ألّبتهم(١) على نفسك وأمدّهم من لم يكن يمدّهم ، ولكنّي أرى أن تقرّ هؤلاء في أمصارهم وتكتب إلى أهل البصرة فليفترقوا على ثلاث فرق فليقم فرقة على ذراريهم حرساً لهم ، وليقم فرقة على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا ، ولتسر فرقة الى إخوانهم مدداً لهم .

(١) التأليب التجميع

فقال عمر : أجل هذا الرأى ، وقد كنت أُحبّ أن اُتابع عليه ، وجعل يكرّر قول أمير المؤمنين عليه السلام اعجاباً واختياراً له .

قال الشيخ المفيد (ره) : فانظروا أيّدكم الله إلى هذا الموقف الذي ينبي بفضل الرّأى ، إذ تنازعه اولوا الألباب والعلم ، وتأمّلوا في التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين عليه السلام في الأحوال كلّها و فزع القوم إليه في المعضل من الاُمور ، واضيفوا ذلك إلى ما أثبتناه من الفضل في الدّين الّذى أعجز متقدّمي القوم حتّى اضطرّوا في علمه إليه ، تجدوه من باب المعجز الّذى قدّمناه والله وليّ التّوفيق .

قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا المقام : واعلم أنّ هذا الكلام قد اختلف في الحال الّتى قاله فيها لعمر ، فقيل قاله له في غزوة القادسيّة ، وقيل في غزوة نهاوند ، والى هذا القول الأخير ذهب محمّد بن جرير الطّبرى في التاريخ الكبير ، وإلى هذا القول الأوّل ذهب المداينى في كتاب الفتوح .

أمّا وقعة القادسيّة فكانت في سنة أربع عشر للهجرة استشار عمر المسلمين فى أمر القادسيّة فأشار إليه عليّ بن أبيطالب عليه السلام في رواية أبي الحسن عليّ بن محمّد ابن سيف المدايني أن لايخرج بنفسه و قال : إنّك إن تخرج تكن للعجم همّة لاستيصالك لعلمهم أنّك قطب الرّحى للعرب فلا يكون للاسلام بعدها دولة و أشار عليه غيره من النّاس أن يخرج بنفسه فأخذ برأي عليّ ، ثم أورد الشارح وقعة القادسيّة ولا حاجة بنا إلى ايرادها ثمّ قال :

فأما وقعة نهاوند فانّ أباجعفر محمّد بن جرير الطّبرى ذكر في كتاب التاريخ انّ عمر لمّا أراد أن يغزو العجم و جيوش كسرى و هي مجتمعة بنهاوند استشار الصّحابة .

فقام عثمان فتشهّد فقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشّام فيسيروا من شامهم و تكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثمّ تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين البصرة و الكوفة فتلقى جميع المشركين بجميع المسلمين فانّك إذا سرت بمن معك ومن عندك تكن في نفسك بالكاثر من عدد

القوم و كنت أعزّ عزّاً و أكثر انّك لا تستبقي بعد اليوم باقية ولا تمنع من الدّنيا بعزيز وتكون منها في حرز حريز ، إنّ هذا يوم له مابعده فاشهده برأيك ونفسك ولا تغب عنه .

قال أبوجعفر : و قام طلحة فقال : أمّا بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الاُمور وعجمتك البلايا و حنكتك التّجارب و أنت وشأنك وأنت ورأيك لاتنبو في يديك ولا نكل أمرنا إلّا إليك ، فأمرنا نجب ، وادعنا نطع ، واحملنا نركب ، وقدمنا ننقد ، فانّك وليّ هذا الأمر وقد بلوت و جربت و اختبرت فلم ينكشف شيء من عواقب الاُمور لك إلّا عن خيار .

فقال عليّ بن أبيطالب : أمّا بعد فانّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة و لا قلّة ، إنما هو دين الله الّذي أظهره وجنده الّذي أعزّه وأمدّه بالملائكة حتّى بلغ مابلغ ، فنحن على موعودمن الله والله منجزوعده وناصر جنده ، وانّ مكانك منهم مكان النّظام من الخرز يجمعه و يمسكه ، فان انحلّ تفرّق ما فيه و ذهب ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً ، و العرب اليوم و إن كانوا قليلا فانّهم كثير ، و عزيز بالاسلام ، أقم مكانك و اكتب إلى أهل الكوفة فانّهم أعلام العرب ورؤسائهم ، وليشخص منهم الثلثان وليقم الثّلث ، واكتب إلى أهل البصرة أن يمدّوهم ببعض من عندهم ، و لاتشخص الشّام و لا اليمن إنّك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الرّوم إلى ذراريهم و إن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ومتى شخصت من هذه الأرض ، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأكنافها حتّى يكون ماتدع ورائك أهمّ إليك ممّا بين يديك من العورات والعيالات ، إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا : هذا أمير العرب و أصلهم فكان ذلك أشدّ لكلبهم عليك و أمّا ما ذكرت من مسير القوم فانّ الله هو أكره لمسيرهم منك و هو أقدر على تغيير ما يكره ، و أمّا ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيمامضى بالكثرة وإنّما كنّا نقاتل بالصّبر والنّصر .

فقال عمر : أجل هذا الرأى وقد كنت أن اُتابع عليه ، فأشيروا عليّ برجل

أُوليه ذلك الثغر، قالوا أنت أفضل رأيا فقال : أشيروا علىّ بـه و اجعلوه عراقيّاً قالوا أنت أعلم بأهل العراق و قد و فدوا عليك فرأيتهم و كلّمتهم ، قال : أما والله لأُولينّ أمرهم رجلا يكون غمداًلأوّل الأسنّة فقيل : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : النّعمان بن مقرن ، قالوا : هولها و كان النّعمان يومئذ بالبصرة فكتب إليه عمر فولاّه أمر الجيش .

قال أبوجعفر: كتب اليه عمر : سر إلى نهاوند فقد وليتك حرب الفيروزان و كان المقدم على جيوش كسرى فان حدث بك حدث فعلى النّاس حذيفة بن اليمان ،فان حدث به حدث فعلى النّاس نعيم بن مقرن ، فان فتح الله عليكم فاقسم على النّاس ما أفاء الله عليهم و لا ترفع إلىّ منه شيئاً ، و إن نكث القوم فلا تراني ولا أراك ، وقد جعلت معك طليحة بن جويلد وعمرو بن معديكرب لعلمهما بالحرب فاستشرهما ولا تولّهما شيئاً .

قال أبوجعفر: فسار النّعمان بالعرب حتّى وافى نهاوند و ذلك في السّنة السّابعة من خلافة عمر، وترائى الجمعان و نشب القتال وحجزهم المسلمون والمشركون في خنادقهم واعتصموا بالحصون والمدن وشقّ على المسلمين ذلك ، فأشار طليحة عليه فقال أرى أن تبعث خيلا ببعض القوم و تحمشهم (١) فاذا استحمشوا خرج بعضهم واختلطوا بكم فاستطردوا لهم فانهم يطمعون بذلك ثمّ نعطف عليهم حتّى يقضى الله بيننا وبينهم بمايجب ، ففعل النّعمان ذلك فكان كما ظنّ طليحة وانقطع العجم عن حصونهم بعض الانقطاع فلمّا أمعنوا في الانكشاف للمسلمين حمل النعمان بالنّاس فاقتتلوا قتالا شديداً لم يسمع السّامعون مثله ، وزلق النعمان فرسه فصرع و اصيب فتناول الرّاية أخوه فأتا حذيفة فدفعها إليه وكتم المسلمون مصاب أميرهم واقتتلوا حتّى أظلم اللّيل ورجعوا والمسلمون ورائهم ، فعمى عليهم قصدهم فتركوه وغشيهم المسلمون بالسيوف ، فقتلوا منهم مالايحصى ، وأدرك المسلمون الفيروزان وهوهارب وقد هارب وانتهى إلى ثنيّة مشحونة ببغال موقّرة عسلا فحبسته على أصله فقتل

(١) حمشه وأحمشه جمعه وأغضبه والقوم ساقهم بغضب ق،

فقال المسلمون : إنّ لله جنوداً من عسل ، ودخل المسلمون نهاوند فاحتووا على ما فيها و كانت أنفال هذا اليوم عظيمة .

الترجمة

از جملهٔ کلام آن حضرتست درحالتی که مشاوره کرد بأو عمر بن الخطاب در رفتن بمحاربهٔ أهل فارس بنفس خود فرمود: که بدرستي این أمر یعني اسلام نیست یاری نمودن او و نه خواری او بزیادتي لشکر و نه بکمی آن و آن امر دین خدائیست غالب گردانید اورا برهمه أدیان ولشکر او است که مهیا فرمود و قوّت داد آنرا بر دشمنان تا اینکه رسید آن مقامی را که رسید و بلند شد هرچه بلند شد و ما مستقرّیم بر وعدهٔ خداوند تعالی و خدا وفا کنندهٔ وعده خود است ونصرت دهندهٔ لشکر خود ومکان قائم بأمر مردمان ورئیس ایشان مکان خیاطه است از مهرهٔ که جمع میکند آن را و انضمام میدهد اورا بهم، پس اگر بریده شود مهره متفرّق وپراکنده میشود مهرها وازهم بپاشند، پس از آن جمع نمیشود بتمامی خود هیچوقت و مردمان عرب اگرچه امروز أندکند نسبت بکافران پس ایشان بسیارند بجهت اسلام عزیزند بحسب اجتماع واتّفاق پس باش مثل قطب آسیا ازجای خود حرکت مکن و بگردان آسیای حرب‌را با عرب ودر آرایشان را نه خودرا درآتش مقاتله و محاربه، پس بدرستی که تو اگر بیرون روی از این زمین یعني مدینهٔ منوّره فرود آیند بتو عربها از اطراف وجوانب تااینکه باشد آنچه که ترك کردهٔ آنرا درپشت خود از مواضع مخافت براسلام و أهل آن مهم تر بسوی تو از آنچه که در پیش تو است از محاربهٔ دشمن بدرستی که عجمها اگر نظر کنند بسوی تو فردا گویند این مرد اصل عرب وأمیر ایشانست پس اگر شما پاره پاره کردید او را راحت میشوید پس باشد رفتن تو بمحاربه ایشان باعث شدت حرص ایشان برتو و طمع ایشان درتو، پس امّا آنچه ذکر کردی از آمدن أهل فارس بمحاربه مسلمانان پس بدرستی که خدایتعالی ناخوش گیرنده‌تر است از تو رفتار ایشان‌را

و او قادر تر است برتغییر آن چه که ناخوش میگیرد و أمّا آنچه که ذکر کردی از بسیاری عدد ایشان پس بدرستی که ما نبودیم که دعوا کنیم در زمان گذشته با بسیاری لشکر وجزاین نیست که بودیم که محاربه میکردیم بمعاونت و نصرت پرودگار، یعنی در حرب اعدا توکل بخدا باید نمود و از کثرت أعدا نباید ترسید.

و من خطبة له عليه السلام وهی المأة و السابعة والاربعون من المختار فی باب الخطب

فَبَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبادَةِ الْأَوْثانِ إِلىٰ عِبادَتِهِ ، وَمِنْ طاعَةِ الشَّيْطانِ إِلىٰ طاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ ، فَتَجَلّىٰ سُبْحانَهُ لَهُمْ فِي كِتابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِما أَرٰيهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاتِ ، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِماتِ .

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفىٰ مِنَ الْحَقِّ ، وَلا أَظْهَرَ مِنَ الْباطِلِ ، وَلا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتابِ إِذا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ ، وَلا أَنْفَقُ مِنْهُ إِذا حُرِّفَ عَنْ مَواضِعِهِ ، وَلا فِي الْبِلادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ

الْمَعْرُوفِ ، وَلا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَناساهُ حَفَظَتُهُ ، فَالْكِتابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدانِ مَنْفِيّانِ ، وَصاحِبانِ مُصْطَحِبانِ في طَرِيقٍ واحِدٍ لا يُؤْوِيهِما مُؤْوٍ ، فَالْكِتابُ وَأَهْلُهُ في ذٰلِكَ الزَّمانُ فِي النّاسِ وَلَيْسا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسا مَعَهُمْ ، لأَنَّ الضَّلالَةَ لا تُوافِقُ الْهُدىٰ وَإِنْ اجْتَمَعا ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَماعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتابِ وَلَيْسَ الْكِتابُ إِمامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلّا اسْمُهُ ، وَلا يَعْرِفُونَ إِلّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ ، وَمِنْ قَبْلُ ما مَثَلُوا بِالصّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً ، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .

وَإِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمالِهِمْ ، وَتَغَيُّبِ آجالِهِمْ ، حَتّىٰ نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ ، أَيُّهَا النّاسُ مَنِ اسْتَنْصَحَ للهِ وُفِّقَ ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، فَإِنَّ جارَ اللهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّ اللهِ خائِفٌ .

وَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ما عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَواضَعُوا لَهُ ، وَسَلامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ما قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ ، فَلا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ ، وَالْبارِىءِ مِنْ ذِي السَّقَمِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتّىٰ تَعْرِفُوا

اَلَّذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ ، فَالْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ ، وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

اللغة

(تجلّى) الشيء انكشف و ظهر و (محق) الشيء محقاً من باب منع أبطله ومحاه ومحق الله الشيء أذهب منه البركة وقيل هو ذهاب الشّيء كلّه حتّى لا يرى له أثر و (المثلات) جمع المثلة بفتح الميم و ضمّ الثاء المثلّثة فيهما وهى العقوبة كذا في الاقيانوس وفي القاموس ، مثل بفلان نكل كمثل تمثيلا وهى المثلة بضمّ الثاء وسكونها والجمع مثولات ومثلات وقال الفيومى : ومثلت بالقتيل مثلا من باب قتل وضرب اذا جدعته وظهرت آثار فعلك عليه تنكيلاً والتشديد مبالغة و الاسم المثلة وزان غرفة والمثلة بفتح الميم وضمّ الثاء العقوبة .

و (حصد) الزرع و النبات و احتصده قطعه بالمنجل و حصدهم بالسّيف و احتصدهم استأصلهم و (النّقمة) بالكسر وبالفتح و كفرحة المكافاة بالعقوبة جمعه نقم ككلم وعنب ونقمات ككلمات و (بار) الشيء يبور من باب قال إذا فسد و (زبرت) الكتاب زبراً كتبته فهو زبور فعول بمعنى مفعول كرسول و الجمع زبر قال سبحانه : «و كلّ شيء فعلوه في الزّبر» و الزّبر بالكسر الكتاب و جمعه زبور مثل قِدر و قدُور .

و(مثلوا) يروى بالتخفيف والتشديد معا أى نكلوا و (القارعة) الدّاهية

تفجؤالانسان وقال الشّارح المعتزلي :المصيبة تقرع أي تلقى بشدّة و قوّة ، وقوله. فانّ رفعة الذين ، لفظة رفعة في بعض النّسخ بضمّ الرّا، و في أكثرها بالفتح و ضبط القاموس بالكسر قال : رفع ككرم رفاعة صار رفيع الصّوت ورفعة بالكسر شرف وعلا قدره فهو رفيع كذا في الاوقيانوس .

الاعراب

قوله : ليعلم العباد ، متعلّق بقوله: بيّنه أوأحكمه أوكليهما على سبيل التنازع وقوله : و كيف ، عطف على قوله : من سطوته . ومن الموصولة في قوله : من محق و من احتصد في محلّ النّصب مفعول بــه ، و فاعل الأفعال الأربعة راجع إلى الله سبحانه ، وقوله : ليس فيه شيء أخفى لفظة أخفى إمّا بتقدير الرّفع صفة لشيء ويؤيّده رفع لفظ أظهر وأكثر المعطوفين عليه كما في بعض النسخ ، وإمّا بتقدير النّصب على أنّه خبر ليس ويكون فيه متعلقا به ، وعلى الأوّل فهو خبر مقدّم و ليس مع اسمه وخبره في محل الرّفع صفة لزمان ، وعلى تقدير نصب أخفى فيكون ما عطف عليه منصوباً كما في نسخة الشّارح المعتزلي و غيره ، ومثله لفظ أبور و أنفق و أنكر و أعرف ، وتروى جميعاً بالرّفع والنّصب معاً .

و قوله : و من قبل مامثلوا بالصّالحين ، لفظة ما مع الفعل بعدها في حكم المصدر ومحلّه الرّفع بالابتداء ، و من قبل خبرها أي مثلهم أو تمثيلهم بالصّالحين من قبل ذلك . و لا يجوز جعل ماموصولة والجملة بعدها صلتها لخلوّها من الرّبط وعلى في قوله : وسمّوا صدقهم على الله فرية ، متعلّقة بفرية لا بصدقهم قال الشّارح المعتزلي ، فان امتنع أن يتعلّق حرف الجرّ به لتقدّمه عليه و هو مصدر فليكن متعلّقاً بفعل مقدّر دل عليه هذا المصدر الظّاهر .

وقوله : وجعلوا في الحسنة عقوبة السّيئة، باضافة العقوبة وفي بعض النّسخ العقوبة السّيئة قال الشّارح المعتزلي : والرّواية الأولى بالاضافة أكثر وأحسن .

وقوله :إنّه من استنصح ، الضمير للشأن قال الشيخ عبدالقاهر : إنّ لضمير الشأن مع إنّ حسنا ليس بدونها بل لا يصحّ بدونها نحو : إنّه من يتّق ويصبر ، وإنّه من يعمل سوء ، وانّه لايفلح الكافرون ، قال الشّارح المعتزلي : ما في قوله : ما عظمته بمعنى أيّ شيء ، ومن روى بالنّصب جعلها زائدة

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على فصول أربعة :

الفصل الاول

في الاشارة إلى بعثة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والغرض من بعثته وهو قوله (فبعث الله محمّداً بالحقّ) و انّما بعثه (ليخرج عباده من عبادة الأوثان) والأصنام (إلى عبادته ومن طاعة الشيطان إلى طاعته) و لتخليص الخلق من عشق الدّنيا ورقّ الطّبيعة و عبوديّة الهوى ، و تشويقهم إلى حظائر القدس ومجالس الانس ، و ايقاظهم عن مراقد الأبدان ونوم الغافلين ، وايصالهم إلى منازل الأبرار والمقرّبين

ولم يقتصر سبحانه على مجرّد بعثه وإرساله، بل بعثه صلّى الله عليه وآله (ب)ما يدلّ على صدق دعواه ومقاله من البراهين و الدلائل الباهرات والمعجزات الخارقة للعادات وأعظمها (قرآن قد بيّنه وأحكمه) أي كشفه وأوضحه وجعله متقنا مضبوطاً مستقيما نظمه خالياً عن الخلل والاختلاف كما قال عزّ من قائل :

« هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » وقال « كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ » و في موضع آخر « وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ».

و تخصيص القرآن بالذّكر من بين سائر المعجزات لما أشرنا إليه من أنّه أعظم

معجزاته و أقويها و آكدها في باب التحدى ، وذلك لأن الغالب على العرب حين بعثه صلوات الله عليه و آله إنشاء الخطب والرسائل والمبالغة في فصاحة الكلام وبلاغته وحسن البيان و سلاسته ، ومراعات المطابقة لمقتضى الحال والمحافظة على محاسن اللفظ و بدائع النكت الغريبة ، و لطائف المناسبات العجيبة و وجوه الاستعارات والتخيلات ، و أنحاء المجاز و الكنايات ، وسائر ما يزيد في الكلام رونقاً و تاثيراً في القلوب .

فبعث الله النبي متحدياً بالقرآن كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه بحجج وبينات ورسوم وآيات عجزعن الاتيان بمايماثلها أو يدانيها مصاقع الخطبا ، مشتملا على رموز وأسرار وعلوم وأنوار تحيرت في إدراكها عقول الأدباء ، ومواعظ وحكم تبلدت عن فهمها أذهان الحكماء ، و لم يتصد لمعارضة أقصر سورة من سوره واحد من الفصحاء ، و لم ينهض للقدح في كلمة من كلماته ناهض من أزكياء البلغاء ، مع طول المدة وكثرة العدة ، وشدة الحرص وقوة الكد وغاية العصبية ونهاية الانانية والافراط في المضادة والمضارة ، والرسوخ في المنافرة والمفاخرة فاختاروا المقاتلة بالسيف والسنان على المعارضة بالكلام والبيان والحجة والبرهان ، بعد ماخيروا بين الأمرين .

فعلم أن المأتى به خارج عن مقدرة البشر ، وإنما هوأمر من عند خالق القوى والقدر ، وبه يهتدى إلى الرشاد ، و يحصل المعرفة بالمبدء والمعاد كما قال عليه السلام (ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه) يعني ببيان القرآن وأحكامه يحصل العلم بالرب تعالى وذلك لما اشتمل عليه من الآيات الدالة على نعوت الجلال وصفات الجمال ، و أدلة التوحيد وبراهين التفريد مضافاً إلى أنه بنفسه مع قطع النظر عن تلك الآيات كاف في الهداية إلى الحق الأول سبحانه بما فيه من وصف الاعجاز حسب ما اشرنا إليه ، هذا .

والعجب من الشارح البحراني أنه قال في شرح هذا المقام : ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول ، وبيان غاية البعثة ، والسبب المعد للوصول إلى تلك الغاية

ثمّ بيان غاية تلك الغاية , والاشارة إلى البعثة بقوله : فبعث إلى قوله : بالحقّ ، وأشار إلى غايتها بقوله : ليخرج إلى طاعته ، و أشار إلى سبب تلك الغاية بقوله : بقرآن قد بيّنه، و أشار إلى غاية تلك الغاية أعني غاية طاعة الله بقوله : ليعلم العباد إلى قوله : أنكروه ، انتهى .

و أنت خبير بأنّ طاعة الله سبحانه و عبادته إنّما تحصل بعد حصول العلم بالرّب ، لأنّها فرع الدّين و هذا أصله والأصل مقدّم على الفرع فكيف يمكن جعله غاية لها و ما هو إلاّ من مفاسد قلّة التدبّر .

(وليقرّوا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه) إن كان المراد بالاقرار الاقرار باللّسان وحده و بالاثبات الاثبات بالجنان يكون عطف الجملة الثّانية على الأولى من باب التأسيس ، وإن اُريد بكلّ منهما الأعمّ فالمعنى بالجملتين واحد والاختلاف في العبارة ، و الاتيان بهما للتفنّن و على أيّ تقدير فالاثبات و الاقرار من جنود العقل، والجحود والانكار من جنود الجهل كما يفيده الحديث المرويّ في الكافي في باب العقل والجهل عن أبي عبدالله عليه السلام هذا .

ولما ذكر أنّ بالقرآن يحصل العلم بالرّب سبحانه والاقرار به وإثباته أشار إلى كيفيّة حصول هذا العلم بقوله : (فتجلّى لهم سبحانه) أى ظهر ظهوراً بيّنا (في كتابه) ربما يفسّر الكتاب هنا بعالم الايجاد و لما كان لفظ التجلّي موهما للظّهور برؤية البصر اتبعه بقوله (من غير أن يكونوا رأوه) من باب الاحتراس الذي عرفته في المحاسن البديعيّة من ديباجة الشّرح يعني أنّه سبحانه تجلّى لعباده وظهر لهم لا برؤية البصر بل برؤية البصيرة (بما أراهم من قدرته) وذكّرهم من بدائع مصنوعاته وحكمته وعجائب مبدعاته وصنعته كما قال عزّ من قائل :

«إنّ في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الّتي تجرى في البحر بما ينفع النّاس و ما أنزل الله من السّماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها و بثّ فيها من كلّ دابّة و تصريف الرّياح والسّحاب المسخّر بين السّماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» وقال « و جنّات من أعناب و زروع و نخيل

صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون » وقال «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السّماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون » إلى غيرذلك ممّا لا نطيل بذكرها و قد مضى في شرح الخطبة التّسعين لا سيّما شرح الفصل السّادس منها مافيه غنية للطالب وكفاية للمهتدى فليراجع ثمّة .

(وخوّفهم من سطوته) و حذرهم من نقمته كما قال عزوجلّ : «ثمّ دمّرنا الآخرين وإنّكم لتمرّون عليهم مصبحين و باللّيل أفلا تعقلون » وقال « إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السّماء بما كانوا يفسقون ، ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون» وغيرذلك من الآيات المشتملة على التّحذير بقصص الأوّلين ، والتخويف بما جرى على السّلف الماضين

(و) أنّه (كيف محق من محق بالمثلات) أى أهلك من أهلكه منهم وأذهب آثارهم عن وجه الأرض بالعقوبات النّازلة عليهم (واحتصد من احتصد بالنّقمات) أى استأصل من استأصله بما عذّبهم به مكافاة لسوء أعمالهم

الفصل الثانى

في الاخبار عن زمان يأتي بعده بالأوصاف المذكورة و هو قوله : (وأنّه سيأتي عليكم من بعدى زمان) الأظهر أنّ المراد به زمان بني اميّة و أيّام خلافتهم لاتّصافه بماوصفه من أنّه (ليس فيه شيء أخفى من الحقّ ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله)وهو ظاهر للخبير بالسير والأخبار .

فقد روى عن شعبة و هو امام المحدّثين عند العامة أنّه قال : تسعة أعشار الحديث كذب ، وعن الدّار قطنى ما الحديث الصحيح إلاّ كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، وقد كان جعل الأخبار الكاذبة و اشتهارها في زمن بني اميّة .

قال ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر محدّثى العامّة و أعلامهم

في تاريخه : إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصّحابة افتعلت في أيّام بني اميّة تقرّباً اليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنف بني هاشم .

ويشهد بذلك ما تقدّم روأيته في شرح الكلام السّابع والتّسعين من الخبر الذي رويناه من البحار عن كتاب سليم بن قيس الهلالي .

(و ليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب) أى متاع أكسد وأفسد من كتاب الله سبحانه (إذا تلى حقّ تلاته) وفسّر على الوجه الذى انزل عليه وعلى المعنى الذي اريد منه ، و ذلك لمنافاة المعنى المراد والوجه الحقّ لأغراض أهل ذلك الزّمان الغالب على أهله الباطل واتّباع الهوى .

(و لا أنفق منه) بيعاً و أكثر رواجاً (إذا حرّف عن مواضعه) و مقاصده الأصليّة وذلك لموافقة أغراضهم الفاسدة (ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر) لما ذكرناه في شرح الكلام السابع عشر من أنّ المعروف لما خالف أغراضهم و مقاصدهم طرحوه حتّى صار منكراً بينهم يستقبحون فعله ، والمنكر لما وافق دواعيهم لزموه حتّى صار معروفا بينهم يستحسنون أخذه .

(فقد نبذ الكتاب) وراء ظهره (حملته) أى أعرض عنه و ترك التدبّر فيه و العمل به قرّاؤه الحاملون له كمثل الحمار يحمل أسفاراً (وتناساه حفظته) أي تغافلوا عن اتّباعه و عن امتثال أوامره و نواهيه (فالكتاب يومئذ و أهله) الّذين يتلونه حقّ تلاوته وهم أئمّة الدّين وأتباعهم الّذين يعملون به ويتّبعونه (طريدان منفيان) لأنّ أهل ذلك الزّمان برغبتهم إلى الباطل وعدولهم عن الحقّ معرضون عن الكتاب الهادي إلى الحقّ وعن أهله الأدلاّء اليه ، بل مؤذون لهم فيما يخالفونهم فيه مما يقتضيه أحكام الكتاب ، فكان إعراضهم عنه وعنهم إبعاداً لهما و نفياً و طرداً (وصاحبان مصطحبان في طريق واحد) أى متلازمان متّفقان على الدلالة في طريق الحقّ (لا يؤويهما مؤو) أي لا يضمّهما أحد من ذلك الزّمان إليه ولا ينزلهما عنده لنفرته عنهما ومضادّتهما لهواه .

(فالكتاب وأهله فى ذلك الزّمان فى النّاس) وبينهم ظاهراً (وليسا فيهم)

حقيقة لعدم اتّباعهما و الغاء فائدتهما فأشبها ما ليس بموجود و معهم بالمصاحبة الاتفاقية في الوجود ، و ليسا معهم لانتفاء ثمرتهما ومنافعهما عنهم (لأنّ الضّلالة لا توافق الهدى) يعني ضلالتهم لا توافق هدى الكتاب و أهله فكانا مضادّين لهم (وإن اجتمعا) في الوجود .

(فاجتمع القوم على الفرقة) أى اتّفق أهل ذلك الزّمان على الافتراق من الكتاب و تركه وطرده (وافترقوا عن الجماعة) أى الجماعة المعهودة و هم أهل الكتاب العاملون به .

قال الشارح البحراني (ره) في شرح هذه القرينة و سابقته ، أى اتّفقوا على مفارقةالاجتماع و ما عليه الجماعة ،أمّافي وقته عليه السلام فكالخوارج والبغاة، و أمّا فيما يستقبل بعده من الزّمان فكالآخذين بالآراء والمذاهب المتفرّقة المحدثة في الدّين والاجتماع على الفرقة يلازم الافتراق عن الجماعة ، انتهى .

وماذكرنا أقرب وأنسب بالسياق وأولى فافهم (كأنّهم أئمةالكتاب) يحرّفونه ويغيّرونه ويبدّلونه ويأوّلونه عن وجهه على مايطابق أغراضهم الفاسدة و يجبرون على مخالفته كما هو شان الامام مع الماموم (و ليس الكتاب إمامهم) الواجب عليهم اتّباعه واللازم لهم اقتفاء اثره .

وحيث إنهم خالفوه ونبذوه وراء ظهورهم (فلم يبق عندهم منه) في مقام التّمسك والاستناد (إلاّ اسمه ولا يعرفون) من آثاره وشئونه (إلاّ خطّه وزبره) أى رسمه و كتابته فقط دون اتّباع مقاصده (و من قبل مامثلوا بالصّالحين كلّ مثلة) أى من قبل الحالات المتقدّمة التي اشير اليها تنكيلهم بالصّالحين غاية تنكيل وعقوبتهم أشدّ عقوبة .

و لعلّه اشارة إلى ما صدر من بني اميّة في أوائل سلطنتهم، فقد روى العلاّمة الحلّي قدّس الله روحه في كشف الحقّ عن صاحب كتاب الهاوية أنّ معاوية قتل من المهاجرين والأنصار وأولادهم أربعين ألفا ، وفعل ابنه يزيداللّعين بالحسين عليه السلام وأصحابه في الطّف غني عن البيان ، و كذلك ما فعله عبد الملك بن مروان وعامله

الحجّاج عليهما لعائن الله سبحانه بالعراق والحجاز وغيرهما مشهور ومأثور، هذا .

و يحتمل أن يكون الاشارة بالكلام السّابق أعنى قوله : و إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ، إلى قوله : ومن قبل إلى ملك فراعنة الأمّة أعني بني العبّاس خذلهم الله ، ويكون المراد بقوله : ومن قبل الاشارة إلى زمن بني اميّة الكائن قبل زمن بني العبّاس ، فانّ اتّصاف كلا الزّمانين بالأوصاف المذكورة لاغبارعليه .

و قوله : (و سمّوا صدقهم على الله فرية) أى سمّوا صدق الصّالحين افتراء على الله سبحانه ونسبوهم فى مايقولون إلى الكذب (وجعلوا في الحسنة عقوبة السّيئة) يعني أنّهم بغلبة الشّرور و الفساد على طباعهم رأوا حسنات الصّالحين سيئآت ، فعاقبوهم عليها وعذّبوهم بها كمايعاقب المسيء بإسائته .

الفصل الثالث

في النّصح والموعظة وتنبيه المخاطبين على وجوب قصر الآمال على مفاسد طول الأمل الذي هو من أعظم الموبقات و أخزى السّيئات حسب ما عرفته في الخطبة الثانية والأربعين وشرحها قال عليه السلام هنا :(وإنّما هلك)أراد به الهلاك الأُخروى (من كان قبلكم) من القرون الماضية (بطول آمالهم) في الدّنيا الموجب للاستغراق في لذّاتها والانهماك في شهواتها المبعدة عن الله سبحانه (وتغيّب آجالهم) عنهم الموجب للغفلة عنها وعن أخذ الزّاد ليوم المعاد (حتّى نزل بهم الموعود) أى الموت (الذي تردّ عنه المعذرة) أى لايقبل فيه اعتذار معتذر (و ترفع عنه التّوبة) لأنّ بابها تنسدّ حين نزوله .

قال تعالى : «و ليست التّوبة للّذين يعملون السّيآت حتّى اذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولا الّذين يموتون وهم كفّار أُولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً» (وتحلّ معه القارعة) و المصيبة التي تقرع النّاس بالأفزاع والأهوال (و) تتبعها (النقمة) والنكال .

ولمّا خوّفهم من طول الأمل عقّبه بالارشاد و الدّلالة على ما فيه صلاحهم فقال (أيّها النّاس إنّه من استنصح الله وفّق) أي من اتّخذالله ناصحاً له واعيالكلامه حافظاًلأوامره ونواهيه وفّق لكلّ خير (ومن اتّخذ قوله دليلا) في مطالبه ومقاصده (هدى ل) لطريقة (الّتي هي أقوم) الطّرق وأنهجها .

وفي هذه القرينة تلميح إلى قوله تعالى : «إن هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم » قال الطّبرسي : يهدي إلى الديانة والملّة والطريقة الّتي هي أشدّ استقامة يقال هذه الطريق وللطّريق و إلى الطّريق ، وقيل : معناه يرشد إلى الكلمة الّتي هي أعدل الكلمات وأصوبها و هي كلمة التّوحيد ، وقيل : يهدى إلى الحال الّتي هي أعدل الحالات وهي توحيد الله والايمان به وبرسله والعمل بطاعته انتهى .

والأخير أظهر بمقتضى عموم وظيفته ، وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام أنه يهدى إلى الامام ، في رواية أخرى يهدى إلى الولاية .

و لما ذكر أنّ استنصاح الله يستلزم التّوفيق واتخاذ قوله دليلا يستلزم الهدى رتب عليه قوله : (فإنّ جار الله آمن)تنبيها على ثمرة التوفيق والهداية وهو حصول الجوار من الله والقرب المحصّل لأمنه(و) به يعرف أنّ (عدوّ الله خائف) لأنّ ترك استنصاحه تعالى مستلزم للخذلان وعدم اتّخاذ قوله دليلا موجب للضلال المبعدين عنه سبحانه والجالبين لعداوته الذي هو محلّ الخوف والخطر .

الفصل الرابع

في الأمر بالتّواضع والتّسليم والانقياد لله سبحانه وبالمتابعه لأولياء الدّين و الرجوع اليهم و الأخذ منهم و هو قوله (و إنّه لاينبغي لمن عرف عظمة الله) سبحانه وجلاله وجبروته وسلطانه (أن يتعظّم)أي يظهر العظمة ويتكبّر ، وتخصيص النّهى عن التعظّم بمن عرف عظمته تعالى لاحتقاره نفسه عند ملاحظته لنفسه و نسبته لها إلى جلاله تعالى ، فهو أسرع انفعالا و أحقر في نفسه أن يتكبّر على الله .

فهو نظير قوله سبحانه : « قالت إنّي أعوذ بالرّحمن منك إن كنت تقيّا » فانّ شرطها في التعوّذ منه كونه تقيا، لأنّ التقيّ إذا تعوّذ بالرّحمن منه ارتدع عمّا يسخط الله كما تقول : إن كنت مؤمناً فلا تظلمني قال أمير المؤمنين عليه السلام : علمت أنّ التّقيّ ينهاه التّقى عن المعصية ، هذا .

وعلّل حسن التّواضع بقوله (فانّ رفعة الّذين يعلمون ماعظمته أن يتواضعوا له) يعني أنّ تواضعهم سبب لرفعة درجاتهم وعلوّ مقامهم عند الخالق والخلايق في الدّنيا والآخرة أمّا في الدّنيا فمعلوم بالبديهة والعيان غنيّ عن البيان ، وأمّا في العقبى فلدلالة الأخبار الكثيرة عليه .

روى في البحار عن أبي بصير قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ موسى بن عمران حبس عنه الوحى ثلاثين صباحاً ، فصعد على جبل بالشّام يقال له اريحا ، فقال : يا ربّ لم حبست عنّي وحيك و كلامك ألذنب أذنبته فها أنا بين يديك فاقتص لنفسك رضاها، وإن كنت إنما حبست عنّي وحيك و كلامك لذنوب بني اسرائيل فعفوك القديم ، فأوحى الله إليه يا موسى تدرى لم خصصتك بوحيي و كلامي من بين خلقي ؟ فقال : لا أعلمه يا ربّ ، قال : يا موسى إنّي اطلعت على خلقي اطلاعة فلم أر في خلقي أشد تواضعاً منك ، فمن ثمّ خصصتك بوحيي و كلامي من بين خلقي ، قال عليه السلام : فكان موسى إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض و خدّه الأيسر بالأرض .

وفي عدّة الدّاعي عن الباقر عليه السلام قال : أوحى الله تعالى إلى موسى أتدرى لم اصطفيتك بكلامي من دون خلقي ؟ قال : لا ياربّ قال : يا موسى إني قلّبت عبادى ظهراً لبطن فلم أر أذلّ نفساً منك ، إنك إذا صلّيت وضعت خدّيك على التراب .

و في رواية اخرى قلّبت عبادى ظهراً لبطن فلم أر أذلّ لي نفساً منك فأحببت أن أرفعك من بين خلقي .

و عن النبي صلّى الله عليه وآله ثلاثة لا يزيد الله بهنّ إلاّ خيراً : التواضع لا يزيد الله به إلاّ ارتفاعا ، وذلّ النّفس لايزيدالله به إلاّ عزّاً ، والتعفّف لايزيدالله به إلاّ غنى.

و في احياء العلوم لأبي حامد الغزالي قال رسول الله ﷺ : مازاد الله عبداً بعفو إلاّ عزّاً و ما تواضع أحدلله إلاّ رفعه الله .

قال المسيح ﷺ : طوبى للمتواضعين في الدّنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين النّاس في الدّنيا هم الّذين يرثون الفردوس ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدّنياهم الّذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة

وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السّماء السّابعة

وقال ﷺ : التواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعة فتواضعوا يرحمكم الله

وعن الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ، فقال : أن تخضع للحقّ وتنقاد له ولو سمعته من صبىّ قبلته بلوسمعته من أجهل النّاس قبلته ، هذا .

والتّواضع من جنود العقل ويقابله التكبّر الّذي نشرح حاله في التّنبيه الآتى وهو من جنود الجهل ، والأوّل من منجيات الأخلاق وفضائل الأحوال ، و الثانى من موبقات الصفات و رذائل الخصال ، و لا يحصل التواضع إلاّ بمعرفة النفس و معرفة الرّب تعالى ، فمهماعرف نفسه حقّ المعرفة علم أنّه أذلّ من كلّ ذليل و أقلّ من كلّ قليل، وأنّه لايليق به إلاّ التواضع والذلّة والمهانة، وإذاعرف ربّه علم أنّه لايليق العظمة والكبرياء إلاّ به .

و علّله أيضاً بقوله (وسلامة الّذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له) يعنى سلامة من علم عموم قدرته سبحانه و غلبة عزّته تعالى من النّار ومن غضب الجبّار إنّما تحصل بالاستسلام وترك الاستكبار و الأوّل من جنود العقل ، و الثّاني من جنود الجهل .

قال بعض شرّاح الكافي : الاستسلام هو الطاعة و الانقياد لكلّ ما هو حقّ ، وهو من صفات المؤمن ، وعن رسول الله ﷺ :المؤمنون هيّنون ليّنون إن قيدوا انقادوا وان أُنيخوا استناخوا ، وضدّ الانقياد الاستكبار والانفة، والفرق بينه وبين الكبر أنّ الكبر حالة نفسانية كائنة في النفس ربما لم يظهر أثره في الخارج بخلاف الاستكبار

فانّـه عبارة عن إظهار التكبر .

ولما أمرهم بالتواضع والاستسلام لله سبحانهُ المستلزمين لأخذ الحقّ وقبوله من أهله اتبعه بقوله : (فلا تنفروا من الحقّ) و أهله و هم أولياء الدّين (نفار الصحيح من الأجرب والبارىء منذىالسّقم) أىأشدّ النّفار كما في الشّبه بهما، هذا

ولما نهاهم عن النفارمن الحقّ و أمرهم بلزومه عقّبه بقوله (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه) الرّشد يساوق الحقّ كما أنّ الغيّ يساوق الباطل ، والغرض بهذه الجملة التنبيه على أنّ معرفة الرّشد أي الحقّ تتوقّف على معرفة تاركه أى أئمّة الضّلال و أهل الباطل إذ مع عدممعرفتهم ربما يشتبه فيزعم أنّ أقوالهم حقٌّ فيأخذبها ويقع في الخبط والضلال .

كما اشير إليه فيالخطبة الثامنة والثلاثين بقوله : وإنما سمّيت الشّبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ فأما أولياء الله فضيائهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى و أمّا أعداء الله فدعائهم فيها الضّلال و دليلهم العمى ، و قد مضى في شرح هذه الخطبة ما ينفعك ذكره فيهذا المقام ، فاللاّزم على طالب الرّشد أن يعرف أئمة الغيّ والضلال ويجتنب عنهم .

وبما ذكريظهر أيضاً معنىقوله : (ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّىتعرفوا الّذي نقضه ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه) توضيح ذلك أنّ كتاب الله سبحانه لماكان من أسباب الرّشد كما قال تعالى : «إنّاسمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرّشد» وكان التمسّك به منقذاً من الضّلال كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين : انيّقد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي أهل بيتى ، لاجرم كانالأخذ والتمسّك به واجباً.

ولما كان معنى الأخذ والتمسّك هو اتّباعه ومعرفة معناه حقّ العلم والعمل بمواثيقه و أحكامه الّتى هي عهدالله تعالى لزم على ذلك معرفة الناقضين لمواثيقه والنابذينلأحكامهوراء ظهورهم ، وهم المحرّفون المبدّلون له والمغيّرون لأحكامه

والمفسّرون له بآرائهم المتبوّؤن مقعدهم من النّار، وإنّما توقف الأخذوا لتمسّك على معرفة هؤلاء ليحترز عن الرّجوع اليهم والى تفاسيرهم كيلا يتبوّء مقعده مثلهم من النار.

و محصّل المراد من هذه الجملات الثلاث التّنبيه على وجوب التبرّى من أئمّة الضّلال والمعاداة لأعداء الله سبحانه وقد دلّت عليه النصوص الكثيرة.

مثل ما في البحار من السرائر من كتاب انس العالم للصفوانى قال: إنّ رجلا قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين إنّي أُحبّك وأُحبّ فلاناً وسمّى بعض أعدائه فقال: أمّا الآن فأنت أعور فإمّا أن تعمى وإمّا أن تبصر.

وقيل للصّادق عليه السلام: إنّ فلاناً يواليكم إلاّ أنّه يضعف من البراءة من عدوّكم فقال هيهات كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرّء من عدوّنا.

وروى عن الرّضا عليه السلام أنه قال: كمال الدّين ولايتنا والبراءة من عدوّنا.

ثمّ قال الصفوانى: واعلم أنّه لايتمّ الولاية ولا تخلص المحبّة ولاتثبت المودّة لآل محمّد عليهم السلام إلاّ بالبراءة من أعدائهم قريباً كان أو بعيداً، فلا تأخذك به رأفة فانّ الله عزّ وجلّ يقول: «لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أوأبنائهم أو إخوانهم أوعشيرتهم».

وفيه من تفسير العيّاشي عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبوجعفر عليه السلام يا أبا حمزة انّما يعبدالله من عرف الله، وأمّا من لايعرف الله كأنّما يعبدغيره هكذا(١) ضالاً، قلت: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: يصدّق الله ويصدّق محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله في موالاة عليّ والائتمام به وبأئمّة الهدى من بعده، والبراءة إلى الله من عدوّهم، و كذلك عرفان الله، قال قلت: أصلحك الله أىّ شيء اذا علمته أنا استكملت حقيقة الايمان؟ قال: توالى أولياء الله و تعادى أعداء الله و تكون مع الصّادقين كما أمرك الله، قال: قلت: و من أولياء الله ومن أعداء الله؟ فقال: أولياء الله محمّد رسول الله و عليّ و الحسن و الحسين

---

(١) قوله هكذا كانه(ع) أشار الى الخلف أو الى اليمين أو الشمال، اى حادّ عن الطريق الموصل الى النجاة فلا يزيده كثرة العمل الاّ بعداً عن المقصود كمن ضلّ عن الطريق (بحار)

وعليّ بن الحسين ، ثمّ انتهى الأمر الينا ثمّ ابنی جعفر وأومأه إلی جعفر عليه السلام وهو جالس ، فمن والی هؤلاء فقد والی أولياء الله وكان مع الصّادقين كما أمره الله قلت و من أعداء الله أصلحك الله ؟ قال : الأوثان الأربعة قال : قلت : من هم؟ قال : ابوالفصيل (١) ، و رمع ، و نعثل ، و معاوية و من دان دينهم ، فمن عادی هؤلاء فقد عادی أعداءالله .

ومن عقايدالصّدوق قال : اعتقادنا في الظّالمين أنّهم ملعونون والبرائة منهم واجبة ، قال الله عزّ وجلّ :«ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربّهم ويقول الأشهاد هؤلاء الّذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة الله على الظالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون»

وقال ابن عبّاس في تفسير هذه الآية : إنّ سبيل الله عزّ وجلّ في هذا الموضع هو عليّ بن أبيطالب .

والأئمة في كتاب الله عزّ وجلّ إمامان : إمام هدى وإمام ضلالة ، قال جلّ ثناؤه «وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا» وقال عزّ رجل في أئمة الضلالة: «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النّار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم في هذه الدّنيا لعنة و يوم القيامة هم من المقبوحين ».

ولمّا نزلت هذه الآية : واتّقوا فتنة لاتصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة » قال النّبي صلى الله عليه وآله من ظلم عليّاً مقعدی هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء من قبلي ، ومن تولّى ظالماً فهو ظالم .

«يا أيها الذين آمنوا لاتتّخذوا آبائكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولّ منكم فاولئك هم الظالمون » وقال الله عزّ وجلّ : «ياأيّها الذين آمنوا لا تتولّوا قوما غضب الله عليهم » و قال عزّ وجلّ «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو اخوانهم أو عشيرتهم»

(١) أبوالفصيل أبو بكر لأنّ الفصيل والبكر متقاربان في المعنى ورمع مقلوب عمر ونعثل هو عثمان كما في كتب اللغة (بحار)

وقال عزّ وجلّ : «ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار» والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، فمن ادّعى الامامة وليس بامام فهو ظالم ملعون .

و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله من جحد علياً إمامته من بعدى فانّما جحد نبوّتى ، ومن جحد نبوّتي فقد جحد الله ربوبيّته .

وقال النّبي صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : يا عليّ أنت المظلوم بعدي من ظلمك فقد ظلمني ومن أنصفك فقد أنصفني و من جحدك فقد جحدني ومن والاك فقد و الاني ومن عاداك فقد عاداني ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني، الى غير ذلك مما لا نطيل بذكرها .

فقد علم بذلك كلّه وجوب التّبرّى عن أئمّة الضّلال و التولّى لأئمّة الهدى .

و ذلك لما نبّه أمير المؤمنين عليه السلام على التنفير عن الفرقة الأولى بمعرفتهم ومعرفة ماهم عليه من الخطاء والجهل والشّبه أمر باتّباع الفرقة الأُخرى والرجوع اليهم بقوله : (فالتمسوا) واطلبوا (ذلك) أى ماسبق ذكره يعني الحقّ و الرشد وميثاق الكتاب و كيفية التمسّك به (من عند أهله) أراد به نفسه الشريف والطيّبين من أولاده أعنى الأئمة المعصومين وينابيع العلم واليقين (فانهم عيش العلم و موت الجهل) أى بهم حياة العلم وممات الجهل واستعار لهم هذين الوصفين باعتبار أنّ بهم ينتفع بالعلم و يحصل ثمراته وآثاره كما أنّ بحياة الشيء يوجد آثاره وينتفع به ، و كذلك بهم يبطل الجهل ويضمحلّ كما أنّ بالموت يبطل حياة الحيّ ويفنى .

(هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم) يجوز أن يراد بالحكم ما صدر عنهم من الأحكام الشرعية والتكاليف الالهية ، وأن يراد به القضاء وفصل الخصومات في الوقائع الشخصيّة ، وعلى أيّ تقدير يدلّ ما صدر عنهم من القضاء والأحكام على غزارة علمهم وجمّ معرفتهم عليهم السلام ، و ينبئك بذلك ما قدّمناه في شرح قوله عليه السلام : و عندنا أهل البيت أبواب الحكم ، في شرح الكلام المأة والتاسع عشر فتذكّر .

(و صمتهم من منطقهم) فانّ لصمت اللّسن ذي الحكمة الغزيرة هيئة

و حالة ووقار أيدلّ على حسن منطقه وعلمه بما يقول (وظاهرهم عن باطنهم) أي حسن أفعالهم وحركاتهم الظاهريّة يكشف عن كمالاتهم وملكاتهم النفسانيّة (لايخالفون الدّين) لأنهم قوامه و أولياؤه و ملازمون له ، معصومون من الذنوب مبرّؤون من العيوب (و لايختلفون فيه) أى لا يختلف أحدهم للآخر فيما يؤدّونه من أحكام الله و يبلّغونـه من أوامره ، لأنّ علومهم كلّها من نبع واحد ملقاة عن مهبط الوحى ومعدن الرّسالة ، وبعد اتّحاد المنبع لا يتصوّر الاختلاف لمكان العصمة المانعة عن تعمد الكذب والغلط والسّهو والخطاء النّاشي منها الاختلاف .

روى في الكافي عن أبيجعفر عليه السلام قال : قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر : فيها يفرق كلّ أمر حكيم ، يقول : ينزل فيها كلّ أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين ، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطّاغوت، الحديث و قد مرّ بتمامه في شرح الفصل التّاسع من الخطبة الأولى .

وفي البحار من معاني الأخبار عن الحسين الأشقر قال : قلت لهشام بن الحكم مامعنى قولكم : إنّ الامام لايكون إلاّ معصوما ؟ قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن ذلك فقال : المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ، وقال الله تبارك وتعالى : «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» .

قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ ره : قال الصّدوق في معاني الأخبار بعد خبر هشام : الدّليل على عصمة الامام أنّه لما كان كلّ كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوها من التأويل كان أكثر القرآن والسّنّة مما اجتمعت الفرقة على أنّه صحيح لم يغيّر ولم يبدّل ولم يزد فيه ولم ينقص منه محتملا لوجوه كثيرة من التّأويل ، وجب أن يكون مع ذلك مخبر صادق معصوم من تعمّد الكذب والغلط منبىء عمّا عنى الله عزّ وجلّ في الكتاب والسّنّة على حقّ ذلك وصدقه ، لأنّ الخلق مختلفون في التّأويل ، كلّ فرقـة تميل مع القرآن و السّنّة إلى مذهبها، فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصّفة من غير مخبر عن كتابه صادق فيه لكان قد سوّغهم الاختلاف

في الدّين ودعاهم اليه إذ أنزل كتابا يحتمل التأويل وسنّ نبيّه ﷺ سنّة تحتمل التأويل وأمرهم بالعمل بهما ، فكأنّه قال : تأوّلوا واعملوا ، وفي ذلك إباحة العمل بالمتناقضات و الاعتماد للحقّ وخلافه ، فلمّا استحال ذلك على الله عزّ وجلّ وجب أن يكون مع القرآن والسّنة في كلّ عصر من يبيّن عن المعاني الّتي عناها الله عزّ وجلّ في القرآن بكلامه دون ما يحتمل ألفاظ القرآن من التأويل ، ويبيّن عن المعاني الّتي عناها رسول الله ﷺ في سنّته و أخباره دون التأويل الّذي يحتمله الأخبار المرويّة عنه المجمع على صحّة نقلها ، وإذا وجب أنّه لابدّ من مخبر صادق وجب أن لايجوز عليه الكذب تعمّداً ، ولا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عزّ وجلّ و عن مراد رسول الله ﷺ في اخباره وسنّته ، وإذا وجب ذلك وجب أنّه معصوم، انتهى كلامه رفع مقامه .

فقد ظهر بذلك أنّه لايتصوّر منهم الاختلاف في شرائع الدّين لا من أحدهم للآخر ولا من كلّ منهم فيما يصدر عنه من الأحكام المتعدّدة كما ظهر به وجوب الرجوع في فهم مرادات الكتاب والسّنة إليهم حسب مانبّه عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله آنفا : فالتمسوا ذلك من عند أهله، فافهم واغتنم.

(فهو) أى الدّين بينهم (شاهد صادق) أى شاهد صدق يشهد على إتّفاقهم فيه و عدم اختلافهم و خلافهم له (و صامت ناطق) أى ساكت باعتبار كونه أمراً عرضيّا اعتباريّاً لا وجود له في الأعيان ، وناطق باعتبار افادته لكونهم ملازمين له ومتّفقين عليه وإنبائه عن أنّهم على الحقّ والحقّ معهم ، هذا .

وما ذكرناه في تفسير هاتين الفقرتين أظهر وأولى ممّا قاله الشارح البحراني حيث قال : و قوله : شاهد صادق أى شاهد يستدّلون به على الأحكام و الوقائع النّازلة بهم و بغيرهم لا يكذّب من حيث هو شاهد ، و صامت ناطق لكونه حروفا وأصواتا ، وإنما ينطق بألسنتهم فهو بمنزلة النّاطق، انتهى .

قال الشّارح المعتزلي : فالدّين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه كمايأخذ

بحكم الشاهد الصادق ، وصامت ناطق لأنه لا ينطق بنفسه بل لا بدّ له من مترجم فهو صامت في الصّورة و في المعنى أنطق النّاطقين ، لأنّ الأوامر و النواهي والآداب كلّها مبنيّة عليه ومتفرّعة عنه ، انتهى .

و أنت خبير بما فيما قالاه من الضّعف والفساد و كونه أجنبيّاً على تقدير صحّته من مساق كلام الامام عليه السلام فافهم وتأمّل .

تنبيه

لمّا كانت هذه الخطبة الشريفة متضمنة للأمر بالتواضع والنّهي عن التكبّر واشرنا إلى فضل التّواضع و حسنه أحببنا أن نشرح صفة الكبر ونبيّن ما ورد فيه من الأدلّة الدّالة على قبحه وخسّته و كونه من الموبقات ، والكلام فيه في مقامات

المقام الاول

في الآيات والأخبار الواردة في النّهي عن تلك الصّفة ، والمتضمّنة لقبحها و ذمّها وما يترتّب عليه من الخزي والعقاب .

فأقول : قال الله تعالى في سورة الزّمر : «و يوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين» .

وفي سورة المؤمن : «الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتيهم كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على قلب كلّ متكبّر جبّار» .

و في سورة المؤمن أيضاً : «و قال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» أى صاغرين ذليلين .

و في سورة بني اسرائيل : «ولا تمش في الأرض مرحا إنّك لن تخرق الأرض و لن تبلغ الجبال طولا» قال الطبرسي : معناه لا تمش على وجه الأشر و البطر والخيلاء والتكبّر وقوله : إنّك لن تخرق الأرض ، هذا مثل ضربه الله تعالى ، قال :

إنك أيها الانسان لن تشق الأرض من تحت قدمك بكبرك ، و لن تبلغ الجبال بتطاولك ، و المعنى أنك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لايمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنابذة على ما هذا سبيله مع أن الحكمة زاجرة عنه ، و انما قال ذلك ، لأن من الناس من يمشي في الأرض بطراً يدق قدميه عليها ليرى بذلك قدرته و قوته ويرفع رأسه وعنقه ، فبيّن سبحانه أنه ضعيف مهين لايقدر أن يخرق الأرض بدق قدميه عليها حتى ينتهي إلى آخرها ، وأن طوله لا تبلغ طول الجبال وإن كان طويلا ، هذا .

والآيات الناهية في الكتاب العزيز كثيرة لا حاجة إلى ايرادها .

و اما الاخبار ففي الكافي باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال . قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما : عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة .

وعن عيسى بن ضحاك قال : قال أبوجعفر عليه السلام : عجباً للمختال الفخور وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيمابين ذلك لايدرى مايصنع به .

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبيعبدالله عليه السلام قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال : يا رسول الله أنافلان بن فلان حتى عد تسعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أما أنك عاشرهم في النار .

و عن حكيم قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن أدنى الالحاد ، قال عليه السلام : إن الكبر أدناه .

وعن العلاء بن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبوجعفر عليه السلام : العز رداء الله ، والكبر ازاره ، فمن تناول منه شيئا أكبه الله في جهنم .

وعن عبدالأعلا بن أعين قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أعظم الكبر غمس الخلق وسفه الحق ، قلت : وما غمس الخلق وسفه الحق ؟ قال : يجهل الحق ويطعن على أهله ، فمن فعل ذلك فقد نازع الله ردائه .

وعن أعظم بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن في جهنم لوادياً للمتكبرين

يقال لـه سقر شكى إلى الله شدّة حرّه و سألـه أن يأذن له أن يتنفّس فتنفّس فأحرق جهنّم .

و عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن أبي‌عمير عن بعض أصحابه عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : ما من عبد إلاّ و في رأسه حكمة و ملك يمسكها فاذا تكبّر قال له : اتّضع وضعك‌الله ، فلا يزال أعظم النّاس في نفسه وأصغر النّاس في أعين‌الناس ، و إذا تواضع رفعها الله عزّوجلّ ثمّ قال له : انتعش نعشك الله فلا يزال أصغرالناس في نفسه و أعظم النّاس في أعين النّاس .

وفي احياء العلوم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنّة من‌كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر ، و لا يدخل النّار من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من ايمان .

و قال أبوهريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنّم ولا أبالي .

وقال عليه السلام : بئس العبد عبدتجبّرواعتدى ونسي الجبّار الأعلى ، بئس العبد عبد تجبّر واختال و نسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبد غفل وسهى ونسي المقابر والبلى ، بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدء والمنتهى .

وقال أبوهريرة قال النّبي صلى الله عليه وآله : يحشر الجبّارون والمتكبّرون يوم القيامة في صور الذّر تطؤهم النّاس لهوانهم على الله تعالى .

وعن محمّد بن واسع قال : دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له : يا بلال إنّ أباك حدّثني عن أبيه عن‌النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنّ في جهنّم واديا يقال له هبهب حقّ على الله أن يسكنه كلّ جبار فايّاك يابلال أن تكون ممّن يسكنه .

الثانی فی حقیقة الکبر وماهیته

و هو الانتفاخ و التعزّز الحاصل من استعظام النّفس و استحقار الغير ،

و بعبارة اخرى هو أن يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل من ذلك فيه نفخة و اهتزازوتلك النفخة هي الكبر، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعوذ بك من نفخة الكبرياء ، وهذه الحالة إذاحصلت في النفس اقتضت أعمالاً في الظاهر تصدر عن الجوارح هي ثمرات تلك الخصلة الرّذيلة ، فالكبر هي الحالة النّفسانيّة والخلق الباطني ، و ثمرات تلك الخصلة و آثارها في الظّاهر تسمّى تكبّرا كالترفّع في المجالس والتقدّم على الغير وتوقع السّلام والنظر بعين التحقير ، فان حاجّ أو ناظر أنف أن يردّ عليه ، و إن وُعِظ استنكف من قبول الحقّ ، وإن وَعَظ أعنف في النّصح ، وإن ردّ عليه شيء من قوله غضب ، وإن علّم لم يرفق بالمتعلّمين واستذلّهم وامتنّ عليهم ، وإن نظر إلى العامّة نظر إليهم بعين الاحتقار كأنّه ينظر إلى الحمير استجهالاً لهم واستحقاراً .

الثالث فى المتكبر عليه

و الفرق بين الكبر و العجب بذلك ، فانّ العجب لا يستدعي غير المعجب بل لولم يخلق الانسان إلاّ وحده يمكن أن يكون معجبا ، بخلاف الكبر فانّه يتوقّف على أن يكون هنا غيرفيرى نفسه فوق هذا الغيرفي صفات الكمال ، وذلك الغير هوالمتكبّر عليه ، وينقسم الكبر باعتبار المتكبّر عليه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الاول

التكبّر على الله سبحانه وهومن أفحش أنواع الكبر و أقبحها وأوبقها ، ولا منشأ له إلاّ محض الجهل و الحمق و الطّغيان ، وذلك مثل ماكان في نمرود حيث كان يحدّث نفسه بأنّه يقاتل ربّ السّماء ، وفي فرعون حيث قال أنا ربّكم الأعلى وفي شدّادحيث بنى إرم ذات العماد، و نحو ذلك ممّا صدر عن المدّعين للرّبوبيّة والمترفّعين عن درجة العبودية ،وإذا قيل لهم اسجدوا للرّحمن قالوا وماالرّحمن

أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً .

القسم الثاني

التكبّر على الأنبياء والرّسل والأوصياء عليهم السلام من حيث تعزّز النفس وترفّعها عن الانقياد لبشر مثل سائر النّاس ، وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره و هو ظانّ أنّه محقّ فيه ، و تارة يمنع مع المعرفة ولكن نفسه لا تطاوع الانقياد للحقّ و التّواضع للرّسل كما حكى الله عن قولهم : «ما أنتم إلاّ بشر مثلنا و ما أنزل الرّحمن من شيء إن أنتم إلاّ تكذبون» وقوله : «إن أنتم إلاّ بشر مثلنا» «ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنّكم إذاً لخاسرون» .

وقال سبحانه فيما اخبر عن كفّار قريش في رسول الله : «وقالوا ما لهذا الرّسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنّة يأكل منها » استبعدوا أن يكون من يأكل الطعام ويطلب المعاش في الأسواق رسولاً مطاعا واستحقروه لفقره حتّى تمنّوا له الكنز لينفق منه ويستغني به عن النّاس وتمنّوا له البستان ليأكل من ثمارها .

وأخبر عنهم أيضا بقوله : «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعنون بالقريتين مكّة و الطّائف وبالرّجل العظيم الوليد بن المغيرة من مكة وأبا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، و انما قالوا ذلك لأنّ الرجلين كانا عظيمي قومهما ذوى الأموال الجسيمة فزعموا أنّ من كان كذلك أولى بالنبوّة من غلام يتيم لا مال له فردّ الله عليهم بقوله : «أهم يقسمون رحمة ربّك » أى النّبوة بين الخلق يعني أبأيديهم مفاتيح الرسالة يضعونها حيث شاؤوا ، بل هى بيد الله سبحانه يعطيها من يشاء .

و من هذا القسم تكبّر المتخلّفين على أمير المؤمنين عليه السلام وتكبّر أُمراء بنى أُمية و بني مروان وبني العبّاس لعنهم الله أجمعين على أئمّة الدّين .

القسم الثالث

التكبّر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فيدعوه ذلك إلى الترفع عليه ويأباه عن الانقياد إليه وهذا أيضا قبيح من وجهين:

أحدهما أنّ الكبر والعزّ والعظمة والجلال لايليق إلاّ بالملك القادر المتعال فمن أين يليق هذا الوصف بالعبد الضّعيف الذّليل المهين، فمتى تكبّر فقد نازع الله في جلاله و انتحل وصف كماله، و ما أشدّ جرئته على مولاه، و ما أقبح ما ادّعاه و تعاطاه، و لذلك قال عزّ من قائل: العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته، أراد أنّهما مختصّان بي اختصاص الازار والرّداء والمنازع فيهما منازع في الصّفة المخصوصة بي.

وثانيهما أنّه ربما يدعو إلى مخالفة أمر الله ونهيه، لأنّ المتكبّر إذا سمع الحقّ من أحد استنكف من قبوله، ولذلك ترى اكثر المناظرين في المسائل العلمية يزعمون أنّهم يتباحثون للافادة و الاستفادة فمهما اتّضح الحقّ على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وركب مركب العصبية والعناد، ويتجاحد تجاحد المنكر، و يحتال لدفعه بمايقدر عليه من التلبيس، لئلاّ يظهر للنّاس مغلوبيّته، ومن ذلك كان علماء الآخرة يتجنّبون عن المناظرة في المجالس.

و قد روى السّيد المحدّث الجزائري أنّ المولى الصّالح العالم عبدالله التستري كان إذا سأل مولانا المقدّس الأردبيلي عطّر الله مرقده عن مسألة وتكلّما فيها سكت الأردبيلي في أثناء الكلام، وقال حتّى اراجعها في الكتب، ثمّ أخذ بيد التّستري ويخرجان من النّجف الأشرف إلى خارج البلد فاذا انفردوا قال المولى الأردبيلي: هات ياأخي تلك المسألة فيتكلّم فيها و يحقّقها الأردبيلي على مايريد المولى التسترى، فسأله و قال يا أخي هذا التحقيق هلاّ تكلّمت به هناك حيث ما سألتك؟ فقال: إنّ كلامنا كان بين النّاس وعسى أن يكون فيه تنافس وطلب الظفر منك أو منّي والآن لاأحد معنا سوى الله سبحانه.

و كيف كان فهذا الخلق من أخلاق الكافرين والمنافقين الّذين حكى الله عنهم

بقوله: « و قال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون » فكلّ من يناظر للافحام والغلبة لايغتنم الحقّ إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وتبعهم عليه.

و أوّل من صدر عنه التّكبر على أمر الله تعالى هو ابليس اللّعين حيث إنّه لما دعى إلى السّجود لآدم عليه السلام قال: أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين، فحمله الكبر على الاباء من السّجود الّذي أمره الله بـه، و كان مبدؤه الكبر على آدم و الحسد لـه فجرّه ذلك إلى التكبّر على أمر الله فكان ذلك سبب الطّرد والابعاد، واهلاكه أبدالآباد.

الرابع فى ما به التكبر

فاعلم أنّ أسباب الكبر سبعة:

الاول العلم و ما أسرع الكبر إلى العلماء و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آفة العلم الخيلاء. فلايلبث العالم أن يتعزّز بعزّ العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم و كماله و يستعظم نفسه ويستحقر النّاس و يستجهل و يتوقّع أن يبدؤوه بالسّلام، فان بدء واحداً منهم بالسّلام أوردّ عليه ببشر أوقام له أوأجاب له دعوة يمتنّ به عليه ورأى ذلك صنيعة عنده و اعتقد أنّه أكرمه وفعل به ما لايستحقّه.

والسّبب لكبره هوخوضه في تحصيل العلوم وهورديّ النّفس خبيث الدّخلة سيّء الأخلاق فانّه لم يشتغل أوّلا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بالمجاهدات والرياضات فبقى خبث الجوهر فاذا خاض في العلم أيّ علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره.

ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام: بالتّواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر و كذلك في السّهل ينبت الزرع لا فى الجبل.

و قال وهب: العلم كالغيث ينزل من السّماء حلواً صافياً فتشربـه الأشجار

بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المرّ مرارة و الحلو حلاوة ، فكذلك العلم يحفظه الرّجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبّر كبراً والمتواضع تواضعاً ، لأنّ من كان همّته الكبر وهو جاهل إذا حفظ العلم و جد ما يتكبّر به فازداد كبراً ، وإذا كان الرّجل خائفا مع جهله وازداد علما علم أنّ الحجّة قد تأكّدت في حقّه فيزداد خوفا وإشفاقا وذلاّ وتواضعاً .

الثاني العمل والعبادة و كثيراً ما ترى العبّاد والزّهاد يترشّح الكبر منهم على غيرهم بسبب زعمهم أنّهم ناجون و النّاس هالكون فيرى نفسه ناجياً و هو الهالك حقيقة ، و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إذا سمعتم الرّجل يقول هلك النّاس فهو أهلكهم

الثالث النّسب فترى من له نسب شريف يتكبّر على من ليس له ذلك النّسب .

الرابع التفاخر بالحسن والجمال وذلك أكثر ما يجرى بين النّسوان .

الخامس الثروة والمال وذلك يجرى بين الملوك في خزائنهم و بين التجار في بضايعهم وبين الدّهاقين في أراضيهم و بين المتجمّلين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير ويتكبّر عليه .

السادس القوّة وشدّة البطش فيتكبّر بها على أهل الضّعف .

السابع الملك والسّلطنة و كثرة الأتباع والخدم والجنود والجيوش ، وذلك يجري بين الملوك في الافتخار بكثرة العساكر والرعيّة والخدم ، وبالجملة فكلّ ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالاً وإن لم يكن كمالاً في نفسه أمكن أن يتكبّر به حتّى أنّ المخنّث ليتكبّر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنّثين ، لأنّه يرى ذلك كمالاً يفتخر به ، وإن لم يكن فعله إلاّ نكالاً ، و كذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشّرب و الفجور و يتكبّر به لزعمه أنّ ذلك كمال و إن كان خزياً ووبالا ونكالا .

الخامس في معالجة الكبر

فاعلم وفّقك الله تعالى وألهمك الخير أنّ الكبر من أعظم المهلكات ، وقلّما ينفكّ عن شيء منه أحد و إزالته فرض عين ولا يزول بمجرّد التمنّي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له ، وعلاجه انّما يحصل بأمور أربعة :

الاول معرفة الرّبّ تعالى **الثاني** معرفة النّفس **الثالث** معرفة الغرض الدّاعي إلى خلقته **الرابع** معرفة المفاسد المترتّبة على الكبر .

أما الاول

فانّ من عرف ربّه وأنّه القادر الّذي لايعجزه شيء ، والقويّ الّذي لايضعفه شيء ، و الأزليّ الّذى ليس له بداء ، و الدّائم القيّوم بأمر الأشياء ، و الفعّال لما يريد أويشاء ، والممسك للسّموات والأرض من الزّوال ، والمستولى على الخلايق في كلّ حال ، إلى غير ذلك من صفاتـه الحسنى و أمثالـه العليا عرف أنّ العزّ والعظمة والجلال والجمال والجبروت والكبرياء لاتليق إلاّ بجنابه ،وأنّها إزاره ورداءه، وأنّ غيره مقهورتحت قدرته، ضعيف تحت قوّته ، مسخّرتحت ارادته ، منقاد لمشيّته ذليل مهين مستكين لا يملك لنفسه نفعاً ولاضرّاً ولاموتا ولا حياتا ولانشوراً .

واما الثاني

فقد أشارإليه أميرالمؤمنين عليه‌السلام بقوله : ابن آدم أنّى لك والفخر فان أوّلك جيفة وآخرك جيفة وفي الدّنيا حامل الجيف ، ونشرح حال هذه الجيف فانهاليست كجيف الحيوانات .

اما الجيفة الاولى وهي المني فقد أوجب الشّارع الغسل بخروجها من الانسان وأغلظ نجاسته حتّى فهم بعض الأصحاب من تغليظه وجوب تطهير الثياب و البدن منه مرّتين كما في البول .

و اما الجيفة الاخيرة فانّه بعد زهوق روحه يكون ميتة أخبث وأنجس وأوحش من ميتة الكلب والخنزير ، وذلك لأنّ مسّ ميتة الكلب بالرّطوبة لا يوجب إلاّ غسل اليد وتطهيرها بخلاف مسّ ميتة الانسان فقد أوجب الشارع فيه مضافاً إلى تطهير الملاقي غسل المسّ مبالغة في خبث جيفته وقذارته، وترى الأحياء أوحشوا جانب الميّت وتجنّبوا عنه و خافوا منه ولا يخافون من ميتة سائر الحيوانات ولا يستوحشون منها

واما كونه حامل الجيف فهو أظهر من أن يذكر لأنّه أخسّ من حمار يحمل العذرة ، لأنّ الحمار يحملها اضطراراً وبالاجبار والانسان يحملها بالرّضاء والاختيار وهو يحملها على الظّهر وهذا على البطن ، وإلى هذه الحالات الثلاث ومابعدها اشير في قوله سبحانه : «قتل الانسان ما أكفره من أىّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثمّ السّبيل يسّره ثمّ أماته فأقبره ثمّ إذا شاء أنشره» فقد أشارت الآية إلى أوّل خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه ، فليفهم معناها وليتفكّر في مغزاها .

فقد أتى عليه حين من الدّهر لم يكن شيئا مذكوراً ، وقد كان في حيّز العدم و أىّ شيء أخسّ وأقلّ من المحو و العدم ، فبدءالله بخلقه من أرذل الأشياء ثمّ من أقذرها إذ خلقه من سلالة من طين ثمّ من ماء مهين ثمّ من علقة ثمّ من مضغة ثمّ جعله عظاما فكسى العظام لحما ، فهذا بداية وجوده .

وماصار شيئا مذكوراً إلاّ وهو على أخسّ الأوصاف وأرذلها إذ لم يخلق كاملا بل خلقه جماداً ميّتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحسّ ولا يشعر ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يفهم ولا يميّز ولا يعلم فبدء بموته قبل حياته ، وبضعفه قبل قوّته ، وبعجزه قبل قدرته ، و بجهله قبل علمه ، و بعماه قبل بصره ، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه ، وبضلاله قبل هداه، وفقره قبل غناه .

فهذا معنى قوله «من أىّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره» ثمّ امتنّ عليه فقال: «ثمّ السّبيل يسّره» أى يسّر له سبيل الخير و الشرّ و أرشده إلى طريق الضّلال والهدى يسلك الأوّل ويترك الثّاني كما قال : «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً» وقال: « وهديناه النّجدين» .

فانظر إلى عظم ما أنعم الله سبحانه به عليه حيث نقله من حالة الذّلة والقلّة والخسّة و القذارة إلى رتبة العزّ والشّرف والرّحمة والكرامة، فصارموجوداً بعد العدم، وحيّاً بعد الموت، وناطقا بعد البكم، وبصيراً بعد العمى، وقويّاً بعدالضّعف و عالما بعد الجهل، و مهدّيا بعد الضّلال، فكان في ذاته لا شيء وأىّ شيء أخسّ وأحقر من لاشيء، وأىّ قلّة أقلّ من العدم المحض، ثمّ صار بالله شيئا وإنّماخلقه من التراب الذّليل الّذي يوطأ بالأقدام، و النطفة القذرة ليعرّفه خسّة نفسه ومهانة ذاته، وأكمل النعمة عليه ليعرف بها ربّه، ويعلمعظمة بارئه وجلالة مبدئه و أنّه لا يليق الكبرياء والجلال إلاّ بحضرة ربوبيّته.

فمن كان هذا بدؤه وهذا حاله كيف يسوغ له البطروالكبر والخيلاء والفخر نعم هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسّته شمخ بأنفه وتعظّم.

ولو أكمله وفوّض إليه اموره و أدام له الوجود باختياره لكان أكثرمن ذلك يطغي ونسي المبدء و المنتهى، ولكنّه سلّط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة و الأسقام العظيمة، والآلام المختلفة، و الطّبائع المتضادّة من الصّفراء والسّوداء و البلغم و الدّم يهدم بعضها بعضا شاء أم أبى، رضى أم سخط، فيجوع كرهـا، ويعطش كرها، ويمرض كرها، ويموت كرها، لايملك لنفسه خيراً ولا شرّاً ولانفعا ولاضرّاً، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكرالشيء فينساه، و يريد أن ينسى الشيء و يغفل عنه فلا يغفل عنه، و يريد أن يصرف قلبه إلى مايهمّه فيحول في أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار فلا تملك قلبه قلبه ولانفسه نفسه، ويشتهى الشيء فربما يكون هلاكه فيه، و يكره الشيء و ربّما يكون حياتـه فيه، يستلذّ الأطعمة وهى تهلكه و ترديه، ويستبشع الأدوية وهى تنفعه وتحييه، و لا يأمن في لحظة من ليله و لا نهاره أن يسلب سمعه و بصره و تفلج أعضائه و يختلس عقله ويختطف ويسلب جميع مايهواه فيدنياه، فهومضطرّ ذليل إن ترك بقي وإن اختطف فنى، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا على شيء من غيره، فأىّ شيء أذلّ منه لوعرف نفسه وانّي يليق الكبرلولا جهله، فهذا أوسط أحواله

و أمّا آخره فهو الموت المشار إليه بقوله : «ثمّ أماته فأقبره» و معناه انّه يسلب روحه و سمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسّه وإدراكه و حركته فيعود جمادا كما كان أوّل مرّة ، لايبقى إلّا شكل أعضائه و صورته ، لا حسّ فيه ولا حركة ، ثمّ يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأوّل نطفة مذرة .

ثمّ تبلى أعضاؤه ، وتتفتت أجزاؤه ،وتنخرّ عظامه ، وتصير رميما رفاتا ، ويأكل الدّود أجزائه فيبتدى بحدقتيه فيقلعهما، وبخدّيه فيقطعهما، وبسائر أجزائه فيصير روثا في أجواف الدّيدان ، و يكون جيفة يهرب منه الحيوان ، و يتنفّر منه كلّ انسان ، و يكرهه لشدّة الانتان ، وأحسن أحواله أن يعود إلى ماكان ، فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ، و يعمر منه البنيان ، فيصير مفقوداً بعد ماكان موجوداً و صار كأن لم يغن بالأمس حصيداً ، كما كان في أوّل أمره أمداً مديداً .

وليته بقى كذلك ، و يأمن ممّا يتلوه من المعاطب و المهالك ، فما أحسنه لوترك تراباً لابل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدّة البلاء ، و إليه أشار بقوله : «ثمّ إذا شاء أنشره» فيخرج من قبره بعدجمع أجزائه المتفرّقة، وأعضائه المتفتّتة ، و يسرع إلى أهوال القيامة ، فينظر إلى قيامة قائمة ، و سماء مشقّقة، وأرض مبدّلة و جبال مسيّرة ، ونجوم منكدرة، و شمس منكسفة . وأحوال مظلمة و كثرة عرق ملجمة ، وملائكة غلاظ شداد ، وأهوال تتفتّت منها الأكباد .

و يرى الصّحائف منشورة فيقال له : «اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» فيقرء فيه مساويه الّتي كان افتخاره بها ، و استكباره بأسبابها ، فعند ذلك يقول : «ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها» فيقال له : هلمّ إلى الحساب و استعدّ للجواب أو تصير إلى أليم العذاب فينقطع قلبه من هول ذاك الخطاب .

فما لمن هذا حاله والتكبّر والتعزّز و الكبرياء والخيلاء ، بل ماله وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر و الأشر مدّة متمادية ، ولو ظهر آخره والعياذ بالله أحبّ أن يكون تراباً ، ولايكون إنسانا يسمع خطاباً ، و لا يشاهد الجحيم له مآباً

و لو رأى أهل الدّنيا العبد المذنب في النّار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ، و لو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ، ولو وقعت قطرة من شرابه في بحار الدّنيا لصارت أشدّ عفونة من الجيفة .

فمن هذا حاله في العاقبة كيف يفرح و يبطر ، و كيف يتجبّر و يتكبّر ، و كيف يرى نفسه شيئاً ، ويعتقدله فضلا ، وأيّ عبد لم يذنب ذنبا استحقّ به العقوبة إلاّ أن يعفو له الكريم بفضله ، ويغفره باحسانه ومنّه .

أرأيت من جنى على ملك قاهر قادر ، و استحقّ بجنايته القتل أو السّياسة فجلس في السّجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض ويقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق ، وليس يدرى أيعفى عنه أم يعاقب ، كيف يكون ذلّه ، أفترى أنه يتكبّر على من في السّجن ، وما من عبد مذنب إلاّ والدّنيا سجنه ، وقد استحقّ العقوبة من الله و لا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه لو تفكّر ذلك حزنا و خوفا و إشفاقا و مهانة وذلاّ .

و أما الثالث

فاعلم أنّ الغرض من خلقة الانسان هو العبوديّة والاطاعة ، قال تعالى : «و ما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون» فاذا لافضل لأحد أفراد هذا النّوع على الآخر إلاّ بحصول ذلك الغرض منه أعنى القيام بوظائف العبوديّة ، و به يترقّي إلى درجات الكمال ، ويتقرّب إلى الربّ المتعال ، ويكرم عنده كماقال عزّ من قائل :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَيكُمْ » .

يعني إنّ أكثركم عندالله ثوابا و أرفعكم عند الله منزلة أتقيكم لمعاصيه وأعملكم بطاعته.

روى الطبرسي في مجمع البيان في وجه نزول الآية أنّ ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر ، و كان إذا دخل تفسّحوا له حتّى يقعد عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله فيسمع

ما يقول ، فدخل المسجد يوماً و النّاس قد فرغوا من الصّلاة و أخذوا مكانهم ، فجعل يتخطّى رقاب النّاس ويقول : تفسّحوا ، حتّى انتهى إلى رجل، فقال له : اصبت مجلسا فاجلس ، فجلس خلفه مغضبا ، فلمّا انجلت الظّلمة قال : من هذا ؟ قال الرّجل : أنا فلان ، فقال ثابت : ابن فلانة ؟ ذكر أمّا له كان يعيّر بها في الجاهليّة فنكس الرّجل رأسه حياءً فقال صلوات الله و سلامه عليه و آله: من الذّاكر فلانة ؟ فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال: انظر في وجوه القوم ، فنظر إليهم، فقال: ما رأيت يا ثابت ؟ قال : رأيت أبيض وأحمر وأسود ، قال فانّك لاتفضّلهم إلاّ بالتقوى والدّين فنزلت هذه الآية .

و قيل لمّا كان يوم فتح مكّة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالاً حتّى علا ظهر الكعبة و أذّن ، فقال عتاب بن اسيد : الحمدلله الذي قبض أبي حتّى لم ير هذا اليوم ، وقال الحارث بن هشام : أما وجد محمّد غير هذا الغراب الأسود مؤذّنا ، وقال سهيل بن عمر: ان يرد الله شيئا لغيّره ، وقال أبوسفيان : إنّي لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به ربّ السّماوات ، فأتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله و سألهم عمّا قالوا فأقرّوا به ، ونزلت الآية وزجرهم عن التّفاخر بالأنساب والازراء بالفقر والتّكاثر بالأموال .

فقد ظهر بذلك أنّ جهة الفضل في أفراد النّوع الانساني منحصرة في الورع والتقوى فقط .

و يدلّ عليه أيضا ما روى أنّ رجلا سأل عيسى بن مريم أيّ النّاس أفضل فأخذ قبضتين من التّراب فقال : أيّ هاتين أفضل ، النّاس خلقوا من تراب ، فأكرمهم أتقيهم .

و كان أمير المؤمنين عليه السلام لمّا عوتب على التّسوية في العطاء وعدم التفضيل لأولى السابقات و الشّرف من المهاجرين و الأنصار على غيرهم ، و اعترض عليه بعدم ترجيح المولى على العبيد و عدم التّفرقة بين الأبيض و الأسود أجاب عليه السلام بقوله : إنّي نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلا .

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله صعد المنبر يوما وذكر ما كانوا يتفاخرون ويتكبرون به في الجاهلية ، فقال : إنه موضوع تحت قدمي إلى يوم القيامة ولم ينزل من المنبر حتى زوج بنت عمته صفية ابنة عبدالمطلب من المقداد مع كونه من أفقر الناس حالا وأقلهم مالا .

و قد سوى بينهم أيضا في أعظم الأمور وأهمها وهو أمر الدماء فقال عليه السلام: المسلمون اخوة تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم .

فاذا كان دم السلطان مساويا لدم الكناس فأي مزية له عليه .

فقد علم بذلك أن لاتفضيل في غير الورع و التقوى و الدين و أنه لايجوز الافتخار والتفاخر به بل لايجوز التفاخر بالتقوى أيضا ولاينبغي المباهاة به .

و يؤمي إليه مارواه الطبرسي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل جعل الخلق قسمين : فجعلني في خيرهم و ذلك قوله : و أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله وأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون السابقون، فأنامن السابقين وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله : وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية، فأنا أتقى ولد آدم و لا فخر وأكرمهم على الله ولافخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله عز وجل : «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب

فان غرضه بذلك بيان شأنه للناس لا التفاخر،ولهذا قال صلى الله عليه وآله في المقامين: ولا فخر، فبالغ في نفيه بلاء النافية للجنس .

والى هذا المعنى ينظر ما جاء في الحديث من أن الله سبحانه أوحى الي موسى اذا جئت للمناجات فاصحب معك من تكون خيراً منه ،فجعل موسى عليه السلام لايعترض أحداً وهولايجسر أن يقول إني خير منه ، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مر بكلب أجرب فقال : أصحب هذا ، فجعل في عنقه حبلا ثم مر به، فلما كان به في بعض الطريق شمر الحبل وأرسله ، فلما جاء إلى مناجاة الرب سبحانه

قال تعالى : ياموسى أين ماأمرتك به ؟ قال : يا رب لم أجده ، فقال تعالى : وعزتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة .

فاذا كان مثل موسى مع كونه نبياً أولى العزم و أفضل أهل زمانه كما هو اعتقادنا في الأنبياء والرسل لم يجسر أن يقول لأحد من آحاد الناس ولفرد من أفراد الحيوان حتى الكلب الأجرب أناخير منه فكيف لغيره.

و أي معنى للتعزز و التكبر و التفاخر على عبادالله وقد قال الله : «ياأيها الذين آمنوا لايسخرقوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن »مع أن الأمور التي يتكبر بها المتكبر بها على غيره و يزعمها كمالا لنفسه ليست كمالا ذاتياً في الحقيقة ، ولا تليق أن يتعزز بها .

لان المتكبر به ان كان النسب ففيه أن التكبر إن كان بالنسب البعيد « ففيه أن النسب البعيد ظ » لكل إنسان هو الماء والطين لا تفاوت بين أفراده من هذه الجهة كما لا تفاوت بينهم في الجد و الجدة قال أمير المؤمنين عليه السلام في الديوان المنسوب إليه :

الناس من جهة التمثال أكفاء	أبو هم آدم و الأم حواء
وإن يكن لهم في أصلهم شرف	يفاخرون بـه فالطين و الماء

وإن كان بالنسب القريب ففيه انه إذا كان خسيسا في ذاته ذميما في صفاته فلا يجبر نقصانه كمال آبائه وأسلافه قال الشاعر :

لئن فخرت بآباء ذوي شرف	لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

و قال آخر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا	يغنيـك مضمونـه من النسب
إن الفتى من يقول هـا أناذا	ليس الفتى من يقول كان أبي

على أن التعزز بالنسب تعزز بكمال غيره و لا ينفعه ذلك في الدنيا و لا في العقبى ، و لذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد تلاوة ألهيكم التكاثر حتى

زرتم المقابر : أفبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون ،إلى آخر ما يأتي في الكلام المأتين والتاسع عشر ، وقال سلمان (رض) :

أبي الاسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وقال صاحب بن عبّاد :

لعمرك ما الانسان إلاّ بدينه فلا تترك التّقوى اتّكالاً على نسب

لقد رفع الاسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبالهب

ألا ترى إلى ابن نوح فانّه مع كونه ابن نبيّ مرسل من اُولى العزم مانجاه ذلك النّسب الشريف و لا نفعه ، بل كان من المغرقين ، و في جهنّم من الخالدين ، « و نادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابنى من أهلي ، وإنّ وعدك الحقّ و أنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين » فلم يستجب فيه دعوته ونفى عنه بنوّته لمخالفته لأبيه وعصيانه له .

وروى عن سيّد السّاجدين عليه السلام أنّه قال : إنّما خلقت النّار لمن عصى الله ولو كان سيّداً قرشيّاً ، والجنّة لمن أطاع الله ولو كان عبداً حبشيّاً .

وناهيك في المنع من التّكبّر بالنّسب قوله عزّ من قائل : «فاذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون فمن ثقلت موازينه فأُولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأُولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون» .

بل أقول : إنه إذا كان البناء على افتخاره بأصله و نسبه القريب فليفتخر بأقرب اُصوله و أنسابه و هو النّطفة القذرة و الدّودة الّتي خرجت من مبال أبيه ، فأين الافتخار بالدّودة وأنّي التعزّز بالعلقة والمضغة .

قال سبحانه : «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النّطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة » فالأصل تراب يوطأ بالأقدام ، والفصل نجس تغسل منه الأبدان فمن كان هذا أصله وفصله كيف يسوغ له التّكبّر بالأنام ، ولنعم ماقيل :

يا ابن التراب وماكول التراب غداً أقصر فإنك مأكول و مشروب

وأما العلم فهو إنّما يكون كمالا إذا أوجب ارتفاع درجة العالم و قربه من الله سبحانه ، و إلاّ فالجهل منه أفضل البتّة ، و قد مضى في شرح الفصل الثّاني من الخطبة السّادسة والثّمانين مافيه كفاية في ذم العلماء السّوء .

و أقول هنا مضافاً إلى ما سبق : من أنّ العالم مهما خطر بخاطره عظم قدره بالاضافة إلى الجاهل فليتفكّر في الخطر العظيم الذي هو بصدده ، فانّ خطره أعظم من خطر غيره كما أنّ قدره أعظم من قدر غيره ، فقد يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد ، وذلك لمكان علمه .

وقد ضرب الله مثلا للعالم العامل بغيره تارة بالحمار فقال :«مثل الّذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً»وأخرى بالكلب فقال: «واتل عليهم نبأ الّذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين» إلى قوله « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » نزلت في بلعم بن باعور فقد اُوتى اسم الأعظم وقال ابن عبّاس اُوتى كتاباً فأخلد إلى شهوات الأرض أى سكن حبّه اليها فمثّله بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أى سواء أتيته الحكمة أولم اُوته لايدع شهوته .

و يكفى العالم هذا الخطر فبعد معرفته بأنّ الكبر لا يليق إلاّ بذات الله سبحانه و أنّه مختصّ به وعلمه بانّه إذا تكبّر يصير ممقوتا عنده تعالى بغيضا اليه محروما من قربه ، وبأنّ المطلوب منه الذّل والتّواضع وهو موجب لمحبّته تعالى ، فلابدّ أن يكلّف نفسه ما يحبّه مولاه وما فيه رضاه ، فهذا يزيل التكبّر عن قلبه .

ويمكن ازالته أيضاً بالتفكّر في اُمور ثلاثة .

أحدها أن يلتفت إلى ما سبق من ذنوبه وخطاياه حتّى يصغر قدره في عينيه .

الثّاني أن يلاحظ لما هو فيه من وصف العلم من حيث انّه نعمة من الله سبحانه في حقّه فيرى ذلك منه تعالى حتّى لا يعجب بنفسه ، و إذا لم يعجب لم يتكبّر .

الثالث ملاحظة سوء الخاتمة فربما يمكن أن يختم عاقبته بالسّوء و عاقبة المتكبّر عليه بالحسنى حتّى يشغله الخوف عن التكبّر عليه.

وأما الحسن و الجمال فما أعجب التكبّر به مع كونه سريع الزّوال، واللاّزم على المتعزّز بجماله أن ينظر إلى قبح باطنه لا إلى حسن ظاهره، فلولا حظ باطنه رأى فيه من القبائح والخبائث ما يكدّر تعزّزه، فانه وكّل به الأقذار في جميع أجزائه الرّجيع في امعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والبزاق في فيه، والوسخ في اذنيه، والدّم في عروقه، والصّديد تحت بشرته، ويخرج منه في كلّ يوم من الأقذار ما يتأذّى بنفسه من رؤيته ومن فضول ريحه إلى شامته فضلاً عن غيره فانّما مثله كالقبور المجصّصة يرى ظاهرها مليحاً وباطنها قبيحاً، ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهّدها بالتنظيف والتّطهير لثارت منه الأنتان والأقذار وصار أنتن من الدّواب المهملة التي لا تتعهّد نفسها قطّ فحسنه كخضراء الدّمن وكالأزهار في الرّبيع بينما تعجبها إذ صارت هشيما تذروه الرّياح.

واما الغنى وكثرة المال و فى معناه الملك والسلطنة فلأنّه أيضاً سريع الزوال و في معرض الانتقال، بينا تراه غنياً إذ صار فقيراً، أو فقيراً إذ صار غنيّاً، و ترى المغبوط مرحوماً و المرحوم مغبوطاً، فما أقبح التكبّر بشيء ليس اختياره بيده، وما أذلّ الغنى إذا نتزع ماله أو اختلسه سارق، وما أذلّ السّلطان إذا نتزع من ملكه و غلب عليه في سلطنته، مع أنّ ما بيد الغنى ليس إلاّ أقلّ قليل من مال الدّنيا قد كان قبله في يد غيره وسيصير في يد آخر، والدّنيا كلّها عند الله سبحانه لاتزن جناح بعوضة والاّ لما سقى الكافر شربة ماء، و عند نظر أولياء الله أزهد من عرق خنزير في يد المجذوم.

فما هذا شأنه لا يليق التعزّز به، وناهيك فى ذلك الأخبار الواردة في ذمّ الدّنيا وأكثر خطب أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب مسوق لهذا الغرض على أنّ الغنى لو تأمل لوجد في اليهود و النّصارى من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمّل، فافّ لشرف يسبقك به الكافر و افّ لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه

ذليلا مفلساً .

واما القوة وشدة البطش فيكفى في المنع من التكبّر به أن يعلم ماسلّط عليه من العلل والأمراض ، وأنّه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كلّ عاجز وأذلّ من كلّ ذليل ، و أنّه لوسلبه الذّباب شيئاً لم يستنقذه منه ، وأنّ بقّة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته ، وأنّ شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته ، وأنّ حمى يوم تحلّل من قوّته ما لاينجبر في مدّة ، فمن لايطيق شوكة ولايقاوم بقّة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفتخر بقوّته .

ثمّ إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أوجمل ، وأىّ افتخار في صفة يسبقه فيها البهائم .

وأمّا الزهد والعبادة فيزول التكبّر بهما على الفاسق بالتفكّر في سوء الخاتمة وحسنها ، فربّمايموت الفاسق ويختم له بالخير ، ويزلّ العابد فيختم له بالشرّ .

ألاترى إلى برصيصاء عابد بني إسرائيل كيف سائت خاتمته على ماعرفت في شرح الفصل السّادس من الخطبة الثانية والثمانين .

وإلى خليع بني إسرائيل كيف حسنت عاقبته وكان من قصّته أنّه لكثرة فساده يسمّى خليع بني إسرائيل فمرّ يوماً برجل يقال له عابد بني إسرائيل ، وكان على رأس العابد غمامة تظلّله فلمّا مرّ الخليع به قال الخليع في نفسه : أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل ، فلو جلست إليه لعلّ الله يرحمني ، فجلس إليه فقال العابد : أناعابد بني اسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل فكيف يجلس إلىّ ، فأنف منه وقال له : قم عنّي ، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزّمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع و أحبطت عمل العابد ، و في رواية أخرى فتحوّلت الغمامة إلى رأس الخليع .

وكيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ الأمور الّتي يزعمها المتكبّر كمالا له ويتعزّز بها على غيره ليست كمالاً في الحقيقة ، بل هى منقصة ووبال .

و يرشد إلى ما ذكرته ما روى عن النّبيّ ﷺ إنّ الله سبحانه أوحى إليه

أن يقول لمن يتعزّز بالحسن والجمال : تلفح وجوههم النّار، ولمن يتعزّز بالفصاحة: اليوم نختم على أفواههم ، ولمن يتعزّز بالنّسب : فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولمن يتعزّز بالمال والولد : يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ولمن يتعزّز بالقوّة : عليها ملائكة غلاظ شداد، ولمن يتعزّز بالملك :لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار.

واما الامر الرابع

أعني معرفة معائب الكبر ومفاسده فنقول : إنّ هذه الصّفة الخبيثة لا منفعة فيها للمتكبّر البتة بل هي مضرّة له في الدّنيا والآخرة .

أما في الدنيا فلإيجابها انحطاط درجته عند الخلايق و كراهتهم له وبعدهم عنه فهو لا يحبّهم وهم لا يحبّونه كما هو مشاهد بالعيان معلوم بالتجربة والوجدان ، ويبتليه الله سبحانه في أغلب الأوقات بالذّل والهوان .

و يدلّ عليه ما قدّمنا روايته في المقام الأوّل عن الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مامن عبد إلاّ وفي رأسه حكمة و ملك يمسكها فاذا تكبّر قال له : اتّضع وضعك الله فلا يزال أعظم النّاس في نفسه وأصغر النّاس في أعين النّاس الحديث .

وقد مثّل الصادقان عليهما السلام الدّنيا ببيت سقفه مخفوض ، فالدّاخل إليه لابدّ من أن يطاطأ رأسه عند الدّخول ومن رفع رأسه تلك الحالة شجّه السّقف وأخرج دمه ورمى بعمامته من فوق رأسه وفضحه بين الاقران الّذين كان يريد الترفّع عليهم .

وناهيك في التنبيه على عظم ضرره ما رواه في الكافي عن عدّة من أصحابه عن أحمد بن محمّد عن مدرك بن عبيد عمّن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ يوسف لما قدم عليه الشّيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ الملك فلم ينزل إليه فهبط عليه جبرئيل فقال : يايوسف ابسط راحتك ، فخرج منها نور ساطع فصار في جوّ السّماء ، فقال يوسف : يا جبرئيل ماهذا النّور الذي خرج من راحتي ؟ فقال : نزعت النبوّة من عقبك عقوبة لمالم تنزل إلى الشّيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبيّ .

واما في الاخرة فلايجابها دخول النّار و سخط الجبّار جلّ جلاله كما يشهد به ما قدّمنا في المقام الأوّل من الآيات والأخبار ، وناهيك فيذلك التذكر بحال ابليس اللّعين فانّه مع كونه خطيب الملائكة و قد عبدالله في السّماء ستّة آلاف سنة كيف حبط أجره وانحط قدره وحرم الحضرة الرّبوبيّة والألطاف الالٓهيّة و استحقّ مقت الجبّار و الخلود في النّار بمحض الانانيّة والاستكبار على مايأتي مشروحاً في الخطبة القاصعة و هي المأة و الحادية و التّسعون من المختار في باب الخطب ، وما التوفيق إلاّ بالله .

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن امام مبين و وليّ ربّ العالمين است در بيان بعثت حضرت خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه و آله و إشاره بفوائد بعثت ميفرمايد:

پس مبعوث فرمود خداوند تبارك وتعالى محمّد مصطفى صلّى الله عليه و آله را براستى ودرستى تا اينكه خارج نمايد بندگان را از عبادت بتان بسوى عبادت پروردگار ، و از طاعت شيطان بسوى طاعت حضرت كردگار ، بافرآنى كه بيان فرمود آنرا و محكم ساخت آنرا تا اينكه بدانند بندگان پروردگار خودشان را وقتى كه جاهل بودند بأو ، وتا اقرار كنند بآفريدگار بعداز اينكه منكر بودند بوحدانيّت او ، وتااثبات كنند وجود او را بعداز اينكه نمى شناختند اورا ، پس ظاهر گرديد حق سبحانه وتعالى ازبراى ايشان در كتاب عزيزخود بدون اينكه ديده باشند اورا بآنچه نمود بايشان از قدرت خود ، و ترسانيد ايشان را ازغضب وسطوت خود ، وچه گونه محو ونابود كرد آن كسى را كه نابود كرد از قرون ماضيه با عقوبات نازله ، و درويد ومستأصل ساخت كسى را كه مستأصل نمود باعذابهاى هائله .

وبدرستي كه زود باشد كه بيايد بشما ازپس رفتن من بعالم قدس زمانى كه نباشد در او چيزيكه پنهان تر باشد از حق ، ونه آشكاراتر ازباطل ، ونه بيشتر از دروغ بخدا و رسول او ، و نباشد نزد اهل آن زمان متاع كاسدتر ازقرآن زمانى كه تلاوت شده باشد حقّ تلاوت آن ، ونه متاع رايج تر ازقرآن زمانى كه تغييرداده شود

از مواضع خود ، ونباشد در شهرها چیزیکه قبیح‌تر باشد ازمعروف ، ونه چیزیکه پسندیده‌تر باشد ازمنکر ، پس بتحقیق که بیندازند قرآن را حاملان او ، وفراموش کنند اورا حافظان او ، پس قرآن در آنروز و اهل آن منفی ومطرود باشند ودو مصاحب صحبت گیرنده باشند با یکدیگر دریك طریق درحالتي که منزل ندهد ایشانرا منزل دهندهٔ ، پس کتاب و اهل آن در آن زمان در میان مردمان باشند بصورت وأبدان ونباشند درمیان‌ایشان بحسب معنی ، وباایشان باشند ظاهراً ونباشند باایشان باطناًازجهةاینکه‌ضلالت‌موافقت‌نمینمایدباهدایت‌اگرچه‌مجتمع‌شوند دریك زمان پس متفق باشند قوم آن روزگار برجدائی ازقرآن ، وجدا باشند از جماعت محقّه گویا ایشان پیشوایان کتاب عزیزند و کتاب عزیز پیشوای ایشان نیست ، پس‌باقی‌نماند نزدایشان‌ازقرآن‌مگرنام‌او،ونشناسندمگرخطّ‌اوراو کتابت‌اورا،وپیش ازاین‌است مثله وعقوبت نمودن ایشان بصالحان باهر گونه عقوبت ، وتسمیه کردن ایشان راست گوئی صالحان را برخدای تعالی افترا و بهتان ، و گردانیدن ایشان درحسنات عقوبت سیئات را ۰

وبدرستی که هلاك شدند کسانی که‌بودندپیش ازشمابجهت‌طول آرزوهاوپنهان بودن اجلهاتا اینکه نازل‌شدبایشان مرگ‌موعود که ردّ میشوداز او عذر خواهی ، وبرداشته میشود از او توبه و پشیمانی ، وحلول می کند بأو مصیبت شدیده ونقمت ای گروه مردمان هر کسی طلب نصیحت کند ازخدای تعالی موفّق میشود ، و هر کس‌اخذ نماید فرمایش خدا را دلیل خود هدایت یابد براه راست ، پس‌بدرستی که همسایهٔ خدا ایمن است ازعذاب ، ودشمن خدا ترسانست ازعقاب .

وبدرستی که‌سزاوارنیست هر کسی راکه معرفت رساند بعظمت خدا اینکه اظهار بزرگی نماید ، پس بتحقیق که بلندي مرتبهٔ کسانی که میدانند چیست عظمت‌وجلال‌خدادراین‌است که‌تواضع‌نمایند‌اورا،وسلامتی کسانی که‌میدانندچیست قدرت آفریدگار دراین است که انقیاد واطاعت نمایند براو ، پس نفرت نکنید از حق مثل نفرت‌صحیح المزاج‌از کسی که ناخوشی‌جرب‌داشته‌باشد، ومثل‌نفرت‌سالم

البدن از صاحب مرض ، و بدانید که بدرستی شما نخواهید شناخت طریق حق را تا این که بشناسید آن کسی را که ترك نموده اورا ، ونمی‌توانید فرا گیرید عهد وپیمان قرآن را مگر اینکه معرفت رسانید آن کسی را که نقض عهد اورا کرده ونمی‌توانید چنك بزنید بقرآن تااینکه عارف شوید کسی را که انداخته آنرا ، پس طلب کنید اینرا از نزد أهل أو ، پس بدرستی که ایشان حیات علمند و ممات جهل ، ایشان کسانی‌هستند که خبرمیدهدشمارا حکم ایشان ازعلم‌ایشان ، وسکوت ایشان از گفتار ایشان ، و ظاهر ایشان از باطن ایشان ، مخالف نباشند دین را واختلاف نمی کنند دراو ، پس دین‌درمیان ایشان شاهدی‌است راست گو ، وساکتی است زبان دار .

و من خطبة له عليه السلام فى ذكر اهل البصرة و هى المأة و الثامنة و الاربعون من المختار فى باب الخطب

كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُما يَرْجُوا الْأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صاحِبِه ، لا يَمُتّانِ إِلَى اللهِ بِحَبْلٍ ، وَلا يَمُدّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ ، كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُما حامِلُ ضَبٍّ لِصاحِبِه ، وَعَمّا قَليلٍ يَكْشِفُ قِناعَهُ بِه ، وَاللهِ لَئِنْ أَصابُوا الَّذي يُريدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هذا نَفْسَ هذا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هذا عَلى هذا ، قَدْ قامَتِ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ ، قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ ، وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ ، وَ لِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَ لِكُلِّ ناكِثٍ شُبْهَةٌ ، وَاللهِ لا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ يَسْمَعُ النّاعِيَ ، وَ يَحْضُرُ الْباكِيَ .

اللغة

عن النّهاية (المتّ) التوسّل والتوصّل بحرمة أوقرابة أو غيرذلك و(السّبب) في الأصل الحبل الّذي يتوصّل به إلى ماء ، ثمّ استعير لكلّ مايتوصّل به إلى شيء كقوله تعالى : «وتقطّعت بهم الأسباب» أى الوصل والمودّات و (الضبّ) الغضب والحقد و (المحتسب) طالب الحسبة ، وهي الأجر ويقال احتسب عليه أى انكر و (سنّ) الأمر بيّنه (ولكلّ ضلّة) في مارأيناه من النّسخ بفتح الضّاد ، والمضبوط في القاموس و الاوقيانوس بكسرها ، قال في القاموس : الضّلال و الضّلالة و الضلّ ويضمّ والضّلضلة والاضلولة بالضمّ والضلّة بالكسر والضّلل محرّكة ضدّ الهدى إلى أن قال : و الضلّة بالضمّ الحذق بالدّلالـة و بالفتح الحيرة و الغيبة بخير أو شرّ و (اللّدم) اللّطم والضّرب بشيء ثقيل يسمع وقعه، وعن الصّحاح اللّدم ضرب المرأة صدرها وعضديها في النياحة .

الاعراب

الظاهر أنّ جملة لايمتّان إلى الله استيناف بياني أونحوى ، و تحتمل الحال ، وعن في قوله : وعمّا قليل ، بمعنى بعد ، وما زائدة على حدّ قوله تعالى : «عمّا قليل ليصبحنّ نادمين» والباء في قوله : به ، للسببيّة ، والضّمير راجع إلى الضّب ، وجملة يسمع في محلّ الجرّ صفة للمستمع .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة لاقتصاص حال طلحة والزبير في نكثهما بيعته عليه السلام ونهوضهما إلى حربه عليه السلام ، ونبّه على أنّ غرضهما من البغى والخروج اليه هو الملك والامارة ، فأشار أوّلا إلى أنّ كلاّ منهما يرى نفسه أحقّ بالامارة من الآخر وهو قوله :

(كلّ واحد منهما يرجو الأمر) أى أمر الامارة ، فاللاّم للعهد (له) أى يرى اختصاصه به (و يعطفه) أى يجذبه و يثنيه (عليه دون صاحبه) لزعمه أنّه أولى به منه حال كونهما (لايمتّان) ولا يتوسّلان في الحرب وقتال المسلمين (إلى الله) تعالى (بحبل ، و لا يمدّان اليه بسبب) يعني أنّه لا حجّة لهما يعتذران بها إلى

الله سبحانه في البغي والخروج

وعلى الاستيناف البياني فالمعنى أنّه عليه السلام لما ذكر أنّ كلاًّ منهما يرجوه لنفسه ويعطفه عليه كان لقائل أن يقول : هذا العطف والرّجاء هل كان لغرض دينيّ منهما و تصلّب في الاسلام ؟ فأجاب بأنّ غرضهما ليس التقرّب إلى الله تعالى و التمسّك بعهده .

و على الاستيناف النحويّ فالمقصود به شرح حالهما ، فانّه لمّا ذكر أنّ رجاء كلّ واحد منهما كون الخلافة له ، و قصد كلّ جذبها إليه أردفه بذلك تنبيها على أنّهما خالفا الله سبحانه إذ لم يعتصما بحبله ، بل تفرّقا عنه و قد أمرهم الله بالاعتصام ونهاهم عن التفرّق بقوله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا » .

قال الطبرسيّ في معنى حبل الله أقوال : **احدها** أنّه القرآن **ثانيها** أنّه دين الاسلام **وثالثها** ما رواه أبان بن تغلب ، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : نحن حبل الله الّذي قال « واعتصموا بحبل الله جميعاً » قال الطبرسيّ : والأولى حمله على الجميع والّذي يؤيّده ما رواه أبوسعيد الخدري عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : يا أيّها النّاس إنّي قد تركت فيكم حبلين ، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي : أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي الا وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

ثمّ ذكر انهما مع اتّفاقهما على الخلاف مختلفان في نفس الأمر وأنّ (كلّ واحد منهما حامل ضبّ) وحقد (لصاحبه) و يشهد به اختلافهما قبل وقوع الحرب في الأحقّ بالتّقديم في الصّلاة ، فأقامت عائشة محمّد بن طلحة وعبدالله بن الزّبير يصلّي هذا يوماً وهذا يوما إلى أن تنقضي الحرب .

ثمّ إنّ عبدالله بن الزّبير ادّعى أنّ عثمان نصّ عليه بالخلافة يوم الدّار ، واحتجّ في ذلك بأنّه استخلفه على الصّلاة ، واحتجّ تارة اخرى بنصّ صريح زعمه وادّعاه ، وطلب طلحة من عائشة أن يسلّم النّاس عليه بالامارة و أدلى إليها بالسّمية وأدلي الزّبير بأسماء اختها فأمرت النّاس أن يسلّموا عليهما معا بالامارة ، واختلفا

أيضاً في تولّى القتال فطلبه كلّ منهما اوّلا ثم نكل عنه.

(وعمّا قليل يكشف) كلّ منهما (قناعه به) أى يكشف قناعه الذي استتر به ويظهر حاله به بسبب حقده ، فاستعار لفظ القناع لظاهره السّاتر لباطنه (والله لئن أصابوا الّذى يريدون) ويتمنّون (لينتزعنّ هذا نفس هذا وليأتينّ هذا على هذا) أى ليثبّ كلّ منهما إلى صاحبه و يسعى اليه و يقتله ، و هذا لاغبار عليه لأنّ الملك عقيم

ثمّ قال (قد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون) أى الطّالبون للأجر والثّواب و العاملون لله أو المنكرون للمنكر ، والاستفهام للتحسّر و التحزّن من فقدان المتصلّبين في الدّين ، والراسخين فى الاسلام ، و التّأسف على عدم حضورهم في تلك المعركة وقتال الفئة الباغية، وفي بعض النسخ: فأين المحسنون.

(وقد سنّت لهم السّنن) أى بيّنت للمحتسبين أو للفئة الباغية الطّرق (وقدّم لهم الخبر) أى أخبرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بخروج الناكثة والقاسطة والمارقة و بأنّ عليّاً عليه السلام يقاتلهم ، و قد روى هذا الخبر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله غير واحد من العامّة و الخاصّة ، و قدّمنا روايته في شرح الفصل الخامس من الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية في حديث طويل عن امّ سلمة عن النّبي صلّى الله عليه وآله.

و أقول هنا : روى في البحار من أمالي الشّيخ باسناده عن أخي دعبل عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأمّ سلمة : اشهدى على أنّ عليّاً يقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين.

ومن الامالي بهذا الاسناد عن الباقر عليه السلام عن جابر الأنصاري قال : إنّي لأدناهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى فقال صلّى الله عليه وآله : لاعرفنّكم ترجعون بعدي كفاراً ليضرب بعضكم رقاب بعض ، و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم ، ثمّ التفت صلّى الله عليه وآله إلى خلفه ثمّ قال : أو عليّ أوعليّ أوعليّ ، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه وأنزل الله عزّ وجلّ « فامّا نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون » بعليّ «أونرينّك الّذي وعدناهم فانّا عليهم مقتدرون » ثمّ نزلت « قل ربّ إمّا تريني ما

يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك مانعدهم لقادرون إدفع بالتي هي أحسن » ثم نزلت « فاستمسك بالذي اوحى إليك ـ من أمر علي بن أبيطالب ـ انك على صراط مستقيم» وان علياً علم للساعة لك ولقومك ولسوف تسئلون عن محبة علي بن أبيطالب .

ومن الكافي باسناده عن الفضيل بن عياض عن أبيعبدالله عليه السلام عن أبيه قال : قال : بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة ، و سيف منها مكفوف ، وسيف منها سله إلى غيرنا وحكمه إليه ، ثم قال : و أما السيف المكفوف فسيف علي على أهل البغى و التأويل ، قال الله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمرالله » فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن منكم من يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، فسئل النبي صلى الله عليه وآله من هو ؟ فقال : خاصف النعل ، يعني أمير المؤمنين عليه السلام فقال عمار بن ياسر : قاتلت بهذه الرواية مع النبي صلى الله عليه وآله ثلاثاً وهذه الرابعة ، والله لو ضربونا حتى بلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل .

و من مناقب ابن شهر آشوب عن أبي علي الموصلي و الخطيب التاريخي و أبي بكر بن مردويه بطرق كثيرة عن علي عليه السلام قال : امرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

ومن كشف الغمة قال ابن طلحة : قال البغوي في شرح السنة عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى منزل ام سلمة فجاء علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ام سلمة هذا والله قاتل الناكثين و القاسطين والمارقين، إلى غيرهذا مما رواه في البحار عنه صلى الله عليه وآله

و في كشف الغمة من المناقب لأبي المؤيد الخوارزمي عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وآله قال : يا أبارافع كيف انت وقوم يقاتلون علياً وهو على الحق و هم علي الباطل ؟ يكون حقاً في الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فيجاهدهم

بلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فيجاهدهم بقلبه ، وليس وراء ذلك شيء ، قال : قلت : ادع الله لي إن أدركتهم أن يعينني ويقوّينى على قتالهم فلمّا بايع النّاس عليّ بن ابيطالب عليه السلام و خالفه معاوية و سار طلحة و الزّبير إلى البصرة قلت : هؤلاء القوم الّذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و آله ما قال ، فباع أرضه بخيبر و داره بالمدينة وتقوى بها هو و ولده ثمّ خرج مع عليّ عليه السلام بجميع أهله وولده ، و كان معه حتّى استشهد عليّ عليه السلام ، فرجع إلى المدينة مع الحسن عليه السلام ولا أرض له بالمدينة ولا دار فأقطعه الحسن عليه السلام ارضا بينبع من صدقة عليّ وأعطاه داراً ، هذا .

ولمّا كان هنا مظنّة سؤال وهو أن يقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله سنّ السّنن و اخبر بحال هؤلاء البغاة و أبان عن كونهم على الباطل فكيف كان خروج هؤلاء و كيف نكثوا عن بيعتهم مع تقدّم هذا الخبر منه واشتهاره بين النّاس ؟ أجاب عليه السلام عنه بقوله (و لكلّ ضلّة علّة ولكلّ ناكث شبهة) يعني أنّهم لما نكثوا و ضلّوا عن الطّريق لعلّة أوجبت الضّلال و شبهة أوجبت النكث أمّا العلّة فهى الحقد و الحسد والطمع في الملك وحبّ الدّنيا ، وأمّا الشّبهة فهى الطّلب لدم عثمان هذا .

و قيل إنّ المعنى أنّ لكلّ ضلالة غالبا علّة ، و لكلّ ناكث شبهة بخلاف هؤلاء ، فانّهم يعدلون عن الحقّ مع وضوحه بغير عذر وشبهة .

ثمّ أقسم عليه السلام بقوله (والله لا أكون كمستمع اللّدم يسمع النّاعى ويحضر الباكى) أراد بمستمع اللّدم الضّبع هو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصّائد عند باب جحرها فتنام ولا تتحرّك حتّى يجعل الحبل في عرقوبها فيخرجها فيكون نظير ما تقدّم في الكلام السّادس من قوله : والله لا اكون كضبع تنام على طول اللّدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ، وقد مضى منّا هناك ما يتّضح به هذا المقام ، فالمقصود انّى لا اغترّ و لا اغفل عن كيد الأعداء فأسمع النّاعي بقتل طائفة من المسلمين واحضر الباكي على قتلاهم فلا أحاربهم حتّى يحيطوا بي

وقيل : المراد إنّى لا أكون كمن يسمع اللّطم والضرب والبكاء ثمّ لا يصدق حتّى يجيء لمشاهدة الحال ، أي لا أكون كمن علم بوقوع نازلة وشاهد اماراتها ثمّ

لم يتدار كها حتّى يراها عيانا .

وقد تقدّم في شرح المختار السّادس إلى المختار الثالث عشر اقتصاص حال النّاكثة و كيفيّة بغيهم و خروجهم وجملة من أخبارهم وذكرنا قصّة الجمل في شرح الكلام الحاديعشر ، و ذكرنا في تضاعيف الشّرح و نذكر بعد ذلك أيضاً إنشاءالله بعض اخبارهم ، وأقتصر هنا على ايراد خبرين مناسبين للمقام فأقول :

روى في البحار من الارشاد قال : لما اتّصل بأمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير عايشة وطلحة والزّبير من مكّة إلى البصرة حمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: قد سارت عائشة وطلحة والزّبير كلّ منهما يدّعي الخلافة دون صاحبه، ولا يدّعي طلحة الخلافة إلاّ أنّه ابن عمّ عايشة ، ولا يدّعيها الزبير إلاّ أنّه صهر أبيها ، والله لئن ظفروا بما يريدان ليضربنّ الزبير عنق طلحة ، وليضربنّ طلحة عنق الزّبير ينازع هذا على الملك هذا ، ولقد علمت والله أنّ الراكبة الجمل لا تحلّ عقدة و لا تسير عقبة ولاتنزل منزلة إلاّ إلى معصية الله حتّى تورد نفسها ومن معها مورداً يقتل ثلثهم ، ويهرب ثلثهم ، ويرجع ثلثهم ، والله إنّ طلحة و الزّبير ليعلمان أنّهما مخطئان ومايجهلان ، ولربّ عالم قتله جهله و علمه معه لا ينفعه ، والله لتنبحنّها كلاب الحوأب ، فهل يعتبر معتبر ويتفكّر متفكّر لقد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون .

و في الكافي في باب ما يفصل به بين دعوي المحقّ والمبطل في أمر الامامة عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن ابن محبوب عن سلام بن عبدالله ومحمّد بن الحسن وعليّ بن محمّد عن سهل بن زياد و أبو عليّ الأشعري عن محمّد بن حسان جميعاً عن محمّد بن عليّ عن عليّ بن أسباط عن سلام بن عبدالله الهاشميّ قال محمّد بن عليّ وقد سمعته منه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : بعث طلحة والزّبير رجلا من عبدالقيس يقال له : خداش إلى أمير المؤمنين ، إلى آخر ما يأتي في شرح الكلام المأة و التّاسع و السّتين إن شاء الله.

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفهٔ آن حضرت است در ذكر أهل بصره و مذمت زبير

وطلحة میفرماید :

هریك ازطلحه وزبیر امید دارند که أمر خلافت ازبرای اوباشد وبرمیگرداند هریکی آن را بنفس خود نه بصاحبش در حالتی که تقرّب نمیجویند بسوی خدا بریسمان پیمان ، وتوسّل نمی کنند بسوی او با رشتهٔ عهد ، هریك از ایشان حمل کنندهٔ حقد و غضب است از برای رفیق خود و بعد از زمان قلیل برمیدارد پرده تزویر خودرا بسبب آن کینه که دردل دارد، قسم بخدا اگر برسندبآنچه که میخواهند هرآینه البته برمیکند این یکی جان آن یکی را ، و البته می آید این یکی بسر آن دیگری بتحقیق که برخاستند جماعت ظالم پس کجایند طالبان أجروثواب .

بتحقیق که بیان کرده شد ازبرای ایشان سنّتهای پیغمبر ، ومقدّم داشته شد بجهت ایشان أخبار حضرت سید البشر ، وازبرای هرضلالت علّت و سببی هست ، وازبرای هرناقض بیعت شبههایست ، بحقّ خدا نمی‌توانم بشوم مثل شنونده صدای زدن برو و سینه بادست که شنود خبر مرك دهنده ، و حاضرشود نزد گریه کننده ، یعنی بعدازاینکه أمارات وعلامات بغی وعدوان این طائفه ظاهرشد باید با ایشان محاربه ومقاتله نمائیم ، وجائز نیست که درجای خود باغفلت بنشینیم .

و من كلام له عليه السلام قبل موته و هو المأة و التاسع و الاربعون من المختار فی باب الخطب .

وهو مرويّ في الكافي على اختلاف تطلع عليه

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ ، كَمْ اَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَائَهُ ، هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ ، أَمَّا وَصِيَّتِي

فَاللهَ لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً ، وَمُحَمَّداً ﷺ فَلا تُضيعُوا سُنَّتَهُ أَقيمُوا هٰذَينِ العَمُودَينِ وَأَوقدُوا هٰذَينِ المِصباحَينِ. وَخَلاكُمْ ذَمٌّ ما لَمْ تَشرُدُوا، حَمَلَ كُلُّ امرِءٍ مِنكُمْ مَجهُودَهُ ، وَخَفَّفَ عَنِ الجَهَلَةِ ، رَبٌّ رَحيمٌ ، وَدينٌ قَويمٌ ، وَإِمامٌ عَليمٌ ، أَنَا بِالأَمسِ صاحِبُكُمْ وَأَنَا اليَومَ عِبرَةٌ لَكُمْ ، وَغداً مُفارِقُكُمْ ، غَفَرَاللهُ لي وَلَكُمْ ، إِنْ ثَبَتَتِ الوَطأَةُ في هٰذِهِ المَزَلَّةِ فَذاكَ ، وَإِنْ تَدحَضِ القَدَمُ فَإِنّا كُنّا في أَفياءِ أَغصانٍ وَمَهَبِّ رِياحٍ ، وَتَحتَ ظِلِّ غَمامٍ اضمَحَلَّ فِي الجَوِّ مُتَلَفِّقُها ، وَعَفى فِي الأَرضِ مَخَطُّها ، وَإِنَّما كُنتُ جاراً جاوَرَكُمْ بَدَني أَيّاماً ،وَسَتُعقَبُونَ مِنّي جُثَّةً خَلاءً ساكِنَةً بَعدَ حِراكٍ ، وَصامِتَةً بَعدَ نُطُوقٍ لِيَعِظَكُمْ هُدُوّي وَخُفُوتُ أَطراقي وَسُكُونُ أَطرافي فَإِنَّهُ أَوعَظُ لِلمُعتَبِرينَ مِنَ المَنطِقِ البَليغِ ، وَالقَولِ المَسمُوعِ ، وَداعيكُمْ وَداعَ امرِءٍ مُرصِدٍ لِلتَّلاقي ، غَداً تَرَونَ أَيّامي ، وَيُكشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرائِري، وَتَعرِفُونَني بَعدَ خُلُوِّ مَكاني ، وَقِيامِ غَيري مَقامي.

اللغة

(الطّرد) الابعاد و تقول طردته أى نفيته عنّي ، و الطريدة ما طردته من صيد وغيره ، و الطّريدان اللّيل و النهار ، و أطردت الرّجل على صيغة الافعال، إذا أمرت باخراجه و (شرد) البعير شروداً من باب قعد ندّ ونفر ، والاسم الشراد

بالكسر و (حمل كلّ امرء منكم مجهوده) في بعض النّسخ على البناء للمفعول من باب التّفعيل ورفع كلمة كلّ ، وفي بعضها على المعلوم من باب التفعيل أيضاً ونصب كلّ ، فالفاعل هوالله سبحانه ، و في بعضها حمل كضرب على المعلوم ورفع كلّ و (خفف) على بناء المجهول و (الوطأة) بالفتح موضع القدم و المرّة من الوطي وهوالدّوس بالرّجل .

و (دحض) الرّجل دحضا من باب منع زلق و زلّ و (الأفياء) جمع فيء وهوالظلّ الحادث بعد الزّوال و (مهبّ الرّياح) محلّ هبوبها و في بعض النّسخ ومهاب رياح بصيغة الجمع و (اضمحل)السّحاب تقشّع والشيء ذهب وفنى و(الجوّ) مابين السّماء والأرض و (متلفقها) بكسر الفاء من تلفّق الشيء انضمّ والتأم ولفقت الثّوب لفقاً من باب ضرب ضممت احدى شقتيه إلى الأخرى للخياطة و (المخطّ) بالخاء المعجمة مايحدث في الأرض من الخطّ الفاصل بين الظلّ والنّور .

و (ستعقبون) بالبناء على المجهول من الاعقاب وهواعطاء الشيء عقيب الشيء يقال أكل أكلة أعقبته سقما أي أورثته و(حراك) كسحاب الحركة و (هدوى) في بعض النّسخ بالهمز على الأصل و في بعضها بتشديد الواو بقلب الهمزة واواً و (خفت) الصّوت خفوتاً سكن و (اطراقى) إمّا بكسر الهمزة من اطرق إطراقا أى أرخى عينيه إلى الأرض ، أو بفتحها جمع طرق بالكسر بمعنى القوّة كما في القاموس،أو بالفتح وهوالضرب بالمطرقة، وقيل جمع طرقة بالفتح أى صنايع الكلام يقال:هذاطرقته أى صنعته والأوّل أظهر وأضبط، وفي بعض النّسخ أطرافي بالفاء فهو جمع الطرف بالتسكين وهو تحريك العين والجفن إلاّ أنّ جمعه لم يثبت إلاّ عند القتيبى و قال الزّمخشري : الطّرف لايثنى و لا يجمع لأنّه مصدر و كذا ذكره الجوهري .

و (سكون أطرافي) جمع الطرف بالتحريك كجمل و جمال ، والمراد بها الأعضاء والجوارح كاليدين والرّجلين و (الوداع) بفتح الواو اسم من ودّعته توديعاً و هو أن تشيعه عند سفره ، و أمّا الوداع بالكسر فهو اسم من أودعته موادعة أى

صالحته و (رصدته) إذا قعدت له على طريقه تترقّبه وأرصدت له العقوبة أى أعددتها له و حقيقتها جعلها على طريقة كالمترقّبة له ، ومرصد في بعض النّسخ على صيغة اسم المفعول فالفاعل هو الله تعالى أو نفسه عليه السلام ، و في بعضها على صيغة اسم الفاعل فالمفعول نفسه عليه السلام أو ما ينبغى اعداده وتهيئته.

الاعراب

قوله : في فراره متعلّق بقوله لاق ، وجملة أبحثها منصوبة المحلّ على الحالية وعلم مخزون خبر لمبتدء محذوف أى ذلك العلم علم مخزون ، وقوله : فالله لاتشركوا به شيئا و محمداً صلى الله عليه وآله ، منصوبان على الاضمار على شريطة التفسير ، و في بعض النسخ بالرّفع على الابتداء و الأوّل أرجح كما قرّر في الأدبيّة لاستلزام الثّاني كون الجملة الطلبيّة خبراً فتأمّل ، وقوله : وخلا كم ذم بالرّفع فاعل خلا أى عدا كم وهي كلمة تجرى مجرى المثل .

قال الشّارح البحراني : وأوّل من قالها قصير مولى حذيمة حين حثّ عمرو بن عدى اخت حذيمة على طلب ثاره من الزّباء فقال له عمرو : و كيف لي بذلك والزّباء أمنع من عقاب الجوّ ، فقال له قصير اطلب الأمر وخلاك ذمّ .

و قوله : ربّ رحيم و دين قويم و إمام عليم ، برفع الجميع على الخبر أى ربّكم ربّ رحيم و دينكم دين قويم وهكذا على الابتداء والخبر محذوف أى لكم ربّ رحيم ودين قويم آه

قال الشّارح المعتزلي : ومن النّاس من يجعل ربّ رحيم فاعل خفّف على رواية من رويها فعلا معلوما ، و ليس بمستحسن ، لأنّ عطف الدين عليه يقتضي أن يكون الدّين أيضاً مخففاً ، وهذا لايصحّ انتهى .

و قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ : إنّ في أكثر النّسخ خفف على بناء المعلوم فقوله : ربّ فاعله و لا يضرّ عطف الدّين و الامام عليه لشيوع التّجوّز في الاسناد .

أقول : وههنا وجه آخر على رواية حمل وخفف بالبناء على المجهول ، وهو أن يكون ربّ مرفوعاً بفعل محذوف على حدّ قوله سبحانه:

«يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ»

على قرائة يسبح بصيغة المجهول، كأنّه قيل : من حمل وخفّف ، فقال : ربّ رحيم ودين قويم ، وهذا الوجه أيضا مبنيّ على التجوّز في الاسناد .

وقوله : ليعظكم بكسر اللاّم ونصب الفعل كما في أكثر النّسخ ، و يحتمل الجزم لكونه أمراً أوفتح اللاّم ورفع الفعل أيضا .

وقوله : وداعيكم وداع امرء مرفوعان على المبتدء والخبر ، وإضافة و داعى إلى ضمير المفعول أى وداعى إيّاكم ، وفى بعض النّسخ بنصب وداع ، و في بعضها بجرّها ، و كلاهما مبنيّ على حذف الخافض أى كوداع امرء فالنّصب على حدّ قوله تعالى « واختارموسى قومه » أى من قومه ، والثاني على حدّ قول امرء القيس « أشارت كليب بالأكفّ الأصابع » أى إلى كليب ، و في نسخة الشّارح المعتزلي وداعى لكم وداع امرء وروى فيها أيضا ودّعتكم وداع امرء على صيغة المتكلّم من باب التّفعيل ، فالوداع منصوب بالمصدريّة وغدا ظرف للأفعال بعده .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قد قاله عليه السلام لما ضربه ابن ملجم المرادي عليه لعائن الله وهومسوق فى معرض التوصية والتّذكير ، فأيّه بالنّاس ونبّههم على لحوق ضرورة المنفور منه طبعا بقوله :

(أيّها النّاس كلّ امرء لاق مايفرّ منه في فراره) يعنى أنّ الانسان يفرّ من الموت مادام حيّا ، فهو في مدّة الفرار وهى الحياة الدّنيا يلاقي مايفرّ منه البتّة كما قال تعالى « قل إنّ الموت الّذي تفرّون منه فانّه ملاقيكم » (والأجل مساق النّفس) يجوز أن يراد بالأجل غاية العمر كما في قوله تعالى « فاذا جاء أجلهم

لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون» فيكون المساق بمعنى مايساق إليه ، وأن يراد به المدّة المضروبة لبقاء الانسان أعني مدّة العمر فيكون المساق بمعنى زمان السّوق ، فانّ مدّة بقاء النّفس في هذا البدن مساق إلى غايتها .

(والهرب منه) أى من الأجل بالمعنى الأوّل أو ممّا يفرّ منه إن اُريد به المعنى الثاني (موافاته) لأنّ الهرب منه إنّمايكون بعلاج وحركة يفنى بهما بعض المدّة ، وإفناء المدّة يلزمه الموافاة فاُطلق لفظ الموافاة على الهرب من باب اطلاق اسم اللاّزم على الملزوم ، أو لأنّه إذا قدّر زوال عمر أو دولة فكلّ تدبير يدبّره الانسان يصير سببا لحصول ما يهرب منه كما أنّ كلّ دواء و معالجة إذا صادف قرب مجيء الأجل يكون مضرّاً بالبدن وإن كان بحيث اذا لم يصادفه كان نافعا مجرّبا عند الأطباء مع أنّ المرض و المزاج في كلتا الصّورتين واحد بناء على إبطال أفعال الطبيعة و أنّ نفع الأدوية إنّما هو فعل الله تعالى عند الدّواء ، ومع قطع النظر عن ذلك إذا صادف الدّواء الأجل يصير أحذق الأطباء عاجزاً غافلا عمّا ينفع المريض، فيعطيه ما يضرّه وإذا لم يصادفه يلهم أجهل الأطبّاء بما ينفعه كما هو المجرّب .

و كيف كان فقوله عليه السلام : والهرب منه موافاته ، جار مجرى المبالغة في عدم كون الفرار منجيا من الموت وعاصما عنه حتّى جعل نفس الهرب منه ملاقاة لـه ولم يقل والهارب منه يوافيه .

(كم اطّردت الأيام) أى صيّرتها طريدة قال الشارح المعتزلي فالاطّراد أدلّ على العزّ والقهر من الطرد (أبحثها) واُفتّشها (عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلاّ إخفائه) قال الشّارح المعتزلي : كأنه عليه السلام جعل الأيّام أشخاصا يأمر باخراجهم و ابعادهم عنه ، أى مازلت أبحث عن كيفية قتلي و أىّ وقت يكون بعينه وفي أىّ أرض يكون يوما يوما ، فاذا لم أجده في اليوم اطردته واستقبلت يوما آخر فأبحث فيه أيضا فلا أعلم فأبعده واطرده وأستأنف يوما آخر ، وهكذا حتّى وقع المقدور .

قال الشّارح : وهذا الكلام يدلّ على أنه عليه السلام لم يكن يعرف حال قتله مفصّلة من جميع الوجوه ، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أعلمه بذلك مجملا ، لأنّه قد ثبت

أنّه صلّى الله عليه وآله قال له : ستضرب على هذه وأشار إلى هامته فتخضب منها هذه ، وأشار إلى لحيته و ثبت أنّه صلّى الله عليه وآله قال له : أتعلم من أشقى الأوّلين ؟ قال : نعم عاقر النّاقة فقال له : أتعلم من أشقى الآخرين ؟ قال : لا ، فقال : من يضرب ههنا فتخضب هذه و كلام أمير المؤمنين عليه السلام يدلّ على أنّه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنّه يموت من ضربته ، ألا تراه يقول : إن ثبتت الوطأة في هذه المزلّة فذاك آه .

و يظهر منه أنّ الشارح زعم أنّ مراده عليه السلام بمكنون هذا الأمر وقت قتله ومكانه المعينان بالتفصيل .

وحذا حذوه الشارح البحراني حيث قال : وذلك المكنون هو وقته المعيّن بالتفصيل ومكانه ، فان ذلك ممّا استأثر الله بعلمه كقوله تعالى « إنّ الله عنده علم السّاعة » وقوله « وما تدرى نفس بأيّ أرض تموت » وإن كان قد أخبره الرّسول صلّى الله عليه وآله بكيفية قتله مجملا ـ إلى أن قال ـ و أمّا بحثه هو فعن تفصيل الوقت و المكان ونحوهما من القراين المشخصة وذلك البحث إمّا بالسؤال من الرّسول مدّة حياته و كتمانه ايّاه ، أو بالفحص والتّفرّس من قراين أحواله في ساير أوقاته مع النّاس ، فأبى الله إلاّ أن تخفى عنه تلك الحال انتهى .

أقول : ولا يكاد ينقضى عجبى من هذين الفاضلين كيف توهّما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن عالماً بزمان موته ولا مكانه إلاّ اجمالا ، وأنّه لم يكن يعرفهما تفصيلا إن هذا إلاّ زعم فاسد ورأى كاسد .

أمّا الشّارح المعتزلي فمع روايته الأخبار الغيبيّة له عليه السلام وإذعانه على صحّتها حسبما تقدّمت في التّنبيه الثاني من شرح الخطبة الثانية و التّسعين كيف خفى عليه وجه الحقّ و كيف يتصوّر في حقّ من هو عالم بما كان و مايكون و من يقول : فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين السّاعة ولا عن فئة تهدى مأة وتضلّ مأة إلاّ أنبئكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ويموت منهم موتاً ، الى آخر ما مرّ

في الخطبة الّتي أشرنا اليها ، أنّه لم يكن يعرف زمان موته ومكانه .

وأمّا الشّارح البحراني فمع كونه من فضلاء علماء الامامية قدّس الله ضرايحهم كيف قصرت يده عن الأخبار العامية و الخاصية المفيدة لعلم الأئمّة عليهم السلام بما كان ومايكون وما هو كائن ولمعرفتهم عليهم السلام بوقت موتهم وموت شيعتهم ، و أنّهم يعلمون علم المنايا و البلايا والانساب ، وهذه الأخبار قريبة من التواتر بل متواترة معنى وقد مضى جملة منها في تضاعيف الشّرح لاسيّما في شرح الفصل الثّاني من الخطبة المأة و الثّامنة و العشرين ، و يأتي شطر منها في مواضعها اللاّيقة ، و قد روى المخالف والمؤالف قول أمير المؤمنين للحارث الأعور الهمداني :

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني طرفه و أعرفه ... بنعته و اسمه و ما فعلا

فانّ من كان حاضراً عند كلّ ميّت ، عارفاً بوقت موته كيف لا يعرف وقت موت نفسه .

و كفاك دليلا على ماذكرنا أنّ الكليني قد عقد في الكافي باباً على ذلك ، و قال : باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون و أنّهم لا يموتون إلاّ باختيار منهم ، و روى في ذلك الباب عن عليّ بن محمّد عن سهل بن زياد عن محمّد بن عبدالحميد عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرّضا عليه السّلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله و اللّيلة الّتي يقتل فيها ، والموضع الّذى يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الأوز في الدّار : صوايح تتبعها نوايح ، وقول امّ كلثوم: لو صلّيت اللّيلة داخل الدّار وأمرت غيرك يصلّي بالنّاس فأبى عليها ،و كثر دخوله وخروجه تلك اللّيلة بلاسلاح ، وقد عرف عليه السّلام ان ابن ملجم قاتله بالسّيف كان هذا ممّا لم يحسن « لم يجز لم يحلّ خل » تعرّضه ؟ فقال عليه السّلام : ذلك كان ولكنه عليه السّلام خيّر في تلك اللّيلة لتمضى مقادير الله عزّ وجلّ .

وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً عند بعض لكنّه سهل عند آخرين معتضد بأخبار اُخر.

قال العلاّمة المجلسي (ره) في شرحه : منشأُ الاعتراض أنّ حفظ النّفس واجب عقلا وشرعا ، ولا يجوز إلقاؤها الى التّهلكة ، فقال عليه السّلام : ذلك كان ولكنّه خيّر

أى خيّره الله بين البقاء و اللّقاء فاختار لقاء الله ، وهو مبنيّ على منع كون حفظ النّفس واجباً مطلقا ، ولعلّه كان من خصائصهم عدم وجوب ذلك عند اختيارهم الموت وحكم العقل في ذلك غير متّبع مع أنّ حكم العقل في مثل ذلك غير مسلّم .

و في بعض النّسخ أعني نسخ الكافي حيّن بالحاء المهملة و النّون أخيراً ، بدل خير ، قال الجوهريّ : حيّنهُ جعل له وقتا يقال : حيّنت النّاقة إذا جعلت لها في يوم وليلة وقتاً تحلبها فيه انتهى ، فالمعنى أنّه كان بلغ الأجل المحتوم المقدّر و كان لا يمكن الفرار منه .

قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ : وحاصله أنّ من لايعلم أسباب التّقديرات الواقعة يمكنه الفرار عن المحذورات و يكلّف به ، و أمّا من كان عالماً بجميع الحوادث ، فكيف يكلّف الفرار و إلاّ يلزم عدم وقوع شيء من التّقديرات فيه ، بل هم عليهم السلام غير مكلّفين بالعمل بهذا العلم في أكثر التّكاليف .

فانّ النّبي صلّى الله عليه و آله و أمير المومنين عليه السلام كانا يعرفان المنافقين ويعلمان سوء عقايدهم ولم يكونوا مكلّفين بالاجتناب عنهم وترك معاشرتهم وعدم منا كحتهم أو قتلهم وطردهم مالم يظهر منهم شيء يوجب ذلك .

و كذا علم أمير المومنين عليه السلام بعدم الظّفر بمعاوية وبقاء ملكه بعده لم يكن سبباً لأن يترك قتاله ، بل كان يبلغ في ذلك غاية جهده إلى أن استشهد صلوات الله عليه مع أنّه كان يخبر بشهادته واستيلاء معاوية بعده .

و كذا الحسين عليه السلام كان عالما بغدر أهل العراق به و أنّه سيستشهد هناك مع أولاده وأقاربه وأصحابه ، ويخبر بذلك مراراً ولم يكن مكلّفا بالعمل بهذا العلم بل كان مكلّفاً بالعمل بهذا الأمر حيث بذلوا له نصرتهم و كاتبوه وراسلوه ووعدوه البيعة وبايعوا مسلم بن عقيل رضى الله عنه انتهى .

وقال المجلسيّ أيضا في موضع آخر من شرح الكافي : الظاهر من ساير الأخبار أنّه عليه السلام كان عالما بشهادته و وقتها و كان ينتظرها ويخبر بوقوعها ويستبطئها في اللّيلة التي وعدها ويقول : مامنع قاتلي من قتلي انتهى .

فقد ظهر واتّضح بذلك كلّه أنّه عليه السلام كان يعرف تفصيلا زمان قتله ومكانه كما ظهر دفع الاشكال فيه و الاعتراض عليه بأنّه مع المعرفةالتفصيليّة كان الواجب عليه حفظ نفسه وعدم إلقاءه لها إلى التهلكة .

فان قلت : سلّمنا هذا كلّه ولكن ما تصنع بقوله عليه السلام كم اطّردت الأيّام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلاّ إخفاءه ؟

قلت : يمكن توجيهه بأن يكون المراد بهذا الأمر خفاء الحقّ و مظلوميّة أهله وظهور الباطل وغلبة أصحابه و كثرة أعوانه ، لأنّه عليه السلام سعى في أوّل الأمر في أخذ حقّه غاية السّعي فلم يتيسّر وجرت أمور لم يكن يخطر ببال أحد وقوع مثله ، و في آخر الأمر لمّا انتهى إليه و حصل له الأنصار و الأعوان وجاهد في الله حقّ الجهاد وغلب على المنافقين سنحت فتنه التحكيم الّتي كانت من غرايب الأمور ثمّ بعد ذلك لمّا جمع العساكر وأراد الخروج إليهم وقعت الطامة الكبرى ، فالمراد بالمكنون سرّ ذلك وسببه فظهرلي وأبى الله إلاّ إخفاءه عنكم لضعف عقولكم عن فهمه ، إذ هي من غوامض مسائل القضاء والقدر .

و هذا التوجيه أورده المحدّث المجلسيّ في مرآت العقول نقلا عن بعضهم و استحسنه .

ومحصّله أنّ المراد بالأمر المكنون في كلامه عليه السلام سرّ غلبة الباطل على الحقّ وعلّة مظلومية أهل الحقّ ، والمراد باخفاء الله إياه إخفاءه منهم لامنه عليه السلام ، فيكون هذا الكلام منه نظير قوله عليه السلام في الكلام الخامس : بل اند مجت على مكنون علم لوبحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة .

قوله (هيهات علم مخزون) أى بعدالاطلاع على ذلك السرّ فانه علم مخزون ومن شأن المخزون أن يسرّ ويخفى .

ثمّ شرع في الوصيّة فقال : (أما وصيّتي فالله لا تشركوابه شيئاً) أى و حّدوه وأخلصوا العمل له و الزموا أوامره ونواهيه (ومحمّداً صلى الله عليه وآله فلا تضيّعوا سنّته) أى لاتهملوها، وهوأمر بلزوم شرايع الدّين وسلوك نهج الشرع المبين.

وأكد الأمر بالتوحيد واتباع السنة النبوية بقوله (أقيموا هذين العمودين) واستعارلهما لفظ العمود ، لأن مدار الاسلام ونظام أمور المسلمين في المعاش والمعاد على توحيدالله سبحانه و اتباع سنة رسوله ، كما أن مدار الخيمة و الفسطاط على العمود ، والمراد باقامتهما الاعتقاد بهما والعمل بمقتضيات الايمان بهما .

(واوقدوا هذين المصباحين) وهو استعارة اخرى والجامع أنهما يهديان إلى الصراط المستقيم وجنات النعيم ، و يدلان على حظاير القدس و مجالس الأنس ، كما أن بالمصباح يهتدى في غياهب الدجى إلى الطريق المطلوب ، وذكر الايقاد ترشيح للاستعارة (وخلاكم ذم مالم تشردوا) أى سقط عنكم ذم وتجاوزكم فلا ذم يلحقكم مالم تنفروا .

قال في مرآت العقول : و الغرض النهى عن التفرق و اختلاف الكلمة ، أى لا ذم يلحقكم مادمتم متفقين في أمر الدين متمسكين بحبل الأئمة الطاهرين أو المراد النهى عن الرجوع عن الدين وإقامة سنته .

و قوله (حمل كل امرء منكم مجهوده) كلام متصل بماقبله ، لأنه لما قال مالم تشردوا أنبأ عن تكليفهم كلما وردت به السنة النبوية أى كلف كل أحد منكم مبلغ وسعه وطاقته .

ولما كان هذا الكلام بظاهره يعطى أنه سبحانه كلف كل أحد بما هو مبلغ طاقته و نهاية و سعه فبين عليه السلام أن التكليف على حسب العلم و استدرك بقوله (وخفف عن الجهلة) يعني أن الجهال ليسوا مكلفين بما كلف به العلماء و قد قال الله سبحانه :

« إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ » .

وهو بظاهره يدل على أن الجاهل معذور في أكثر الأحكام .

وقوله (رب رحيم) قد عرفت جهات الاحتمال في وجه اعرابه ، وباختلافها يختلف المعنى فافهم ، ووصف الرّب بالرّحمة لمناسبته بالتخفيف عن الجهلة (ودين قويم) ليس فيه أودوا عوجاج (و إمام عليم) أراد به الامام في كلّ زمان ، و يحتمل شموله لرسول الله صلى الله عليه وآله تغليباً ، و ربّما يخصّ بالرّسول صلى الله عليه وآله ، و وصفه بالعلم لكونه عالما بكيفيّة سلوك مسالك الآخرة وقطع مراحلها و منازلها و الهادى فيها بما يقتضيه حكمته من القول والعمل .

و عقّب وصيّته بالتّنبيه على مجارى حالاته لاعتبار الحاضرين و اتّعاظ المشاهدين فقال (أنا بالإمس صاحبكم) أى كنت صحيحاً مثلكم نافذ الحكم فيكم ، و صاحب الأمرو النّهى ، أو صاحبكم الذي تعرفوننى بالقوّة و الشّجاعة (واليوم عبرة لكم) تعتبرون باشرافي على الموت وضعفى عن الحراك بعد ما كنت اصرع الابطال واقتل الأقران (وغدا مفارقكم غفرالله لي ولكم) هذا الكلام نصّ في علمه عليه السلام تفصيلا بزمان موته حسبما قدّمناه .

و تأويل الشّارح المعتزلي لـه بأنّه لا يعنى غداً بعينه بل ما يستقبل من الزّمان كما يقول الانسان الصّحيح: أنا غداً ميّت فمالى أحرص على الدّنيا خروج عن ظاهر الكلام بلا دليل .

فان قلت : الدّليل عليه قوله (إن ثبتت الوطأة في هذه المزلّة فذاك) فانّه يدلّ على أنّه عليه السلام لم يكن يقطع بموته .

قلت : هذا الكلام من قبيل تصوير العالم نفسه بصورة الشّاك لبعض المصالح على حدّ قوله تعالى :

« أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ » .

و كيف كان فمقصوده أنّه إن ثبتت القدم بالبقاء في هذه الدّنيا بأن لايؤدّي الجرح إلى الهلاك فذاك المراد أى مرادكم ، فانّه عليه السلام كان آنس بالموت من الطّفل بثدى امّه ، أو مرادى لأنّه عليه السلام كان راضياً بقضاء الله فمع قضاء الله حياته

وارادته له لايريد غيرما أراده سبحانه (و ان تدحض القدم) وتزلق وهو كناية عن الموت (فانّا كنّا في أفياء أغصان) و ظلالها (و مهبّ رياح) أى محلّ هبوبها (و تحت ظلّ غمام اضمحلّ) و فنى (في الجوّ) أى ما بين السّماء و الأرض (متلفّقها) و ملتئمها (وعفى) وانمحى (في الأرض مخطّها) أى أثرها وعلامتها

و الغرض بهذه الجملات أنّي إن متّ فلا عجب ، فانّا كنّا في امور فانية شبيهة بتلك الأمور ، لأنّها كلّها سريعة الانقضاء لاثبات لها ولابقاء ، أو لاأبالي فانّي كنت في الدّنيا غير راكن إليها كمن كان في تلك الأمور ، وفيه حثّ للقوم أيضاً على الزّهد في الدّنيا وترك الرّغبة في زخافها .

و قيل : أراد على وجه الاستعارة بالأغصان الأركان من العناصر الأربعة ، وبالأفياء تركيبها المعرض للزّوال ، وبالرّياح الأرواح ، وبمهبّها الأبدان الفايضة هي عليها بالجود الالهي ، و بالغمام الأسباب العلويّة من الحركات السّماويّة والاتّصالات الكوكبيّة و الأرزاق المفاضة على الانسان في هذا العالم الّتي هي سبب بقائه ، وكنّى باضمحلال متلفّقها في الجوّ عن تفرّق الأسباب العلويّة للبقاء وفنائها ، وبعفاء مخطّها في الأرض عن فناء آثارها في الأبدان .

(وانما كنت جاراً) أى مجاوراً (جاوركم بدني أيّاما) تخصيص المجاورة بالبدن لأنّها من خواصّ الأجسام أو لأنّ روحه عليه السلام كان معلّقاً بالملاء الأعلاء وهوبعد في الدّنيا (وستعقبون منّي) أى تعطون عقيب فقدى وتجدون بعد رحلتى (جثّة خلاء) أى جسداً و بدناً خاليا من الرّوح و الحواسّ (ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق) أى متبدّلة الحركة بالسّكون والنّطق بالسّكوت (ليعظكم هدّوى) وسكونى (وخفوت اطراقى) أى سكون ارخاء عينى إلى الأرض وهو كناية عن عدم تحريك الأجفان ، وقد مرّ وجوه اُخر في بيان اللغة فتذكّر (وسكون أطرافي) أى الرّاس واليدين والرجلين وغيرها من الجوارح والأعضاء و جناس الخط بين قوله اطرافي و اطراقي غير خفيّ (فانّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع) لأنّ الطّباع أكثر اتعاظاً و انفعالا عن مشاهدة

مافيه من العبرة من الوصف له بالقول المسموع ولو كان بأبلغ لفظ وأفصح عبارة

ثمّ أخذ في توديعهم فقال (وداعيكم وداع امرء مرصد للتلاقي) أى وداعى إيّاكم كوداع رجل مترقّب و منتظر للملاقات من ربّه تعالى و ساير الوجوه مرّ في بيان اللّغة (غداً ترون أيّامي) أى بعد مفارقتي إيّاكم و تولّى بني اميّة و غيرهم أمركم تعرفون فضل أيّام خلافتى و إني كنت بارّاً بكم عطوفاً عليكم و كنت على الحقّ (ويكشف لكم عن سرائرى) و يظهر أنّى ما أردت في حروبى و ساير ما أمرتكم به إلاّ وجه الله عزّ وجلّ و ابتغاء مرضاتـه (و تعرفوننى بعد خلوّمكاني وقيام غيرى مقامي) أى تعرفون عدلى وقدرى بعدقيام غيرى مقامي بالامارةو الخلافة وتظاهره بالمنكرات ، لأنّ الأشياء إنما تتبيّن بضدّها كما قال أبوتمام :

راحت وفود الأرض عن قبره فارغة الأيدي ملاء القلوب
قد علمت ما ورثت إنما تعرف قدر الشمس بعدالغروب

وقيل : والسرّ فيه أنّ الكمل إنما يعرف قدرهم بعد فقدهم ء إذمع شهودهم لايخلو من يعرفهم عن حسد منه لهم ، فكمال قدرهم مخبوء عن عين بصيرته لغشاوة حسده الّتي عليها هذا .

و قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ في شرح هذه الفقرات من رواية الكافي الآتية : **أقول** : ويحتمل أن يكون المراد بقوله : غداً ، أيام الرجعة ويوم القيامة فانّ فيهما تظهر شوكتهم و رفعتهم و نفاذ حكمهم في عالم الملك و الملكوت ، فهو عليه السلام في الرّجعة وليّ انتقام العصاة والكفّار وتمكين المتّقين الأخيار في الأصقاع والأقطار ، و في القيامة وليّ الحساب وقسيم الجنّة والنار و غير ذلك مما يظهر من درجاتهم ومراتبهم السنية فيها ، فالمراد بخلوّمكانه خلوّ قبره عن جسده في الرّجعة أونزوله عن منبر الوسيلة و قيامه إلى شفير جهنّم يقول للنار : خذى هذاو اتركى هذا في القيامة .

قال : و في أكثر نسخ الكتاب أى الكافي: و قيامي غير مقامي ، و هو أنسب بالأخير ، وعلى الأوّل يحتاج إلى تكلّف شديد كأن يكون المراد قيامه عندالله تعالى

في السموات وتحت العرش وفي الجنان في الغرفات وفي دار السلام كما دلّت عليه الرّوايات .

قال : وفي نسخ النّهج وبعض نسخ الكتاب : وقيام غيري مقامي ، فهو بالأوّل انسب ويحتاج في الأخير إلى تكلّف تامّ بأن يكون المراد بالغير القائم عليه السلام فانّه إمام الزّمان في الرّجعة ، وقيام الرّسول صلّى الله عليه وآله مقامه للمخاصمة في القيامة .

قال : ويخطر بالبال أيضا أنّه يمكن الجمع بين المعنيين ، فيكون أسدّ وأفيد بأن يكون ترون أيّامي و يكشف الله عن سرائرى في الرّجعة و القيامة لاتّصاله بقوله : وداع مرصد للتّلاقي ، و قوله عليه السلام : و تعرفوني كلاماً آخر إشارة إلى ظهور قدره في الدّنيا كما مرّ في المعنى الأوّل ، و هذا أظهر الوجوه لاسيّما على النّسخة الأخيرة انتهى .

تذكرة

قد أوردنا في شرح الكلام التّاسع والسّتين قصّة شهادة أمير المؤمنين عليه السلام تفصيلا ، و أحببت أن أوردهنا بعض ماقيل في رثائه عليه السلام .

فأقول : روى في شرح المعتزلي عن أبي الفرج الاصبهاني قال : أنشدني عمي الحسن بن محمّد قال : أنشدني محمّد بن سعد لبعض بني عبدالمطلب يرثي عليّا ولم يذكر اسمه:

يا قبر سيّدنا المجنّ سماحة ... صلّى الإلـه عليك يا قبر
ما ضرّ قبراً أنت ساكنه ... أن لا يحلّ بأرضه القطر
فليغدين سماح كفّك بالثرى ... و ليورقنّ بجنبك الصخر
والله لو بك لم أجد أحداً ... إلاّ قتلت لفـاتنى الوتر

وقال عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطلب:

و هزّ عليّ بالعراقين لحيةً ... مصيبتها جلّت على كلّ مسلم
و قال سيأتيها من الله نازل ... و يخضبها أشقى البريّة بالدّم

فعاجله بالسّيف شلّت يمينه لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم
فياضربة من خاسر ضلّ سعيه تبوّء منها مقعداً فى جهنّم
ففاز أميرالمؤمنين بحظّه وإن طرقت إحدى اللّئام بمعظم
ألا إنّما الدّنيا بلاء و فتنة حلاوتها شيبت بصبرٍ و علقم

وقالت أُمّ الهيثم بنت الأسود النخعيةوهى الّتي استوهبت جثّة ابن ملجم من الحسن عليه السلام فوهبها لها فحرّقتها بالنّار.

ألا يا عين و يحك فاسعدينا ألا تبكى أميرالمؤمنينا
رزينا خيرمن ركب المطايا و حبّسها ومن ركب السّفينا
ومن لبس النّعال ومن حذاها و من قرء المثاني و المئينا
و كنّا قبل مقتله بخير نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الدّين لا ير تاب فيه و يقضى بالفرايض مستبينا
و يدعو للجماعة من عصاه و ينهك قطع أيدي السّارقينا
و ليس بكاتم علما لديه و لم يخلق من المتجبّرينا
لعمر أبي لقد أصحاب مصر على طول الصحابة أرجعونا
و غرّونا بأنّهم عكوف و ليس كذاك فعل العاكفينا
أفي شهر الصّيام فجعتمونا بخير النّاس طرّاً أجمعينا
و من بعد النبيّ فخيرنفس أبو حسن و خير الصّالحينا
كأنّ النّاس إذ فقد واعليّا نعام جال في البلد سنينا
و لو أنّا سئلنا المال فيه بذلنا المال فيه و البنينا
أشاب ذوابتى وأطال حزني أمامة حين فارقت القرينا
تطوف بها لحاجتها إليه فلمّا استيئست رفعت رنينا
و عبرة أُمّ كلثومٍ إليها تجاو بها و قد رأت اليقينا
فلا تشمت معاوية بن صخر فانّ بقيّة الخلفاء فينا
وجمّعت الامارة عن تراض إلى ابن نبيّنا و إلى أخينا

ولا نعطي زمام الأمر فينا سواء الدّهر آخر ما بقينا
وإنّ سراتنا وذوي حجانا تولصوا أن نجيب إذا دعينا
بكلّ مهنّد عضب وجرد عليهنّ الكماة مسوّمينا

روى أحمد بن حازم قال لما بلغ نعي أمير المؤمنين عليه السلام إلى عايشة سجدت لله شكراً ، و لمّا بلغ إلى معاوية فرح فرحاً شديداً وقال : إنّ الأسد الّذي كان يفترش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه ثمّ قال :

قل للأرانب ترعى أينما سرحت و للظّباء بلا خوف و لا وجل

تكملة

قد أشرنا سابقا إلى أنّ هذا الكلام له عليه السلام مرويّ في الكافي على اختلاف لما أورده السّيد في الكتاب فأحببت أن أورد ماهناك ، و هو ما رواه عن الحسين بن الحسن الحسني رفعه ، و محمّد بن الحسن عن إبراهيم بن إسحاق الأحمري رفعه قال: لمّا ضرب أمير المؤمنين عليه السلام حفّ به العوّاد و قيل له : يا أمير المؤمنين أوص ، فقال عليه السلام ثنوا لي وسادة ثمّ قال :

الحمدلله قدره متّبعين أمره ، أحمده كما أحبّ ، ولاإله إلاّالله الواحد الأحد الصّمد كما انتسب ، أيّها النّاس كلّ امرء لاق في فراره مامنه يفرّ ، و الأجل مساق النّفس اليه ، و الهرب منه موافاته ، كم اطّردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عزّ ذكره إلاّ إخفائه ،هيهات علم مكنون (مخزون خل) ، أمّا وصيّتي فأن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئاً ، و محمّداً صلّى الله عليه و آله فلا تضيّعوا سنّته ، أقيموا هذين العمودين ، و أوقدوا هذين المصباحين ، و خلاكم ذمّ مالم تشردوا ، حمل كلّ امرء منكم مجهوده ، وخفّف عن الجهلة ، ربّ رحيم ، وامام عليم ، ودين قويم ، أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم ، إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك المراد ، و إن تدحض القدم فانّا كنّا في أفياء أغصان و ذرى رياح وتحت ظلّ غمامة اضمحلّ في الجوّ متلفّقها ، و عفى في الأرض مخطّها ،

وإنّما كنت جاراً جاوركم بدني أيّاما، وستعقبون مني جثّة خلاءساكنة بعدحركة، وكاظمة بعدنطق ليعظكم هدوّى، وخفوت أطرافي، وسكون أطرافي ' فانّه أوعظ لكم من النّاطق البليغ ، ودّعتكم وداع مرصد التّلاقي ، غداً ترون أيّامي ، ويكشف الله عزّ وجلّ عن سرائرى ، و تعرفوني بعد خلوّ مكاني ، و قيامي غير مقامي ، أنا إن أبق فأنا وليّ دمي ، و إن أفن فالفناء ميعادى ، العفولي قربة ولكم حسنة فاعفوا واصفحوا ألا تحبّون أن يغفرالله لكم ، فيالها حسرة على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة أو تؤدّيه امامه على شقوة ، جعلنا الله . وإيّاكم ممّن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة أو يحلّ به بعدالموت نقمة ، فانّما نحن له وبه .

ثمّ أقبل على الحسن عليه السلام فقال : يا بنيّ ضربة مكان ضربةولاتأثم .

بيان

قال في مرآت العقول « حفّ به » أى أحاط و « العوّاد » جمع عائد و هم الزّائرون للمريض و « الوسادة » مايتّكاء عليه في المجلس ، و ثنّيها إماللجلوس عليها ليرتفع و يظهر للسّامعين ، أو للاتّكاء عليها لعدم قدرتـه على الجلوس مستقلاّ .

و قوله « الحمدلله قدره » أي حمداً يكون حسب قدره و كما هوأهله قائم مقام المفعول المطلق « متبّعين أمره » حال من فاعل الحمد ، لأنه في قوّة أحمده « كما أحبّ » أى حمداً يكون محبوبه وموافقا لرضاه « كما انتسب » أى نسب نفسه إليه في سورةالتوحيد ولذا تسمّى نسبة الرّب و « الأجل » منتهى العمروهو مبتداء و « مساق النّفس » مبتداء ثان و « إليه » خبره و الجملة خبرالمبتداءالأوّل .

« ومحمداً » منصوب بالاغراء بتقديرالزموا و « الفاء » للتفريع و « ذرى رياح» أى مادرته و جمعته شبّه ما فيه الانسان في الدّنيا من الأمتعة و الأموال بماذرتـه الرّياح في عدم ثباتها وقلّةالانتفاع ، فانّها تجمعها ساعة وتفرقها أُخرى ، أوالمراد

محال ذروها و « كاظمة بعد نطق » قال الفيروز آبادي : كظم غيظه ردّه و حبسه و الباب أغلقه .

« ودّعتكم » على صيغة المتكلّم من باب التفعيل و « يكشف الله عن سرائری » لأنّ بالموت ينكشف بعض مايسرّه الانسان من النّاس من حسناته المتعدّية إليهم « إن أبق فأنا وليّ دمی » صدق الشرطيّة لا يستلزم وقوع المقدّم ، و قد مرّ الكلام فيه فلا ينافي ما مرّ من قوله : وغداً مفارقكم « فالفناء ميعادی » كما قال جلّ ثناؤه « كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ».

« العفولي قربة ولكم حسنة » يحتمل أن يكون استحلالا من القوم كماهو الشّايع عند الموادعة أی عفوكم عنّی سبب مزيد قربی و حسناتكم ، أو عفوی لكم قربة وعفوی عنكم حسنة ، فيكون طلب العفو على سبيل التّواضع ومن غير أن يكون منه إليهم جناية ، و في أكثر النّسخ و إن أعف فالعفولي قربة ، أی إن أعف عن قاتلی ، فقوله : ولكم حسنة ، لصعوبة ذلك عليكم حيث تريدون التّشفّی منه وتصبرون على عفوی بعد القدرة على الانتقام .

« فاعفوا واصفحوا » عنّي على الوجه الأوّل أو عن غير قاتلی ممّن له شركة في هذا الأمر ، أوعن جرايم اخوانكم و زلّاتهم و ظلمهم عليكم أو إذا جیء عليكم بمثل هذه الجناية لئلا يناقض قوله عليه السلام : ضربة مكان ضربة ، مع أنّه يحتمل أن يكون معناه إن لم تعفوا فضربة لكن الأمر بالعفو عن مثل هذا الملعون بعيد

التَّرجمة

ازجمله كلام آن امام است پيش ازمرك خود ميفرمايد :

أی مردمان هر مردی ازشما ملاقات كننده است در گريختن خود بآنچه كه ميگريزد از آن ، ومدت عمر محل جريان نفس است بنهايت آن ، و گريختن ازمرك رسيد نست بآن ، بسا گردانيدم روزگاررا رانده شده ازخود درحالتی كه نيك تفحّص ميكردم از پوشيدهٔ اين كار پس امتناع فرمود حقتعالی مگر پنهان كردن آن را ، چه دور

است مطّلع شدن بآن ، این علم علمیست پوشیده شده .

وأمّا وصیّت من بشما پس اینست که پروردگار عالمیان‌را شریك قرارندهید و محمّد بن عبدالله ﷺ ضایع نگردانید سنّت و شریعت او را ، برپا دارید این دوستون اسلام را،وبرافروزیداین‌دوچراغ‌هدایت را وخالی‌باشد ازشمامذمّت مادامی که رم ننمائید از توحید پروردگار وشریعت سیّد مختار .

برداشت هرمردی از شما تکلیفی که بأندازهٔ وسع وطاقت اواست ، و تخفیف داده شد بار تکلیف از جاهلان و ضعیفان ، خدای شما خدائیست مهربان ، و دین شما دینی است راست ، و امام شما امامی است عالم و آگاه ، من دیروز مصاحب شما بودم ، و امروز که با این حالت ضعف افتاده‌ام عبرتم از برای شما ، و فردا مفارقت کننده‌ام از شما بیامرزد خدای تعالی مرا وشما را ، اگر ثابت بشود قدم من در این دنیا که محلّ لغزش است پس اینست مقصود شما ، و اگر بلغزد قدم پس بدرستی که مابودیم در سایهای شاخهای درخت ومحلّ وزیدن بادها و در زیر سایهٔ أبرها که نیست شد ونابود گشت ودر هوا جمع شده آن ابرها ومندرس شد در زمین اثر آنها .

وجزاین‌نیست که‌بودم من‌همسایه که همسایگی‌نمود باشما بدن‌من‌چند روزی وزود باشد که بیابید بعد ازمن بدنی که خالی باشد از روح ، چنان بدنی که ساکن باشد بعداز حرکت ، و خاموش باشد بعداز گفتار ، تا وعظ نماید بشما سکون من وچشم در پیش افکندن من ، وساکن شدن أطراف بدن من .

پس بدرستی که مرك پند دهنده‌تر است از برای عبرت یابندگان از گفتار بلیغ وفصیح ، وازقول مسموع صریح ، وداع کردن من شما را وداع مردیست که مهیا شده ازبرای ملاقات پروردگار ، فردا می‌بینید روزهای مرا ، و کشف میشود شما را ازسرّهای من ، و بشناسید عدالت وقدر مرا بعداز خالی بودن مکان من از من ،و ایستادن غیر من بجای من با امارت وخلافت وبی‌مبالاتی‌او دردین .

و من خطبة له عليه السلام فى الملاحم و هى المأة و الخمسون من المختار فى باب الخطب

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَ شِمالاً طَعْناً فِي مَسالِكِ الْغَيِّ ، وَ تَرْكاً لِمَذاهِبِ الرُّشْدِ ، فَلا تَسْتَعْجِلوا ما هُوَ كائِنٌ مُرْصَدٌ ، وَلا تَسْتَبْطِئُوا ما يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِما إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ ، وَ ما أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَباشيرِ غَدٍ ، يا قَوْمِ هذا إِبّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ ، وَ دُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ ما لا تَعْرِفُون ، أَلا وَ مَنْ أَدْرَكَها مِنّا يَسْري فِيها بِسِراجٍ مُنيرٍ ، وَ يَحْذُو فيها عَلى مِثالِ الصّالِحِينَ ، لِيُحِلَّ فِيها رِبْقاً ، وَ يُعْتِقَ رِقّاً ، وَ يَصْدَعَ شَعْباً ، وَ يَشْعَبَ صَدْعاً ، في سُتْرَةٍ عَنِ النّاسِ لا يُبْصِرُ الْقائِفُ أَثَرَهُ وَ لَوْ تابَعَ نَظَرَهُ ، ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيها قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ ، يُجْلى بِالتَّنْزيلِ أَبْصارُهُمْ ، وَ يُرْمى بِالتَّفْسيرِ في مَسامِعِهِمْ ، وَ يُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

منها وَطالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَ يَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ حَتّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ ، وَاسْتَراحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ ، وَاشْتالُوا عَنْ لَقاحِ حَرْبِهِمْ ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ ، وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ

فِي الْحَقِّ ، حَتَّىٰ إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ ، وَ دَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ ، حَتَّىٰ إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَىٰ الْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَىٰ الْوَلَائِجِ ، وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ ، وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ ، عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

اللغة

(ظعن) ظعناً من باب منع وظعناً بالتّحريك سار و (التباشير) أوائل الصّبح و كلّ شيء ، و (إبّان) الشيء بكسر الهمزة وتشديد الباء الموحّدة وقته و زمانه و (الرّبق) بالكسر فالسّكون حبل فيه عدّة عري يشدّ به البُهم و كلّ عروة ربقة بالكسر والفتح والجمع ربق ورباق و أرباق و (يشحذنّ) على البناء المفعول من الشّحذ وهو التّحديد و (القين) الحدّاد و (النّصل) حديدة الرّمح والسّهم والسّيف ما لم يكن له مقبض و (الغبوق) وزان صبور الشّرب بالعشيّ و غبقه سقاه ذلك و (الصّبوح) كصبور أيضاً الشّرب بالغداة ، وصبّحهم سقاهم صبوحاً وقد يطلق الغبوق والصّبوح على مايشرب بالعشيّ والغداة .

و (الغير) بكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثنّاة قال في مجمع البحرين :

في الحديث : الشكر أمان من الغير ، ومثله من يكفر بالله يلقى الغير ، أى تغيّر الحال وانتقالها عن الصّلاح إلى الفساد و (شالت) النّاقة ذنبها وأشالته رفعته فشال الذّنب نفسه لازم متعدّ و (اللقاح) بالفتح اسم ماء الفحل لقحت النّاقة من باب سمع لقاحاً أى قبلت اللّقاح فهى لاقح أى حامل و (غاله) السّيل أهلكه كاغتاله و (الرّص) مصدر من رصّ الشيء ألصق بعضه ببعض وضمّ كرصّصه قال تعالى :

« كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ »

وتراصّوا في الصّف تلاصقوا وانضمّوا و (مار) الشيء من باب قال تحرّك بسرعة قال سبحانه :

«يَوْمَ تَمُورُ السَّمآءُ مَوْراً»

الاعراب

قال الشّارح المعتزلي : ينصب ظعناً وتركا على المصدريّة والعامل فيهما من غير لفظهما وهو أخذوا ، انتهى .

والصّواب أنّهما حالان من فاعل أخذوا على التّأويل بالفاعل ، أى ظاعنين و تاركين ، و يا قوم بكسر الميم منادى مرخّم ، و قوله : في سترة خبر لمبتداء محذوف و جملة لايبصر القائف أثره حال مؤكّدة نحو : وليّ مدبراً ، و جملة يجلى بالتّنزيل في محلّ الرّفع صفة لقوم ، و قوله : حتّى اذا اخلولق الأجل ، جواب اذا محذوف بقرينة جواب اذا الآتية أعنى قوله : حملوا بصائرهم ، و جملة لم يمنّوا حال من فاعل اشتالوا ، وقوله : معادن كلّ خطيئة ، خبر لمبتداء محذوف والجملة فى محلّ الرّفع صفة لقوم .

وقوله : على سنّة من آل فرعون من منقطع آه ظرف مستقرّ حال من فاعل ذهلوا ، و من الأولى نشويّة ابتدائيّة و الثّانية أيضاً للابتداء ، ومجرور الثانية بدل من مجرور الأولى بدل اشتمال نظير قوله تعالى :

«نُودِيَ مِنْ شاطِىءِ ٱلوادِ الْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ»

قال ابن هشام : من فيهما للابتداء ومجرور الثانية بدل من مجرور الأولى بدل اشتمال لأنّ الشّجرة كانت نابتة بالشّاطىء انتهى .

و ربّما يعترض عليه بانّه لابدّ على ذلك من تقدير ضمير يعود على المبدل منه ، واجيب عنه بأنّ تكرار من يغني عن تقدير الضّمير ، هذا .

و يحتمل كون من الثانية للتّبيين فهي إمّا بيان لمجرور من الأولى على حدّ قوله تعالى :

«وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا» .

أو بيان لمعادن كلّ خطيئة ، و الأوّل أقرب لفظاً والثّاني معنى، فافهم .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام يذكر في هذه الخطبة قوماً من فرق الضّلال زاغوا عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى ومدارها على فصول :

الفصل الاول

قوله عليه السلام : (وأخذوا يميناً و شمالا ظعنا في مسالك الغيّ و تركا لمذاهب الرّشد) أى مرتحلين في مسالك الغيّ و الضّلال ، و تاركين لمذاهب الرّشد والسّداد ، فانّ اليمين و الشّمال مضلّة والطّريق الوسطى هي الجادّة على ماتقدّم تفصيلا في شرح الفصل الثّاني من الكلام السّادس عشر ، فمن أخذ بالشّمال واليمين ضلّ لا محالة عن النّهج القويم والصراط المستقيم .

ثمّ نهاهم عن استعجال ماكانوا يتوقّعونه من الفتن الّتي أخبرهم الرّسول صلّى الله

و هو عليه السلام بوقوعها في مستقبل الزّمان ، و كانوا يسألونه عليه السلام عنها ويستبطؤون حصولها فقال : (فلا تستعجلوا ماهو كائن مرصد) أى مترقّب ومعدّ (ولاتستبطؤوا ما يجيء به الغد) و علّل النّهى عن الاستعجال بقوله (فكم من مستعجل بما إن أدركه) حريص عليه (ودّ أنّه لم يدركه) وذلك لأنّه ربّما يستعجل أمراً غفلة عمّا يترتّب عليه من المفاسد والمضارّ ، وجهلا بما يتضمّنه من الشّرور والمعايب فاذا أدركه ظهر له ماكان مخفيّاً عنه فيودّ أن لاينيله ولا يدركه قال سبحانه :

« وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ».

ولمّا نهاهم عن استبطاء مايجيء به الغد أشار إلى قربه بقوله (و ما أقرب اليوم من تباشير غد) وأوائله كما قال الشّاعر : غد ما غد ما أقرب اليوم من غد .

ثمّ قال عليه السلام: (ياقوم هذا إبّان ورود كلّ موعود) أى وقت وروده وزمانه و المستفاد من شرح البحراني أنّ المقصود بهذه الجملة تقريب ذلك الموعود من الفتن، و من شرح المعتزلى أنّها إشارة إلى قرب وقت القيامة وظهور الفتن التى يظهر أمامها ، و الانصاف أنّ كلامه عليه السلام متشابه المراد ، لأنّ السّيد (ره) حذف أوّل الخطبة وساقها على غير نسق ، فأوجب ذلك إبهام المرام وإعضال الكلام ، و كم له (ره) من مثل هذا الاسلوب المخالف للسّليقة في هذا الكتاب الموجب للغلق والاضطراب هذا .

وقوله : (ودنوّ من طلعة مالاتعرفون) أى هذا وقت قرب ظهور مالاتعرفون من تلك الملاحم والفتن الحادثة بالتّفصيل .

قال الشّارح المعتزلي : لأنّ تلك الملاحم و الأشراط الهايلة غير معهود مثلها ، نحو دابّة الأرض ، والدّجال وفتنته ومايظهر على يده من المخاريق والأمور الموهمة ، وواقعة السّفياني وان يقتل فيها من الخلائق الذي لايحصى عددهم ، انتهى

ثمّ أشار إلى سيرة أهل بيته عليهم السلام عند ظهور هذه الفتن فقال (ألا ومن أدركها منّا) أهل البيت (يسرى فيها) أى في ظلمات هذه الفتن (بسراج منير) أى بنور

الامامة والولاية ، فلا توجب ظلماتها انحرافه عن طريق الهدى ، ولا توقع له شبهة في عقيدته الصّادقة الصّافية بل يسلك فيها مسلك الحقّ المبين (و يحذوفيها على مثال) أسلافه (الصّالحين) و يقتفى آثار أولياء الدّين (ليحلّ فيها ربقا و يعتق رقّاً) أى يستفكّ الهدى و ينقذ مظلومين من أيدى الظّالمين ، ويحتمل أن يكون كناية عن حلّه فيها ربق الشّك من أعناق النّفوس وعتقها من ذلّ الجهل (ويصدع شعباً و يشعب صدعا) أى يفرّق ما اجتمع و اتّفق من الضّلال و يصلح ما تشتّت وتفرّق من الهدى .

وقوله : (في سترة عن النّاس) قال الشّارح المعتزلي هنا بعد بنائه على أنّ المراد بالموصول في قوله عليه السلام سابقاً : و من أدركها ، هو مهدىّ آل محمّد سلام الله عليه وعلى آبائه الطّاهرين : إنّ هذا الكلام يدلّ على استتار هذا الانسان المشار إليه وليس ذلك بنافع للاماميّة في مذهبهم وإن ظنّوا أنّه تصريح بقولهم ، وذلك لأنّه من الجايز أن يكون هذا الامام يخلقه الله في آخر الزّمان ويكون مستتراً مدّة و له دعاة يدعون إليه ويقرّرون أمره ثمّ يظهر بعد ذلك الاستتار ويملك المماليك ويقهر الدّول ويمهّد الأرض كماورد في الخبر انتهى .

أقول : قد أشرنا في شرح الخطبة المأة والثّامنة والثلاثين أنّ المهدىّ صاحب الزّمان عليه صلوات الرّحمن مخلوق موجود الآن ، و أنّ خلاف المعتزلة و من حذاحذوهم فيه و إنكارهم لوجوده بعد ممّا لايعبأ به بعد قيام البراهين العقليّة والنقلية ودلالة الأصول المحكمة على وجوده كما هو ضروريّ مذهب الاماميّة رضوان الله عليهم ، وكتب أصحابنا في الغيبة كفتنا مؤنة الاستدلال في هذا المقام

و كيف كان فلو أريد بالموصول خصوص امام الزّمان عليه السلام لابدّ أن يكون المراد بقوله : في سترة عن النّاس ، غيبته واستتاره عن أعين النّاس ، ويكون قوله (لايبصر القائف أثره ولو تابع نظره) إشارة إلى شدّة استتاره و عدم إمكان الوصول إليه و لو استقصى في الطلب وبولغ في النّظر و التّأمل إلاّ للأوحدىّ من النّاس إذا اقتضت الحكمة الالهيّة ، و لو اريد به العموم كان المقصود بماقاله الشّارح

البحراني حيث قال : وما زالت أئمة أهل البيت عليهم السلام مغمورين في النّاس لايعرفهم إلاّ من عرّفوه أنفسهم حتّى لو تعرّفهم من لا يريدون معرفته لم يعرفهم ،لست أقول لم يعرف أشخاصهم بل لايعرف أنّهم أهل الحقّ والأحقّون بالأمر .

(ثمّ ليشحذنّ فيها قوم شحذ القين النّصل) قال الشّارح المعتزلي: يريد ليحرضنّ في هذه الملاحم قوم على الحرب وقتل أهل الضّلال ، وليوطنّنّ عزائمهم كما يشحذ الصّيقل السّيف ويطلق حدّه .

و قال الشّارح البحراني : أى في أثناء ما يأتي من الفتن تشحذ أذهان قوم و تعدّ لقبول العلوم و الحكمة كما يشحذ الحدّاد النّصل ، و لفظ الشّحذ مستعار لاعداد الأذهان ، و وجه الاستعارة الاشتراك في الاعداد التّام النّافع ، فهو يمضى في مسائل الحكمة و العلوم كمضىّ النّصل فما يقطع به و هو وجه التّشبيه المذكور ، انتهى .

أقول : فعلى قول الأوّل يكون المراد بقوله عليه السلام : قوم ، أنصار إمام الزمان عليه السلام و أصحابه ، و على قول الثّاني يكون المراد به علماء الامّة المستجمعين لكمالات النفوس ، السّالكين لسبيل الله من جاء منهم قبلنا ومن يأتي في آخر الزمان

ووصف هولاء بقوله (يجلى بالتنزيل أبصارهم ويرمى بالتّفسير في مسامعهم) أى يكشف الرّين وتدفع ظلمات الشّكوك والشّبهات عن أبصار بصائرهم بالقرآن والتّدبر في بديع اسلوبه ومعانيه، ويرمى بتفسيره حقّ التفسير في مسامعهم، و الجملة الثّانية بمنزلة التّعليل للأولى ، يعني أنّهم لتلقّيهم تفسيره على مايحقّ وينبغي من أهل الذكر الذين هم معادن التنزيل والتّأويل وتحصيلهم المعرفة عنهم عليهم السلام بمعانيه و مبانيه واسراره الباطنة والظاهرة وحكمه الجليّة والخفيّة ارتفعت غطاء الشّبهات و غشاوة الشّكوكات عن ضمائرهم و بصائرهم ، فاستعدّت أذهانهم لادراك المعارف الحقّة والحكم الالهيّة ، ولم يزل الأسرار الرّبانيّة والعنايات الالهيّة تفاض اليهم صباحاً ومساء .

وهو معنى قوله : (ويغبقون كأس الحكمة بعد الصّبوح) وهو من باب الاستعارة

بالكناية حيث شبّه الحكمة التي هي عبارة عن المعارف المتضمّنة لصلاح النشأتين بالشّراب، والجامع عظم المنفعة واللّذة فيهما وإن كانت منفعة الأولى للأرواح وبها التذاذها وكمالها، ونفع الثّاني للأبدان ومنه حظّها، واثبات الكأس تخييل، وذكر الغبوق والصّبوح ترشيح.

الفصل الثاني

(منها) قوله عليه السلام (وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزى ويستوجبوا الغير)

قال الشارحان البحراني والمعتزلي: هذا الفصل من كلامه يتّصل بكلام قبله لم يذكره الرّضيّ قد وصف فيه فئة ضالّة قد استولت و ملكت و املى لها الله سبحانه انتهى.

ان قيل: كيف ساغ جعل طول الأمد علّة لاستكمال الخزى؟

قلت: اللاّم هنا ليست على التّعليل حقيقة بل هي على العلّية المجازيّة كما في قوله سبحانه «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً» حيث شبّه ترتّب كونه عدوّاً و حزناً على الالتقاط بترتّب العلّة الغائية على معلولها، فاستعمل فيه اللاّم الموضوعة للعليّة، وفيما نحن فيه أيضاً لمّا كان طول المدّة سبباً لتماديهم في الغيّ والغفلة، وفعلهم للآثام والمعاصي بسوء اختيارهم، وكان فعل المعاصي جالباً لكمال الخزى، و موجباً لتغيّر النّعم، فجعلوا بفعلهم للمعاصي بمنزلة الطّالبين لكمال الخزى، ثمّ رتّب استكمال الخزى على طول الأمد واستعمل اللاّم الموضوعة للعليّة فيه و مثله قوله تعالى:

«وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

ومحصّل المرام أنّهم بطول بقائهم في الدّنيا ركبوا الذّنوب والمعاصي، فاستحقّوا بذلك الخزى والنّكال، واستوجبوا تغير النّعمة بسوء الأعمال

لأنّ «اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ» قال «وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذٰلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ».

(حتّى إذا اخلولق الأجل) قال الشّارح البحراني: أى صارخليقاً، وليس بشيء، لأنّ اخلولق لم يذكرله إلاّ الفاعل فهو فعل تامّ بمعنى قرب، وما ذكره معنى اخلولق اذا ذكرله اسم وخبر وكان فعلا ناقصاً مثل: اخلولق السّماء أن تمطر أى صار خليقاً للأمطار، وكيف كان فالمراد أنّه قرب انقضاء مدّة هؤلاء الضّالين المستكملين للخزى والمستوجبين للغير.

(واستراح قوم إلى الفتن) أى مال وصبا قوم من الشّيعة وأهل البصرة إلى فتن تلك الفئة الضّالّة، ووجدوا الرّاحة لأنفسهم في توجّههم إليها (واشتالوا عن لقاح حربهم) أى رفع هؤلاء المستريحون أنفسهم عن تهيّج الحرب بينهم و بين هذه الفئة، وشبّه الحرب بالنّاقة اللاّقح وأثبت لها اللّقاح تخييلا، والمراد أنّهم تركوا محاربتهم ورفعوا أيديهم عن سيوفهم إمّا لعجزهم عن القتال أولعدم قيام القائم بالأمر فهادنوهم وألقوا اليهم السّلم.

حال كونهم (لم يمنّوا على الله بالصّبر) على مشاقّ القتال، وفي رواية: بالنّصر، أى بنصرهم لله (ولم يستعظموا بذل أنفسهم في) طلب (الحقّ) ونصرته (حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء) أى ورد القضاء الالهي بانقطاع بلاء هذه الفئة الضّالة وانقضاء ملكهم وأمارتهم وأذن الله في استيصالهم بظهور من يقوم بنصر الحقّ ودعوته اليه (حملوا) أى هؤلاء المستريحون إلى الفتن (بصائرهم على أسيافهم) لحرب أهل الضّلال، قال الشّارح المعتزلي: وهذا معنى لطيف، يعني أنّهم أظهروا بصائرهم و عقايد قلوبهم للنّاس وكشفوها و جرّدوها من أجفانها مع تجريد السّيوف من أجفانها فكأنها شيء محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف، فترى في

غاية الجلاء والظهور كما ترى السيوف المجرّدة (ودانوا لربّهم بأمر واعظهم) أشار به إلى الامام القائم عجّل الله ظهوره، هذا.

وللشرّاح في شرح هذا الفصل من كلامه عليه السلام اضطراب عظيم، وتحيّروا في مراجع الضماير الموجودة فيه، و اضطرّوا في إصلاح نظم الكلام إلى التأويلات الباردة التي يشمئزّ عنها الأفهام، ونحن شرحناه بحمد الله على ما لا يخرجه من السلاسة والنظم بمقتضى سليقتنا، والعلم بعد موكول إلى صاحب الكلام عليه السلام

الفصل الثالث

في اقتصاص حال المرتدّين بعد قبض الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وظاهر هذا الفصل يعطى أن يكون قبله كلام أسقطه الرّضيّ حتى يكون هذا الكلام غاية له، و إلاّ فلا ارتباط له بالفصل المتقدّم.

يقول عليه السلام: (حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم رجع قوم على الأعقاب) وتركوا ما كانوا عليه من الانقياد للشريعة و امتثال أوامر الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمراد بهؤلاء القوم الغاصبون للخلافة ومتّبعوهم والمقتفون اثرهم (وغالتهم السبل) أى أهلكتهم سبل الضلال وعدو لهم عن سبيل الحقّ قال سبحانه:

«وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ».

وقد فسّر السبيل في هذه الآية وفي غير واحد من الآيات بالأئمة وولايتهم، وفسّر السبل بأئمة الضلال و ولايتهم وقد مضى طرف من الأخبار في هذا المعنى في شرح الفصل الثاني من الكلام السابع عشر

و أقول هنا: روى في البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمّد الفزارى معنعناً عن حمران، قال سمعت أباجعفر يقول في قول الله:

«وَإِنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ».

قال : عليّ بن أبيطالب و الأئمة من ولد فاطمة عليهم السلام هم صراط الله ، فمن أتاهم سلك السبيل. ومن كنز جامع الفوايد و تأويل الآيات عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النضر عن يحيى الحلبي عن أبي بصير عن أبي جعفر في قوله :

« وَإِنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ ».

قال : طريق الامامة فاتّبعوه

« وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ».

أى طرقاً غيرها .

و عن محمّد بن القاسم عن السيارى عن محمّد بن خالد عن حماد عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال قوله عزّ وجلّ :

« يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً ».

يعني عليّ بن أبيطالب عليه السلام

و من تفسير الامام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من عبد و لا أمة اعطى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام في الظاهر ونكثها في الباطن وأقام على نفاقه الاّ وإذا جائه ملك الموت لقبض روحه تمثّل له ابليس وأعوانه ، وتمثّلت النيران وأصناف عفاريتها لعينيه وقلبه ومقاعده مقاعد الناكث من مضايقها ، وتمثّل له أيضاً الجنان ومنازله فيها لو كان بقى على ايمانه و وفى ببيعته فيقول له ملك الموت : انظر إلى تلك الجنان التي لايقادر قدر سرّائها و بهجتها و سرورها إلاّ الله ربّ العالمين كانت معدّة لك ، فلو كنت بقيت على ولايتك لأخى محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكون إليها مصيرك يوم فصل القضاء ، ولكن نكثت و خالفت فتلك النيران و أصناف عذابها و زبانيتها و أفاعيها الفاغرة أفواهها وعقاربها الناصبة أذنابها وسباعها الشائلة مخالبها و ساير أصناف عذابها هولك وإليها مصيرك فعند ذلك يقول :

« يا لَيتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً » .

وقبلت ما أمرني بهوالتزمت من موالاة علي عليه السلام ما ألزمني .

(واتكلوا على الولايج) أى اعتمدوا في آرائهم الفاسدة وبدعهم المبتدعة على أهلهم وخواصّهم في نصرة ذلك الرّأى و ترويج تلك البدعة (ووصلوا غير الرّحم) أى رحم آل محمّد واللاّم عوض عن المضاف إليه يعني أنّهم قطعوا رحم الرّسول صلّى الله عليه وآله بحسبانهم أنّها لا تنفع ، ووصلوا غيرها لانتفاعهم في دنياهم بها .

وهؤلاء هم الّذين أشار إليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث المرويّ في البحار من أمالي الشّيخ و ابنه عن المفيد معنعناً عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول على المنبر : ما بال أقوام يقولون إنّ رحم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا ينفع يوم القيامة ، بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدّنيا والآخرة،وإنّي أيّها النّاس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فاذا جئتم قال الرّجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول: أمّا النّسب فقد عرفته ولكنّكم أخذتم بعدى ذات الشّمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى .

وفيه منه باسناده عن حمزة بن أبي سعيد الخدرى أيضاً عن أبيه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : أتزعمون أنّ رحم نبيّ الله لاينفع قومه يوم القيامة ؟ بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدّنيا والآخرة ، ثمّ قال : يا أيّها النّاس أنا فرطكم على الحوض فاذا جئت و قام رجال يقولون يا نبيّ الله أنا فلان بن فلان ، و قال آخر يا نبيّ الله أنا فلان بن فلان ، وقال آخر يا نبيّ الله أنا فلان بن فلان ، فأقول : أمّا النّسب فقد عرفت ولكنّكم أحدثتم بعدى و ارتددتم القهقرى

قال العلاّمة المجلسيّ ره بعد رواية هذا الحديث : الظّاهر أنّ المراد بالثلاثة الثّلاثة .

(وهجروا السبب الّذى أُمروا بمودّته) أراد بهم آل محمّد عليهم السّلام أيضاً لكونهم سبباً لمن اهتدى بهم في الوصول إلى الله سبحانه .

ويدلّ عليه ما رواه في البحار من أمالي الشّيخ وابنه بسنده عن محمّد بن المثنى الأزدي أنّه سمع أباعبدالله عليه السلام يقول. نحن السّبب بينكم وبين الله عزّ وجلّ وقد امرنا الله بمودّتهم في قوله:

«قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ».

و قال رسول الله في مرويّ البحار من كتاب العمدة من مناقب الفقيه ابن المغازلي الشّافعي باسناده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لمّا خلق الله الخلق اختار العرب فاختار قريشاً واختار بني هاشم فأنا خيرة من خيرة، ألا فأحبّوا قريشاً ولا تبغضوها فتهلكوا، ألا كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي، ألا وإنّ علي بن أبيطالب عليه السلام من نسبي وحسبي فمن أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقدأبغضني.

قال الشّارح المعتزلي في شرح قوله: وهجروا السّبب: يعني أهل البيت، وهذا إشارة إلى قول النّبي صلّى الله عليه وآله: خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السّماء إلى الأرض لا يفترقان حتّى يرداعليّ الحوض فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السّبب لما كان النبي صلّى الله عليه وآله قال: حبلان، والسبب في اللغة الحبل، انتهى.

أقول: وقد استعير لهم عليهم السلام لفظ الحبل في غير واحد من الآيات، قال شيخنا أبوعليّ الطبرسي في تفسير قوله تعالى:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا»

قيل في معنى حبل الله أقوال: **أحدها** أنّه القرآن **ثانيها** أنّه دين الاسلام **وثالثها** مارواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: نحن حبل الله الذي قال: واعتصموا بحبل الله جميعاً، والأولى حمله على الجميع.

والّذي يؤيّده ما رواه أبوسعيد الخدري عن النّبيّ أنّه قال: ياأيّها النّاس إنّي قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ألا و إنّهما لن

يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

وفي البحارمن تفسير عليّ بن إبراهيم في هذه الآية قال : التّوحيد والولاية وفي رواية أبي الجارود في قوله تعالى : و لا تفرّقوا ، قال : إنّ الله تبارك وتعالى علم أنهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون ، فنهاهم الله عن التفرّق كما نهى من كان قبلهم ، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد صلّى الله عليه وآله ولايتفرّقوا .

و في البحار أيضا من كنز جامع الفوايد و تأويل الآيات رواية عن صاحب نهج الايمان ، عن الحسين بن جبير باسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

« إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ » .

قال : حبل من الله كتاب الله ، وحبل من النّاس عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

وفيه من الكتاب المذكور أيضا مسنداً عن حصين بن مخارق عن أبي الحسن موسى عن آبائه عليهم السلام في قوله عزّ وجلّ :

« فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى » .

قال: مودّتنا أهل البيت .

و في الكّافي من معاني الأخبار عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى الّتي لاانفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصيّي عليّ بن أبيطالب فانّه لايهلك من أحبّه وتولاّه ، ولاينجو من أبغضه وعاداه .

(و نقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه) أى نقلوا بناء الدّين والايمان عن أساسه المرصوص المستحكم اللاّصق بعضه ببعض ، فبنوه في غير موضعه وهو اشارة إلى عدولهم بالخلافة عن أصلها ومكانها اللاّيق به إلى غيره ، وهوتوبيخ وتقريع آخر لأولئك المنافقين بعد ولهم عن أولياء المؤمنين و أئمة الدّين ، كما وبّخ الله اخوانهم في هذا المعنى بقوله:

«أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلىٰ تَقْوىٰ مِنَ اللهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلىٰ شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ».

يعني أنّ المحقّ اسّس بنيان دينه على قاعدة محكمة و أساس وثيق و هو الحقّ الّذي هو التّقوى من الله وطلب مرضاته بالطّاعة ، والمبطل أسّس بنيانه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنّفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلّة الثّبات فهوى به الباطل في نار جهنّم.

ثمّ وصفهم بأوصاف اُخرى فقال (معادن كلّ خطيئة) قال الشّارح البحراني أي إنّهم مستعدّون لفعل كلّ خطيئة و مهيّؤن لها ، فهم مظانّها ، ولفظ المعادن استعارة ، انتهى .

أقول : والظّاهر أنّ المراد أنّهم معدن كلّ خطيئة صدرت من هذه الاُمّة و أصل كلّ ذنب واقع منهم و منشاه ومبدء الشّرور و المساوى ، وذلك باغتصابهم للخلافة إذ لواستقرّت في أهلها أعنى أهل بيت العصمة والطهارة لحملوا النّاس على الحنيفيّة البيضاء، وجرى الاُمور على وفق الحقّ فضلّوا وأضلّوا .

«وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ»

روى في الصّافي عن العيّاشي عن الباقر عليه السلام ماذا أنزل ربّكم في عليّ ؟ قالوا: أساطير الأوّلين سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم ليحملوا أوزارهم ليستكملوا الكفر ليوم القيامة ومن أوزار الّذين يضلّونهم يعني كفر الّذين يتولّونهم

و عن عليّ بن إبراهيم القمّي قال : يحملون آثامهم يعني الّذين غصبوا امير المؤمنين و آثام كلّ من اقتدى بهم ، وهو قول الصّادق عليه السلام : والله ما اهريقت

محجمة من دم ولا قرع عصا بعصا ولاغصب فرج حرام ولا اخذ مال من غير حلّه إلاّ وزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء .

وفي حديث مفضّل بن عمر الوارد في الرّجعة عن الصّادق عليه السلام بعد اقتصاصه مسير المهدي عليه السلام إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله و إخراجه بضجيعيه و أمره بصلبهما قال : فيأمر المهدى ريحا فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية ، ثمّ يأمر بانزالهما فينزلان فيحييهما باذن الله تعالى ويأمر الخلايق بالاجتماع ، ثمّ يقصّ عليهم قصص أفعالهم في كلّ كور ودور حتّى يقصّ عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام ، و جمع النّار لابراهيم ، و طرح يوسف في الجبّ ، وحبس يونس في بطن الحوت ، و قتل يحيى ، وصلب عيسى ، وعذاب جرجيس ، ودانيال ، وضرب سلمان الفارسى ، واشعال النّار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسنين عليهم السلام وإرادة إحراقهم بابها ، وضرب صديقة الكبرى فاطمة الزّهراء بسوط ، ورفس بطنها و إسقاطها محسنا ، و سمّ الحسن عليه السلام ، وقتل الحسين وذبح أطفاله وبني عمّه وأنصاره وسبى ذرارى رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمّد ، وكلّ دم مؤمن ، وكلّ فرج نكح حراما ، و كلّ ربا اكل ، وكلّ خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا ، كلّ ذلك يعدده عليهما و يلزمهما إيّاه و يعترفان به ثمّ يأمر بهما فيقتصّ منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر ، الحديث .

(و) بما ذكرنا ظهر أيضاً أنّهم (أبواب كلّ ضارب في غمرة) يعني أنّ كلّ من أراد الباطل والضّلال فليقصد هؤلاء وليرمق أعمالهم وليتّبع آثارهم ، إذ كلّ ضلال قد خرج منهم و انتشر في مشارق الأرض و مغاربها ، فهم أبواب الضلال كما أنّ الأئمة عليهم السلام أبواب الهدى .

روى في البحار من كنز جامع الفوايد وتأويل الآيات عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ

ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ».

قال : هو الأوّل ثاني عطفه إلى الثّاني ، وذلك لما أقام رسول الله أمير المؤمنين علماً للناس و قال : والله لانفى بهذه له أبداً (قد ماروا في الحيرة) أى تردّدوا في أمرهم ، فهم حائرون تائهون لا يعرفون جهة الحقّ فيقصدونه ، وذلك بعد و لهم عن أئمة الدين وأدلاء الشّرع المبين.

روى العلاّمة المجلسيّ من كتاب المحاسن عن محمّد بن عليّ بن محبوب عن العلا عن محمّد بن مسلم قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه بلا إمام عادل من الله فانّ سعيه غير مقبول ، و هو ضالّ متحيّر ، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها و قطيعها فتاهت ذاهبة وجائية يومها ، فلمّا أن جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فجائت إليها فباتت معها في ربضها (١) ، فلمّا أن ساق الرّاعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيّرة تطلب راعيها و قطيعها ، فبصرت بسرح (٢) قطيع غنم آخر فعمدت نحوها وحنّت إليها ، فصاح بهاالرّاعي : ألحقي بقطيعك فانّك تائهة متحيّرة قدضللت عن راعيك وقطيعك فهجمت زعرة متحيّرة لاراعى لها يرشدها إلى مرعاها أو يردّها ، فبينا هى كذلك إذا اغتنم الذّئب ضيعتها فأكلها ، و هكذا يا محمّد بن مسلم من أصبح من هذه الأمّة لاإمام لـه من الله عادل أصبح تائها متحيّراً إن مات على حاله تلك مات ميتة كفر ونفاق ، واعلم يا محمّد أنّ أئمّة الحقّ وأتباعهم على دين الله .

و قد تقدّمت هذه الرّواية في التّذنيب الثّالث من شرح الفصل الرّابع من الخطبة الأولى برواية الكافي و أوردتها هنا لاقتضاء المقام ، وتوضيح كلام الامام عليه السلام

(وذهلوا في السّكرة) أى غابت أذهانهم في سكرة الجهل (على سنّة من آل فرعون) أى على طريقة اتباع فرعون الّذين قال الله فيهم : « أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب » كما أنّ الأئمة عليهم السلام على سنّة آل موسى و شيعته ، والمراد أنّهم

---

(١) ربض الغنم مرعاها (٢) السرح المال السائم

على طريقة أهل الظلم والضلال كما أن الأئمة عليهم السلام على طريقة أهل العدل والهدى.

وقد صرحوا بذلك في غير واحد من الروايات مثل ما في البحار عن العياشي عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: هذا والله من الذين قال الله:

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ». الآية

وقال سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام: و الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق بشيراً و نذيراً إن الأبرار منا أهل البيت و شيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، و إن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه.

و فيه من تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد باسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: من أراد أن يسأل عن أمرنا وأمر القوم فانا، و أشياعنا يوم خلق الله السموات و الأرض على سنة موسى و أشياعه، وإن عدونا يوم خلق الله السموات والأرض على سنة فرعون و أشياعه، فنزلت فينا هذه الآيات:

«نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ».

وإنّي اقسم بالّذي خلق «فلق» الحبّة وبرىء النّسمة ليعطفنّ عليكم هؤلاء عطف الضّروس (١) على ولدها.

و فيه عن عليّ بن إبراهيم قال: حدّثني أبي عن النّضر عن ابن حميد عن أبيعبدالله عليه السلام قال: لقى المنهال بن عمرو عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما فقال له: كيف أصبحت ياابن رسول الله؟ قال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبنائنا ويستحيون نسائنا

(من منقطع إلى الدّنيا راكن أومفارق للدّين مباين) أو لمنع الخلوّ يعني أنّ صنفاً منهم منقطع إلى الدّنيا منهمك في لذّاتها مكبّ على شهواتها، والصّنف الآخر مفارق للدّين مزايل له وإن لم يكن لـه دنياً كما ترى كثيراً من أحبار النّصارى ورهبانهم، يتركون الدّنيا ويزهدون فيها وهم من أهل الضّلال.

تنبيه

قال الشّارح المعتزليّ في شرح هذا الفصل الأخير من الخطبة:

فان قلت: أليس الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الاماميّة؟

قلت: لا، بل نحمله على أنّه عنى عليه السلام أعدائه الّذين حاربوه من قريش وغيرهم من افناء العرب في أيّام صفّين، وهم الّذين نقلوا البناء، وهجروا السّبب و وصلوا غير الرّحم، واتّكلوا على الولايج، وغالتهم السّبل، ورجعوا على الأعقاب كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وحبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاة وعبدالله بن الزّبير و سعيد بن العاص وجوشب، وذى الكلاع وشرجيل بن الصمت وأبي الأعور السّلمى وغيرهم ممّن تقدّم ذكرنا لهم في الفصول المتعلّقة بصفين و أخبارها، فانّ هولاء نقلوا الامامة عنه عليه السلام إلى معاوية، فنقلوا البناء عن رصّ أصله إلى غير موضعه.

فان قلت: لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأوّلته لأنّه عليه السلام قال: حتّى إذا

---

(١) ضرسهم الزمان شدّ عليهم وناقة ضروس سيئة الخلق تعضّ حالبها.

قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب ، فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرّسول صلى الله عليه وآله ، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرّسول بنيّف وعشرين سنة

قلت : ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لمّامات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أضمروا في أنفسهم مشاقّة أمير المؤمنين عليه السلام و أذاه ، و قد كان فيهم من يتحكّك به في أيام أبي بكر و عمر وعثمان و يتعرّض له ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم تقدّم على ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكلّية ، فانّ كثيراً من أصحابنا يطعنون في ايمان بعض من ذكرناه ، و يعدّونهم من المنافقين ، و قد كان سيف رسول الله يقمعهم و يردعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ماكانوا يضمرونه من ذلك خصوصاً فيما يتعلّق بأمير المؤمنين الّذي ورد في حقّه :ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغض عليّ بن أبيطالب عليه السلام، وهو خبر محقّق مذكور في الصّحاح .

فان قلت : يمنعك من هذا التّأويل قوله : ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فجعلوه في غير موضعه ، وذلك لأنّ إذا ظرف والعامل فيها قوله : رجع قوم على الأعقاب، وقد عطف عليه قوله : ونقلوا البناء ، فاذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور وهو وقت قبض الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضا ، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر ، ولم ينقل أحد وقت قبض الرّسول صلى الله عليه وآله البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، و إنّما نقل عنه إلى شخص آخر وفي إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الاماميّة صريحا .

قلت : إذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النّبيّ صلى الله عليه وآله فقد قلنا بما يجب من وجود عامل في الظرف ، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا في زمان آخر إمّا بأن يكون الواو للاستيناف لا للعطف ، أو بأن يكون العطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزّمان المخصّص كقوله تعالى :

«حَتّىٰ إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فيها جِداراً يُريدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ».

فالعامل في الظرف استطعما، و يجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلها لامحالة، ولايجب أن يكون جميع الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الاتيان أيضا، ألا ترى أنّ من جملتها، فأقامه، ولم يكن إقامة الجدار حال إتيانهما القرية بل متراخيا عنه بزمان ما

اللّهم إلاّ أن يقول قائل أشار بيده إلى الجدار فقام، أو قال له قم فقام، لأنّه لايمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارنا للاتيان إلاّ على هذا الوجه، و هذا لم يكن ولا قاله مفسّر، ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له: لو شئت لاتّخذت عليه أجراً لأنّ الأجر إنّما يكون على اعتمال عمل فيه مشقّة و إنّما يكون فيه مشقّة إذا بناه بيده وباشره بجوارحه وأعضائه.

قال الشّارح: و اعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على مايقتضيه سودده الجليل و منصبه، و دينه القويم من الاغضاء عمّا سلف ممّن سلف، فقد صاحبهم بالمعروف برهة من الدّهر، فامّا أن يكون ماكانوا فيه حقّهم أوحقّه فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعة أولما رآه من المصلحة، وعلى تحمّلي التّقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله وأقواله بالنّسبة اليهم وبين أوّلها، فان بعد تأويل من يتأوّل كلامه فليس بأبعد من تأويل أهل التّوحيد و العدل الآيات المتشابهة في القرآن، و لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقرّرة فكذلك ههنا، انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: وأنت خبير بما فيه من وجوه الكلام وضروب الملام

اما اولا فلأنّ قوله: لابل نحمله على أنّه عنى أعداءه الّذين حاربوه من قريش وغيرهم في أيّام صفّين، فيه أنّه لاوجه لهذا الحمل بل ظاهر كلامه عليه السلام بمقتضى الاطلاق يشمل كلّ من اتّصف بالأوصاف الّتي ذكره عليه السلام، و من المعلوم أنّ اتّصاف المتخلّفين الثلاثة و متبعيهم بالأوصاف المذكورة أظهر و أشهر من اتّصاف أهل

صفّين بها، لأنهم أوّل من فتح باب غصب الخلافة ونقلوها عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أنفسهم وتبعهم أشياعهم فنقلوها عنه عليه السلام إليهم.

بل أقول: انّه لو لا جسارة الثّاني على إحراق باب بيت النّبي صلّى الله عليه وآله وإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من البيت للبيعة ملبّبا و ضربه لفاطمة عليها السّلام و كسره ضلعها، و غصب فدك و قطعه لرحم الرّسول صلّى الله عليه وآله و هتكه لناموس أهل بيته، لم يجسر أحد على معارضة أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يخطر على قلب أحد نزع الخلافة عنه عليه السلام إلى نفسه، ولولا تولية معاوية للشّام ورضاه بظلمه وجوره وأفعاله المخالفة للشّريعة، وتشييده بصنعه لم يطمع معاوية في الأمارة و الخلافة والنّهوض لقتال علي عليه السلام، فكلّ فتنة وفساد و أمر مخالف للدّين ولسنّة سيد المرسلين من فروع تلك الشجرة الملعونة على ما عرفته في شرح الكلام المأة والسّادس والعشرين.

وبالجملة فكلامه عليه السلام بحكم الأصول والقواعد اللّفظية العموم والاطلاق، وحمله على طائفة مخصوصة خلاف الأصل لا يصار إليه إلاّ بدليل وليس فليس.

واما ثانيا فلأنّ قوله: قلت ليس يمتنع أن يكون هولاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لمّا مات رسول الله صلّى الله عليه وآله و أضمروا في أنفسهم آه فيه إنّ هؤلاء إن كانوا رجعوا علي الأعقاب حين موته وأضمروا في أنفسهم مشاقة أمير المومنين عليه السلام و أذاه فالّذين ذكرناهم أعني الثلاثة و أشياعهم قد رجعوا على الأعقاب أيضاً وأبدوا مشاقتة و أذاه عقيب موته صلوات الله عليه و آله، يشهدك على ذلك إحراقهم بابه وإخراجهم له من بيته ملبّبا و تدبيرهم لقتله على يد خالد بن الوليد كما روته العامّة والخاصّة

ويشهد به أيضاً ما رواه الشّارح في الشّرح في غير هذا المقام.

قال: روى كثير من المحدّثين أنّ عليّا عقيب يوم السّقيفة تظلّم و تألّم واستنجد واستصرخ حيث ساموه إلى الحضور والبيعة وأنّه قال وهويشير إلى القبر: يانبي إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وأنّه قال: واجعفراه ولاجعفرلي اليوم

واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم.

وبهذا كلّه يظهر لك أنّ رجوع من ذكرناه على الأعقاب مع نصبهم العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام و إعلانهم بالمشاقة و الأذى له أظهر من رجوع غيرهم ممّن ذكره الشّارح مع إخفائهم له، ومع هذا فصرف كلام الامام عليه السلام إلى الآخرين دون الأوّلين لاوجه له.

و أما ثالثا فانّ قوله: و لا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكليّة حق لاريب فيه، ولكن قوله: فانّ كثيراً من أصحابنا يطعنون في ايمان بعض ماذكرناه ويعدّونهم من المنافقين، فيه أنّ تخصيص الارتداد و النّفاق ببعض من ذكره لا وجه له، بل كلّ من ذكره و ذكرناه مطعون منافق ملعون.

و قد ورد في غير واحد من أحاديثنا و إن لم يكن حجّة على العامّة ، ارتدّ النّاس إلاّ ثلاثة نفر: سلمان،وأبوذر، والمقداد.

وروى في غاية المرام عن ابن شهر آشوب من طريق العامّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى:

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

يعني بالشّاكرين عليّ بن أبيطالب، والمرتدّين على أعقابهم الّذين ارتدّوا عنه.

فقد ظهر بذلك أنّ الارتداد عن الاسلام في الحقيقة هو الارتداد عن أمير المؤمنين فكلّ من ارتدّ عنه فقد ارتدّ عنه، و التّخصيص بقوم دون قوم تعسّف وتعصّب.

وأما رابعاً فانّ قوله: بل يجوز أن يكون واقعا في زمان آخر، بعيد وجعل الواو للاستيناف سخيف، والعطف في مطلق الحدث خلاف الظّاهر، و القياس على الآية فاسد، لأنّ العاطف هنا هي الواو، وهي للجمع و التّشريك، و الكلام من

باب التنازع ، فيدلّ على وقوع الجملات المتعاطفة في زمان القبض إن قلنا إنّ العامل في إذا الشرطيّة هو الجواب دون الشرط ، وأمّا الآية فالعاطف فيها هي الفاء وهي تفيد التّرتيب و التّعقيب ، فلا يلزم من عدم وقوع إقامة الجدار حين الاتيان هناك عدم وقوع نقل البناء حين القبض فيما نحن فيه .

و التّحقيق أنّ قوله : فأقامه ، عطف على قوله : فوجدا ، و ليس عطفاً على استطعما ، فلا يلزم عمله في الظّرف لأنّ المعطوف على المعطوف على الجواب لا يجب أن يكون مشتركا للجواب في جميع الأحكام وعاملا فيما يعمله ، بخلاف المعطوف على نفس الجواب .

وهذا كلّه مبنيّ على التنزّل والمماشاة ، وإلاّ فنقول : إنّ إقامة الجدار قد كانت حال إتيان القرية والتراخى بزمان ما لا ينافيه ، لأنّهم قد صرّحوا في إفادة الفاء للتعقيب أنّه في كلّ شيء بحسبه ، فيقال : تزوّج فلان فولد لهولد ، إذا لم يكن بينهما إلاّ مدّة الحمل ، و دخلت البغداد فالبصرة إذا لم يقم فى بغداد و لم يتوقّف بين البلدين .

هذا على قول بعض المفسّرين من أنّه نقض الجدار وبناه ، وأمّا على قول من قال إنّه أقامه بيده ، و كذا على قول من قال : إنّه مسحه بيده فقام ، كما رواه في الكشّاف و غيره عن البعض الآخرين فلا يكون هناك تراخ أصلا ، إذلا فرق بين الاشارة باليد كما فرضه الشّارح وبين المسح بها كما رواه الزّمخشري .

ثمّ استبعاد الشّارح لذلك بأنّه لو كان على هذا الوجه لم يستحقّ أُجرة لأنّ الأُجرة إنّما يكون على اعتمال عمل فيه مشقّة ، مدفوع بأنّ الأُجرة إنّما هى على عمل فيه منفعة للغير سواء كان فيه مشقّة أم لا ، لا سيّما عمل له منفعة عظيمة مثل إقامة الجدار ، فقد قيل كما في الكشّاف : إنّ طوله في السّماء مأة ذراع .

و أما خامساً فانّ قوله : و اعلم أنّا نحمل كلام أميرالمومنين عليه السلام آه ، تمويه باطل بصورة الحقّ ، فانّ سودد أمير المومنين عليه السلام ومنصبه وحلمه إنّما كان مقتضياً للعفو والصّفح و الاغضاء والاغماض فيما يتعلّق بأمر الدّنيا ، و قد كان عليه السلام

كذلك حسبما عرفت من مكارم أخلاقـه في تضاعيف الشّرح و تعرفه بعد ذلك في مواقعه انشاءالله أيضاً ، وأمّا أمر الدّين ومافيه صلاح الشّرع المبين فلا يجوز لـه فيه الاغضاء والاغماض أصلاً ، بل لابدّ له من باب اللّطف والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر التّنبيه على هفوات المتخلّفين الضالين المضلّين الغاصبين للخلافة من دون أن يأخذه في الله لومة لائم ، ليتنبّه النّاس من مراقد الغفلة، ويلتفتوا إلى سوء ما فعلوه من البدعات المبتدعة ، ويرتدعوا عن حسن الاعتقاد والظنّ لهم ، ولا يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة

و أما سادساً فانّ قوله : فان بعد ذلك فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة، فيه أنّ تأويلنا للآيات المتشابهة مثل قوله « وجاء ربك » و « إلى ربّها ناظرة » و « الرّحمن على العرش استوى » ونحوها إنما هو لقيام الأدلّة القاطعة والبراهين العقلية والنقلية والأُصول المحكمة الملجئة لنا على التأويل، و أما فيما نحن فيه فأيّ دليل و برهان و داع دعى إلى التأويل ؟ و أيّ أصل محكم اقتضى ذلك لولم يقتض خلافه ؟

و غير خفيّ على الخبير المنصف المجانب للتعصّب و التعسّف أنّ أهل السنّة حيث ضاق بهم الخناق لم يبق لهم إلاّ التمسك بحسن الظنّ على السلف ، والحال أنّ الظنّ لايغني من الحقّ شيئاً ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن بزرگوار است كه اشاره فرموده در آن بواقعات عظيمه ميفرمايد :

و فرا گرفتند گمراهان امت طريق يمين و شمال وراه افراط وتفريط را در حالتى كه كوچ كنند گانند در راه جهل و ضلالت ، و ترك نمايند گانند راه رشد وسعادت را ، پس طلب ننمائيد بشتاب آنچه كه واقع شونده است ومهيا ، ودير مشماريد آنچه كه مى آورد آنرا فردا پس بسا بشتاب طلب كننده است چيزيرا كه اگر

درك نماید آن را دوست می گیرد در نیافتن آن را ، و چه نزدیکست امروز بأوایل فردا .

ای قوم این زمان وقت وارد شدن هر وعده داده شده است ووقت نزدیکیست از طلوع و ظهور آنچه که نمی‌شناسید آن را در فتنه های حادثه و علامات هائله ، آگاه باشید قسم بخدا بدرستی کسی که درك نماید آن فتنه‌ها را ازما سیر می کند درظلمتهای آن فتنه‌ها بچراغی که نور بخشنده است ، ورفتار می کند در آن بقرار صالحان تا اینکه بگشاید درآن فتنه‌ها ریسمانها را از گردن اسیران ، وآزاد نماید بندگان را ازبندگی ، و پراکنده سازد آنچه که بهم پیوسته از منکرات ، و بهم بست کند آنچه که پاشیده شده از محسنات ، آن شخص در پرده است از أنظار مردمان نمی‌بینند صاحب قیافه أثر ونشانهٔ آن را اگرچه امعان نظرنماید .

پس ازآن البته تیز ساخته شود در آن‌فتنه‌ها طائفهٔ بجهة قتال أهل ضلال یا بجهة کسب معارف و کمالات همچو تیز ساختن شمشیر ساز شمشیر را در حالتی که جلا داده بشود با نور قرآن دیدهای بصیرت آن طائفه ، وانداخته شود تفسیر قرآن در گوشهای ایشان ، و می آشامند کاسهٔ حکمت را در شبانگاه بعداز آشامیدن آن درچاشتگاه

ازجمله این خطبه است که می‌فرماید : و طول یافت مدّت بآن أهل ضلال تااینکه کامل نمایندذلت وخواریرا ، ومستحق باشند بتغییر نعمت پروردگار تازمانی که نزدیك شد گذشتن آن عهد میل کردند طایفهٔ از أهل بصیرت بآن فتنه‌ها ، وبلند کردند دم را ازآبستنی جنگشان درحالتی که منت نگذاشتند به پروردگار باصبر نمودن درکار زار ، و بزرك نشمردند بخش کردن جانهای خودشان را در راه حق تا زمانی که موافقت نمود قضاء فرود آمدهٔ الهی با بریده شدن مدّت بلا ، برداشتند أهل معرفت وبصیرت بصیرتهای خودشان را برشمشیرهای خود ، وتقرّب جستند بسوی پروردگار بفرمان واعظ خودشان .

تا زمانی که قبض فرمود خداوند تبارك وتعالی روح رسول خودرا بازگشتند

گروهی بر پاشنهای خود بازتداد ، و هلاك ساخت ایشان را طرق ضلالت ، و اعتماد کردند برخواص وانصار خود ، وپیوستند بغیر خویشان پیغمبر ، ودوری گزیدند از سببی که مامور شده بودند از جانب خدا بمحبّت آن ، ونقل کردند بنای خلافت را از استواری بنیاد خود ، پس بنا کردند آن را درغیر محل ومکان خود .

ایشان معدنهای هرخطا و ضلالتند ، ودر های هردر آمده درباطل وجهالت ، بتحقیق که متردّد شدند در حیرت ، و غفلت و رزیدند درمستی جهالت برطریقهٔ آل فرعون وروش أتباع آن ملعون ، هستند بعضی از ایشان منقطعند ازعقبا بسوی دنیا مایلند بآن ، وبرخی مفارقند از دین خدا مباینند از آن .

و من خطبة له عليه‌السلام وهی المأة و الواحد و الخمسون من المختار فی باب الخطب

وَأَسْتَعِينُهُ عَلىٰ مَداحِرِ الشَّيْطانِ وَمَزاجِرِهِ ، وَالْإِعْتِصامِ مِنْ حَبائِلِهِ وَمَخاتِلِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيبُهُ وَصِفْوَتُهُ ، لا يُوازىٰ فَضْلُهُ ، وَلا يُجْبَرُ فَقْدُهُ ، أَضاءَتْ بِهِ الْبِلادُ بَعْدَ الضَّلالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهالَةِ الْغالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجافِيَةِ ، وَالنّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ ، يَحْيَوْنَ عَلىٰ فَتْرَةٍ ، وَيَمُوتُونَ عَلىٰ كَفْرَةٍ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْراضُ بَلايا قَدِ اقْتَرَبَتْ ، فَاتَّقُوا سَكَراتِ النِّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوائِقَ النِّقْمَةِ ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتامِ الْعِشْوَةِ ، وَاعْوِجاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِها ،

وَظُهورِ كَمينِها ، وَانْتِصابِ قُطْبِها ، وَمَدارِ رَحاها ، تَبْدُو في مَدارِجَ خَفِيَّةٍ ، وَتَئُولُ إِلىٰ فَظاعَةٍ جَلِيَّةٍ ، شِبابُها كَشِبابِ الْغُلامِ ، وَآثارُها كَآثارِ السِّلامِ ، تَتَوارَثُها الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ ، أَوَّلُهُمْ قائِدٌ لِآخِرِهِمْ ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ ، يَتَنافَسُونَ في دُنْيا دَنِيَّةٍ ، وَيَتَكالَبُونَ عَلىٰ جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ ، وَعَنْ قَليلٍ يَتَبَرَّءُ التّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ ، وَالْقائِدُ مِنَ الْمَقُودِ ، فَيَتَزايَلُونَ بِالْبَغْضاءِ ، وَيَتَلاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقآءِ ، ثُمَّ يَأْتي بَعْدَ ذٰلِكَ طالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ ، وَالْقاصِمَةِ الزَّحُوفِ ، فَتَزيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجالٌ بَعْدَ سَلامَةٍ ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْواءُ عِنْدَ هُجُومِها ، وَتَلْتَبِسُ الْآراءُ عِنْدَ نُجُومِها ، مَنْ أَشْرَفَ لَها قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعىٰ فيها حَطَمَتْهُ ، يَتَكادَمُونَ فيها تَكادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعانَةِ ، قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ ، تَغيضُ فيهَا الْحِكْمَةُ ، وَتَنْطِقُ فيهَا الظَّلَمَةُ ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِها ، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِها ، يَضيعُ في غُبارِهَا الْوُحْدانُ ، وَيَهْلِكُ في طَريقِهَا الرُّكْبانُ ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبيطَ الدِّماءِ ، وَتَثْلِمُ مَنارَ الدّينِ ، وَتَنْقُضُ عُقَدَ الْيَقينِ ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْياسُ ، وَتُدَبِّرُهَا الْأَرْجاسُ ، مِرْعادٌ مِبْراقٌ ، كاشِفَةٌ عَنْ ساقٍ ، تُقَطَّعُ فيهَا الْأَرْحامُ ، وَيُفارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلامُ ، بَريُّها سَقيمٌ ، وَظاعِنُها مُقيمٌ .

منها بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ ، وَخائفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الأَيمان ، وَبِغُرُورِ الإِيْمانِ ، فَلا تَكُونُوا أَنصابَ الْفِتَنِ ، وَأَعْلامَ الْبِدَعِ ، وَالْزَمُوا ما عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَماعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكانُ الطّاعَةِ ، وَاقْدَمُوا عَلى اللهِ مَظْلُومِينَ ، وَلا تَقْدَمُوا عَلى اللهِ ظالِمِينَ ، وَاتَّقُوا مَدارِجَ الشَّيْطانِ ، وَمَهابِطَ الْعُدْوانِ ، وَلا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرامِ ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطّاعَةِ .

اللغة

(الدّحر) الطّرد والابعاد والدّفع بعنف على الاهانة كالدّحور وقال سبحانه « وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً » وقال أيضاً « أُخْرُجْ مِنْها مَذْمُوماً مَدْحُوراً » .

ومداحر الشّيطان جمع مدحر وهى الأُمور الّتى محلّ طرده وإبعاده .

وقال الشّارح البحراني والمعتزلي : هى الأُمور الّتي بها يطرد ويبعد ، وعلى قولهما فهى للآلة ، وعلى ذلك فلا يجوز جعلها جمعا لمدحر كما توهّمه البحراني لأنّ مفعل بفتح الميم للمكان وبالكسر للآلة كما صرّح به جميع علماء الأدبيّة ، فلابدّ من جعلها جمعا حينئذ لمدحرة بكسر الأوّل و الهاء أخيراً و زان مكسحة و مروحة ، اللهمّ إلاّ أن يقال : إنّ مدحر بالكسر للآلة أيضاً وجمع مفعل على مفاعل قدورد في كلامهم مثل ملحف وملاحف ومقود ومقاود .

فقد تلخص ممّا ذكرنا أنّ مداحر يصحّ جعلها جمع مدحر بالفتح للمكان و مدحر و مدحرة بالكسر فيهما للآلة و نحوه (المزاجر) للأُمور الّتي

يزجر بها أوهي محلّ الزّجر من زجر الكلب نهنهه جمع مزجر ومزجر و (ختله) يختله بالكسر خدعه، و المخاتل الأمور الّتي بها يختل ويخدع و(يوازي) مضارع آزى بالهمز و لا يقال و ازى و (الجهالة الغالبة) في بعض النّسخ بالموحّدة من الغلبة و في بعضها بالمثنّاة من الغلاء و هو الارتفاع أو من الغلوّ و هو مجاوزة الحدّ و(يستذلّون الحكيم) في بعض النّسخ باللاّم من الحلم و (الفترة) انقطاع مابين النبييّن و (كفرة) بالفتح واحدة الكفرات كضربة وضربات.

(ثمّ انّكم معشر العرب) في بعض النّسخ معشر النّاس و (تثبّتوا) من التثبّت وهوالتوقّف، وفي بعض النسخ تبيّنوا من التبيّن وبهما أيضاً قرء قوله سبحانه:

«إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا»

يقال تبيّنه أى أوضحه، وتبيّن الأمرأى وضح يستعمل متعدّياً ولازماكاستبان قال تعالى:

«فَإِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا».

أى اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه و (القتام) الغبار و (العشوة) بتثليث الأوّل ركوب الأمر على غير بيان و وضوح، و بالفتح فقط الظلمة و (الجنين) الولد مادام في البطن و (الكمين) الجماعة المختفية في الحرب.

و (مدار رحاها) مصدر والمكان بعيد و (تبدو في مدارج) في بعض النسخ بالواو من البدو و هو الظهور وفي أكثرها تبدء بالهمز مضارع بدء و (شبّ) الفرس يشبّ شبابا بالكسروشبيباً نشط ورفع يديه جميعا، وفي بعض النسخ، شبابها كشباب الغلام بالفتح و (السّلام) بالكسر الحجارة و (مريحة) من أراح اللّحم و الماء أى أنتن أومن أراح الرّجل إذا مات و (رجف) الشيء رجفا تحرّك واضطرب شديداً ورجف القوم تهيّأوا للحرب.

و (زحف) اليه مشي وفي شرح المعتزلي الزّحف السير على تؤدة كسير الجيوش بعضها إلى بعض و (نجم) الشيء ينجم نجوما من باب قعد ظهروطلع و(قصمت)

العود كسرته وقصمه الله أي أذلّه وأهانه وقيل قرب موته و (التّكادم) التّعاض بأدنى الفم و (العانة) القطيع من حمر الوحش و (المسخل) و زان منبر المبرد أي السّوهان و يقال أيضاً للمنحت و (الوحدان) جمع واحد كركبان و راكب قال الشّارح المعتزلي : و يجوز أن يكون جمع أوحد مثل سودان و أسود يقال فلان أوحد الدّهر .

و (ثلمت) الاناء أي كسرت حرفه فانثلم و (الطلّ) بالمهملة هدر الدّم وهو مطلول اى مهدر لا يطلب بدمه و (يختلون) في بعض النّسخ با لبناء على المفعول وفي بعضها بالبناء على الفاعل من ختله خدعه و (عقد) الايمان بصيغة المصدر أو وزان صرد جمع عقدة و (الأنصاب) جمع نصب كأسباب وسبب وهو العلم المنصوب في الطريق يهدى بـه ، و في بعض النسخ بالرّاء و (مدارج الشّيطان) جمع مدرجة وهى السّبل التّي يدرج فيها و (لعق الحرام) جمع لعقة اسم لما يلعق بالاصبع أو بالملعقة و هى بكسر الميم آلة معروفة ، واللعقة بالفتح المرّة منه من لعقه العقه من باب تعب لحسه باصبع ومصدره لعق وزان فلس .

الاعراب

جملة لا يوازى فضله الظّاهر أنّها استيناف بيانيّ ، وجملة أضائت حال من فاعل المصدر أعني فقده ، ويحتمل الاستيناف البياني أيضاً ، والنّاس حال من مفعول أضائت ، وقوله : تتوارثها الظلمة بالعهود ، الظّرف متعلّق بالفعل أو بالظّلمة ، وقوله وعن قليل إلى قوله : عند اللّقاء ، جملة معترضة ، وعن ، بمعنى بعد .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة في معرض الاخبار عن الملاحم والوقايع الحادثة في غابر الزّمان ، وصدّرها بالاستعانة على مايجب الاستعانة من الله سبحانـه عليه ، وعقّب ذلك بالشّهادة بالتّوحيد والرّسالة و ذكر ممادح الرّسول صلّى الله عليه و آله فقال :

(و أستعينه على مداحر الشّيطان ومزاجره) أى العبادات والحسنات الّتي هى محلّ طرده وزجره أو بهايطرد ويزجر (والاعتصام من حبائله ومخاتله) أى المعاصي والسّيئآت الّتي لها يصيد الانسان ويخدع البشر.

قال الشّارح البحراني : واستعار لها لفظ الحبائل وهى أشراك الصّائد لمشابهتها في استلزام الحصول فيها للبعد عن السّلامة والحصول في العذاب (وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له). قد تقدّم في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الثّانية شرح هذه الكلمة الطّيبة بما لامزيد عليه فليراجع ثمّة (وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله) صلّى الله عليه وآله (ونجيبه) أى الكريم الحسيب الّذي انتجبه من خلقه ، ويروى ونجيّه أى المناجي له والمشرف بمناجاته ومخاطبته وأصله من النّجوى وهي التّخاطب سرّاً (وصفوته) أي مختاره و مصطفاه من النّاس ، وقد مضى تحقيق ذلك في شرح الخطبة الثّالثة و التّسعين.

و لمّا كان ههنا مظنّة أن يسأل ويقال : هل يدانيه أحد في فضله أو يوازيه في كماله فيقوم مقامه عند افتقاره ؟ أجاب بقوله : (لايوازى فضله) أى لايحاذى ولايساوى (ولايجبر فقده) قال الشارح البحراني : إذكان كماله في قوّتيه النّظرية والعمليّة غيرمدرك لأحد من الخلق ، ومن كان كذلك لم يجبر فقده إلاّ بقيام مثله من النّاس ، وإذ لا مثل له فيهم فلا جبران لفقده.

(أضائت بـه البلاد بعد الضّلالة المظلمة) نسبة أضائت إلى البلاد من باب التّوسع ، والمراد اهتداء أهل البلاد بنور وجوده الشّريف إلى مافيه صلاح المعاش والمعاد بعد تيههم في ظلمة الكفر والضلال كما تقدّم في شرح الفصل السّادس عشر من الخطبة الأولى، وعرفت هناك أنّه صلّى الله عليه وآله قد بعث وأهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة ، و أهواء منتشرة ، وطرايق متشتّتة ، بين مشبّهة ومجسّمة وزنادقة وغيرها (و) كانوا متّصفين بـ(ـالجهالة الغالبة) عليهم (و) موصوفين بـ(ـالجفوة الجافية) يريد بها غلظ الطّبيعة و قساوة القلوب وسفك الدّماء ووصفه بالجافية للمبالغة من قبيل شعر الشّاعر وداهية دهياء ، وقد تقدّم توضيح جفوة العرب وغلظهم في شرح

الفصل الأوّل من الخطبة السّابعة والعشرين.

(والنّاس يستحلّون الحريم) أي حرمات الله الّتي يجب احترامها ومحرّماته (و يستذلّون الحكيم) أو الحليم كما في بعض الرّوايات، و الحكمة هو العلم الّذي يرفع الانسان عن فعل القبيح، و الحلم هو العقل و التّؤادة وضبط النّفس عن هيجان الغضب، والمعلوم من حال العرب استذلال من له عقل ومعرفة وتجنّب عن سفك الدّماء وعن النهب والغارة وإثارة الفتن لزعمهم أنّ ذلك من الجبن والضّعف (يحيون على فترة) من الرّسل وانقطاع من الوحى الموجب لانقطاع الخير وتقليل العبادات والمجاهدات وموت النفوس بداء الجهل والضّلالات (ويموتون على كفرة) لعدم هاد يهديهم إلى النّهج القويم والشّرع المستقيم.

ثمّ شرع عليه السلام في إنذار النّاس بالبلايا النّازلة واقتراب الحوادث المستقبلة فقال (ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا) و أهدافها (قد اقتربت) أوقاتها (فاتّقوا سكرات النعمة) لفظة السّكرات استعارة لما يحدثه النّعم عند أربابها من الغفلة و الخمرة المشابهة للسّكرة (و احذروا بوائق النّقمة) أى دواهي المؤاخذات و العقوبات (و تثبّتوا في قتام العشوة) و هو أمر لهم بالتّثبت والتّوقّف عند اشتباه الأمور وترك الاقتحام فيها من غير بصيرة ورويّة.

قال الشّارح البحراني: استعار لفظ القتام للشّبهة المثيرة للفتن كشبهة قتل عثمان التي نشأت منها و قابع الجمل و صفين والخوارج، و وجه المشابهة كون ذلك الأمر المشتبه ممّا لايهتدى فيه خائضوه، كما لايهتدى القائم في القتام عند ظهوره وخوضه.

(و اعوجاج الفتنة) أى إتيانها على غير وجهها وانحرافها عن النّهج (عند طلوع جنينها و ظهور كمينها) كنى بالجنين والكمين عن المستور المختفي من تلك الفتنة ويحتمل إرادة الحقيقة بأن يكون المقصود بروز ماجتن منها و استتر و ظهور ما كمن منها وبطن (وانتصاب قطبها ومدار رحاها) كنايتان عن استحكام أمرها وانتظامها (تبدو في مدارج خفيّة وتؤل إلى فظاعة جليّة) يعني أنّها تكون

ابتداء يسيرة ثمّ تصير كثيرة.

فانّ النّار بالعودين تذكي و إنّ الحرب أوّلها كلام

أو أنّ ظهورها في مسالك خفيّة حتّى تنتهي إلى شناعة عظيمة (و شبابها كشباب الغلام و آثارها كآثار السّلام) أى إنّ أربابها يمرحون في أوّل الأمر كما يمرح الغلام ثمّ تؤل إلى أن تعقب فيهم أو في الاسلام آثارا كآثار الحجارة في الأبدان، أو أنّ المراد أنّها في الدّنيا كنشاط الغلام وما أعقبتها من الآثار في الآخرة كآثار السّلام.

(يتوارثها الظّلمة بالعهود) أى يتوارثها الظّلام بعهد الأوّل منهم للثّاني و عقد الأمر منه له كما هو دأب أمراء الجور يجعلون لهم وليّ العهد، أو أنّ توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت وغصب حقّهم، و على تعلّق الظّرف بالظلمة فالمراد أنّه يتوارثها الظالمين بعهد الله و النّاقضين لميثاقه و التّاركين لتكاليفه.

(أوّلهم قائد لآخرهم) يقوده إلى الظّلم والضّلال والنّار (و آخرهم مقتد بأوّلهم) في الجور و إثارة الفتن وتشييد تلك الآثار (يتنافسون في دنيا دنيّة) أى يتعارضون و يتبارون في دنيا لامقدارلها عند العقلاء (و يتكالبون على جيفة مريحة) أى يتواثبون على جيفة منتنة عند ذوى العقول والأولياء، واستعار لها لفظ الجيفة باعتبار النّفرة عنها، ولفظ المريحة ترشيح قال الشّاعر:

و ما هي إلاّ جيفة مستحيلة عليها كلاب همّهنّ اجتذابها

ثمّ قال عليه السلام (و عن قليل) أى بعد حين قليل (يتبرّء التّابع عن المتبوع والقائد من المقود) أى الأتباع من الرّؤساء والرّؤساء من الأتباع وذلك التبرّء يوم القيامة كما قاله الشّارح المعتزلي، وقد أخبر الله سبحانه عن تبرّء الأتباع بقوله:

«ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ».

فقولهم لم نكن ندعو هو التبرّء ، وأخبر عن تبرّء الرّؤساء بقوله :

« إِذْ تَبَرَّءَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّءَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنّا »

(فيتزايلون) ويفرقون (بالبغضاء ويتلاعنون عند اللّقاء) كماقال تعالى :

« وَ يَوْمَ الْقِيمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً » .

قال الشّارح المعتزلي : فان قلت : ألم يكن قلت إنّ قوله عن قليل يتبرّء التابع من المتبوع يعني يوم القيامة فكيف يقول (ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف) وهذا إنّما يكون قبل القيامة ؟

قلت : لمّا ذكر تنافس النّاس على الجيفة المنتنة وهي الدّنيا أراد أن يقول بعده بلا فصل : ثمّ يأتي بعد ذلك اه لكنّه لمّا تعجّب من تزاحم النّاس و تكالبهم على تلك الجيفة أراد أن يؤكّد ذلك التّعجب فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال: إنهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها عن قليل يتبرّء بعضهم من بعض و يلعن بعضهم بعضا ، وذلك أدعى لهم لو كانوا يعقلون إلى أن يتركوا التّكالب و التّهارش على هذه الجيفة الخسيسة ، ثمّ عاد إلى نظام الكلام وقال : ثمّ يأتي بعد ذلك آه .

وقال الشّارح البحراني حكاية عن بعضهم : إنّ ذلك التّبرء عند ظهور الدّولة العبّاسية ، فانّ العادة جارية بتبرّء النّاس عن الولاة المعزولين خصوصاً عند الخوف ممّن تولّى عزل ذلك أو قتلهم ، فيتباينون بالبغضاء إذ لم تكن الفتهم و محبّتهم إلاّ لغرض دنياوىّ زال ، و يتلاعنون عند اللّقاء ، ثمّ قال الشّارح: وقوله :ثم يأتي طالع الفتنة ، هي فتنة التتار ، إذالدائرة فيها على العرب .

و قال بعض الشارحين : بل ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في آخر الزّمان كفتنة الدّجال.

و كيف كان فوصف الفتنة بالرّجوف لكثرة اضطراب النّاس أوأمر الاسلام فيها و أراد بطالعها مقدّماتها و أوايلها و وصفها ثانياً بقوله (والقاصمة الزّحوف) أى الكاسرة الكثيرة الزّحف و كنّى بقصمها عن هلاك الخلق فيها وشبّهها بالرّجل الشّجاع كثير الزّحف إلى أقرانه أى يمشى إليهم قدما .

ثمّ أشار إلى مايترتّب على تلك الفتنة من المفاسد العظام وقال (فتزيغ) أى تميل (قلوب بعد استقامة) على سبيل الله (و تضلّ رجال بعد سلامة) في دين الله (وتختلف الأهواء عند هجومها وتلتبس الآراء) الصّحيحة بالفاسدة (عند نجومها) وظهورها ، فيشتبه الحقّ بالباطل ويتيه فيها الجاهل والغافل (من أشرف لها) أى قابلها وصادمها (قصمته) وهلكته (ومن سعى فيها) أى أسرع فى إطفائها وإسكاتها (حطمته) و كسرته (يتكادمون فيها تكادم الحمر) الوحش (في العانة) أى في قطيعها .

قال العلامة المجلسي (ره) : ولعلّ المراد بتكادمهم مغالبة مثيرى تلك الفتنة بعضهم لبعض ، أومغالبتهم لغيرهم .

وقال الشّارح البحراني : وشبّه ذلك بتكادم الحمر في العانة ، ووجه التّشبيه المغالبة مع الايماء الى خلعهم ربق التّكليف من أعناقهم و كثرة غفلتهم عمّا يراد بهم في الآخرة .

(قد اضطرب معقود الحبل) أى قواعد الدّين و الأحكام الشّرعيّة الّتي كلّفوا بها (وعمى وجه الأمر) في اسناد العمى الى الوجه تجوّز ، و المراد عدم اهتدائهم الى وجوه الصلاح وطرق الفلاح (تغيض) وتنقص (فيها الحكمة) لسكوت الحكماء عنها و عدم تمكّنهم عن التّكلّم بها (و تنطق فيها الظلمة) بما يقتضيه أهواؤهم عن الظّلم و الفساد لمساعدة الزّمان عليهم (و تدقّ) تلك الفتنة (أهل البدو) أى البادية (بمسحلها) أى يفعل بهم ما يفعل المسحل بالحديد (١) أو

الاول مبنى على ان يراد بالمسحل السوهان والثانى مبنى على ان يراد منه المنحت كما تقدم سابقا، منه

الخشب (وترضّهم) أى تدقّهم دقّاجريشًا (بكلكلها) أىصدرها شبّه هذه الفتنة بالنّاقة التّي تبرك على الشيء فتسحقه بصدرهاعلىسبيل الاستعارة بالكناية وإثبات الكلكل تخييل و الرّضّ ترشيح (يضيع فى غبارها الوحدان و يهلك في طريقها الرّكبان) أى لا يخلص منها أحد ولا ينجو منها لشدّتها وقوّتها ، فمن كان يسير وحده فانّه يهلك فيها بالكلّيّة وإذاكانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون ، ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها أى إذا أراد القليل من النّاس دفعها هلكوا فيغبارها من دون أن يدخلوا فيغمارها ، وأمّا الرّكبان وهم الكثير من النّاس فانّهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها .

و على كون الوحدان جمع أوحد فالمراد أنّه يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها ، لغموض الشّبهة و استيلاء الباطل ، ويكون الركبان حينئذ كناية عن الجماعة أهل القوّة ، فهلاك أهل العلم بالضّلال و هلاك أهل القوّة بالقتل والاستيصال .

(ترد بمرّ القضاء) أى بالهلاك و البوار و البلايا الصّعبة وظاهر أنّها واردة عن القضاء الالهيمتّصفة بالمرارة (و تحلب عبيط الدّماء) أى الطريّ الخالصمنها و هو كناية عن سفك الدّماء فيها (وتثلم منارالدّين) استعارة للعلماء أوالقوانين الشّرع المبين و ثلمها عبارة عن هدمها وعدم العمل بها (و تنقض عقداليقين) أى العقايد الحقّة الموصلة إلى جوار الله تعالى ، و نقضها كناية عن تغيّرها و تبدّلها وترك العمل على وفقها (تهرب منها الأكياس) أى ذووالعقول السّليمة (وتدبّرها الأرجاس) الأنجاس أى ذوو النفوس الخبيثة (مرعاد مبراق) كثيرة الرّعد والبرق أى ذات تهدّدووعيد ويجوزأن يراد بالرّعد قعقعةالسّلاح وصوته وبالبرق لمعانه وضوئه .

(كاشفة عنساق) قال ابن الأثير : السّاق في اللّغة الأمر الشّديد ، وكشف السّاق مثل في شدّة الأمر و أصله من كشف الانسان عن ساقه و تشميره إذا وقع في أمر شديد ، وفي القاموس يذكرون السّاق إذا أرادوا شدّة الأمر والاخبار عن

هو له قال تعالى :

« وَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ » .

أى عن شدّة (تقطع فيها الأرحام ويفارق عليها الاسلام) بجريانها على خلاف قواعد الدّين وقواعد الشّرع المبين .

(بريئها سقيم) قال العلاّمة المجلسيّ (ره) : أى من يعد نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات أومن كان سالماً بالنسبة إلى ساير النّاس فهو أيضاً مبتلى بها ، أوأنّ من لم يكن مائلا إلى المعاصي وأحبّ الخلاص من شرورها لايمكنه ذلك (وظاعنها مقيم) اى المرتحل عنها خوفا لا يمكنه الخروج منها أومن اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو أيضاً داخل فيها لكثرة الشّبه وعموم الضّلالة .

(منها) ما يشبه أن يكون وصفاً لحال المتمسّكين بالدّين في زمان الفتنة السّابقة وهوقوله : (بين قتيل مطلول) أى مهدر الدّم لايطلب به (وخائف مستجير) أى مستامن يطلب الأمان (يختلون بعقد الأيمان) إن كان يختلون بصيغة المجهول فهو إخبار عن حال المخدوعين الّذين يخدعهم غيرهم بعقد العهود و شدّها بمسح ايمانهم أو بالايمان المعقودة فيما بينهم ، وعلى كونه بصيغة المعلوم فهوبيان لحال الخادعين (وبغرورالايمان) أى بالايمان الّذي يظهره الخادعون فيغرّونهم بالمواعيد الكاذبة أوالذي يظهره هؤلاء الموصوفون فيغرّون النّاس به على اختلاف النّسختين

(فلاتكونوا أنصاب الفتن) أى رؤسائها يشارإليهم فيها (وأعلام البدع) الّتي يقتدى بها وهونظير قوله عليه السلام في كلماته القصار : كن فى الفتنة كابن اللّبون لاظهر فيركب ولاضرع فيحلب .

(والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة) وهى القوانين الّتي ينتظم بهااجتماع الناس على الحقّ (و بنيت عليه أركان الطاعة) استعارة بالكناية و ذكر الأركان تخييل والبناء ترشيح (و اقدموا على الله مظلومين و لا تقدموا على الله ظالمين) يعني أنه إذا دار الأمر بين الظالمية والمظلومية فكونوا راضين بالمظلوميّة ، لأنّ

الظلم قبيح عقلا وشرعاً والظالم مؤاخذ ملعون كتاباًو سنة ، أو لا تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميّتكم فانّ يوم المظلوم من الظالم أشدّ من يوم الظالم من المظلوم ، والمظلوم منصور من الله سبحانه قال تعالى :

« وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً » .

وقال أبوجعفر عليه السلام في رواية أبي بصير عنه عليه السلام : ما انتصرالله من ظالم إلاّ بظالم ، وذلك قول الله عزّ وجلّ :

« وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً » .

(واتّقوامدارج الشيطان) ومسالكه (ومهابط العدوان) ومحاله أوالمواضع الّتى يهبط صاحبه فيها (ولاتدخلوا بطونكم لعق الحرام) أى لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير أو الاتيان باللّعق للتّنبيه على قلّة مايكتسب من متاع الدّنيا المحرّم بالنّسبة الى متاع الآخرة وحقارته عنده (فانّكم بعين من حرّم عليكم المعصية وسهّل لكم سبيل الطّاعة) أى بعلمه كقوله تعالى :

« تَجْرِي بِأَعْيُنِنا » .

و لا يخفى ما في هذا التّعليل من الحسن واللّطف في الرّدع عن المعاصي و الحثّ على الطاعات ، فانّ العبد العالم بأنّه من مرئى من مولاه و مسمع منه يكون أكثر طاعة وأقلّ مخالفة من عبد مولاه غافل عنه وجاهل بأعماله و أفعاله ولتأكيد هذا المعنى عبّر بالموصول وقال : بعين من حرّم آه ولم يقل بعين الله هذا و تسهيل سبيل الطاعة باعتبار أنّ الله سبحانه ما جعل على المكلّفين في الدّين من حرج .

الترجمة

ازجملهٔ خطب شريفهٔ آن امام مبين وسيّد وصيّين است در ذكر ملاحم مى فرمايد

وطلب یاری میکنم ازحضرت ربّ العالمین برعبادات وطاعات که محلّ طرد وزجرشیطان لعین است ، وبرمحفوظ شدن از معاصی وسیئآت که ریسمانهای صید آن ملعون و اسباب مکر وخدعهٔ آن نابکار است ، وشهادت می دهم باینکه نیست خدائی جزخدای متعال درحالتی که تنهااست شریك نیست مر اورا ، وشهادت میدهم باینکه محمّد بن عبدالله صلی الله علیه وآله بندهٔ پسندیده وپیغمبر اوست وبر گزیده ومختار اوست برابر کرده نمیشود فضل او ، و جبران نمیشود فقدان او ، روشن شد بوجود شریف آن بزرگوار شهرها بعدازگمراهی ظلمانی ونادانی غالب وغلظت غلیظهٔ طبایع در حالتی که مردمان حلال می‌شمردندمحرمات را، و خوار میشمردند صاحب حکمت و معرفت را زندگانی می کردند در زمان انقطاع پیغمبران ، و میمردند بر کفر و طغیان .

پس از آن بدرستی که شما أی جماعت‌عرب نشانهای بلا هستید که نزدیك شده ظهور آن ، پس پرهیز کنید ازمستیهای نعمتها ، و حذرنمائید از دواهی عذاب ، وتوقّف کنید درغبار ظلمة شبهه ودر کجی فتنه در وقت ظهور وبروز باطن و کمون آن فتنه ، و هنگام استقامت قطب و دوران آسیای آن در حالتی که ظاهر می‌شود آن فتنه در درجهای پنهان ، وباز گردد بشناعت آشکار ، نشو ونمای آن مثل نشو ونمای جوانست ، وأثرهای آن مثل اثرهای سنگها است ، ارث می‌برند ازیکدیگر آن فتنه را ظالمان با عهود وپیمان ، یعنی هریکی دیگری راولیّ عهدخودمی‌سازد .

اوّل ایشان پیشوای آخر ایشانست ، و آخر ایشان اقتدا کننده است بأوّل ایشان ، تعارض می کنند در دنیای پست و بی‌مقدار ، و خصومت می کنند بر جیفهٔ گندیدهٔ مردار ، وبعداز زمان قلیل تبرّی می کند تابع از متبوع ، ومقتدا ازپیشوا پس پراکنده شوند از یکدیگر بعداوت ودشمنی ، ولعنت کنند بیکدیگر هنگام ملاقات .

پس از آن می آید طلوع کننده فتنهٔ کثیر الاضطراب ، و شکنندهٔ تند رونده ، پس میل بباطل می کند قلبها بعدازاستقامت آنها ، و گمراه می‌شوند مردمان بعداز

سلامت ایشان ، و مختلف می‌شودخواهشات وقت هجوم آن فتنه ، وملتبس‌می‌شود رأیها نزد ظهور آن فتنه ، هر کس‌مقابله گری نماید آن‌را می‌شکند وهلاك می‌سازد اورا ، وهر کس‌سعی کند دراسکات‌آن برمی کند ونابود نماید اورا .

بگزند و آزار رسانند مردمان آن زمان یکدیگر را در آن فتنه مثل آزار رساندن حمارهای وحشی یکدیگر را در رمه ، بتحقیق که مضطرب شد ریسمان بستهٔ اسلام ، وپوشیده شد روی صلاح‌کار ، ناقص می‌شود در آن فتنه حکمت ومعرفت وناطق‌میشود درآن ستمکاران ، وبکوبد آن فتنه أهل بادیه را بامنحت وتیشهٔ خود و خورد و مرد کند ایشان را با سینهٔ خود ، و ضایع می‌شود در غبار آن فتنه تنها روندگان ، وهلاك گردد در راه آن فتنه سوارگان ·

وارد شود به‌تلخ‌ترین قضای الهی ، وبدوشد خونهای‌تازه را ، وخراب می کند منارهای دین را ، و درهم شکند کوههای یقین را ، بگریزند ازآن فتنه صاحبان عقل و کیاست ، وتدبیر کنند آن را صاحبان پلیدی ونجاست ، بسیار صاحب رعد وبرقست وکشف کننده است از شدّت ، قطع میشود درآن فتنه رحمها ، و مفارقت می‌شود برآن از دین اسلام ، برائت کننده ازآن فتنه ناخوش است ، و کوچ کنندهٔ آن مقیم است .

ازجملهٔ فقرات آن خطبه است در وصف حال مؤمنان آنزمان میفرماید :

ایشان در میانِ کشته شده است که خونش هدر رفته ، و ترسندهٔ که طلب أمان می کند ، فریب داده می‌شوند با سوگندهای بسته شدهٔ دروغی ، وبا ایمانی که از روی فریب و غرور است ، پس نباشید علامتهای فتنها ونشانهای بدعتها ، و لازم شوید به آنچه که بسته شده بآن ریسمان اجتماع وایتلاف که عبارتست از قواعد شریعت وبرآنچه که بناشده برآن رکنهای طاعت وعبادت ، و اقدام کنید برخدا درحالتی که مظلوم هستید ، واقدام نکنید براودرحالتی که ظالم‌باشید ، وبپرهیزید از راههای شیطان وازمحلهای طغیان وعدوان ، وداخل نکنید درشکمهای خودتان

لقمه‌های حرام را پس بدرستی که شما درنظر کسی هستید که حرام کرده بشما گناه را ، و آسان کرده از برای شما راه طاعت را چنانچه فرموده « ما جعل الله عليكم في الدّين من حرج »

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و الثانى و الخمسون من المختار فى باب الخطب و شرحها فى فصول

الفصل الاول

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الدّالِّ عَلىٰ وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَ بِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلىٰ أَزَلِيَّتِهِ ، وَ بِاشْتِباهِهِمْ عَلىٰ أَنْ لا شِبْهَ لَهُ ، لا تَسْتَلِمُهُ الْمَشاعِرُ ، وَ لا تَحْجُبُهُ السّاتِرُ ، لِافْتِراقِ الصّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ ، وَ الْحادِّ وَ الْمَحْدُودِ ، وَ الرَّبِّ وَ الْمَرْبُوبِ ، أَلْأَحَدُ بِلا تَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَ الْخالِقُ لا بِمَعْنىٰ حَرَكَةٍ وَ نَصَبٍ ، وَ السَّمِيعُ لا بِأَداةٍ ، وَ الْبَصِيرُ لا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ ، وَ الْمُشاهِدُ لا بِمُماسَّةٍ ، وَ الْبائِنُ لا بِتَراخي مَسافَةٍ ، وَ الظّاهِرُ لا بِرُؤْيَةٍ ، وَ الْباطِنُ لا بِلَطافَةٍ ، بانَ مِنَ الْأَشْياءِ بِالْقَهْرِ لَها ، وَ الْقُدْرَةِ عَلَيْها ، وَ بانَتِ الْأَشْياءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ، وَ مَنْ قالَ كَيْفَ

فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ ، عالِمٌ إِذْ لا مَعْلُومَ ، وَ رَبٌّ إِذْ لا مَرْبُوبَ ، وَقادِرٌ إِذْ لا مَقْدُورَ .

اللغة

قال الشّارح المعتزلي (الاستلام) في اللّغة لمس الحجر باليد وتقبيله و لا يهمز لأنّ أصله من السّلام وهى الحجارة كما يقال استنوق الجمل وبعضهم يهمزه انتهى ، و قال الفيومى في المصباح: استلأمت الحجر قال ابن السّكيت : همزته العرب على غير قياس والأصل استلمت لأنّه من السّلام و هي الحجارة ، وقال ابن الاعرابى : الاستلام أصله مهموز من الملائمة وهي الاجتماع ، وحكى الجوهرى القولين و مثله الفيروز آبادي ، و في بعض النّسخ بدل لا تستلمه لا تلمسه و (النّصب) محرّكة التّعب .

الاعراب

جملة لاتستلمه المشاعر استيناف بيانيّ ، ولفظ الأحد ، والخالق ، والسّميع و البصير ، و مايتلوها من الصّفات يروى بالرّفع والجرّ معاً الأوّل على أنّه خبر لمبتدء محذوف ، والثّانى على أنّه صفة لله .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة متضمّن لمباحث شريفة إلهيّة ، و معارف نفيسة ربّانية ، و مسائل عويصة حكميّة ، ومطالب عليّة عقليّة لم يوجد مثلها في زبر الأوّلين والآخرين ، ولم يسمح بنظيرها عقول الحكماء السّابقين واللاحقين وصدّره بتحميدالله سبحانه وتمجيده فقال :

(الحمدلله) و قد مضى شرح هذه الجملة و تحقيق معنى الحمد و بيان وجه اختصاصه بالله سبحانه في شرح الفصل الأوّل من الخطبة الأولي ، ونقول هنامضافاً

إلى ماسبق : إنّ الحمد سواء كان عبارة عن التعظيم والثّناء المطلق ، أو عن الشكر المستلزم لتقدّم النّعمة و الاعتراف بها ، فالمستحقّ لـه في الحقيقة ليس إلاّ الله سبحانه ، ولذا أتى بتعريف الجنس ولام الاختصاص الدّالّين على أنّ طبيعة الحمد مختصّة به تعالى .

أمّا على أنّه عبارة عن مطلق الثّناء والتّعظيم فلظهور أنّ استحقا قيّتهما إنّما يتحقّق لأجل حصول كمال أو برائة نقص ، و كلّ كمال و جمال يوجد في العالم فانما هو رشح وتبع لجماله و كماله ، و أما البرائة عن النقايص والعيوب فممّا يختص به تعالى ، لأنه وجود محض لا يخالطه عدم و نور صرف لايشوبه ظلمة .

و أما على أنه عبارة عن الشكر المسبوق بالنعمة فلأنّ كلّ منعم دونه فانما ينعم بشيء ممّا أنعم الله ، و مع ذلك فانما ينعم لأجل غرض من جلب منفعة أو دفع مضرّة أوطلب محمدة ، فهذا الجود والانعام في الحقيقة معاملة وتجارة وإن عدّ في العرف جوداً و انعاماً ، و أما الحقّ تعالى فلما لم يكن إنعامه لغرض و لا جوده لعوض إذ ليس لفعله المطلق غاية إلاّ ذاته كمامرّ تحقيقه في شرح الخطبة الخامسة والستين ، فلا يستحقّ لأقسام الحمد والشكر بالحقيقة إلاّ هو ، هذا

و أردف الحمد بجملة من أوصاف الكمال ونعوت العظمة والجلال .

الاول أنه (الدّالّ على وجوده بخلقه) وقد مرّ كيفيّة هذه الدّلالة في شرح الخطبة الخمسين وبيّنا هناك أنّ الاستدلال بهذه الطريقة من باب الاستدلال بالفعل على الفاعل ، ومرجعه الى البرهان اللمّي .

(و) **الثاني** أنه الدّال (بمحدث خلقه على أزليتّه) لماقد مرّ ثمة أيضاً من أنّ الأجسام كلّها حادثة لأنّها غير خالية عن الحركة والسّكون ، و كلّ حادث مفتقر إلى محدث فان كان ذلك المحدث محدثاً عاد القول فيه كالأوّل ويلزم التّسلسل أو كونه محدثا لنفسه و كلاهما باطل ، فلابدّ من محدث قديم لا بداية لوجوده وهو الله تعالى وسبحانه .

(و) **الثالث** أنّه الدّالّ (باشتباههم على أن لاشبه له) يعني أنّه سبحانه بابداء المشابهة بين المخلوقات دلّ على أنّه لا مثل ولا شبيه.

وجهة المشابهة بينها إمّا الافتقار إلى المؤثّر كما ذهب إليه الشّارح البحراني حيث قال: أراد اشتباههم في الحاجة إلى المؤثّر و المدبّر، وتقرير هذا الطّريق أن نقول: إن كان تعالى غنيّاً عن المؤثّر فلا شبيه له في الحاجة إليه لكن المقدّم حقّ فالتّالي مثله.

واعترض عليه بأنّ فيه قصوراً من وجهين:

أحدهما أنّ المطلوب في تنزيه الحقّ تعالى عن الشّبيه هو نفي الشّبه عنه على الاطلاق لانفي وجه من وجوه الشّبه فقط كالحاجة.

وثانيهما أنّ نفي الحاجة عنه تعالى ممّا لايحتاج إلى إثباته له من جهة تشابه الخلق فيها، بل مجرّد كونه واجب الوجود يلزمه نفي الحاجة عنه إلى غيره لزوماً بيّناً، فالاستدلال عليه لغو من الكلام مستدرك، هذا.

وقال بعضهم: المراد بمشابهتهم الاشتباه في الجسميّة والجنس والنّوع والأشكال والمقادير و الألوان ونحو ذلك، و إذ ليس داخلا تحت جنس لبرائته عن التّركيب المستلزم للامكان، و لا تحت النّوع لافتقاره في التّخصيص بالعوارض إلى غيره، ولا بذى مادّة لاستلزامه التّركيب أيضاً، فليس بذي شبيه في الأمور المذكورة

وهو قريب ممّا قاله البحراني لكنّ الأوّل أعمّ في نفي الشّبيه، و الأحسن منها ما في الحديث الأوّل من باب جوامع التوحيد من الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام عند استنهاضه النّاس لحرب معاوية في المرّة الثّانية وهو قوله عليه السلام: وحدّ الأشياء كلّها عند خلقه إبانة لها من شبهه وإبانة له من شبهها.

قال العلامة المجلسي في شرحه: أى جعل للأشياء حدوداً ونهايات، أو أجزاء و ذاتيّات ليعلم بها أنّها من صفات المخلوقين والخالق منزّه عن صفاتهم، أو خلق الممكنات الّتي من شأنها المحدوديّة ليعلم بذلك أنّه ليس كذلك كما قال تعالى: فخلقت الخلق لأعرف، إذ خلقها محدودة لأنّها لم تكن تمكن أن تكون غير

محدودة لامتناع مشابهة الممكن الواجب في تلك الصّفات الّتى هي من لوازم وجوب الوجود ، ولعلّ الأوسط أظهر .

الرابع أنّه (لاتستلمه المشاعر) أى لا تلمسه لأنّ مدركات المشاعر مقصورة على الأجسام والأعراض القائمة بها ، وهو سبحانه ليس بجسم ولاجسمانيّ ، فامتنع إدراك المشاعر و لمسها له ، ويحتمل أن يراد بالمشاعر المدارك مطلقا سواء كانت قوّة ماديّة مدركة للحسّيات والوهميات أو قوّة عقليّة مدركة للعقليّات والفكريات اذ ليس للمدارك مطلقاً إلى معرفة كنه ذاته سبيل ، و لا على الوصول الى حقيقه صفاته دليل ، كمامرّ في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى .

(و) **الخامس** (لا تحجبه المساتر) أى الحجابات الّتى يستتر بها ، و في أكثر النّسخ : السواتر بدلها و معناهما واحد ، والمراد أنه لا يحجبه حجاب و لا يستتر بشيء من السواتر لأنّ الستر و الحجاب من لوازم ذى الجهة والجسمية ، وهو تعالى منزّه عن ذلك .

فان قلت : قد ورد في الحديث إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنّ الملاء الأعلى يطلبونه كما أنتم تطلبونه ، فكيف التوفيق بينه و بين قول الامام عليه السلام ؟

قلت : ليس المراد من احتجابه عن العقول و الأبصار أن يكون بينه و بين خلقه حجاب جسمانيّ مانع عن إدراكه و الوصول اليه تعالى ، بل المراد بذلك احتجابه عنهم لقصور ذواتهم ونقصان عقولهم وقواهم ، و كمال ذاته وشدّة نوره وقوّة ظهوره، فغاية ظهوره أوجب بطونه ، وشدّة نوره أوجب احتجابه كنور الشمس وبصر الخفاش ، وقد حقّقنا ذلك بما لامزيد عليه في شرح الخطبة الرّابعة والستين وشرح الفصل الثاني من الخطبة التسعين ، و بما ذكرنا أيضاً ظهر فساد ما ربما يتوهّم من أنه إذا لم يكن محجوبا بالسواتر لابدّ وأن يعرفه كلّ أحد ويراه ، هذا .

وقوله (لافتراق الصانع و المصنوع و الحادّ والمحدود و الربّ والمربوب)

التعليل راجع الى الجملات المتقدّمة بأسرها ، و المقصود أنّ لكلّ من الصانع والمصنوع صفات تخصّه وتليق به ويمتاز بها وبها يفارق الآخر فالمخلوقية والحدوث والاشتباه والملموسيّة و المحجوبيّة بالسواتر من لواحق المصنوعات و الممكنات وأوصافها اللاّيقة لها ، والخالقيّة والأزليّة والتنزّه عن المشابهة وعن استلام المشاعر واحتجاب السّواتر من صفات الصّانع الأوّل وممّا ينبغي له ويليق به ، ويضادّ ما سبق من أوصاف الممكنات ، فلو جرى فيه صفات المصنوعات أو في المصنوعات صفاته لارتفع الافتراق و وقع المساواة و المشابهة بينه و بينها ، فيكون مشاركاً لها في الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للمحاجة إلى الصّانع ، فلم يكن بينه و بينها فصل ولا له عليها فضل ، و كلّ ذلك أعني المساوات والمشابهة وعدم الفصل والفضل ظاهر البطلان ، هذا

و المراد بالحادّ خالق الحدود و النّهايات ، والصّانع والرّب بينهما تغاير بحسب الاعتبار وهو دخول المالكيّة في مفهوم الرّبوبيّة دون الصّنع .

السادس (الأحد لا بتأويل عدد) يعني أنّه أحديّ الذّات ليس كمثله شيء وأحديّ الوجود لاجزء له ذهناً ولا عقلاً ولا خارجاً ، وليست وحدانيّته وحدانيّة عدديّة بمعنى أن يكون مبدء لكثرة تعدّ به كما يقال في أوّل العدد واحد ، وقد مرّ تحقيق ذلك في شرح الخطبة الرّابعة والسّتين .

(و) **السابع** (الخالق لا بمعنى حركة و نصب) يعني أنّه سبحانه موجد للأشياء بنفس قدرته التّامة الكاملة وخلقه الابداع والافاضة من دون حاجة إلى حركة ذهنيّة أو بدنيّة كما لساير الصّانعين ، لأنّ الحركة من عوارض الأجسام ، و هو منزّه عن الجسميّة كما لا حاجة في ايجاده إلى المباشرة و التعمّل حتّى يلحقه نصب وتعب ، وإنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

(و) **الثامن** (السّميع لا بأداة) و هى الأذنان والصّماخان والقوّة الكائنة تحتهما ، لتعاليه عن الآلات الجسمانيّة ، بل سمعه عبارة عن علمه بالمسموعات ، فهو نوع مخصوص من العلم باعتبار تعلّقه بنوع من المعلوم ، وقد تقدّم في شرح الفصل

السّادس من الخطبة الأولى أنّ السّمع و البصر من الصّفات الذّاتيّة له تعالى، والاحتياج فيهما إلى الأداة والآلة يوجب النّقص في الذّات والاستكمال والاستعانة بالآلات المنافي للوجوب الذّاتي

(و) **التاسع** (البصير لا بتفريق آلة) أى بفتح العين أو بعث القوّة الباصرة وتوزيعها على المبصرات

قال الشّارح البحراني: وهذا المعنى على قول من جعل الابصار بآلة الشّعاع الخارج من العين المتّصل بسطح المرئي أظهر، فانّ توزيعه أظهر من توزيع الآلة على قول من يقول إنّ الادراك يحصل بانطباع صورة المرئي في العين، ومعنى التّفريق على القول الثّاني هو تقليب الحدقة وتوجيهها مرّة إلى هذا المبصر ومرّة إلى ذاك كما يقال فلان مفرّق الهمّة والخاطر إذا وزّع فكره على حفظ أشياء متباينة ومراعاتها كالعلم وتحصيل المال وظاهر تنزيهه تعالى عن الابصار بآلة الحسّ لكونها من توابع الجسميّة ولواحقها

(و) **العاشر** (المشاهد لا بمماسّة) وفي بعض النّسخ الشّاهد بدل المشاهد، والمعنى واحد

قال صدر المتألّهين في شرح الكافي في تحقيق ذلك: لأنّ التماسّ من خواصّ الأجسام، والمشاهدة بالمماسّة للمشهود نفسه كما في الذّائقة واللاّمسة، وللمتوسّط بين الشّاهد والمشهود كما في الشّامّة والسّامعة والباصرة، والحاصل أنّ إدراكات الحواسّ الظّاهرة الخمسة ومشاهداتها كلّها لاتتمّ إلاّ بالمماسّة لجسم من الأجسام وإن كان المشهود له والحاضر بالذّات عند النّفس شيئاً آخر غير الممسوس بالذّات أو بالواسطة

(و) **الحاديعشر** (البائن لا بتراخى مسافة) يعني أنه مباين للأشياء ومغاير لها بنفس ذاته و صفاته، لأنه في غاية التمام والكمال، وماسواه في نهاية الافتقار والنقصان، وليس تباينه تباين أين وتباعد مكان بتراخى مسافة بينه وبين غيره، لأنّ ذلك من خواصّ الأينيّات، وهو الذى أيّن الأين بلا أين، وقد تقدّم نظير هذه الفقرة

في الفصل السادس من الخطبة الأولى ، و شرحناه بما يوجب الانتفاع به في المقام فليراجع ثمة

(و) **الثانيعشر** (الظّاهر لابرؤية و) **الثالث عشر** (الباطن لابلطافة) يعني أنّ ظهوره سبحانه ليس كظهور ظاهر الأشياء بأن يكون مرئياً بحاسّة البصر ، و لا بطونه كبطونها بأن يكون لطيفاً لصغر حجمه أولطافة قوامه كالهواء ، بل نحو آخر من الظّهور والبطون على مامرّ تحقيقه في شرح الخطبة التّاسعة والأربعين وشرح الخطبة الرّابعة والسّتين فليتذكّر .

والرابع عشر أنّه (بان من الأشياء بالقهرلها والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرّجوع إليه) وهذه الفقرة في الحقيقة تفسير وتوضيح للوصف الحاديعشر ، فانّه عليه السلام لمّا ذكر هناك أنّ بينونيّته ليست بتراخي مسافة أوضح هنا جهة البينونة بأنّه إنّما بان من الأشياء بغلبته و استيلائه عليها وقدرتـه على ايجادها وإعدامها كما هو اللاّيق بشأن الواجب المتعال ، وأنّ الأشياء إنّما بانت منه لخضوعها وذلّها في قيد الامكان ورجوعها في وجودها و كمالاتها إلى وجوده كما هو مقتضى حال الممكن المفتقر .

الخامس عشر أنّه تعالى منزّه عن الصّفات الزّايدة على الذّات ، و إليه أشار بقوله (من وصفه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل أزله) قال العلامة المجلسي في مرآت العقول في شرح هذه الفقرة من حديث الكافي : إنّ من وصف الله بالصّورة والكيف فقد جعله جسماً ذاحدود ، ومن جعله ذا حدود فقد جعله ذا أجزاء ، و كلّ ذى أجزاء محتاج حادث ، أو أنّ من وصف الله و حاول تحديد كنهه فقد جعله ذاحد مركّب من جنس وفصل ، فقد صار حقيقة مركّبة محتاجة إلى الأجزاء حادثة أو أنّ من وصف الله بالصّفات الزّايدة فقد جعل ذاتـه محدودة بها ، ومن حدّه كذلك فقد جعله ذا عدد إذ اختلاف الصّفات إنّما يكون بتعدّد أجزاء الذّات أوقال بتعدّد الالهة إذ يكون كلّ صفة لقدمها إلها غير محتاج إلى علّة ، و من كان مشاركا في الالهيّة لا يكون قديماً فيحتاج إلى علّة ، أو جعله

مع صفاته ذاعدد وعروض الصّفات المغايرة الموجودة ينافي الأزليّة ، لأنّ الاتّصاف نوع علاقة توجب احتياج كلّ منهما إلى الآخر ، وهو ينافي وجوب الوجود والأزليّة أو المعنى أنّه على تقدير زيادة الصّفات يلزم تركّب الصّانع إذ ظاهر أنّ الذّات بدون ملاحظة الصّفات ليست بصانع للعالم ، فالصّانع المجموع فيلزم تركّبه المستلزم للحاجة والامكان ، وقيل : فقد عدّه من المخلوقين .

السادس عشر أنّه منزّه عن الكيف ، وإليه أشار بقوله (و من قال كيف فقد استوصفه) أي طلب وصفه بصفات المخلوقين وجعل له وصفا زايداً على ذاته ، وقد علمت أنّ ذلك ممتنع في حقّه إذ كلّ صفة وجوديّة زايدة على ذاته فهي من مقولة الكيف و من جنس الكيف النّفساني ، فيلزم كون ذاته بذاته معرّاة عن صفة كماليّة ، و يلزم له مخالطة الامكان وينافي كونه واجب الوجود من جميع الجهات ، و كلّ ذلك محال عليه تعالى هذا ، وقد تقدّم في شرح الخطبة الرّابعة والثّمانين تحقيق معنى الكيف وتفصيل تنزّهه تعالى عن الاتّصاف به .

السابع عشر أنّه سبحانه منزّه عن المكان ، و إليه أشار بقوله (و من قال أين فقد حيّزه) لأنّ أين سؤال عن الحيّز و الجهة ، فمن قال أين فقد جعله في حيّز مخصوص وهو محال في حقّ الواجب تعالى ، لأنّه خالق الحيّز و المكان فيلزم افتقاره إلى ماهو مفتقر إليه ، على أنّ كونه في حيّز معيّن يستلزم خلوّ ساير الأحياز و الأمكنة منه كماهو شأن الأجسام و الجسمانيّات ، و هو باطل لأنّه في جميع الأحياز بالعلم والاحاطة ، وهو الذي في السّماء إله وفي الأرض إله .

واعلم أنّ هذه العبارة نظير قوله عليه السلام في الفصل الخامس من الخطبة الأولى ومن قال فيم فقد ضمنه ، وقد ذكرنا في شرحه مايوجب البصيرة في المقام .

الثامن عشر أنّه سبحانه (عالم إذ لا معلوم وربّ إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور) إذ ظرفيّة على توهم الزّمان أي كان موصوفا في الأزل بالعلم والرّبوبيّة والقدرة ، ولم يكن شيء من المعلوم والمربوب والمقدور موجوداً فيه .

أمّا أنّه كان عالماً بالأشياء ولا معلوم فلأنّ علمه عين ذاته وتقدّم ذاته على

معلوماته الحادثة ظاهر ، و لا يتوقّف وجوده على وجود المعلوم كمامرّ تحقيقه في شرح الفصل السّابع من الخطبة الأولى عند تحقيق قوله : عالماً بها قبل ابتدائها فليتذكّر.

و أمّا أنّه كان ربّاً إذ لا مربوب لأنّ معنى الرّب هوالمالك ، و قد كان سبحانه مالكا لأزمّة الامكان و تصريفه من العدم إلى الوجود ومن الوجود إلى العدم كيف شاء ومتى أراد ، وقيل : المراد إنّه كان قادراً على التربية إذ هز الكمال وفعليّتها منوطة على المصلحة .

وأمّا أنّه كان قادراً اذ لا مقدور فلأنّ القادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وبعبارة اخرى هو الّذي يصحّ منه الفعل و الترك ، ووجود هذا الوصف له لا يستلزم وجود المقدور

وقال الصّدوق في التّوحيد : والقدرة مصدرقولك قدر قدرة أي ملك فهوقدير قادر مقتدر ، وقدرته على مالم يوجد واقتداره على إيجاده هو قهره وملكه له ، وقد قال عزّ ذكره : « مالك يوم الدّين » ويوم الدّين لم يوجد بعد .

التّرجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن ولي ربّ العالمين ووصيّ أمين خاتم النّبيّين است درتحميد وتوحيد وتمجيد حضرت ذوالجلال وخداوند متعال ميفرمايد :

حمد و ثنا خداونديرا سزاست كه هدايت كننده است بوجود خود با ايجاد مخلوقات خود ، وباحدوث مخلوقات خود برأزليّت وسرمديّت خود ، وباشبيه نمودن آن مخلوقات بيكديگر براينكه هيچ مثل وشبيه نيست مراورا ، مسّ نميتوانند بكنند او راحواسّ ظاهره وباطنه ، ونمي پوشاند اورا پردهاوحجابها بجهت ممتاز ومغاير بودن آفريننده وآفريده شده، وحدقرار دهنده وحدقرارداده شده، وتربيت كننده وتربيت داده شده ، اين صفت دارد كه يكيست نه يكى كه از مقولهٔ أعداد باشد ، و خلق كننده است نه باحركت و مشقّت ، و شنوااست نه باآلت گوش ، وبينا است نـه با

بر گرداندن حدقۀ چشم ، وحاضر است با أشيا نه با مجاورت ومماست ، وجداست از أشيانه بدوري راه ، و آشكار است نه بديدن چشمها ، و پنهانست نه بسبب لطافت مقدار .

جدا شد ازأشيا باقهر وغلبه كردن بر آنها ، وجدا شد أشيا ازاوبسبب خضوع وتواضع نمودن آنها براوبسبب بازگشت آنها بسوى او ، هر كس وصف كرد اورا پس بتحقيق كه حد قرار داد اورا ، وهر كه حد قرار دهد براو پس بتحقيق كه در شمار آورد اورا ، و كسى كه در شمار آورد او را پس بتحقيق كه باطل گردانيد أزليّت اورا ، وهر كس كه بگويد چگونه است او پس بتحقيق كه طلب وصف او نمود ، و هر كه گفت او كجاست پس بتحقيق كه مكان قرار داد بأو ، دانا بود در وقتى كه هيچ معلومى نبود ، ربّ بود هنگامى كه هيچ مربوبى نبود ، و صاحب قدرت بود زمانى كه هيچ مقدورى نبود

الفصل الثاني منها

قَدْ طَلَعَ طالِعٌ، وَ لَمَعَ لامِعٌ، وَلاحَ لائِحٌ، وَاعْتَدَلَ مائِلٌ، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً ، وَ بِيَوْمٍ يَوْماً ، وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ ، وَ إِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوّامُ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ ، وَعُرَفاؤُهُ عَلىٰ عِبادِهِ ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلا يَدْخُلُ النّارَ إِلاّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ قَدْ خَصَّكُمْ بِالإِسْلامِ ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ . وَذٰلِكَ لأَنَّهُ اسْمُ سَلامَةٍ وَجِماعُ كَرامَةٍ ، اصْطَفَى اللهُ تَعالىٰ مَنْهَجَهُ ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظاهِرِ عِلْمٍ ، وَباطِنِ حُكْمٍ ، لا تَفْنى غَرائِبُهُ ، وَلا

تَنْقَضي عَجائبُهُ ، فيهِ مَرابيعُ النِّعَمِ ، وَمَصابيحُ الظُّلَمِ ، لا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلّا بِمَفاتِحِهِ ، وَلا تُكْشَفُ الظُّلُماتُ إِلّا بِمَصابيحِهِ ، قَدْ أَحْمى حِماهُ ، وَأَرْعى مَرْعاهُ ، فيهِ شِفاءُ الْمُشْتَفي ، وَكِفايَةُ الْمُكْتَفي.

اللغة

(الجدب) هو المحل وزنا ومعنا وهو انقطاع المطر ويبس الأرض وأجدب القوم اجدابا أصابهم الجدب و (عرفت) على القوم من باب قتل عرافة بالكسر فأنا عارف أى مدبّر أمرهم و قائم بسياستهم ، وعرفت عليهم بالضمّ لغة فأنا عريف و الجمع عرفاء ، و قيل : العريف هو القيّم بأمور القبيلة و الجماعة يلى أمورهم ويتعرّف الأمير منه أحوالهم فعيل بمعنى فاعل و (جماع) الشيء بالكسر والتّخفيف جمعه يقال الخمر جماع الاثم و (المرابيع) الأمطار التي تجيء في أوّل الرّبيع و (حمى) المكان من النّاس حمياً من باب رمى منعه عنهم ، و الحماية اسم منه وأحميته بالألف جعلته حمى لايقرب ولايجترء عليه و كلاء حمى محمى قال الشاعر:

ونرعى حمى الأقوام غير محرّم علينا ولايرعى حمانا الذي نحمى

قال الشّارح المعتزلي : قد حمى حماه ، أى عرضه لأن يحمى كما تقول : أقتلت الرّجل أى عرضته لأن يضرب .

الاعراب

جملة لايدخل الجنة ، بدل من الجملة السابقة عليها ، ولشدّة الاتّصال بينهما ترك العاطف على حدّ قوله تعالى : أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام و بنين ، وإضافة المنهج إلى الضمير إما نظير الاضافة في سعيد كرز ، أو بمعنى اللاّم ، والاضافة في قوله : من ظاهر علم و باطن حكم ، من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها ،

ومن في من ظاهر للتبيين والتفسير كما تقول دفعت إليه سلاحا من سيف ورمح وسهم أو للتميز والتقسيم.

المعنى

اعلم أنّ الشارح المعتزلي ذكر في شرح هذا الفصل من كلامه عليه السلام أنه خطب بذلك بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه.

إذا عرفت ذلك فأقول قوله عليه السلام (قد طلع طالع و لمع لامع و لاح لائح) يحتمل أن يكون المراد بالجملات الثلاث واحداً، أى طلع شمس الخلافة من مطلعها وسطع أنوار الامامة من منارها، وظهر كوكب الولاية من اُفقه، وأن يكون المراد بالاُولى ظهور خلافته وأمارته، وبالثّانية ظهورها من حيث هي حقّ له عليه السلام وسطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه، و بالثّالثة ظهور الحروب و الفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه عليه السلام

(واعتدل مائل) أى استقام ما اعوج من أركان الدّين وقوائم الشّرع المبين (واستبدل الله بقوم) من أهل الضّلال والفساد وهم الخلفاء الثلاث وأتباعهم (قوما) من أهل الصّلاح و الرّشاد و هم أمير المؤمنين و تابعوه (وبيوم) انتشر فيه الجور والاعتساف (يوماً) ظهر فيه العدل والانصاف (وانتظرنا الغير) أى تغيّرات الدّهر وتقلّبات الزّمان

قال العلاّمة المجلسيّ (قد) : و لعلّ انتظارها كناية عن العلم بوقوعه، أو الرّضا بما قضى الله من ذلك، والمراد بالغير ما جرى قبل ذلك من قتل عثمان وانتقال الأمر اليه أو ما سيأتي من الحروب والوقايع، والأوّل أنسب بالتشبيه بـ(ـانتظار المجدب المطر) لدلالته على شدّة شوقه بالتّغيرات وفرط رغبته لانتقال الأمر اليه ليتمكّن من إعلاء كلمة الاسلام وترويج شرع سيّد الأنام عليه وآله آلاف التّحية والسّلام كما أنّ للمجدب شدّة الاشتياق إلى الأمطار

ثمّ أشار إلى أنّ القيام باُمور الاُمّة وظيفة الأئمة فقط، وأنّ موالاتهم ومتابعتهم واجبة فقال (وإنّ الائمة) أراد به نفسه الشّريف والطيبّين من أولاده (قوّام الله على

خلقه) أي يقومون بمصالحهم ويدبّرون أمورهم ، أو أنّهم القائمون بأمر الله ونهيه وأحكامه على خلقه ، لكونهم خلفائه في أرضه وحججه على بريّته ، و كمال هذا القيام عند ظهور صاحب الأمر عليه السلام فانّه الزّمان الّذي تجتمع فيه الخلايق على الايمان ، ويرتفع الشّرك بالكلّية .

كما يدلّ عليه مافي الكافي عن أبي خديجة عن أبيعبدالله عليه السلام أنّه سئل عن القائم ، فقال : كلّنا قائم بأمر الله واحداً بعد واحد حتّى يجيء صاحب السّيف فاذا جاء صاحب السّيف جاء بأمر غير الّذي كان (وعرفائه على عباده) كما قال تعالى

« وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ »

روى في البحار من بصائر الدّرجات مسنداً عن الهلقام عن أبيجعفر عليه السلام في قوله : و على الأعراف رجال ، قال عليه السلام : نحن أولئك الرّجال الأئمة منّا يعرفون من يدخل النّار ومن يدخل الجنّة كما تعرفون في قبائلكم الرّجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح .

و فيه عن الهلقام أيضاً عن أبيجعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم » ما يعني بقوله وعلى الأعراف رجال؟ قال عليه السلام : ألستم تعرفون عليكم عريفا على قبائلكم لتعرفوا من فيها من صالح أو طالح ؟ قلت : بلى ، قال : فنحن أولئك الرّجال الّذين يعرفون كلاًّ بسيماهم .

و فيه من كتاب المقتضب لأحمد بن محمّد بن عياش بسنده عن أبان بن عمر ختن آل ميثم قال : كنت عند أبيعبدالله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدى فقال : جعلني الله فداك ماتقول في قوله تعالى ذكره « وعلى الأعراف رجال » الآية قال : هم الأوصياء من آل محمّد الاثنا عشر لايعرف الله إلاّ من عرفهم و عرفوه ، قال فما الأعراف جعلت فداك ؟ قال : كثائب من مسك عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله والأوصياء يعرفون كلاًّ بسيماهم فقال سفيان : فلا أقول في ذلك شيئاً ؟ فقال من قصيدة شعراً .

أيا ربعهم (١) هل فيك لى اليوم مربع وهل لليالى كنّ لى فيك مرجع

(١) الربع الدار والمحلة والمنزل يرتبعون فيه فى الربيع كالمربع؛ والربا الربح الطيبة

وفيها يقول:

و انتم ولاة الحشر والنشر والجزا و أنتم ليوم المفزع الهول مفزع
وأنتم على الأعراف و هى كتائب من المسك رياها بكم يتضوع
ثمانية بالعرش اذ يحملونه و من بعدهم هادون في الأرض أربع

(لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه) هذه القضيّة قد نصّت عليها في الأخبار المعتبرة المتظافرة عن أهل بيت العصمة والطّهارة، وستطلع عليها وعلى تحقيق معناها في التّذييل الآتي.

ثمّ أشار إلى بعض ما منّ الله تعالى به على المخاطبين، وهو أعظم نعمائه عليهم فقال (إنّ الله قد خصّكم بالاسلام واستخلصكم له) أى استخصّكم له يعني أنّكم لكرامتكم عند الله تعالى و علوّ منزلتكم خصّكم بهذه النّعمة العظمى و العطيّة الكبرى (و ذلك لأنّه اسم سلامة) قال الشّارح المعتزلى والبحراني: يعني أنّه مشتقّ من السّلامة، وتبعهما بعض الشّارحين فقال: ظاهر الكلام يعطى أنّ الاسلام من السّلامة مشتقّ فليس بمعنى الانقياد والدّخول في السلم.

أقول: لا دلالة في كلامه عليه السلام على اشتقاقه منه لو لم يكن دالاّ على خلافه، بل الظّاهر أنّ معناه أنّ الاسلام اسم لمسمّى فيه سلامة من غضب الجبّار و من النّار، فانّ من فاز بالاسلام سلم من سخط الله وعقوبته.

(و) هو أيضاً (جماع كرامة) أى مجمعه إذ به يفاز الجنان، ويتحصل الرّضوان والنّعيم الأبد واللّذة السّرمد (اصطفى الله منهجه) أى اختار طريق الاسلام وارتضاه من بين ساير الطرق والمناهج، و المراد بطريق الاسلام إما نفس الاسلام، و تسميته بالطريق باعتبار ايصاله إلى قرب الحقّ سبحانه و كونه محصّلا لرضاه تعالى، وقد عبّر عنه بالصّراط وهو الطّريق في قوله تعالى:

«إِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ».

على بعض تفاسيره، ويدلّ على اختيار الله سبحانه واصطفائه له قوله تعالى:

«أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً».

وأمّا الطريق المخصوص به أعنى الطّريق الّذي لابدّ لمن تديّن بدين الاسلام أن يسلكه وهي طريق الشّريعة أعني الفروع العمليّة، والدّليل على اصطفائه عزّ وجل لها جعلها ناسخة لسائر الشّرايع و إبقائها بقاء الدّهر، شرع محمّد صلى الله عليه وآله مستمرّ إلى يوم القيامة

(وبيّن حججه) أي أوضح الأدلّة الدّالة على حقيّته (من ظاهر علم وباطن حكم) أي تلك الأدلّة على قسمين: أحدهما علم ظاهر و هي الأدلّة النّقلية من الكتاب والسّنة، وثانيهما حكمة باطنة وهي الأدلّة العقليّة.

أمّا تفسير الحكم بالحكمة فقد دلّ عليه ما في الصافي عن الكافي عن الباقر عليه السلام قال: مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير، ثمّ تلا قوله تعالى

«يا يَحْيَى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا».

وفي مجمع البحرين في الحديث ادع الله أن يملاء قلبي علماً وحكما، أي حكمة.

و أمّا تفسير الحكمة بالعقل فقد نصّ عليه الكاظم عليه السلام في رواية الصافي عن الكافي عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ».

قال: الفهم و العقل، فقد ظهر و اتّضح مما ذكرنا أنّ المراد بالحكم الباطن هو دليل العقل (لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه) يعني أنّ غرائب الاسلام و عجائبه دائمة تجدّد يوما فيوماً، ألاترى كيف أعزّه الله وأهله في بدو الأمر وأذلّ الكفر وأهله ونصر الله المسلمين على الكافرين وأظهرهم عليهم على قلّة الأوّلين و كثرة الآخرين و أيّد الاسلام بالملائكة المسوّمين يوم بدر و حنين، و نكص الشيطان اللّعين على عقبيه لما ترائت الفئتان و قال إنّي أرى مالا ترون إنّي أخاف الله ربّ

العالمين ، مضافة إلى المعجزات و الكرامات الصادرة من قادة المسلمين و نوّابهم الصّالحين في كلّ عصروزمان ،وأعظم تلك العجائب وأكمل تلك الغرايب مايظهر في آخرالزّمان عند ظهور الدّولةالحقّةالقائميّة «عج»وهذه كلّها من عجائب نفس الاسلام ومضافة إليه كما هوغير خفيّ لاُولى الأفهام .

(فيه مرابيع النّعم) استعار لفظ المرابيع للبركات والخيرات التى يفوز بها المسلمون في الآخرة والاُولى ببركة أخذهم الاسلام ديناً أمّا فى الدّنيافكحقن الدّماء والظفر بالأعداء وغنيمة الأموال ورفاه الحال ، وأمّا في العقبى فالنّجاة من النّار والأمن من غضب الجبّار والفوز بجنّات تجري من تحتهاالأنهار ، وبرضوان من الله أكبر وهو أعظم النّعماء وأشرف الآلاء .

(و مصابيح الظّلم) لفظ المصابيح أيضاً استعارة للمعارف الحقّة و العقايد الالهيّة ، إذ بتصفيةالقلب بهايرتفع ظلمات الشّبهات ويندفع رين الشكوكات عنه في الدّنيا بخلاف الّذين كفروا فقد ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، و أمّا في الآخرة فبسبب تلك المعارف وبعض الأعمال الصّالحة الّتي هى من فروع الدّين والاسلام يحصل نور للمؤمن في القبروالبرزخ والقيامة ، هذا

ويحتمل أن يكون لفظ المصابيح استعارة لأولياء الدّين وأئمّة اليقين قادة المسلمين إذ بهم يهتدي من ظلمات الجهل والضّلال في الّدين والدّنيا ، وبأنوارهم يسلك سبيل الجنّة في الأخرى كما قال عزّ من قائل :

« نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ » .

وقد مرّ الكلام في هذا المعنى مشبعا في شرح الفصل الأوّل من الخطبة الرّابعة فليراجع ثمة .

(لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتحه) أراد بالخيرات النّعم الأخرويّة واللّذائذ الدّائمة الباقية والدّرجات العالية ، ومفاتح الاسلام الفاتحة لها عبارة عن فروعات

الاسلام و الأعمال الحسنة والعبادات الّتي كلّ منها سبب لجزاء مخصوص وموصلة الى درجة مخصوصة من درجات الجنان ومفتاح لأبوابها .

كما ورد في بعض الأخبار : أنّ للجنّة ثمانية أبواب : الباب الأوّل اسمه التّوبة ، الثّاني الزّكاة ، الثّالث الصّلاة ، الرّابع الأمر و النّهى ، الخامس الحجّ السّادس الورع ، السّابع الجهاد ، الثّامن الصّبر ، فانّ الظّاهر منه أنّ التّوبة مفتاح للباب الأوّل والزّكاة للثاني وهكذا .

(ولا تكشف الظلمات إلاّ بمصابيحه) قد ظهر توضيحه ممّا قدّمناه آنفا في شرح قوله : فيه مصابيح الظلم (قد أحمى حماه) المراد بحمى الاسلام المحرّمات الشّرعيّة وقد أحماها الله سبحانه أى جعلها عرضة لأن تحمى ، أى منع ونهى عن الاقتحام فيها .

ويدلّ على ما ذكرناه ما في الوسائل عن الصّدوق قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب النّاس فقال في كلام ذكره : حلال بيّن ، وحرام بيّن ، و شبهات بين ذلك فمن ترك ما اشتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك ، والمعاصى حمى الله فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها

و فيه عن الفضل بن الحسن الطبرسي في تفسيره الصّغير قال : في الحديث أنّ لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه .

و فيه عن الكراجكي في كتاب كنز الفوايد بسنده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال قال جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله : أيّها النّاس حلالي حلال إلى يوم القيامة ، و حرامي حرام إلى يوم القيامة ، ألا وقد بينهما الله عزّ وجلّ في الكتاب وبيّنتهما لكم في سنّتي وسيرتي ، و بينهما شبهات من الشّيطان وبدع بعدى من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروّته و عرضه ، ومن تلبّس بها وقع فيها و اتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى ، و من رعى ما شيته قرب الحمى نازعته نفسه إلى أن يرعاها في الحمى ، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى ، ألا وإنّ حمى الله عزّ وجلّ محارمه ، فتوقّوا حمى الله ومحارمه .

(و أرعى مرعاه) المراد بمرعاه المباحات و المحلّلات الشّرعية ، فانّ الله سبحانه قد رخّص المكلّفين في الاقدام عليها وتناولها والتّمتع بها .

(فيه شفاء المشتفى و كفاية المكتفى) إذ به يحصل التّقرب الرّوحاني من الحقّ تعالى، وهو شفاء لكلّ داء وغنى لكلّ فقر ، واليه يؤمى ما في الحديث القدسي يابن آدم كلّكم ضالّ إلاّ من هديته ، و كلّكم مريض إلاّ من شفيته ، و كلّكم فقير إلاّ من أغنيته

تنبيه

ما ذكرته في شرح هذه الفقرات الأخيرة أعني قوله: من ظاهر علم ، إلى آخر الفصل هو الّذي ظهر لي في المقام وهو الأنسب بسياق الكلام .

وقال الشّارح المعتزلي والبحراني وتبعهما غيرهما: إنّ المراد بقوله : من ظاهر علم هو القرآن ، وما ذكره إلى آخر الفصل أوصاف له .

قال الشّارح المعتزلي ويعنى بظاهر علم وباطن حكم القرآن ألا تراه كيف أتى بعده بصفات ونعوت لايكون إلاّ للقرآن من قوله : لاتفنى غرايبه ، أى آياته المحكمة وبراهينه القاطعة ، ولاتنقضى عجائبة ، لأنّه مهما تأمّله الانسان استخرج منه بفكره غرايب وعجايب لم يكن عنده من قبل ، فيه مرابيع النعم المرابيع سبب لظهور الكلاء ، و كذلك تدبر القرآن سبب للنعم الدّينية وحصولها ، قد أحمى حماه و أرعى مرعاه ، أى عرض حمى القرآن ومحارمه لأن يجتنب و عرض مرعاه لأن يرعى ، أى يمكن من الانتفاع بمافيه من الزّواجر والمواعظ لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين ، ولم تقنع ببيان ما لايعلم إلاّ بالشرع حتى نبّه في أكثره على أدلّة العقل .

و قال الشارح البحراني : ثمّ أخذ عليه السلام في إظهار منّة الله عليهم بالقرآن الكريم وتخصيصهم به من بين ساير الكتب واعدادهم لقبوله من ساير الامم .

ثمّ نبّه على بعض أسباب إكرامه تعالى لهم به

أمّا من جهة اسمه فلأنّه مشتق من السّلامة بالدّخول في الطّاعة .

وأمّا من جهة معناه فمن وجوه :

أحدها أنّه مجموع كرامة من الله لخلقه لأنّ مدار جميع آياته على هداية الخلق إلى سبيل الله القائدة إلى الجنّة

الثّانى أنّ الله اصطفى منهجه و هو طريقته الواضحة المؤدّية للسّالكين بالسير إلى رضوان الله

الثّالث أنّه بيّن حججه وهي الأدلّة و الأمارات و قسم الحجج إلى ظاهر علم و أشاربه إلى ظواهر الشّريعة وأحكامها الفقهيّة و أدلّة تلك الأحكام ، وباطن حكم وأشاربه إلى مايشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكمة الالهية وأسرار التوحيد وعلم الأخلاق والسياسات وغيرها

الرابع أنه لاتفنى عزائمه (١) وأراد بالعزائم هنا الآيات المحكمة وبراهينه العازمة أى القاطعة ، وعدم فنائها إشارة إمّا إلى ثباتها واستقرارها على طول المدّة وتغير الأعصار، وإمّا إلى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها

الخامس ولا تنقضى عجايبه ، لأنه كلّما تأمله الانسان استخرج منه بفكره لطايف معجبة من أنواع العلوم لم يكن عنده من قبل.

السادس فيه مرابيع النعم ، استعار لفظ المرابيع لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة القرآن ولزوم أوامره ونواهيه وحكمه وآدابه أمّافي الدّنيافالنعم التي تحصل ببركته لحامليه من القرّاء والمفسّرين وغيرهم ظاهرة الكثرة ، وأمّا بالنسبة إلى الآخرة فمايحصل عليه مقتبسو أنواره من الكمالات المعدّة في الآخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة أعظم نعمة وأتمّ فضل

السابع أنّ فيه مصابيح الظلم استعار لفظ المصابيح لقوانينه وقواعده الهادية إلى الله في سبيله .

الثامن أنه لا يفتح الخيرات إلا بمفاتحه، أراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتح لمناهجه وطرقه الموصلة إلى تلك الخيرات .

١- هكذا فى شرح البحراني ويستفاد منه أنّ الموجود في نسخته عزائمه بدل غرائبه

التاسع و لا ينكشف الظلّمات إلاّ بمصابيحه أراد ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه .

العاشر كونه قد أحمى حماه ، استعار لفظ الحمى لحفظه و تدبّره والعمل بقوانينه ، ووجه الاستعارة أنّ بذلك يكون حفظ الشّخص وحراسته أمّا في الدّنيا فمن أيدي كثير من الظّالمين لاحترامهم حملة القرآن ومفسّريه ومن يتعلّق به ، وأمّا في الآخرة فلحمايته حفظته و متدبّريه والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به ، ونسبة الأحماء إليه مجاز .

الحاديعشر وكذلك أرعى مرعاه أي هيّأه لأن رعاه ، واستعار لفظ المرعى للعلوم و الحكم والآداب الّتي يشتمل عليه القرآن ، ووجه المشابهة أنّ هذه مراعي النفوس الانسانيّة و غذائها الّذي به يكون نشوها العقلي و نماؤها الفعلي ، كما أنّ المراعي المحسوسة من النّبات غذاء للأبدان الحيوانيّة الّتي بها يقوم وجودها .

الثّانيعشر فيه شفاء المشتفي ، أي طالب الشّفاء منه أمّا في الأبدان فبالتعوّذ به مع صدق النّية فيه و سلامة الصّدور ، و أمّا في النّفوس فلشفائها به من أمراض الجهل .

الثالث عشر و كفاية المكتفي ، أراد بالمكتفي طالب الكفاية أما من الدّنيا فلأنّ حملة القرآن الطالبين به المطالب الدّنيويـة هم أقدر و أكثر الناس على الاحتيال به في تحصيل مطالبهم و كفايتهم بها ، وأمّا في الآخرة فلأنّ طالب الكفاية منها يكفيه تدبّر القرآن ولزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها

تذييل

قد وعدناك تحقيق الكلام في قوله ﷺ : لا يدخل الجنة إلاّ من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه ، وقد تكلّم فيه الشارحان البحراني

والمعتزلي على ما يقتضيه سليقتهما وبلغا فيه غاية وسعهما وبذلا منتهى الجهد إلا أنهما لقصوريديهما عن أخبار العترة الأطهار الأطياب لم يكشفا عن وجوه خرايده النقاب، و خفى عليهما وجه التحقيق ومقتضى النظر الدقيق، فأحببت أن اشبع الكلام في المقام، لكونه حقيقاً بذلك مع الاشارة إلى بعض ما قاله الشارحان الفاضلان، وينبغي أن نورد أولا جملة من الروايات الموافقه معنى لكلامه عليه السلام ثم نتبعها بالمقصود.

فأقول: وبالله التوفيق قال تعالى:

«وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ»

وللمفسرين في تفسير الأعراف قولان:

أحدهما أنها سوربين الجنة و النار أوشرفها و أعاليها، أو الصراط فيكون مأخوذاً من عرف الديك

و ثانيهما أن على معرفة أهل الجنة و النار رجال و الأخبار تدل على التفسيرين، و ربما يظهر من بعضها أنه جمع عريف كشريف وأشراف، فيكون مرادفاً للعرفاء، فلابد على هذا التفسير من التقدير أى على طريق الأعراف رجال أو على التجريد، هكذا قال العلامة المجلسي.

و هو انما يستقيم إذا جعلنا الأعراف مأخوذاً من المعرفة، و أما إذا كان جمعاً لعريف فهذا التقدير لا يرفع الاشكال، إذ يكون محصل المعنى أن على طريق عرفاء أهل الجنة و النار رجال و الحال أن هذه الرجال نفس الأعراف والعرفاء، فكيف يكونون على طريق العرفاء، والتجريد أيضاً غير مستقيم كما لا يخفى فاللازم حينئذ جعل الأعراف في الآية بمعنى السور، أو المواضع العالية و نحوها، أو بمعنى المعرفة، و على ذلك فلا ينافي وصف الرجال بكونهم أعرافاً أيضاً كما في الأخبار المتقدمة و الآتية، لكونهم عرفاء العباد أعنى أن كلاً منهم عريف أو لكونهم عارفين بالله، أو لأنهم سبيل معرفة الله ونحو ذلك

قال في الصّافي : والوجه في إطلاق لفظ الأعراف على الأئمة أنّ الأعراف إن كان اشتقاقها من المعرفة فالأنبياء والأوصياء هم العارفون والمعروفون والمعرّفون الله و النّاس للناس في هذه النشأة ، و إن كان من العرف بمعنى المكان العالي المرتفع فهم الّذين من فرط معرفتهم و شدّة بصيرتهم كأنّهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى ساير النّاس في درجاتهم ودركاتهم ، و يميزون السّعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هذه النشأة

إذا ظهر لك ذلك فلنورد بعض ما ورد من الأخبار المناسبة للمقام

فأقول : روى في البحار من بصاير الدّرجات و منتخب البصاير معنعناً عن مقرن قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين و على الأعراف رجال يعرفون كلاّ بسيماهم ، فقال عليه السلام نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الّذين لايعرف الله عزّ وجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا ، و نحن الأعراف يعرفنا « يوقفنا » الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصّراط ، فلا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا ونحن عرفناه ، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه ، إنّ الله لوشاء لعرف العباد نفسه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه و سبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فانّهم عن الصّراط لناكبون ، و لا سواء من اعتصم النّاس به ، و لا سواء من ذهب حيث ذهب النّاس ، ذهب الناس إلى عيون كدرة (١) يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجرى بأمور لانفاد لها ولا انقطاع

و فيه من البصاير و منتخب البصاير أيضاً مرفوعاً إلى الأصبغ بن نباتة عن سلمان الفارسي (ره) قال : اقسم بالله لسمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يقول لعليّ عليه السلام : ياعليّ إنك والأوصياء من بعدي أوقال من بعدك أعراف لايعرف الله إلاّ بسبيل معرفتكم وأعراف لايدخل الجنّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه ، ولايدخل النّار إلاّ من أنكركم

١ـ اى مكدرة بالشكوك والشبهات و الجهالات، يفرغ اى يصب بعضها فى بعض كناية عن أنّ كلاّ منهم يرجع الى الآخر فيما يجهله وليس فيهم من يستغنى عن غيره و يكمل فى علمه.

و أنكرتموه .

وفيه من الكتابين المذكورين عن المنبه عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم» قال عليه السلام: ياسعد آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لايدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ، ولايدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه ، وأعراف لايعرف الله إلاّ بسبيل معرفتهم

وفيه من البصاير عن عبدالله بن عامر وابن عيسى عن الجمال عن رجل عن نصر العطار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : ياعلي ثلاث اقسم أنّهنّ حق :إنّك والأوصياء عرفاء لايعرف الله إلاّ بسبيل معرفتكم ، وعرفاء لايدخل الجنّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه ، وعرفاء لا يدخل النّار إلاّ من أنكركم وأنكرتموه

وفي الصّافي من المجمع والجوامع عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنّار ، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة ، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار

و من تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي عن الصّادق عليه السلام كل أُمّة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمّة أوليائهم وأعدائهم بسيماهم ، و هو قوله « و على الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم » فيعطوا أوليائهم كتابهم بيمينهم فيمرّوا إلى الجنّة بلاحساب ويعطوا اعدائهم كتابهم بشمالهم فيمرّوا على النّار بلا حساب هذا ، و الأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية

إذا عرفت هذا فلنعد إلى تحقيق معنى قوله عليه السلام : لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه

فأقول: أما القضية الاولى فالمراد بها معرفة النّاس بالولاية و الامامة ، ومعرفتهم للنّاس بالتّشيع والمحبّة ،لاالمعرفة بأعيانهم فقط ، وإنّما لا يدخل الجنّة غير هؤلاء ، لأنّ الاذعان بالولايـة أعني معرفـة الأئمة حقّ المعرفـة والاعتقاد بامامتهم و بأنّهم مفترض الطاعة هو الرّكن الأعظم من الايمان ، و شرط قبوليّة ساير الأعمال و العبادات ، و بدونه لاينتفع بشيء منها كمامرّ تحقيق ذلك وتفصيله

ودللنا عليه في التذنيب الثالث من شرح الفصل الرابع من الخطبة الاولى.

ويدلّ عليه أيضاً الأخبار المتظافرة بل القريبة من التواتر لولم تكن متواترة الدالة إلى أنّ من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة الجاهليّة.

ومن جملة تلك الأخبار ما في البحار من كنز الكراجكي مسنداً عن الحسن ابن عبدالله الرازي عن أبيه عن عليّ بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتة جاهليّة يؤخذ بما عمل في الجاهليّة والاسلام.

ومن طريق العامّة عن عبدالله بن عمر بن الخطاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات وليس في عنقه بيعة لامام أوليس في عنقه عهد لامام مات ميتة جاهليّة

و من عيون أخبار الرّضا فيما كتب الرّضا عليه السلام للمأمون من شرايع الدّين: من مات لايعرف أئمّته مات ميتة جاهليّة

ثمّ المراد بالمعرفة في قوله عليه السلام: إلاّ من عرفهم وعرفوه، هو المعرفة في الدّنيا وفي الآخرة، أمّا معرفة النّاس بالأئمة في هذه النشأة فبأن يعرفوا أنّ لكلّ زمان إماماً ويعرفوا إمام زمانهم بخصوصه وهو حيّ ناطق يجب طاعته فيما يأمر وينهى وأمّا معرفتهم بهم في النشأة الآخرة فان كلّ امّة تدعى مع امامه قال تعالى:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا».

روى في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم بسنده عن الفضل عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قرنه، وعليّ عليه السلام في قرنه، والحسن في قرنه، والحسين في قرنه، وكلّ من مات بين ظهرانيّ قوم جاؤا معه، وقال عليّ ابن إبراهيم في هذه الآية ذلك يوم القيامة ينادى مناديقم أبوبكر وشيعته، وعمر وشيعته، وعثمان وشيعته، وعليّ عليه السلام وشيعته، وقد مرّ في شرح الفصل الثالث من الخطبة السّادسة والثّمانين الحديث الشّريف النّبوي في ورود الأُمّة على النّبيّ

يوم القيامة على خمس رايات ، و أنّ الرّاية الخامسة مع أمير المؤمنين عليه السلام ومعه شيعته،فليتذكّر .

و في البحار من أمالي الشّيخ بسنده عن كثير بن طارق قال سألت زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام عن قول الله تعالى :

« لاَ تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثيراً » .

فقال : يا كثير إنّك رجل صالح ولست بمتّهم وإنّي أخاف عليك أن تهلك أنّ كلّ إمام جائر فان أتباعهم إذا اُمر بهم إلى النّار نادوا باسمه فقالوا يا فلان يا من أهلكناهم « كذا» الآن فخلصنا ممّا نحن فيه ، ثمّ يدعون بالويل والثّبور فعندها يقال لهم « لاتدعوا اليوم ثبوراً واحدا وادعوا ثبوراً كثيراً » قال زيد بن عليّ رحمه الله : حدّثني أبي عليّ بن الحسين عن أبيه حسين بن عليّ عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يا عليّ أنت وأصحابك في الجنّة أنت وأتباعك يا عليّ في الجنّة،هذا

وبما ذكرناه من أنّ المراد بمعرفة الأئمة عليهم السلام معرفتهم بالولاية و الامامة لاالمعرفة بأعيانهم فقط ظهر لك أنّ هذه المعرفة مخصوصة بالفرقة المحقّة الاماميّة لاتوجد في غيرهم

فماحكاه الشّارح المعتزلي من أصحابه المعتزلة من أنّهم قائلون بصحة هذه القضيّة ، وهى أنّه لايدخل الجنّة إلاّ من عرف الأئمة ألا ترى أنّهم يقولون الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان ويعدّوهم واحداً واحداً ، فلو أنّ انساناً لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقاً و الفاسق عندهم لا يدخل الجنّة أبداً أعنى من مات على فسقه ، فقد ثبت أنّ هذه القضيّة وهى قوله عليه السلام : لايدخل الجنّة إلاّ من عرفهم قضيّة صحيحة على مذهب المعتزلة انتهى

فيه ما لايخفى إذ مجرّد معرفتهم وتعدادهم واحداً واحداً لايكفى في دخول الجنّة ولايترتّب عليها ثمرة أصلاً ، وإنّما اللاّزم معرفتهم بوصف الامامة والخلافة من رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل ، وأنّ العصر لايخلو من إمام إمّا ظاهر مشهور أو

غائب مستور وإنّ امام زماننا الآن حيّ حاضر موجود و إن كان غايبا عن أعيننا ، لاقتضاء الحكمة و هو الثّاني عشر من الأئمة ومهدي الامّة سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، و هو ينافي القول بخلافة الأوّل و الثّاني و الثّالث كما هو مذهب المعتزلة وساير العامّة ، وينافي إنكار وجود امام الزّمان عليه السلام الآن كما عليه بنائهم استبعاداً لغيبته بطول المدّة والزّمان ، هذا تمام الكلام في معرفة النّاس بالأئمة

رأمّا معرفتهم عليهم السلام بالنّاس فقد قلنا إنّ المراد بها أيضاً معرفتهم لهم بالتّشيع والمحبّة، لاالمعرفة بذواتهم وأشخاصهم فقط وإلاّ فهم يعرفون المنافقين و الكفّار كما يعرفون شيعتهم والمؤمنين الأبرار

فان قلت : نحن نرى كثيراً من شيعتهم و محبّيهم لا تعرفهم الأئمّة و لا يرون أشخاصهم.

قلت: هذا اعتراض سخيف أورده الشّارح البحراني في هذا المقام ، و أجاب عنه بقوله : لا يشترط في معرفتهم لمحبّيهم و معرفة محبّيهم لهم المعرفة الشّخصيّة العينيّة ، بل الشّرط المعرفة على وجه كلّي وهو أن يعلموا أنّ كلّ من اعتقد حقّ امامتهم واهتدى بما انتشر من هديهم فهو وليّ لهم ومقيم لهذا الرّكن من الدّين فيكونون عارفين بمن يتولاّهم على هذا الوجه و يكون من يتولاّهم عارفاً بهم لمعرفته بحقيّة ولايتهم و اعتقاد ما يقولون و إن لم يشترط المشاهدة و المعرفة الشّخصيّة انتهى .

و لا يكاد ينقضى عجبي من هذا الفاضل كيف ضعف اعتقاده بأئمّة الدّين وشهداء النّاس أجمعين ، وهذه العقيدة لا يرتضيها عوام الشّيعة ولايستحسنها الأنفسهم لوعرضت عليهم ، فكيف بالخواص و كيف يجتمع القول بعدم المعرفة الشّخصيّة مع القول بكونهم عليهم السلام شهداء العباد يوم المعاد على ما دلّت عليه الأخبار الكثيرة المتقدّمة في شرح الخطبة الحادية والسّبعين والشّهادة فرع المعرفة التّفصيليّة

بلى والله إنّهم عليهم السلام ليعرفون شيعتهم ومحبّيهم والمؤمنين بهم تفصيلا بأشخاصهم وذواتهم و أعيانهم ، و يعرفون حالاتهم و درجاتهم والتفاوت في مقاماتهم و درجاتهم

بحسب تفاوتهم في الايمان و المحبة شدة و ضعفا ونقصاً و كمالا كما يعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشايرهم وأنسابهم كل ذلك قد قامت عليه الأدلة المعتبرة. ودلت عليه الأخبار القريبة من التواتر بل هي متواترة

منها ما في البحار من كتاب بصائر الدرجات للصفار عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن صالح بن سهل عن أبيعبدالله عليه السلام أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع أصحابه فسلم ثم قال : أنا والله أحبك وأتولاك ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ما أنت كما قلت ويلك إن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ، ثم عرض علينا المحب لنا فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض علينا فأين كنت ؟ فسكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه

و عن محمد بن حماد الكوفي عن أبيه عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله أخذ ميثاق شيعتنا من صلب آدم فنعرف بذلك حب المحب وإن أظهر خلاف ذلك بلسانه ، ونعرف بغض المبغض وإن أظهر حبنا أهل البيت

و عن أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين معا عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن بكير قال : كان أبوجعفر عليه السلام يقول : إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا و هم ذر يوم أخذ الميثاق على الذر بالاقرار له بالربوبية و لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة و عرض الله على محمد صلى الله عليه وآله امته في الطين وهم أظلة ، و خلقهم من الطينة التى خلق منها آدم ، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفى عام ، وعرضهم عليه وعرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفهم علياً ونحن نعرفهم في لحن (١) القول

وعن ابن يزيد عن ابن فضال عن ظريف بن ناصح وغيره عمن رواه عن حبابة الوالبية قالت : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إن لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم وإني أحب

(١) اشارة الى قوله تعالى: فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول، قال البيضاوى لحن القول اسلوبه و امالته الى جهة تعريض وتورية، ومنه قيل للمخطى لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب، بحار

أن تعلّمني أمن شيعتكم ؟ فقال : وما اسمه ؟ قالت : قلت : فلان بن فلان ، فقال عليه السلام يا فلانة هات الناموس فجائت بصحيفة تحملها كبيرة فنشرها ثمّ نظر فيها فقال : هوذا اسمه واسم أبيه ههنا

و بسنده أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ حبابة الوالبية كانت إذا وفد الناس إلى معاوية وفدت هي إلى الحسين عليه السلام وكانت امرأة شديدة الاجتهاد قد يبس جلدها على بطنها من العبادة وأنها خرجت مرّة ومعها ابن عمّ لها وهو غلام فدخلت به على الحسين عليه السلام فقالت له : جعلت فداك فانظر هل تجد ابن عمّي هذا فيما عندكم وهل تجده ناجيا ؟ قال : فقال : نعم نجده عندنا ونجده ناجياً

و بسنده عن أبي محمّد البزّاز قال : حدّثني حذيفة بن أسيد الغفاري « رض » صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله قال . دخلت على عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام فرأيته يحمل شيئاً قلت : ما هذا ؟ قال : هذا ديوان شيعتنا ، قلت : أرني أنظر فيها اسمي ، فقلت إنّي لست أقرء وانّ ابن أخي يقرء ، فدعى بكتاب فنظر فيه فقال ابن اخي : اسمي وربّ الكعبة ، قلت : ويلك أين اسمي ؟ فنظر فوجد اسمي بعد اسمه بثمانية أسماء

وعن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن ابن عميرة عن الحضرمي عن رجل من بني حنيفة قال : كنت مع عمّي فدخل على عليّ بن الحسين عليهما السلام فرأى بين يديه صحايف ينظر فيها فقال له : أيّ شيء هذه الصّحف جعلت فداك ؟ قال : هذا ديوان شيعتنا قال : أفتأذن أطلب اسمي فيها ؟ قال : نعم ، فقال : و انّي لست أقرء و ابن اخي معي على الباب فتأذن له يدخل حتّى يقرء ؟ قال : نعم فأدخلني عمّي فنظرت في الكتاب فأوّل شيء هجمت عليه اسمي فقلت : اسمي وربّ الكعبة ؟ قال : ويحك فأين أنا ؟ فجزت بخمسة أسماء أو ستّة ثمّ وجدت اسم عمّي ، فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : أخذ الله ميثاقهم معنا على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون إنّ الله خلقنا من أعلى علّيين و خلق شيعتنا من طينتنا أسفل من ذلك ، و خلق عدوّنا من سجّين ، وخلق أوليائهم منهم من أسفل ذلك

وعن عبدالله بن محمد عمّن رواه عن محمّد بن الحسن عن عمّه عليّ بن السّري

الكرخي قال: كنت عند أبيعبدالله عليه السلام فدخل عليه شيخ ومعه ابنه فقال له الشّيخ جعلت فداك أمن شيعتكم أنا؟ فأخرج أبوعبدالله عليه السلام صحيفة مثل فخذ البعير فناوله طرفها ثمّ قال له: أدرج، فأدرجه حتّى أوقفه على حروف من حروف المعجم فاذا اسم ابنه قبل اسمه، فصاح الابن فرحاً اسمي والله، فرحم الشّيخ ثمّ قال له: أدرج فأدرج فأوقفه أيضاً على اسمه كذلك

وعن محمّد بن عيسى عن عبد الصّمد بن بشير عن أبي جعفر عليه السلام قال: انتهى النّبي إلى السّماء السّابعه وانتهى إلى سدرة المنتهى قال: فقالت السّدرة ماجازني مخلوق قبلك، ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وكتاب أصحاب الشّمال، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه وفتحه و نظر فيه فاذا فيه أسماء أهل الجنّة و أسماء آبائهم و قبائلهم، ثمّ نزل و معه الصحيفتان فدفعهما إلى عليّ بن أبيطالب عليه السلام

وفي البحار من كتاب الاختصاص معنعنا عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال قال لي أبوعبدالله عليه السلام: ياعبدالله بن الفضل إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته، وصنعنا برحمته وخلق أرواحكم منّا، فنحن نحنّ إليكم وأنتم تحنّون إلينا، والله لوجهد أهل المشرق والمغرب أن يزيدوا في شيعتنا رجلا أو ينقصوا منهم رجلا ما قدروا على ذلك، و إنّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم و عشايرهم و أنسابهم، ياعبدالله بن الفضل ولوشئت لأريتك اسمك في صحيفتنا قال: ثمّ دعى الصحيفة فنشرها فوجدتها بيضاء ليس فيها أثر الكتابة فقلت: ياابن رسول الله ما أرى فيها أثر الكتابة، قال: فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبة فوجدت في أسفلها اسمى، فسجدت لله شكراً، هذا

و الأخبار في هذا الغرض كثيرة وقد عقد في البحار باباً عليها و فيما رويناه كفاية إنشاءالله عزّ وجلّ

و أما القضية الثانية أعنى قوله عليه السلام: و لا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم و أنكروه، فهى لتضمّنها أداة الحصر منحلّة إلى قضيّتين كالقضيّة الأولى إحديهما ايجابيّة والأخرى سلبيّة

أمّا الايجابيّة فهى أنّ المنكر لهم و من أنكروه في النّار ، و هذه قضيّة صحيحة لاغبار عليها لما قدّمنا من أنّ من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة ، وميتة الجاهليّة مستلزمة لدخول النار ، وقد مرّ في التذييل الثالث من شرح الفصل الرّابع من الخطبة الأولى رواية جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن أبيه قال : نزل جبرئيل على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال : يا محمّد الله يقرؤك السلام و يقول : خلقت السماوات السبع ومافيهنّ وخلقت الأرضين السبع ومن عليهنّ ، وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام ، ولوأنّ عبداً دعاني منذ خلقت السماوات والأرض ثمّ لقيني جاحداً لولاية عليّ عليه السّلام لأكببته في سقر ، وقد مرّ هناك روايات أخر بهذا المعنى فتذكّر

و أمّا السلبيّة فهى أنّ من لا ينكرهم و لا ينكرونه فهو لا يدخل النار ، و هي بظاهرها مستلزمة لعدم دخول أحد من غير المنكرين في النار وإن كان من مرتكبي الكبائر .

وقد أخذ الشارح البحراني بظاهرها حيث قال : لايجوز أن يكون من أنكرهم فأنكروه أخسّ ممن يدخل النار وإلاّ لصدق على بعض من يتولاّهم ويعترف بصدق إمامتهم أنه يدخل النار لكن ذلك باطل لقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يحشر المرء مع من أحبّ ، ولقوله لوأحبّ رجل حجراً لحشر معه ، دلّ الخبر على أنّ محبّة الانسان لغيره مستلزم لحشره معه ، وقد ثبت أنهم عليهم السّلام إلى الجنّة يحشرون فكذلك من أحبّهم و يعترف بحقيّة إمامتهم ، ودخول الجنّة و دخول النار ممّا لايجتمعان ، فثبت أنّه لا واحد ممّن يحبّهم ويعترف بحقّهم يدخل النّار ، و قد ظهر إذا صدق هذه الكلّية ووجه الحصر فيها، انتهى

أقول : ويصدق هذه الكلّية ويدلّ عليها روايات كثيرة فوق حدّ الاحصاء :

ففى البحار من كتاب فضايل الشّيعة للصّدوق باسناده عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : حبّ عليّ بن أبيطالب عليه السّلام يأكل السّيئات كما تأكل النّار الحطب.

و من كنز جامع الفوايد وتأويل الآيات قال : روى شيخ الطّايفة باسناده

عن زيد بن يونس الشحام قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام ، الرجل من مواليكم عاص يشرب الخمر و يرتكب الموبق من الذنب نتبرء منه ؟ فقال عليه السلام : تبرؤا من فعله ولاتبرؤا من خيره وابغضوا عمله، فقلت : يسع لنا أن نقول : فاسق فاجر ؟ فقال : لاالفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا ولأوليائنا أبي الله أن يكون ولينا فاسقاً فاجراً و إن عمل ما عمل ، و لكنكم قولوا : فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس خبيث الفعل طيب الروح والبدن، لا والله لايخرج ولينا من الدنيا إلا الله ورسوله و نحن عنه راضون ، يحشر الله على مافيه من الذنوب مبيضاً وجهه ، مستورة عورته ، آمنة روعته لاخوف عليه ولا حزن ، وذلك أنه لايخرج من الدنيا حتى يصفى من الذنوب إما بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض وأدنى مايصنع بولينا أن يريه الله رؤياً مهولة فيصبح حزيناً لما رآه فيكون ذلك كفارة له ، أو خوفاً يرد عليه من أهل دولة الباطل أو يشدد عليه عند الموت فيلقى الله عز وجل طاهراً من الذنوب آمنة روعته بمحمد وأمير المؤمنين صلى الله عليهما ، ثم يكون أمامه أحد الأمرين إما رحمة الله الواسعة التي هي أوسع من أهل الأرض جميعاً ، أو شفاعة محمد وأمير المؤمنين عليهما السلام فعندها تصيبه رحمة الله الواسعة التي كان أحق بها وأهلها وله إحسانها وفضلها .

ومن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب سيد حسن بن كبش عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي إن جبرئيل أخبرني عنك بأمر قرت به عيني وفرح به قلبي ، قال : يا محمد قال الله عز وجل : اقرء محمداً مني السلام وأعلمه أن علياً إمام الهدى ، ومصباح الدجى ، والحجة على أهل الدنيا ، وأنه الصديق الأكبر و الفاروق الأعظم ، و إني آليت وعزتي وجلالي أن لا أدخل النار أحداً تولاه و سلم له و للأوصياء من بعده ، حق القول مني لأملان جهنم و أطباقها من أعدائه ، ولأملئن الجنة من أوليائه وشيعته

و من كتاب اعلام الدين للديلمي من كتاب الحسين بن سعيد عن صفوان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أحبنا ولقي الله وعليه مثل زبد البحر ذنوباً كان حقاً

على الله أن يغفر له .

ومن كتاب المناقب لابن شاذان باسناده عن أبي الصّلت الهروي قال : سمعت الرّضا عليه السلام يحدّث عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت الله عزّ وجلّ يقول : عليّ بن أبيطالب حجّتي على خلقي و نوري في بلادي و أميني على علمي لا أدخل النّار من عرفه و إن عصاني ، ولا أدخل الجنّة من أنكره وإن أطاعني .

ومن كتاب بشارة المصطفى بسنده عن الحسين بن مصعب قال : سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول : من أحبّنا وأحبّ محبّنا لالغرض دنيا يصيبها منه ، وعادى عدوّنا لا لأحنة كانت بينه وبينه ، ثمّ جاء يوم القيامة وعليه من الذّنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفر الله تعالى له .

ومن تفسير العياشي عن بريد بن معاوية العجلي في حديث عن أبي جعفر عليه السلام قال : فقال أبوجعفر عليه السلام : والله لو أحبّنا حجر لحشر معنا .

ومن عيون الأخبار باسناد التّميمي عن الرّضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أحبّنا أهل البيت حشره الله آمنا يوم القيامة .

وبهذا الاسناد قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام من أحبّك كان مع النّبيين في درجتهم يوم القيامة ومن مات وهو يبغضك فلا يبالي مات يهوديّا أو نصرانيّاً .

ومن أمالي الشّيخ عن أبي محمّد الفحّام عن عمّه عن أبيه قال : دخل سماعة بن مهران على الصّادق عليه السلام فقال : ياسماعة من شرّ النّاس عند النّاس ؟ قال: نحن يا ابن رسول الله ، قال : فغضب حتّى احمرّت وجنتاه ثمّ استوى جالسا وكان متكئا فقال ياسماعة من شرّ النّاس عند النّاس ؟ فقلت : والله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شرّ النّاس عند الناس لأنّهم سمّونا كفاراً ورفضة، فنظر إليّ ثمّ قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنّة وسيق بهم إلى النّار فينظرون إليكم فيقولون «مالنا لانرى رجالا كنّا نعدّهم من الأشرار » يا سماعة بن مهران إنّه من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنشفّع والله لايدخل النّار منكم عشرة رجال، والله لا

يدخل النّار منكم ثلاثة رجال ، والله لايدخل النّار منكم رجل واحد ، فتنافسوا في الدّرجات واكمدوا أعدائكم بالورع .

ومن كتاب كنز جامع الفوايد وتأويل الآيات عن محمّد بن عليّ عن عمرو بن عثمان عن عمران عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ :

«يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً» .

فقال : إنّ الله يغفر لكم جميعاً الذّنوب ، قال : فقلت : ليس هكذا نقرء ، فقال : يا أبا محمّد فاذا غفر الذّنوب جميعا فلمن يعذّب والله ماعني من عباده غيرنا و غير شيعتنا وما نزلت إلاّ هكذا إنّ الله يغفر لكم جميعا الذّنوب .

و من تفسير العياشي بالاسناد عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : أهل النّار يقولون «مالنا لانرى رجالا كنّا نعدّهم من الأشرار» يعنونكم لايرونكم في النّار لايرون والله أحداً منكم في النّار .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى :

«فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ» قال منكم يعني من الشّيعة «إِنْسٌ وَلاجانٌّ»

قال معناه أنّ من تولّى أمير المؤمنين عليه السلام و تبرّء من أعدائه عليهم لعائن الله و أحلّ حلاله وحرّم حرامه ثمّ دخل في الذنوب ولم يتب في الدّنيا عذّب لها في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه يوم القيامة .

وفي الصافي من المجمع عن الرّضا عليه السلام قال في هذه الآية : إنّ من اعتقد الحقّ ثمّ أذنب ولم يتب في الدّنيا عذّب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه .

إلى غير هذه مما لا نطيل بذكرها، وهذه الأخبار كماترى تعارض الأخبار الواردة في كون مرتكبي الكبائر في النّار تعارض العموم من وجه ، لأنّ هذه

تدلّ على أنّ العارف بحقّ الأئمة عليهم السلام والمذعن بولايتهم لا يدخل النار وإن كان مرتكبا للكبائر ، وتلك الأخبار مفيدة لكون ارتكابها موجبا لدخول النار ولو كان المرتكب من أهل الولاية والمعرفة ، فيتعارضان في مادّة الاجتماع ، وهو العارف المرتكب للكبائر ، فان رجّحنا أخبار الكبائر وألقيناها على عمومها لابدّ من حمل هذه الأخبار الدّالة على أنّ العارف بهم لايدخل النار على الدّخول بعنوان الخلود لظهور أنّ الخلود إنما هو في حقّ الكفار والمنافقين ، و إن رجّحنا تلك الأخبار فلابدّ من التخصيص في الأخبار الواردة في طرف الكبائر بحملها على غير أهل المحبّة والمعرفة .

ولولا خوف الاحتياط وايجاب الترجيح للجسارة في الدّين ولعدم المبالات في شرع سيّد المرسلين لرجّحناً أخبار الولاية و قلنا بما قاله الشارح البحراني بل أقول إنه لا تعارض بين أخبار الطرفين حقيقة إذ أخبار الولاية حاكمة على أخبار الكبائر ، بل نسبة بعض الأخبار الأولة إلى الثّانية مثل نسبة الدّليل إلى الأصل ، فانّ بعض هذه الأخبار كما عرفت مفيد لكون المعرفة حابطة للسيئات وآكلة لها أكل النار للحطب ، وبعضها دالّ على أنّ أهل المعرفة يبتلى بمحن ومصائب يكون تمحيصا لذنوبه و كفارة لها ، فعلى ذلك لايبقى للعاصي معصية حتى توجب دخول النار ، و بعضها يفيد كون الولاية موجبة لمغفرة الذّنوب من الله سبحانه تفضّلا أو كونها محصلة للشفاعة من النبيّ صلّى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام يوم القيامة .

نعم يبقى الاشكال بين هذه الأخبار وبين الأخبار الدّالّة على حصول الشفاعة لبعض مرتكبي السّيئات بعد دخول النّار والمكث فيها بزمان قليل أو كثير بحسب اختلاف مراتب المعصية ، وهي أيضاً كثيرة وطريق الاحتياط هو الوقوف بين مرتبتي الخوف والرّجاء والورع والتّقوى في الدّين وسلوك نهج الشّرع المبين ، وفّقنا الله سبحانه لما يحبّ ويرضى ونسأله أن يعاملنا بفضله ولا يؤاخذنا بعدله إنّه لما يشاء قدير، وبالاجابة حقيق جدير .

الترجمة

ازجمله فصلهای آن خطبه است که بعداز قتل عثمان و انتقال أمر خلافت بآن برج فلك امامت فرموده که:

بتحقیق طلوع کرد طلوع کننده ودرخشید درخشنده وظاهرشد ظاهر شونده که عبارتست از ظهور شمس خلافت از مطلع خود که وجود مسعود آن بزرگوار است ، ومستقیم ومعتدل شد چیزی که منحرف شده بود از ارکان دین ، وبدل کرد حقسبحانه وتعالی بقومي که از أهل باطل بودند قومی را ازاهل حق، وبروزی که پراز جور وبدعت بود روزی را که ظاهرشد درآن انصاف وعدالت، ومنتظر بودیم ما تغیرات روزگار را مثل انتظار کشیدن قحطی رسیده بباران .

وجز این نیست که أئمه طاهرین سلام الله علیهم أجمعین قائمین خدا هستند برمخلوق او وشناساندگان اویند بربندگان او وداخل نمیشود دربهشت عنبرسرشت مگر کسی که بشناسد أئمه را وأئمه علیهم السلام اورا بشناسند ، وداخل نمی‌شود در آتش سوزان مگر کسی که نشناسد ایشانرا وایشان اورا نشناسند .

بدرستی که خداوند متعال مختصّ نمود شمارا باسلام وخالص گردانید شمارا ازبرای آن اسلام ، واین ازجهت آنست که اسلام نام سلامتست و جامع کرامت ، پسندیده است خدا از برای شما طریق اسلام ر ، وبیان فرموده است دلائل آن را از علمی که ظاهر است از کتاب وسنّت ، واز حکمتی که باطن است از عقل وفطرت ، فانی نمی‌شود غرائب آن و تمام نمی‌شود عجائب آن ، دراوست بارانهای بهاری ، وچراغهای ظلمتها ، گشاده نمی‌شود خیرها مگر باکلیدهای آن ، و کشف نمی‌شود ظلمتها مگر بچراغهای آن .

بتحقیق که منع فرمود قوروق اسلام را که عبارتست ازمحرّمات شرعیّه ، ومرخّص نمود چراگاه آنرا که عبارتست ازمباحات بینه، دراوست شفاي طلب شفا کننده ، و کفایت طلب کفایت نماینده .

الفصل الثالث منها

وَهُوَ في مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغافِلِينَ ، وَيَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ ، بِلا سَبِيلٍ قاصِدٍ ، وَلا إِمامٍ قائِدٍ .

الفصل الرابع منها

حَتّىٰ إِذا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلابِيبِ غَفْلَتِهِمْ ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً ، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِما أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ ، وَلا بِما قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ ، وَإِنّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسي هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّما الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً واضِحاً ، يَتَجَنَّبُ فيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهاوي ، وَالضَّلالَ فِي الْمَغاوي ، وَلا يُعِينُ عَلىٰ نَفْسِهِ الْغُواةَ بِتَعَسُّفٍ في حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ في نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ ، فَأَفِقْ أَيُّهَا السّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فيما جاءَكَ عَلىٰ لِسانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِمّا لا بُدَّ مِنْهُ ، وَلا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخالِفْ مَنْ خالَفَ في ذٰلِكَ إِلىٰ غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَما رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَضَعْ فَخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ،

وَاذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ، «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسِهِ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ، اعْقَلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ، إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

اللغة

(هوى) يهوي من باب ضرب هويا بالضمّ و الفتح و هواء بالمدّ سقط من أعلى إلى أسفل و (الجلباب) ما يغطى به من ثوب وغيره و قيل ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء و (الطلبة) بالكسر اسم كالطّلب محرّكة و (الجدد) محرّكة

ما أشرق من الرّمل والأرض الغليظة المستوية وبالضمّ جمع جدّة كغرف وغرفة وهو الطريق و (الصّرعة) بالفتح الطّرح على الأرض و (المهاوى) جمع المهواة وهو بفتح الميم ما بين الجبلين وقيل الحفرة وقيل الوهدة العميقة و (المغاوى) جمع المغوة قال الشّارح المعتزلي : وهى الشّبهة التي يغوى بها الانسان أى يضلّ و (الغواة) جمع غاو من غوى غيّاً انهمك في الجهل وضلّ و (استنجح) الحاجة وتنجّحها تنجزّها واستقضاها

الاعراب

جملة يهوى حال من فاعل الظّرف ، وقوله : بتعسّف ، متعلّق بقوله يعين ، وقوله: الحذر الحذر و الجدّ الجدّ، منصوبات على الاغراء، وقوله: ولا ينبّئك مثل خبير، مثل صفة لمحذوف و كذلك خبير أى لا ينبّئك منبيء مثل امرء خبير ، وقوله : انّه لا ينفع عبداً ، اسم إنّ على تأويله بالمصدر أى إنّ من عزائمه تعالى عدم نفع عبد ، وقوله: أن يخرج ، فاعل ينفع ، وقوله : ان يشرك بدل من خصلة أو من هذه الخصال فتكون أو في الجملات المعطوفة بعدها بمعنى الواو ، وجملة إنّ البهايم استيناف بيانيّ ، و كذلك جملة إنّ المؤمنين آه

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام متضمّن لفصلين

اما الفصل الاول فقد قال الشّارح المعتزلي وغيره : انّه يصف فيه انساناً من أهل الضّلال غير معيّن كقوله عليه السلام : رحم الله امرء اتّقى ربّه وخاف ذنبه

أقول: وهو إنّما يتمّ لو علم بعدم سبق ذكر مرجع للضّمير الآتى أعنى قوله : هو ، في كلامه عليه السلام حذفه السّيد على ديدنه في الكتاب ، وأمّا على تقدير سبقه وحذفه كما هو الأظهر في النّسخ الّتى فيها عنوان هذا الفصل بقوله (منها) بل الظّاهر أيضاً في نسخة الشّارح المعتزلي الّتي عنوانه فيها بمن خطبة له عليه السلام فلا

و كيف كان فقوله (وهو في مهلة من الله يهوى مع الغافلين) أراد أنّ الله سبحانه أمدّ في عمره و أمهله و أخّر أجله وكان ذلك سبباً لغفلته فهو يسقط و يتردّى من

درجة الكمال والسّلامة في مهابط الهلاك و مهوات الغفلة وينخرط في سلك ساير الجهّال و الغافلين (و يغدومع المذنبين) أى يصبح معهم وهو كناية عن موافقته لهم وملازمته إيّاهم في ارتكاب المعاصي وانهماك الآثام والذّنوب (بلا سبيل قاصد و لا إمام قائد) أى من دون أن يسلك سبيلا مستقيما يوصله إلى المطلوب ويتّبع إماما عادلا يقوده إلى الصّواب

وأما الفصل الثانى متضمّن للنّصح والموعظة وتذكير المخاطبين بالموت وتنبيههم من نوم الغفلة وهوقوله (حتّى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم) قال الشّارح البحراني: النفس ذوجهتين جهة تدبير أحوالها البدنيّة بمالها من القوّة العملية، وجهة استكمالها بقوّتها النظرية التي تتلقّى بها من العاليات كمالها ، و بقدر خروجها عن حدّ العدل في استكمال قوّتها العملية تنقطع عن الجهة الأخرى وتكتنفها الهيئآت البدنيّة فتكون في أغطية منها وجلابيب من الغفلة عن الجهة الاخرى بالانصباب إلى ما يقتنيه ممّا يعدّ خيراً في الدّنيا وبسبب انصبابها في هذه الجهة وتمكن تلك الهيئآت البدنية منها يكون بعدها عن بارئها ونزولها في دركات الجحيم عن درجات النعيم و بالعكس كما قال عليه السلام : الدّنيا و الآخرة ضرّتان بقدر ما تقرب من إحديهما تبعد من الأخرى ، و ظاهر إنّ بالموت تنقطع تلك الغفلة ، وتنكشف تلك الحجب ، فيومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذّكرى ، ويكون ماأثبته له يومئذ من تعلّق تلك الهيئات بنفسه وحطهاله عن درجات الكمال من السلاسل والأغلال هوجزاء معصيتهم المنكشف لهم، انتهى، هذا

و تشبيه الغفلة بالجلباب من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، و وجه الشّبه إحاطتها بهم وملازمتها لهم إحاطة الثوب بالبدن ولزومه له

وقوله (استقبلوا مدبراً و استدبروا مقبلا) أراد بالمدبر الّذي استقبلوه ما كان غائباً عنهم من الشقاء والنكال و النقم ، و بالمقبل الّذي استدبروه ماكان حاضراً لهم من الآلاء و الأموال والنعم (فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم)أى اللّذات الدّنيوية التي كانت أعظم طلباتهم ، لأنهم تركوها وراء ظهورهم (ولا بماقضوا من

و طرحهم) أى الشهوات النفسانية التي كانت أهمّ حاجاتهم ، لأنها قد زالت عنهم (وانّي أحذّركم ونفسي هذه المنزلة) أراد بها الحالة التي كان الموصوفون عليها من الغفلةوالجهالة، وتشريك نفسه عليه السلام معهم في التحذير لتطييب قلوب السامعين وتسكين نفوسهم ليكونوا إلى الانقياد والطاعة أقرب ، وعن الاباء والنفرةأبعد، وفي بعض النسخ بدل المنزلةالمزلّة ، فالمراد بها الدّنيا الّتي هي محلّ الزّيغ والزّلل والخطاء والخطل

و لمّا نبّههم بعدم الانتفاع بالمطالب والمآرب الدّنيوية أردف ذلك بالتنبيه على ما نفعه أعمّ ، وصرف الهمّة إليه أهمّ فقال : (فلينتفع امرء بنفسه) بأن يصرفها فيما صرفها فيه أولوالأبصاروالفكرويوجّهاالىماوجّهها إليه أرباب العقول والنظر وإليه أشار بقوله (فانّما البصير) العارف بمايصلحه ويفسده والخبير المميّز بين ما يضرّه و ينفعه (من سمع) الآيات البيّنات (فتفكّر) فيها (و نظر) إلى البراهين الساطعات (فأبصر) هاوأمعن فيها (وانتفع بالعبر) أى نظر بعين الاعتبار إلى السلف الماضين من الجبابرة و الملوك و السلاطين وغيرهم من الناس أجمعين كيف انتقلوا من ذروة القصور إلى وهدة القبور ، و من دار العزّ والمنعة إلى بيت الذلّ و المحنة ، و فارقوا من الأموال و الأوطان ، و جانبوا الأقوام و الجيران ، وصاحبوا الحيّات والديدان ، و كيف كانت الدّيار منهم بلاقع ، والقبور لهم مضاجع واندرست آثارهم،وانقطعت أخبارهم،وخربت ديارهم، وقسمت أموالهم،ونكحت أزواجهم، وحشر في اليتامى أولادهم ، وأنكرهم صديقهم، وتركهم وحيداً شفيقهم ، ففى أقلّ هذه عبرةلمن اعتبر ، وتذكرة لمن اتّعظ وتذكّر

(ثمّ سلك جدداً) أى طريقا (واضحا) وهوالصراط المستقيم ، والنهج القويم أى جادّة الشريعة و منهج الدّين الموصل لسالكه إلى حظاير القدس ، و مجالس الانس بشرط أن(يتجنّب) ويتباعد (فيه) عن اليمين والشمال فانّ الطريق الوسطى هى الجادّة و اليمين و الشمال مزلّة و مضلّة توجبان (الصّرعة في المهاوى و الضلال

في المغاوي) كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصّراط أبواب مفتّحة ، وعليها ستور مرخاة و على رأس الصّراط داع يقول جوزوا ولاتعرّجوا ، قال : فالصّراط هو الدّين وهو الجدد الواضح هنا ، والدّاعي هو القرآن و الأبواب المفتّحة محارم الله ، و هي المهاوى والمغاوى هنا ، والسّتور المرخاة هى حدود الله ونواهيه .

ولمّا نبّه عليه السّلام على ماينفع المرء ويصلحه نبّه على مايضرّه ويفسده فقال عليه السّلام (ولا يعين على نفسه الغواة) أى أهل الضّلالات والمنهمكين في الجهالات (بتعسّف في حقّ) قال الشّارح البحراني : أى لايحملهم على مرّ الحقّ وصعبه ، فانّ الحقّ له درجات بعضها سهل من بعض ، فالاستقصاء فيه على غير أهله يوجب لهم النّفرة عمّن يقوله و يأمر به ، و العداوة له والقول فيه ، وقريب منه ماقاله الشّارح المعتزلي أى يتعسّف في حقّ يقوله أو يأمر به فانّ الرّفق أنجح .

أقول : وظاهر كلامهما يفيد أنّهما فهما من التّعسف من كلامه عليه السّلام تشديد التّكليف على الغواة و التّضييق عليهم في الأحكام ، فيكون محصّل مقصوده عليه السّلام على ما قالاه الرّفق بهم عند الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر ، لئلاّ يجلب العداوة منهم لنفسه بتركه فيصيبه منهم مكروه وضرر

و هذا معنى لابأس به ، و قد مرّ نظيره في قوله عليه السّلام في الفصل الثّاني من الكلام السّادس عشر : من أبدى صفحته للحقّ هلك عند جهلة النّاس ، إلاّ أنّ الظّاهر أنّه عليه السّلام أراد معنى آخر أى لايعين الغاوين بما ضرره عايد إليه ، وهو تعسّفه في حقّ وعدم كشفه لهم وتبليغه عليهم وإرجاعهم إليه ، وذلك لما رأى من تركهم للحقّ وعدو لهم عنه وانهماكهم في الغيّ والضّلال ورغبتهم في الباطل ، فيتعسّف تطيبياً لنفوسهم وتحصيلا لرضاهم ، وعود ضرر هذا التّعسف إليه معلوم حيث يشترى رضاء المخلوق بسخط الخالق .

فعلى ما قلناه يكون المراد بالضّرر الضّرر الأخروى ، و بالتّعسف العدول والانحراف عن قول الحقّ و العمل به (أو تحريف في نطق) أى يحرّف الكلم

عن مواضعه ، و يكذب مداراة معهم و منازلة أذواقهم (أو تخوّف من صدق) أى يتكلّف الخوف من قول الصّدق وإن لم يكن خائفا في الواقع ، وعود ضرر التّحريف و التّخوف على المحرّف و المتخوّف لاستلزامها مداهنة الغواة ، و قد ذمّ الله أقواماً بترك الصّدق والجهاد في الحقّ بقوله :

« إِذا فَرِيقٌ مِنهُمْ يَخْشَوْنَ النّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ » .

فاللاّزم على المرء أن لا يأخذه في الله لومة لائم ، ولا يكون لـه منردع من خالف الحقّ وخابط الغيّ وزجره من أوهان ولا ايهان

ثمّ أمر السّامعين بأوامر نافعة ونصحهم بمواعظ بالغة فقال (فأفق أيّها السّامع من سكرتك واستيقظ من) رقدتك و (غفلتك) استعار لفظ السّكرة الغفلة باعتبار كون الغفلة موجبة لترك أعمال العقل كما أنّ السّكرة كذلك ، و هى استعارة تحقيقيّة و ذكر الافاقة ترشيح ، و شبه الغفلة بالنّوم باعتبار أن لا التفات للغافل كالنّائم ، و هى استعارة بالكناية و ذكر الاستيقاظ تخييل (و اختصر من عجلتك) و سرعتك في امور الدّنيا أى قصّر الاهتمام بها ، فانّ بقائها يسير وزوالها قريب (وأنعم الفكر) أى أمعن النّظر (فيما جائك) و كثر دورانه (على لسان النّبيّ الأمى صلّى الله عليه وآله) قد مضى تفسير الأمّي من النّهاية في شرح الخطبة الثامنة والثّمانين

وأقول هنا : روى في الاحتجاج عن أبي محمّد العسكري عليه السّلام في قوله تعالى:

« وَ مِنهُمْ أُمِّيونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ » .

إنّ الأمّي منسوب إلى امّه أى هو كما خرج من بطن امّه لايقرء ولايكتب

فزعم بعض النّـاس و منهم الشّارح المعتزلي أنّ وصف النبيّ به كان أيضاً بذلك الاعتبار ، أى لا يحسن أن يقرء و يكتب ، وهو زعم فاسد ، بل وصفه باعتبار نسبته إلى أمّ القرى أعنى مكّة زادها الله شرفا وعزّا

ويدلّ على ما ذكرنا ما رواه في الصّافي في تفسير قوله تعالى:

«ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ».

من علل الشرايع عن الجواد عليه السلام أنّه سئل عن ذلك فقال: ما يقول النّاس؟ قيل يزعمون أنّه سمّى الامّي لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله أنّي ذلك والله يقول:

«هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ».

فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرء ويكتب باثنين وسبعين أو قال بثلاث وسبعين لسانا، وانّما سمّى الأمّى لأنّه كان من أهل مكّة ومكّة من أمّهات القرى، وذلك قوله تعالى:

« لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا». هذا

و بيّن ماجاء على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله (ممّا لابدّ منه ولا محيص عنه) أى الموت الذي ليس منه مناص ولا خلاص ولا مهرب ولا مفرّ (وخالف من خالف في ذلك إلى غيره) يعني أنّ من خالف في امعان النّظر في الموت وأهاويل الفناء والفوت وأعرض عنه والتفت إلى غيره واتّبع هواه وأطال أمله ومناه، كادحا سعياً لدنياه في لذّات طربه وبدوات اربه فخالفه (ودعه ومارضى لنفسه) فانّ الموافقة له توجب فوات الثّواب وأليم العذاب، وتجرّ الشّقاء الأبد والخزى السّرمد (وضع فخرك) فانّ من صنع شيئا للمفاخرة حشره الله يوم القيامة أسود، رواه في عقاب الأعمال عن أمير المؤمنين عليه السلام (واحطط كبرك) لأنّ من مشى على الأرض اختيالا لعنته الأرض و من تحتها ومن فوقها، رواه في عقاب الأعمال عن أبيعبدالله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

و فيه أيضا عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله: ويل لمن في الأرض يعارض

جبّار السّماوات والأرض هذا

و قد تقدّم الكلام في شرح الخطبة المأة و السّابعة والأربعين في تحقيق معنى الكبر وكونه من أعظم الموبقات ومافي ذمّه من الأخبار والآيات ، و كذلك الكلام في حسن التّواضع مفصّلا ومستوفا فليراجع ثمة

(واذكر قبرك) وما فيه من الوحدة و الوحشة و الغربة و الظلمة و الحسرة والنّدامة (فانّ عليه ممرّك) ومجازك ولابدّ لمن يمرّ على منزل موحش مظلم أن يذكره ويتزوّد له ويهتمّ بأخذ الزّاد وتكميل الاستعداد ليتمكّن من الوصول إلى المطلوب والنّجاح بالمقصود (وكماتدين تدان) أى كما تَجزي تُجزى وهومن باب المشاكلة ، والمقصود أنّك كما تعمل‌لله سبحانه وتعالى وتعامل معه فالله يعامل معك إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً ولنعم‌ماقيل :

من يفعل الحسنات‌الله يشكرها و الشرّ بالشرّ عندالله مثلان

(وكماتزرع تحصد) فانّ من زرع النّواة حصد النّخل باسقات ، ومن زرع الفجور حصد الثّبور ، ومن توانا عن الزّرع في أوانه حرَمَ الحصاد في ابانه

إذا أنت لم تزرع وأدركت حاصداً ندمت على التقصيرفي زمن‌البذر

(وماقدّمت اليوم) لنفسك أو عليها (تقدم عليه غدا) وتقام فيه (فا) جهد نفسك في تحصيل الخير وتجنّب الشرّ و ا (مهد لقدمك) أى مهّد وهيّىء لموضع قدمك من الحسنات والأعمال الصالحات (وقدّم) الزّاد (ليوم) معاد (ك) وإياك والتفريط فتقع في الحسرة وتعقب الندامة وملامة النفس اللّوامة لدي الحساب يوم القيامة (فالحذرالحذر) من التقصير والغفلة (أيهاالمستمع) المفتون (والجدّ الجدّ) للتقوى والطاعة (أيها الغافل) المغرور (ولاينبئك) أحد (مثل) واعظ (خبير) وعارف بصير بأحوال الآخرة وأهوالها

ولما أمرهم بالحذر والجد ونبّههم على أنّ المنبيء لهم خبير وبصير بمايحذر منه ويجد عليه ، عقّب ذلك‌بالتنبيه على بعض ما يجب الحذر منه والجدّ على تركه فقال (إنّ من عزائم الله) أى الأحكام التي لايجوز مخالفتها في حال من الأحوال

على مامر تفصيلا في شرح الفصل السابع عشر من الخطبة الأولى (في الذكر الحكيم) أى القرآن الكريم أو اللّوح المحفوظ كماقيل ، و على الأوّل فلا ينافيه عدم وروده بعض مايذكره من العزايم فيه بخصوصه لامكان استفادته من عمومات الكتاب أو فحاويه حسبما تطلع عليه انشاءالله

و وصف العزائم بقوله (الّتى عليها يثيب و يعاقب ولها يرضى و يسخط) أى يرضى ويثيب على الأخذ بها و امتثالها ، و يسخط و يعاقب على مخالفتها و تركها (أنه) الضمير للشأن (لاينفع عبداً وإن أجهد نفسه وأخلص فعله) أمّا إجهادالنفس فيتصوّر في حقّ كلّ من ارتكب باحدى الخصال الخمس الآتية ، وأمّا إخلاص الفعل فانّما يتصوّر في المرتكب بغير الأولى من الأربع الباقية ، وأمّا الأولى فلالظهور أنّ الاخلاص لا يجتمع مع الرّيا فيكون الشّرطيّة الثّانية بملاحظة الأغلب أومن باب التغليب فتدبّر

(أن يخرج من الدّنيا) أى لاينفع خروجه منها حالكونه (لاقياًربّه بخصلة) واحدة (من هذه الخصال) و الحال أنّه (لم يتب منها) و لم يندم عليها ، و هذه الخصال خمس :

احديها (أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته) أى يرائي فى عمله ولم يخلصه لله سبحانه ، والدليل من الكتاب الحكيم على حرمته قوله تعالى:

« فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » و قوله « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَهُمْ عَنْ صَلوٰتِهِمْ ساهُونَ وَالَّذِينَهُمْ يُرآؤُنَ».

و قد مضى تحقيق الكلام في الرياء و تفصيل أقسامه في شرح الفصل الأوّل من الخطبة الرابعة والعشرين

الثانية ما أشار إليها بقوله (أو يشفى غيظه بهلاك نفسه) أى يقتل نفسه

لافراط قوّته الغضبيّة بحيث لايطفى نارغضبه إلاّ به ، والدليل على حرمته قوله تعالى
«وَلا تُلقُوا بِأَيديكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» .

روى في عقاب الأعمال عن أبي ولاد الحنّاط قال سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من قتل نفسه متعمّداً فهو في نارجهنّم خالداً فيها، هذا

و يحتمل أن يكون المراد بهلاك نفسه الهلاك الأُخروى أى لايتشفّى من غيظه إلاّ بأن يكتسب إثما ويوبق نفسه مثل أن يكون بينه وبين آخر بغضاء وعداوة فيغتابه أويفترى عليه أوينمّ عليه أويسعى به إلى الملوك أويسبّه ونحوذلك ممّافيه أليم العذاب ونصّ على حرمته محكم الكتاب، هذا

وفي بعض النّسخ بهلاك نفس بدل نفسه فيكون المراد أنّه لايسكت غضبه إلاّ بالقتل ، ويدلّ على حرمته وعقابه صريحا قوله تعالى:
« وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظيماً » .

و روى في عقاب الأعمال بسنده عن حمران قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عزّ وجلّ :
« مِنْ أَجلِ ذٰلِكَ كَتَبْنا عَلى بَني إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَميعاً » .

و إنّما قتل واحداً، فقال عليه السلام : يوضع في موضع من جهنّم إليه ينتهى شدّة عذاب أهلها لوقتل النّاس جميعاً كان إنّما يدخل ذلك المكان ، قلت : فانّه قتل آخر قال: ويضاعف عليه .

و عن أبي عمير قال : حدّثنى غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله .

و عن جابر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أوّل ما يحكم الله في القيامة في الدّماء فيوقف ابنا آدم فيفصل بينهما ، ثمّ الّذين يلونهم من أصحاب الدّماء حتّى لايبقى منهم أحد ، ثمّ النّاس بعد ذلك فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول : هذا قتلني ، فيقول أنت قتلته فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً

وعن سعيد الأزرق عن أبي عبدالله عليه السلام في رجل قتل رجلا مؤمناً يقال له : مت أيّ ميتة شئت إن شئت يهودياً وان شئت نصرانياً ، وإن شئت مجوسيّاً

الثالثة ما أشار اليها بقوله (أو يقرّ بأمر فعله غيره) الظّاهر أنّ المراد به أن يحكى أمراً قبيحاً ارتكبه غيره ، ويدلّ على أنّه حرام ومعصية قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»

روى في عقاب الأعمال عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قلت له : جعلت فداك الرّجل من اخواني بلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك ، وقد أخبرني عنه قوم ثقات ، فقال لي: يا محمّد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك وإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا فصدّقه و كذّبهم ، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته ، فتكون من الذين قال الله عزّ وجلّ « إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة » الآية

و عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من روى عن مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقطه من أعين النّاس أخرجه الله عزّ وجلّ من ولايته إلى ولاية الشّيطان ·

قال الشّارح البحراني : و روى بعض الشّارحين يعرّ بالعين المهملة قال : ومعناه أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو فيكون غيره منصوباً مفعولا به والعامل يعرّ يقال عرّه يعرّه أى عابه ولطخه

أقول :و على هذا فيدلّ على حرمته مايدل على حرمة البهت والافتراء، قال تعالى :

«إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ».

روى في عقاب الأعمال عن ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من اتّهم مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيهما بعثه الله يوم القيامة في طينة خبال حتّى يخرج ممّا قال، قلت: وما طينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج الزّناة، بل يدلّ عليه جميع ما ورد في حرمة الغيبة إذ ذلك قسم من الغيبة بل من أعظم أقسامها كما لايخفى.

الرابعة ما أشار اليها بقوله (أويستنجح حاجة إلى النّاس باظهار بدعة في دينه) يعني أنّه يبدع في الدّين طلباً لنجاح حاجته، ومن المعلوم أنّ كلّ بدعة ضلالة والضّلالة في النّار قال تعالى:

«وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» وقال «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰيهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ».

واستنجاح الحاجة بالبدعة أشدّ خزياً وأعظم مقتا، كما يدلّ عليه ما في عقاب الأعمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صونوا دينكم بالورع، وقوّوه بالتّقوى و الاستغناء بالله عزّ وجلّ عن طلب الحوائج من السّلطان، واعلموا أنّه أيّما مؤمن خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه طلباً لما في يديه أخمله الله ومقته عليه ووكله الله إليه، وإن هو غلب على شيء من دنياه وصار في يده منه شيء نزع الله البركة منه ولم يأجره على شيء ينفقه في حجّة ولا عمرة ولاعتق

و فيه عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رجل في الزّمن الأوّل طلب الدّنيا من حلال فلم يقدر عليها، فطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشّيطان فقال لـه: يا هذا إنّك قد طلبت الدّنيا من حلال فلم تقدر عليها وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلّك على شيء يكثر به مالك ودنياك وتكثر به تبعك؟ قال: بلى، قال: تبتدع دينا و تدعو إليه النّاس، ففعل، فاستجاب لـه

النّاس فأطاعوه و أصاب من الدّنيا ، ثمّ إنّه فكّر فقال : ما صنعت ابتدعت ديناً و دعوت النّاس إليه و ما أرى لي توبة إلاّ أن آتي من دعوته إليه فأردّه ،فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول : إنّ الذي دعوتكم اليه باطل و إنّما ابتدعته فجعلوا يقولون : كذبت هذا الحقّ ولكنّك شككت في دينك فرجعت عنه ، فلمّا رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها و تداً ثمّ جعلها في عنقه وقال : لا احلّها حتّى يتوب الله عزّ وجلّ عليّ ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء قل لفلان : وعزّتي لودعوتني حتّى ينقطع أوصالك ما استجبت لك حتّى تردّ من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه .

الخامسة ماأشارإليها بقوله (أويلقى النّاس بوجهين أويمشي فيهم بلسانين) قال الشّارح البحرانيّ : أي يلقى كلاّ من الصّديقين مثلا بغير مايلقى به الآخر ليفرق بينهما ، أو بين العدوّين ليغري بينهما ، وبالجملة أن يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين ووعيد المنافقين في القرآن :

«إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ» .

أقول : ويدخل أيضا في زمرة المغتابين فيشمله الآيات المفيدة لحرمة الغيبة و يدلّ على حرمته من السّنّة ما رواه في الكافي بسنده عن ابن أبي يعفور عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : من لقى المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة و له لسانان من نار

و عن أبي‌جعفر عليه السلام قال : بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائبا إن اُعطى حسده ، وان ابتلى خذله

وعن عبدالرّحمان بن‌حماد رفعه قال : قال‌الله تبارك وتعالى لعيسى : ياعيسى ليكن لسانك في السّرّ و العلانية لسانا واحداً و كذلك قلبك إنّي اُحذّرك نفسك و كفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان في فم واحد ، و لا سيفان في غمد واحد ، و لا قلبان في صدر واحد ، و كذلك الأذهان ، ورواها جميعا في عقاب الأعمال نحوها .

وفي عقاب الأعمال عن زيد بن‌عليّ عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه و آله

يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتّى يلهبا جسده ثمّ يقال له : هذا الّذي كان في الدّنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة .

(اعقل ذلك) أشار به إلى مايذكره بقوله إنّ البهايم آه (فانّ المثل دليل على شبهه) لمّا كان أكثر الأفهام قاصرة عن إدراك الماهيّة العقليّة للشيء إلاّ في مادّة محسوسة كمن لايعرف حقيقة العلم مثلا فيقال له إنّه مثل اللّبن حيث إنّه غذاء للرّوح النّاقص ويصير به كاملا كما يتغذّي باللّبن الطّفل النّاقص وبه يصير كماله وهكذا ، لاجرم جرت عادة الله تعالى و عادة رسله و أوليائه في بيان الأحكام للنّاس و تبليغ التكاليف اليهم على ضرب الأمثال تقريباً للأفهام و أكثر القرآن أمثال ضربت للنّاس ظواهرها حكاية عن حقايقها المكشوفة عند ذوى البصاير

قال صدر المتألّهين : كثر في القرآن ضرب الأمثال لأنّ الدّنيا عالم الملك والشّهادة ، والآخرة عالم الغيب والملكوت ، ومامن صورة في هذا العالم إلاّ ولها حقيقة في عالم الآخرة ومامن معنى حقيقى فى الآخرة إلاّ وله مثال وصورة في الدّنيا ، إذ العوالم والنّشئآت مطابقة تطابق النفس والجسد ، وشرح أحوال الآخرة لمن كان بعد في الدّنيا لايمكن إلاّ بمثال ، ولذلك وجدت القرآن مشحونا بالأمثال كقوله :

« مَثَلُ ٱلجَنَّةِ ٱلَّتي وُعِدَ ٱلمُتَّقُونَ » « مَثَلُ ٱلَّذينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُمْ في سَبيلِ ٱللهِ » مثله « كَمَثَلِ ٱلكَلبِ » مثلهم « كَمَثَلِ الحِمارِ » .

وليس للأنبياء أن يتكلّموا مع الخلق إلاّ بضرب الأمثال ، لأنّهم كلّفوا أن يكلّموا النّاس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أنّهم في النوم والنائم لايكشف له شيء إلاّ بمثل ، فاذا ماتوا انتبهوا و عرفوا أنّ المثل صادق ، فالأنبياء هم المعبرون لما عليه أهل الدّنيا من الأحوال والصّفات ومايؤل عليه عاقبتها في يقظة الآخرة بكسوة الأمثال الدّنيوية

إذا عرفت ذلك فأقول : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كان مقصوده التمثيل وأداء

غرضه بضرب المثل ، والمثل ينتفع به العام والخاص ، وكان نصيب العامي من كلّ مثل أن يدرك ظاهره المحسوس و يقف عليه و ينتفع به ترغيبا و ترهيبا لما فيه من نوع مطابقة لأصله ونصيب الخاصي أن يدرك باطنه ويعبر من ظاهره إلى سرّه ومن محسوسه الجزئي إلى معقوله الكلّي كما قال تعالى :

« وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلّا الْعالِمُونَ » .

أراد عليه السلام أن يكون انتفاع المخاطبين بالمثل الذي يضربه على وجه الكمال و نحو الخصوص ، فلذلك قال عليه السلام : مقدّمة وتنبيهاً لهم : اعقل ذلك فانّ المثل دليل على شبهه ، أي افهم ما أقول و تدبّر فيه و لا تقصر نظرك إلى ظاهره ، بل تفكّر في معناه حتّى تصل من قشره إلى لبّه ، ويمكن لك الاستدلال بالمثل على ممثّله والانتقال من ظاهره إلى باطنه والوصول من قشره إلى لبّه

و المثل الّذي ضربه هو قوله (إنّ البهايم همّها بطونها) لكمال قوّتها الشّهوية فاهتمامها دائما بالطعام و الشّراب و الأكل و الشّرب والنزو و السّفاد (و إنّ السّباع همّها العدوان) لافراط قوّتها الغضبيّة فلذّتها أبداً في الاضرار والافتراس والغلبة والانتقام (وإنّ النّساء همهنّ زينة الحياة الدّنيا) لفرط قوّتها الشّهويّة (والفساد فيها) لشدّة قوّتها الغضبيّة

و غرضه عليه السلام من هذا المثل التنبيه على أنّ كمال الانسان الّذي به فارق غيره هو إدراك مايخرج عن عالم الحواس والاحاطة بالمعلومات والتنزّه عن التّعلّقات والتّرقّي إلى الملاء الأعلى ، فمن ذهل عن ذلك و عطل نفسه عن تحصيله وأهمله ولم يجاوز عالم المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه وأبطل قوّة استعداده بالاعراض عن الآيات والتأمّل فيها ، ونزل عن مرتبة الانسانية و أخلد إلى الأرض

فان كان تابعا لقوّته الشهويّة البهيميّة فهو نازل عن حقيقة الانسانيّة إلى درجة البهايم ، ووافق الأنعام فمثله كمثل الحمار بل البهايم أشرف منه وهو أضلّ منها كما قال تعالى : « أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم

أضلّ سبيلا » و ذلك لأنّها ما ابطلت استعدادها لما كان لها و ما أضلّت عن سبيلها الّتي كانت عليها ، بل ما من دابّة إلاّ هو آخذ بنا صيتها ، بخلاف هذا ، فانّه أبطل كماله وانسانيّته وتبع شهوة بطنه وفرجه وآثر البهيميّة

و ان كان تابعا لقوته الغضبيّة فهو منحطّ إلى درجة السّبعيّة فمثله كمثل الكلب أو الخنزير أو الضّبع ونحوها

و إن كان تابعا لشهوته وغضبه معا فقد انحطّ من كمال الرجوليّة إلى مرتبة الأنوثيّة .

فقد تلخّص مما ذكرنا أنّ غرضه عليه السلام من التمثيل التنفير عن اتّباع الشهوة و الغضب بالتنبيه على أنّ الخارج فيهما عن حدّ العدل إلى مرتبة الافراط إمّا أن تشبه البهيمة أو السبع أو المرأة ، وكلّ منها مما يرغب العاقل عنه و لا يرضى به لنفسه ، ولذلك قال أوّلا: اعقل ذلك

ثمّ إنه عليه السلام لما نفّر عن اتباع هاتين القوّتين عقّب ذلك بصفات المؤمنين ترغيباً إليها فقال عليه السلام : (إنّ المؤمنين مستكينون) أى خاضعون لله متواضعون له (إنّ المؤمنين مشفقون) كما قال سبحانه :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ـ أي الساعة ـ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ »

وقال في موضع آخر:

« وَالَّذِينَهُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ » و قال « وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ » .

(إنّ المؤمنين خائفون) كما قال تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » وقال « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَـٰئِكَ يُسَارِعُونَ

فِى ٱلْخَيراتِ وهُمْ لَهاسا بِقُونَ ». هذا

و انما أتى عليه السلام في الجملات الثلاث الأخيرة بالأسماء الظاهرة مع اقتضاء الظاهر الاتيان في الأخيرتين بالضمير لغرض زيادة تمكين المسند إليه عند السامع كما في قوله تعالى:

« قُلْ هُوَاللّٰهُ أَحَـدٌ اللّٰهُ الصَّمَدُ » و في قوله « وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنـاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ ».

وهو من محسّنات البلاغة .

تذييل

قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا الفصل من كلامه عليه السلام : إنّما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرّؤساء يوم الجمل ، لأنّهم حاولوا أن يشفوا غيظهم باهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين ، وعزوه بأمرهم فعلوه وهوالتّأليب على عثمان و حصره و استنجحوا حاجتهم إلى أهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا النّاس بوجهين ولسانين ، لأنّهم بايعوه وأظهروا الرّضا به ، ثمّ دبّوا له فجعل دبو بهم هذه مماثلة للشّرك بالله سبحانه فى أنّها لاتغفر إلاّ بالتّوبة ، وهذا هو معنى قوله : اعقل ذلك فانّ المثل دليل على شبهه ، وروى فانّ المثل واحد الأمثال أى هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام و الواحد منهـا دليل على مـا يماثله و يشابهه .

فان قلت : فهذا تصريح بمذهب الامامية في طلحة والزّبير وعايشة

قلت : كلاّ فانّ هذه الخطبة خطب بها وهو سائر إلى البصرة ولم يقع الحرب بعد ، ورمز فيها إلى المذكورين وقال إن لم يتوبوا وقد ثبت أنّهم تابوا ، والأخبار عنهم بالتّوبة مستفيضة ، ثمّ أراد أن يؤمى إلى ذكر النّساء للحال الّتي كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بالامرأة فذكر قبل ذكر النّساء أنواعا من الحيوان تمهيداً لقاعدة

ذكر النساء فقال: إنّ البهايم همّها بطونها كالحمر والبقر والابل، وإنّ السّباع همّها العدوان على غيرها كالاسود الضّارية و النّمور والفهود و البزاة و الصّقور، وإنّ النساء همّهن زينة الحياة الدّنيا والفساد فيها انتهى

أقول: أمّا ما ذكره الشّارح من كون هذا الكلام رمزاً إلى قادة الضلال يوم الجمل فغير بعيد، واتّصافهم بالخصال الخمس التي هى من أوصاف أهل النفاق والضلال معلوم ومبرهن.

وأمّا جوابه عن الاعتراض الذي اعترض به فسخيف جدّاً

أمّا أوّلا فلأنّ صدور هذه الخطبة عنه عليه السلام حين مسيره إلى البصرة وقبل وقوع الحرب لايرفع الايراد بعد تحقّق اتّصاف الرّؤساء بالخصال المذكورة

و أمّا ثانيا فلأنه عليه السلام لم يقل إن لم يتوبوا بل قال و لم يتب، وكونه رمزاً إلى عدم توبتهم وأنهم يموتون بلاتوبة أظهر من أن يكون رمزاً إلى حصول التوبة

وأمّا ثالثاً فلأنّ أخبارتوبتهم التي ادعى استفاضتها بعد تسليم كونها مستفيضة مما تفرّدت العامّة بروايتها، ولايتمّ بها الاحتجاج قبال الامامية، وقد قدّمنا في شرح الكلام الثامن بطلان توبة الزبير، وفي شرح الكلام الثاني عشر بطلان توبة الطلحة، وفي شرح الكلام التاسع والسبعين بطلان توبة الخاطئة، و قد مرّ تحقيق بطلان توبة الأوّلين أيضا في شرح الكلام المأة والسابعة و الثلاثين بما لامزيد عليه فليتذكّر.

الترجمة

بعض ديگر از آن خطبهٔ شريفه درصفت بعض أهل ضلالست مى‌فرمايد:

و آن شخص معصيت كار در مهلت است از پروردگار فرو مى‌افتد باغافلان، و صباح مى كند با گنه كاران، بدون راه راست وبدون پيشوائى كه كشندهٔ خلايق است بطرف حضرت ربّ العزّة

و بعض ديگر از اين خطبه متضمّن نصيحت و موعظه است مر مخاطبين‌را مى‌فرمايد:

تا آنکه چون کشف کند خدایتعالی ازجزاء معصیت‌ایشان ، وخارج میکند ایشان‌را ازلباسهای غفلت ایشان استقبال میکنند بچیزی که ادبار کرده بود وغایب بودازایشان که‌عبارتست ازعقوبات آخرت، واستدبارمی کنند بچیزی که حاضربود ایشانرا که عبارتست از لذاید دنیاً ، پس نفع نبردند از آنچه دریافتند از مطلوب خودشان ، ونه به آنچه که رسیدند ازحاجت‌خود، وبدرستی که من میترسانم شمارا و نفس خودمرا از این حالت غفلت ، پس باید که منتفع بشود مرد بنفس خود ، پس بدرستی که صاحب بصیرت شخصی است که بشنود پس تفکر نماید ، ونظر کند پس بینا گردد ، ومنتفع بشود باعبرتهای روزگار پس ازآن راه برود درراه راست آشکار که دوری ورزد در آن راه از افتادن مواضع پستی وتباهی و ازگمراه شدن درمواضع گمراهي ، و اعانت نکند برضرر خود گمراهان را بجهة کج روی در امرحق یا بجهة تغییر دادن در گفتار ، یا بجهة اظهار خوف درراستی وصداقت

پس افاقه حاصل کن ای‌شنونده ازبیهوشی خودرا بیدار باش ازخواب غفلت خود ، و مختصر کن ازتعجیل و شتاب خودت ، و نیك تأمّل نمادر آنچه آمده بتو برزبان پیغمبریکه ازأهل مکۀ معظمه است ازآنچه ناچاراست ازآن وهیچ گریزي نیست ازآن ، ومخالفت کن با کسی که مخالفت کند درآن ، ومتوجّه شود بطرف غیر آن،ومگذار اورا بآنچه که پسندیده است اورا ازبرای خودش ، وبگذار فخر خودت را ، وپست کن کبرخودرا ، وذکر کن قبرخودرا پس بدرستی که بر آن قبراست عبور تو ، وهمچنان که جزا می‌دهی جزا داده میشوی ، و همچنان که زراعت می کنی می دروی ، وآنچه که پیش فرستادۀ امروز می‌آئی براوفردا

پس مهیّا کن ازبرای آمدن خود بداربقا ، ومقدّم کن از برای روزحاجت خود ، پس‌البتّه حذر کن وبترس أی گوش دهنده ، والبتّه جدّ وجهد کن أی غفلت کننده ، وآگاه نکند تورا هیچ کس‌مانند کسی که آگاهست ازکارها ، بدرستی که ازجمله أوامر محتومۀ پروردگار در ذکر محکم و استوار که بر اخذ آن ثواب می‌دهد ، وبرترك آن عقاب می‌نماید ، وازبرای اطاعت آن‌خوشنود می‌شود ، وبجهة

مخالفت آن غضب می کند :

اینست که هیچ نفع نمی‌بخشد بنده را اگرچه بمشقت أندازد نفس خودرا و خالص نماید فعل خودرا این که خارج بشود از دنیا در حالتی که ملاقات کند پروردگار خودرا با یك خصلت از این خصلتهای ذمیمه در حالتی که توبه ننموده باشد ازآن :

آنکه شرك آورد بخدا در آنچه که واجب نموده است براو ازعبادت خود ، یاشفا بدهد غیظ خودرا با هلاك کردن نفس خود ، یا اقرار کند بکاری که دیگری اورا نموده ، یاخواهش روا کردن حاجتی نموده باشد بسوی خلق با اظهار بدعت در دین خود ، یا ملاقات کند مردمان را بدو روئی ونفاق ، یا مشی کند در میان ایشان با دو زباني وعدم وفاق

درك کن وبفهم این مثل را که خواهم زد ازبرای تو پس بدرستی که مثل دلیل است برمشابه خود ، وآن مثل اینست که : چهارپایان قصد آنها شکمهای آنهاست ، و بدرستی که درندگان قصد ایشان ستم و عدوانست ، وبدرستی که زنان قصد ایشان زینت زندگاني این جهان وفساد کردنست درآن ، بدرستی که مؤمنان متواضعانند،بدرستیکه‌مؤمنان‌ترسندگانند ازغضب پروردگار ، بدرستی که مؤمنان خائفندازسخط آفریدگار ،اللّهمّ وفّقنا بمحمّد وآله‌الأطهار

و من خطبة له عليه‌السلام و هی المأة و الثالث و الخمسون من المختار فی باب الخطب و فیه فصلان

الفصل الاول

وَ نَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ ، بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَ يَعْرِفُ غَوْرَهُ وَ نَجْدَهُ ،

داع دعا، وراع رعا، فاستجيبوا للداعي، واتبعوا الراعي، قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضالون المكذبون، نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.

الفصل الثاني (منها)

فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة فإنه منها قدم، وإليها ينقلب، فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له، فإن كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه. فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع، واعلم أن لكل ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه» واعلم أن كل

عَمَلٍ نَباتٌ ، وَكُلٌّ نَباتٍ لا غِنى بِه عَنِ الماءِ ، وَالمِياهُ مُختَلِفَةٌ ، فَما طابَ سَقيُهُ طابَ غَرسُهُ ، وَحَلَت ثَمَرَتُهُ ، وَما خَبُثَ سَقيُهُ خَبُثَ غَرسُهُ ، وَأَمَرَّت ثَمَرَتُهُ .

اللغة

(الناظر) من المقلة السّواد الأصغر الذي فيه انسان العين و (الغور) بالفتح قعر كلّ شيء والمنخفض من الأرض و (النّجد) المرتفع منها والجمع نجود مثل فلس وفلوس و (رعت) الماشية رعيا إذا سرحت بنفسها و رعيتها وأرعاها يستعمل لازما ومتعدّيا فانا راع ، وفي القاموس الرّاعى كلّ من ولى أمر قوم والجمع رعاة و رعاء بالكسر و رعيان و القوم رعية و (ارز) من باب علم و ضرب انقبض و انجمع و (الشّعار) بالكسر ما ولى الجسد من الثياب و (الرّائد) المرسل في طلب الماء والكلاء و (ليحضر عقله) مضارع حضر من باب نصر أو أحضر من باب الأفعال

الاعراب

داع مرفوع تقديراً خبر ناظر و قال الشّارح المعتزلي : إنّه مبتدء محذوف الخبر تقديره في الوجود داع دعا ، قوله : واعلم أنّ كلّ عمل نبات هكذا في بعض النسخ فيكون كلّ اسم إنّ ونبات خبرها و في بعضها أنّ لكلّ عمل نباتاً فيكون نباتاً اسماً لها

المعنى

اعلم أنّه لمّا كان من دأب الرّحمة الرحمانية أن يصدر عنه أقسام الموجودات على أكمل مايتصوّر في حقّها ، وأن يعطى لكلّ نوع بعد إعطاء الوجود مايحفظ به كماله الأوّل ويستدعى كماله الثّاني كما قال تعالى « هو الّذى أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى» أشار إلى أنّه أعطى أصل وجوده ، ثمّ أفاد له مايتهيّأ ويهتدى به إلى فضيلة زايدة من القوى والآلات ، لاجرم كان كلّ نوع من أنواع المكونات

اعطى له من خزائن رحمة الله مايستعدّ به للوصول إلى ماهو خير له وسعادة بالنسبة إليه ويحترز عمّا هو شرّ له و شقاوة ، و لا شكّ أنّ الانسان أشرف هذه الأنواع فاعطاء مايستطيع به لطلب ما هو الخير والسّعادة له أولى وأوجب ، لكن لمّا كان كما له الخاصّ بـه أمراً متميّزاً عن كمالات ساير الأنواع الحيوانيّة من جلب مأكول أومشروب أو منكوح ونحوها من كمالات البهايم ، فليس خيره و سعادته ممّا يوجد في هذا العالم ، بل كماله وخيره في العلم والتّجرد عن الدّنيا ومافيها والتّقرّب إليه تعالى وملكوته الأعلى فيجب في العناية الرّبانيّة أن يعطيه مايهتدى به إلى سبيل سعادته وطريق نجاته ، ويتجنّب عن طريق شقاوته وشقائه بأن يعرف أوّلاً ولو بوجه من الوجوه ماالآله وما الملكوت وما الآخرة وماالأولى ، وماالسعادة و الشقاء ، ثمّ إن كان ممّن لايهتدى إلى ذلك إلاّ بواسطة معلّم من خارج من نبيّ أو امام أو كتاب وجب عليه تعالى أن يعرّفه ذلك ووجب عليه أن يتعلّم منه ويطيع له و يقبل منه

روى يزيد بن معاوية عن أبيعبدالله عليه السلام قال : ليس لله على خلقه أن يعرفوا وللخلق على الله أن يعرّفهم ، ولله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا

إذا عرفت ذلك فأقول : إنّ الانسان قد أعطاه الله سبحانه بمقتضا عنايته العقل يهتدى به إلى مصالحه و مفاسده ، وجعل عقول بعض أفراد هذا النوع كاملة فاضلة غير محتاجة في كسب كمالاتها إلى الغير وهى عقول الأنبياء و الرّسل والأئمة عليهم السلام ، وجعل عقول غيرهم ناقصة ، فهؤلاء لايكمل معرفتهم إلاّ بمعلّم خارجى ، لعدم استقلال عقلهم بمعرفة كثير من المصالح و المفاسد و المنافع و المضارّ ، و ذلك المعلّم هو النبيّ صلى الله عليه وآله والامام .

و إلى هذا المعنى أشار أبوعبدالله عليه السلام في رواية الكافي حيث قال : أبى الله أن يجرى الأشياء إلاّ بأسباب ، فجعل لكلّ شيء سبباً ولكلّ سبب شرحاً ، وجعل لكلّ شرح علماً ، و جعل لكلّ علم باباً ناطقا عرفـه من عرفه و جهله من جهله ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن.

فظهر لك بتلك المقدّمة معنى قوله عليه السلام (وناظر قلب اللّبيب به يبصر أمده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعا) أى عين بصيرة العاقل التي بها يبصرغايته التي يتوجه اليها أى معاده وبهايعرف ما انخفض وانحطّ من حالاته الموجبة لشقاوته المتردّية له إلى دركات الجحيم ، وما ارتفع واستعلي من خصاله الموجبة لسعادته الموصلة له إلى نضرة النعيم هى أى هذه العين داع دعا وراع رعا ، أراد بالدّاعي رسول الله صلى الله عليه وآله لدعائه إلى طرف الحقّ قال الله تعالى:

« يا أيُّها النَّبِيُّ إنا أرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً وَداعِياً إلَى اللهِ بِإِذْنِه ».

وأراد بالرّاعى نفسه عليه السلام لأنّه وليّ الخلق و القائم بأمرهم كالرّاعي الذي يرعى غنمه و يحفظها و يربّيها ، و قد مرّ تشبيه الامام بالرّاعي و الرعيّة بالغنم و تشبيه من لم يعرف امامه بغنم ضلّت عن راعيها في الحديث الّذي رويناه من الكافي في التّذنيب الثالث من تذنيبات شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبة الأولى

وورد في وصف الأئمة عليهم السلام في الزّيارة الجامعة : واسترعاكم أمر خلقه ، قال شارح الزّيارة ، يعني به : أنّه تعالى استرعاهم أمرخلقه جعلهم قائمين برعاية الخلق فيما يتعلّق بأمر الوجود الكوني و شرعه ، وفيمايتعلّق بأمرالكون الشّرعي ووجوده ، وفيما يتعلّق بامر الغيب و الشّهادة ، وفيما يتعلّق بأمر الدّنيا والآخرة ، وفيما يتعلّق بامر الجنّة والنّار ، طلب تعالى منهم عليهم السلام رعاية جميع خلقه في هذه الأمور الخمسة فهم عليهم السلام المربّون لرعيّتهم الرّاعون الّذين استرعاهم الله أمرغنمه فان شاؤوافانّما شاء ، هذا .

وانّما جعل الدّاعي والرّاعى ناظر القلب اللّبيب لأنّ النّاظر من الانسان هو آلة الابصار ، وبهايدرك الأشياء على ماهى عليها ، ويفرّق بين الألوان والأضواء والأشكال و المقادير و نحوها ، و بناظره القلبي أى عين بصيرته يفرّق بين الحقّ والباطل ، والصّلاح و الفساد ، فاستعار لفظه للرّسول والامام عليهما السلام إذ بهما يحصل له المعرفة

بالمبدء والمعاد ، وبدلالتهما وإرشادهما يكمل له الحكمة النظرية والعملية ، فالنبيّ والامام عقل من خارج كما أنّ العقل رسول من باطن

و إليه يشير قول موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم في الحديث الطويل المرويّ في الكافي : يا هشام إنّ لله على النّاس حجّتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة فأمّا الظّاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأمّا الباطنة فالعقل إلى أن قال: ياهشام نصب الحقّ لطاعة الله ولا نجاة إلاّ بالطاعة ، والطاعة بالعلم ، والعلم بالتّعلّم والتّعلّم بالعقل يعتقل ولا علم إلاّ من عالم ربّاني ومعرفة العلم بالعقل

وانّما خصّ عليه السلام ناظر قلب اللّبيب بالبيان لأنّ الجاهل بمعزل عن الالتفات غافل عمّا له و عليه كما قال عليه السلام في رواية الكافي عن عليّ بن محمّد عن سهل بن زياد عن النوفليّ عن السّكوني عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ قلوب الجهّال تستفزّها الأطماع و ترتهنها المنى ، وتستعلقها الخدايع يعني يستخفّها الأطماع لأنّهم كثيراً ماينزعجون من مكانهم بطمع فاسد لا أصل له و لا طائل تحته ، وأنّها مقيّدة مرتهنة بالأماني والآمال الكاذبة ، وهم ينخدعون سريعاً فيستسخر قلوبهم خدايع الخادعين ، ويستعبدها مكر الماكرين ، ولهذا يعدهم الشّيطان ويمنّيهم بالأماني الباطلة ، و يغرّهم ويستفزّهم ويستعبدهم بالخدايع و ما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً قال تعالى:

«أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها» .

قال أبوجعفر عليه السلام في هذه الآية : ميّت لا يعرف شيئاً و نوراً يمشي به في النّاس اماما يأتمّ به كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، قال : الذي لايعرف الامام، هذا

و لمّا كان همّة العاقل مصروفة لتحصيل كمالاته والترقي من حدّ النّقص و الوبال إلى ذروة الفضل و الكمال ، ومن هبوط الجهل والدّنائة إلى شرف العزّ والسّعادة ، و كان ذلك الاستكمال والتّرقّي موقوفا على طاعة الرّسول والامام عليهما السلام

حسبما عرفت أمر بطاعتهما بقوله (فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي) لأنهما قواد النّاس و هداتهم إلى المحجّة البيضاء والصّراط المستقيم ، و بالاستجابة و المتابعة لهما ينال حسن العاقبة وسعادة الخاتمة ، ولذلك قرن الله طاعتهما بطاعته فقال :

«أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» .

و قوله عليه السلام (قد خاضوا بحار الفتن) قال الشارح البحراني : يحتمل أن يكون التفاتاً إلى قوم معهودين للسّامعين كمعاوية و أصحاب الجمل و الخوارج ، و يحتمل أن يكون منقطعاً عمّا قبله متّصلا بكلام لم يحكه الرّضى (ره) و إليه ذهب الشّارح المعتزلي ، وقال : هذا كلام متّصل بكلام لم يحكه الرّضي ، و هو ذكر قوم من أهل الضّلال قدكان أخذ في ذمّهم ونعا عليهم عيوبهم

أقول : و الأظهر عندي أنّه متّصل بالكلام السّابق ، و وجه نظمه أنّه لمّا أمر بوجوب متابعته و فرض طاعته و طاعة الرّسول صلى الله عليه وآله التفت إلى حكايـة حال المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وآله و المغيّرين لوصيّته ، و الغاصبين لخلافته من الخلفاء الثلاث ومتابعتهم ، و كيف كان فتشبيه الفتن بالبحار لاهلاكها واستيصالها فمن دخل فيها يغرق كما يغرق البحر الخائض فيه ، وذكر الخوض ترشيح للتّشبيه .

(و أخذوا بالبدع دون السّنن) يعني أنّهم عدلوا عن سنّة سيّد المرسلين ، و تركوا منهج الشّرع المبين ، و أبدعوا في الدّين ، وأخذوا بالرّأى و المقائيس عن هوى الأنفس ، فلم يزالوا دهرهم في الالتباس و الارتماس في بحر الظلمات و الانغماس في مهوى الشّهوات ، و ذلك كلّـه لاعراضهم عن أئمّـة الحقّ و أولياء الصّدق .

قال يونس بن عبدالرّحمن : قلت : لأبي الحسن الأوّل عليه السلام بما أوحّد الله عزّ وجلّ ؟ قال : لاتكوننّ مبتدعاً ، من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر

قال الشّارح البحراني : البدعة قد يراد بها ترك السّنّة و قد يراد بها أمر

آخر يفعل مع ترك السنّة و هو أظهر في العرف .

أقول : و البدعة ملازمة لترك السنّة كما يفصح عنه ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى بن عبيد عن يونس عن حريز عن زرارة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال : حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولايجيء غيره .

وقال عليه السلام قال عليّ عليه السلام : ما أحد ابتدع بدعة إلاّ ترك بها سنّة .

وجه دلالته على الملازمة أنّ حلاله وحرامه إذا كانا مستمرّين إلى يوم القيامة فمن أتى بشيء إمّا أن يكون حكمه ثابتا في الكتاب والسنّة فلا يكون بدعة ، وإلاّ ففيه تركهما ، وبعبارة اخرى لولم يكن مخالفاً للسنّة لم يكن بدعة . وحيث كان مخالفاً مناقضاً لها يلزم من إتيانها ترك سنّة هي في مقابلها البتة ،وهو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي استشهد به الامام عليه السلام (وأرز المؤمنون) أى انقبضوا وسكتوا لشمول التّقية وغلبة الباطل (ونطق الضالّون المكذّبون) لاختفاء الحقّ واستيلاء أهل الضّلال .

ثمّ عاد عليه السلام إلي ذكر مناقبه ومفاخره المقتضية لوجوب طاعته حثّاً للمخاطبين على الرّجوع إليه و تأكيداً للتّعريض والتقريع على المنحرفين العادلين عنه إلى غيره و الغاصبين لحقّه فقال (نحن) أراد به نفسه والطّيبين من أولاده (الشّعار و الأصحاب) أى شعار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه ، و استعار لفظ الشّعار لهم باعتبار ملازمتهم له صلى الله عليه وآله ومزيد اختصاصهم به ملازمة الشّعار للجسد واختصاصه به ، و هم أيضاً أدركوا صحبته بالايمان وصدقوه في جميع ماجاء به بالاذعان و الايقان ، و عرف المسند بلام التّعريف للعهد قصداً للحصر ، يعني أنّ الشّعار و الأصحاب المعهودين نحن لاغيرنا .

قال العلامة التفتازاني: إذا كان للشّيء صفتان من صفات التعريف عرف السّامع اتّصافه باحداهما دون الآخرى حتّى يجوز أن تكونا وصفين لشيئين متعدّدين في الخارج فأيّهما كان بحيث يعرف السامع اتّصاف الذّات به و هو كالطالب بحسب زعمك أن

يحكم عليه بالأخرى يجب أن تقدّم اللّفظ الدّالّ عليه وتجعله مبتدأ، وأيّهما كان بحيث يجعل اتصاف الذّات به و هو كالطالب أن تحكم بثبوته للذات أو بنفيه عنها يجب أن تؤخّر اللفظ الدّالّ عليه و تجعله خبراً، فاذا عرف السامع زيداً بعينه واسمه ولايعرف اتّصافه بأنه أخوه وأردت أن تعرفه ذلك قلت: زيد أخوك، وكذلك إذا عرف زيداً و علم أنه كان من انسان انطلاق ولم يعرف اتّصاف زيد بأنه المنطلق المعهود وأردت أن تعرفه ذلك قلت: زيد المنطلق، ولا يصحّ المنطلق زيد، انتهى

(والخزنة والأبواب) أي خزّان خزينة علم الله وعلم رسوله و إنّما استعار لهم ذلك اللّفظ لأنّ الخازن إنّما يتولّى ما في الخزانة و يحفظه و يتصرّف فيه ويصرفه في مصارفه وهم عليهم السلام كذلك لأنّهم حفّاظ علم الله تعالى، والمتصرّفين فيه والباذلين له لمن يشاؤون، والمانعين له عمّن يشاؤون قال تعالى:

«هٰذا عَطآؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ».

فانّ ظاهرها في حقّ سليمان بن داود عليهما السلام و باطنها في أهل البيت عليهم السلام حسبما عرفته في شرح الكلام التّاسع والخمسين.

ويدلّ على كونهم خزّان الله تعالى ما في البحار من بصاير الدّرجات للصّفار بسنده عن سورة بن كليب قال: قال لي أبوجعفر عليه السلام: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولاعلى فضّة إلاّ على علمه، قال العلاّمة المجلسيّ ره أي خزّان علم السّماء والأرض.

أقول: والأولى جعل ضمير علمه راجعاً إلى الله كما يفصح عنه إضافة العلم إلى لفظ الجلالة في الأخبار الآتية وستعرف تحقيق ذلك.

و فيه منه عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وخزّانه في أرضه، لسنا بخزّان على ذهب ولا على فضّة و إنّ منّا لحملة العرش إلى يوم القيامة.

و عن سدير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال:

نحن خزّان الله على علم الله نحن تراجمة وحي الله نحن الحجّة البالغة على مادون السّماء وفوق الأرض .

وعن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : نحن خزّان الله في الدّنيا والآخرة وشيعتنا خزّاننا .

و عن عبدالرّحمن بن كثير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : نحن ولاة أمرالله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله .

وعن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : انّ الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على اولى العزم أنّي ربّكم ومحمّد صلّى الله عليه وآله رسولي وعليّ أميرالمؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ انتصر به ادينى .

فظهر بهذه الرّوايات كونهم ولاة خزانة علمه تعالى ، ويدلّ عليه أيضاً ما عن احتجاج الطّبرسي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل و فيه : قال لصاحبكم أميرالمؤمنين :

« قُلْ كَفى بِاللهِ شَهيداً بَيْني وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ »

وقال الله عزّ وجلّ :

« وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاّ في كِتابٍ مُبينٍ » .

وعلم هذا الكتاب عنده .

وبهذا المضمون أيضاً أخبار أخر قدّمنا روايتها في التّذييل الثالث من شرح الفصل السّابع عشر من الخطبة الأولى فليتذكّر .

قال بعض الأفاضل : و العلم الذي هم خزائنه هو علم الموجودات بالمعنى المتعارف وهو قوله تعالى :

« وَلا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شاءَ »

يعني أنّ ما لم يشأ من علمه أن يعلموه لا يحيطون بـه ، و ليس المراد

بهذا العلم الذي لايحيطون بشيء هو القديم الذي هو الذات ليكون المعنى ولا يحيطون بشيء من ذاته إلاّ بماشاء أن يحيطوا به منها، وهذا معنى باطل، بل المراد به أنّ العلم الحادث الذي هو غير الذات. ممكن مقدّر غير مكوّن، ومنه تكوين ومنه مكوّن، فالممكن المقدور غير المكوّن هو الممكنات قبل أن تكسي حلّة الوجود في جميع مراتب الوجود، فهذه لم تكن مشائة إلاّ في أماكنها، فهذا لايحيطون بشيء منه إحاطة وجود، ويحيطون به إحاطة إمكان إذ ذاك مشائة مشية إمكان، والتكوين الممكن، و هذا يحيطون به لأنّه مشاء بنفسه و هم محالّ ذلك، و المكوّن قسمان مكوّن مشروط، ومكوّن منجّز، والمكوّن المشروط يحيطون به لأنّه مشاء ولايحيطون بالشّرط إلاّ بعد أن يكون مشاء، والمكوّن المنجّز يحيطون به، ثمّ ماكانوا يحيطون به قسمان: قسم كان و هم يحيطون به أنّه كان ولايحيطون به انه مستمرّ أو منقطع إلاّ إحاطة اخبار لا إحاطة عيان، وقسم لم يكن فهم يحيطون به إحاطة اخبار أيضاً لا إحاطة عيان، فظهر لمن نظر وأبصر من هذا التّفصيل أنّهم عليهم السلام لا يحيطون بشيء من علمه الذي هو غير ذاته إلاّ بماشاء أن يحيطوا به، والّذي شاء أن يحيطوا به هو ما سمعته في هذا التفصيل، هذا تمام الكلام في كونهم عليهم السلام خزّان الله.

و أمّا كونهم الأبواب فالمراد به أنّهم عليهم السلام أبواب الايمان والمعرفة بالله، وأبواب علم الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في الأخبار المستفيضة العامّية والخاصّية بل لايبعد تواترها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا مدينة العلم و عليّ بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب وقال أيضاً: أنامدينة الحكمة وفي بعضها: دار الحكمة وعليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها

و إلى هذا أشار عليه السلام بقوله: (ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها فمن أتاها من غير بابها سمّى سارقا) وهو كناية عن أنّ من أخذ العلم من غير أهله وأراد المعرفة عن غير الجهة التي أُمر بالتوجّه إليها فهو منتحل له كالسّارق الذي يتسوّر البيوت من غير أبوابها ويأخذ مافيها غصبا وعدوانا قال تعالى:

« لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا » .

روى في البحار من الاحتجاج للطبرسي عن الأصبغ بن نباته قال : كنت جالساعند أمير المؤمنين عليه السلام فجائه ابن الكوا فقال : يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ « ليس البرّ أن تأتوا البيوت » الآية فقال عليه السلام : نحن البيوت الّتي أمر الله أن يؤتى أبوابها ، نحن باب الله و بيوته التي يؤتى منها ، فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ، و من خالفنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها « إلى أن قال » إنّ الله عزّ وجلّ لوشاء عرّف النّاس نفسه حتّى يعرفوه و يأتوه من بابه ، ولكن جعلنا أبوابه و صراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه ، قال : فمن عدل عن ولايتنا و فضّل علينا غيرنا فانّهم عن الصّراط لناكبون ، و قد تقدّمت هذه الرّواية في شرح الفصل الرّابع من الخطبة الأولى من الصّافي عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله .

(**منها**) ما هو أيضا في فضايل أهل البيت عليهم السلام وهوقوله عليه السلام (فيهم كرايم القرآن) يحتمل أن يكون المراد بالكرايم الآيات الكريمة قال:

« وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ » .

أى حسن مرضيّ في جنسه ، وقيل : كثير النّفع لاشتماله على أصول العلوم المهمّة في المعاش و المعاد و الكريم صفة لكلّ ما يرضى ويحمد ، ومنه وجه كريم أى مرضيّ في حسنه وبهائه ، و كتاب كريم مرضيّ في معانيه .

وأن يكون المراد بها الآيات الدّالة على كرامتهم أى على جمعهم لأنواع الشّرف والفضايل ، إذ الكريم هو الجامع لأنواع الخير والشّرف ، وقد مضى بعض تلك الآيات في شرح الفصل الثالث من الخطبة السّادسة والثّمانين ، وتقدّم كثير منها في تضاعيف الشّرح وتأتي أيضا انشاء الله في مواضعها اللايقة، وفي بعض النّسخ: فيهم

كرايم الايمان ،أى الخصال الكريمة الّتي هى من لوازم الايمان وخواصّه (وهم كنوز الرّحمن) لأنّ الكنز مايدّخر فيه نفايس الأموال وهم عليهم السلام قد أودع الله فيهم نفايس جميع ما في الكون و خيار الفضايل و الفواضل من العلم والحلم والسّخاء والجود والكرم والخلافة والولاية والشّجاعة والفصاحة و العصمة والقدس والطهارة إلى غير تلك ممّا لايضبطها عدّ ولا يحيط بها حدّ .

«وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» .

(إن نطقوا صدقوا) لأنّهم أزمّة الحق وألسنة الصّدق المستجاب بهم دعوة إبراهيم عليه السلام في قوله :

«وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» .

و المفروض متابعتهم بقوله :

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ» .

على ما قدّمنا في شرح الفصل الثالث من الخطبة السّادسة والثّمانين .

(وإن سكتوا لم يسبقوا) لأنّ سكوتهم إنّما هو بمقتضى المصلحة واقتضاء الحكمة لا عن عيّ وعجز حتّى يسبقهم الغير ويتكلّم ولايتمكّنوا ويتمكّن بل يعلمون ماكان وماهو كائن ويتكوّن ولذلك شاع المثل السائر : قضيّة وليس لها أبوالحسن

ثمّ إنّه عليه السلام لمّا نبّه على جملة من مناقبهم الباهرة و مفاخرهم الزاهرة عقّب ذلك بالمثل المشهور وفرّعه على ما سبق فقال (فليصدق رائد أهله) يعني أنّ المرسل من الحيّ لطلب الماء و الكلاء تادلهم المرعى ينبغى لـه أن يصدق أهله و لا يكذب لمن أرسله ويبشّر له بها ، وأراد بذلك أنّ من يحضر الأئمة عليهم السلام من النّاس طلباً لاخبارهم و اقتباس أنوارهم وأخذ معالم الدّين عنهم فليصدق من يكل

إليه أمره انّنا أهل الحقّ وينابيع العلم والحكمة والأدلاّء (وليحضر عقله) لاستماع كلامنا حتّى يعرف صحّة ماادّعينا قال تعالى:

« فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » .

روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس بن عبدالرحمن قال : حدّثنا حماد عن عبدالأعلى قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول العامة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة ، فقال عليه السلام : الحق والله، قلت: فان إماماً هلك ورجل بخراسان لايعلم من وصيّه لم يسعه ذلك، قال عليه السلام : لايسعه انّ الامام إذا هلك وقعت حجّة وصيّه على من هو معه في البلد وحقّ النّفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم إنّ الله عزّ وجلّ يقول « فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » قلت : فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم قال : إنّ الله عزّ وجلّ يقول:

« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ » .

قلت : فبلغ البلد بعضهم فوجدك مغلقاً عليك بابك ومرخى عليك سترك لا تدعوهم إلى نفسك و لا يكون من يدلّهم عليك فبما يعرفون ذلك ؟ قال : بكتاب الله المنزل ، قلت : فيقول الله عزّ وجلّ كيف ؟ قال : أراك قد تكلّمت في هذا قبل اليوم، قلت : أجل ، قال عليه السلام : فذكر ما أنزل الله في علي عليه السلام وما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في حسن و حسين عليهما السلام و ما خصّ الله به علياً عليه السلام و ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله من وصيّته اليه ونصبه إيّاه ومايصيبهم وإقرار الحسن والحسين بذلك ووصيّته إلى الحسن وتسليم الحسين له يقول الله :

«النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ».

قلت: فان النّاس تكلّموا في أبي جعفر عليه السلام و يقولون كيف تخطّت من ولد أبيه من له مثل قرابته ومن هو أسنّ منه وقصرت عمّن هو أصغر منه؟ فقال عليه السلام: يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال لاتكون في غيره: هو أولى النّاس بالذي قبله، وهو وصيّه، وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله و وصيّته وذلك عندي لا اُنازع فيه، قلت: إنّ ذلك مستور مخافة السّلطان؟ قال: لايكون في ستر إلّا وله حجّة ظاهرة إنّ أبي استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً فدعوت أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبدالله بن عمر قال: اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنيه

«يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»

وأوصى محمّد بن عليّ إلى جعفر بن محمّد وأمره أن يكفّنه في برده الّذي كان يصلّي فيه الجمع، و أن يعمّمه بعمامته، وأن يربع قبره ويرفعه أربع أصابع ثمّ يخلى عنه، فقال عليه السلام اطووه ثمّ قال للشّهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت بعد ما انصرفوا ماكان في هذا ياابه أن تشهد عليه؟ فقال عليه السلام: إنّي كرهت أن تغلب وأن يقال إنّه لم يوص فأردت أن تكون لك حجّة فهو الذي إذا قدم الرّجل البلد قال إلى من وصيّ فلان، قيل: فلان، قلت: فان كان أشرك في الوصيّة قال: تسألونه فانّه سيبيّن لكم.

وقد رويت هذه الرّواية لاشتماله على فوايد عظيمة جمّة، وايضاحه كيفية تكليف من ينفر لطلب الامام ووظيفة الامام وما يعرف به المحقّ من المبطل، وأنّ اللازم على النافرين إنذار قومهم بعد تفقّههم في الدّين و معرفتهم بالامام بالبيّنات التي هي من دلالات الامامة، فعلم بذلك أنّ النّافر لطلب الامام بمنزلة الرّائد السّابق ذكره في كلام أمير المؤمنين عليه السلام فافهم ذلك وتبصّر

ثمّ أمر عليه السلام الرّائد أمر إرشاد فقال (وليكن من أبناء الآخرة) ورغبته اليها (فانّه منها قدم وإليها ينقلب) لأنّ الانسان مبدؤه الحضرة الالهيّة و هو سبحانه المبدء وإليه المنتهى وهوغاية مراد المريدين ومنتهى سيرالسايرين .

ثمّ أشار عليه السلام إلى فضيلة العلم فقال عليه السلام (فالناظر بالقلب العامل بالبصر) أي ينبغي لصاحب العقل البصير في عمله أن (يكون مبتدء عمله أن يعلم أعمله عليه أم له) أي يعرف قبل أن يعمل أنّ عمله نافع له مقرّب إلى الحضرة الرّبوبية أم مضرّ مبعّدله (فان كان له مضى فيه) و أتى به (وإن كان عليه وقف عنه) و تركه و إنما كان اللاّزم على العاقل تحصيل العلم قبل العمل (فانّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق فلا يزيده بعده عن الطريق إلاّ بعداً من حاجته) إذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب .

قال طلحة بن زيد : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : العامل على غير بصيرة كالساير على غير الطريق لايزيده سرعة السير إلاّ بعداً ، رواه في الكافي .

و فيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح .

(و) هذا بخلاف العامل العالم فانّ (العامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح) فلا يزيده سرعة سيره إلاّ نجاحا بحاجته (فلينظر ناظر) أي النّاظر بالقلب المسبوق ذكره (أسائر هو أم راجع)

اقول : و ما ذكرناه في شرح هذه الفقرات أعنى قوله : فالنّاظر بالقلب إلى قوله: أم راجع ، إنّما هومفاد ظاهر كلامه عليه السلام ، والأشبه عندي أن تكون تلويحاً و إشارة إلى وجوب اتباع الأئمّة و الايتمام بهم ، فانّه لمّا ذكر أوصاف الأئمة ونعوتهم الكماليّة ، عقّب ذلك بما يلزم على الرائد الطّالب للامام ، ثمّ فرّع عليه قوله : فالنّاظر بالقلب آه . يعنى أنّ صاحب العقل والبصيرة لابدّ له قبل أن يشرع في عمل أن يعلم أنّ عمله له أم عليه ، والعلم موقوف على التّعلّم من الامام العالم والاقتباس من نوره والاهتداء به ، إذ المتلقّى من غيره :

«كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّي إذا جاءَهُ لَم يَجِدهُ شيئاً».

ويؤمى إلى ما ذكرناه تمثيل العامل العالم بالسّائرعلى الطريق و تمثيل الجاهل بالساير على غير طريق قال تعالى:

«قُلْ هذِهِ سَبيلي أدْعُوا إلَى اللهِ عَلىٰ بَصيرَةٍ أنَا وَمَنِ اتَّبَعَني».

قال زيد بن عليّ: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله في هذه الآية: أنا و من اتّبعنى من أهل بيتي لايزال الرّجل بعدالرجل يدعو إلى ما أدعو اليه، وقال تعالى أيضاً:

«أفَمَنْ يَمْشي مُكِبّاً عَلىٰ وَجْهِهِ أهْدىٰ أمَّنْ يَمْشي سَوِيّاً عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ».

قال البيضاوي و معنى مكبّاً أنّه يعثر كلّ ساعة ويخرّ على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه، و لذلك قابله بقوله: أمّن يمشى سويّاً قائماً سالماً من العثار، على صراط مستقيم مستوى الأجزاء و الجهة، و المراد تمثيل المشرك و الموحّد بالسالكين و الدّينين بالمسلكين، و قيل: المراد بالمكبّ الأعمى فانّه يعتسف فيكبّ وبالسويّ البصير، انتهى

و أمّا تأويله فالمراد بالمكبّ أعداء آل محمّد صلى الله عليه وآله، وبمن يمشى سويّاً أولياؤهم عليهم السلام كما ورد في تفسير أهل البيت

ثمّ قال عليه السلام (واعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فماطاب ظاهره طاب باطنه، وماخبث ظاهره خبث باطنه) المراد بهما إمّا كلّ ما يصدق عليه أنّه ظاهر و باطن فيشمل الأفعال الظاهرة و الأقوال الصّادرة عن الانسان خيراً أو شرّاً والملكات والأخلاق النّفسانيّة الباطنيّة له حسنة أوقبيحة فالجود والكرم والانعام والاحسان ونحوها ممّاهوحسن ظاهراً كاشف عن حسن الباطن أعنى ملكة السّخاء والجود، والقبض والامساك والمنع ونحوها ممّاهو قبيح ظاهراً دالّ على قبح الباطن وخبثه أعنى ملكة البخل وهكذا، و كذلك في الأقوال ماهوالطّيب ظاهراً كاشف عن طيب الباطن وماهو الخبيث كاشف عن خبث الباطن

قال عليه السلام في الخطبة الشقشقيّة في وصف حال الثاني : فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسّها ، وقال تعالى:

«مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ »

«وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ»

و يشمل أيضاً لمثل حسن الصّورة الموافق لحسن الباطن أعني اعتدال المزاج، وقبحها الموافق لقبح الباطن أعني عدم اعتداله أو الأعمّ من الاعتدال وعدم الاعتدال.

و يشهد بذلك ما رواه في البحار من الأمالي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : عليكم بالوجوه الملاح والحدق السّود فانّ الله يستحيي أن يعذّب الوجه المليح بالنّار

وفيه من ثواب الأعمال عن موسى بن إبراهيم عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سمعته يقول : ماحسّن الله خلق عبد ولا خلقه إلاّ استحيى أن يطعم لحمه يوم القيامة النّار

و فيه من العيون عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لاتجد في أربعين أصلع رجل سوء ولاتجد في أربعين كوسجا رجلا صالحا و أصلع سوء أحبّ إليّ من كوسج صالح

و من ذلك ما روى أنّ أبا محمّد الحسن بن علي عليهما السلام دخل يوما على معاوية فسأله عليه السلام تعنّتا وقال: قال الله تعالى:

« وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ ».

فأين ذكر لحيتك و لحيتي من الكتاب ؟ و كان أبو محمّد وفر المحاسن (۱) و معاوية بخلافه فقرء عليه السلام :

---

(۱) أي كثّ اللحية، منه

« وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً ».

ونحوه ما عن المناقب قال عمرو بن العاص للحسين عليه السلام: مابال لحاكم أوفر من لحانا ؛ فقرء عليه السلام هذه الآية

ومن هذا الباب كلّ مافي الكتاب العزيز من التّعبير عن الأئمة عليهم السلام بأعزّ الأسماء و أحسن الأفعال و أفضل الخصال و التّعبير عن أعدائهم بأخبثها و أخسّها و أنزلها .

ويدلّ عليه مافي الصّافي من الكافي عن الصّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى :

« إِنّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ » .

قال عليه السلام : إنّ القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمّة الجور ، وجميع ما أحلّ الله في الكتاب هو الظاهر و الباطن من ذلك أئمة الحقّ .

وفي البحار من البصاير بسنده عن الهيثم التميمي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : يا هيثم إنّ قوما آمنوا بالظاهر و كفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا ، ولا ايمان بظاهر إلاّ بباطن ولا بباطن إلاّ بظاهر .

ومن كنز جامع الفوايد قال : روى الشّيخ أبو جعفر الطوسي باسناده إلى الفضل ابن شاذان عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أنتم الصّلاة في كتاب الله عزّ وجلّ و أنتم الزّكاة و أنتم الحجّ ، فقال : يا داود نحن الصّلاة في كتاب الله عزّ وجلّ ، ونحن الزّكاة ، و نحن الصّيام ، ونحن الحجّ ، ونحن الشّهر الحرام ، ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ، ونحن وجه الله قال الله تعالى:

« فَأَيْنَما تَوَلّوا - وجوهكم - فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ » .

ونحن الآيات ونحن البيّنات، وعدوّنا في كتاب الله عزّ وجلّ الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطّاغوت والميتة والدّم ولحم الخنزير، يا داود إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا ، وفضّلنا وجعلنا اُمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السّماوات و ما في الأرض ، وجعل لنا أنداداً أضداداً و أعداءً فسمّانا في كتابه و كنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه ، وسمّى أضدادنا وأعدائنا في كتابه و كنّى عن أسمائهم ، وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتّقين

هذا كلّه مبنيّ على أن يراد بالظّاهر و الباطن المعنى الأعمّ ، و يجوز أن يراد بهما الخصوص أعنى العلم المأخوذ من معدنه ، فيكون قوله ، فما طاب ظاهره طاب باطنه إشارة إلى العلوم الحقّة المتلقّاة من الأئمة عليهم السلام الخارجة من مهبط الوحي ومعدن الرّسالة ، وقوله : و ما خبث ظاهره خبث باطنه ، إشارة إلى العلوم الباطلة المأخوذة من أهل الضّلال عن طريق الرأي والقياس والاستحسانات العقليّة الفاسدة ، والوجه الأوّل أعني ارادة العموم هو الأوفق بنفس الأمر ، والوجه الثّاني أنسب بالنّسبة إلى ما حقّقناه سابقاً ، فانّه عليه السلام حسبما ذكرنا لمّا أشار إلى أنّ السّالك لابدّ أن يكون سلوكه على علم وبصيرة حتّى لايكون كالسّائر على غير الطّريق أردفه بهذه الجملة تنبيهاً على أنّ كلّ علم ليس ممّا ينتفع به في مقام السّلوك بل خصوص العلم الموصل إلى الحقّ المتلقّى من أهل الحقّ أعني أئمّة الدّين وهو الطّيب ظاهراً وباطناً ، و امّا غيره أعني العلم المأخوذ من أهل الضّلال فهو جهل في صورة العلم لايوجب إلاّ بعداً من الحقّ خبيث ظاهره وباطنه

و قد يفسّر به قوله تعالى:

«وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ».

قال القمّي : إنّه مثل للأئمّة يخرج علمهم باذن ربّهم ولأعدائهم لا يخرج علمهم إلاّ كدراً فاسداً .

(وقد قال الرّسول الصّادق صلّى الله عليه و آله إنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله ويحبّ العمل ويبغض بدنه) يعني أنّ الله يحبّ العبد المؤمن بما فيه من وصف الايمان لكنّه يبغض عمله لكونه سيّئة وحراماً ، ويبغض الكافر بماله من الكفر لكنّه يحبّ عمله لكونه حسناً وصالحاً ، وهذا لاغبار عليه

و إنّما الاشكال في ارتباط هذا الكلام لسابقه و في استشهاد الامام عليه السلام به مع أنّه لامناسبة بينهماظاهراً ، وليس للاستشهاد به وجه ظاهر ، بل منافاته لمامر أظهر من المناسبة كما هو غير خفيّ إذ لازم محبّة الله للعبد كون العبدطيّباً ، و لازم بغضه لعمله كون العمل خبيثاً فلم يكن الظّاهر موافقاً للباطن ، فينا في قوله عليه السلام : فما خبث ظاهره خبث باطنه ، و كذلك مقتضي بغض الله سبحانه لبدن الكافر كونه خبيثاً ، و حبّه لعمله كون عمله طيّباً ففيه أيضا مخالفة الظّاهر للباطن ، فينا في قوله : فما طاب ظاهره طاب باطنه

والذي سنح لي في وجه الارتباط و حلّ الاشكال بعد التّروى و صرف الهمّة إلى حلّه أيّاما و الاستمداد من جدّى أمير المؤمنين عليه و آله سلام الله ربّ العالمين هو أنّه لمّا ذكر أنّ ما هوطيّب الظّاهر طيّب الباطن وما هوخبيث الظّاهرخبيث الباطن ، عقّبه بهذا الحديث النّبوي صلّى الله عليه و آله تنبيها وايقاظا للسّامعين بأنّ العبد قد يكون نفسه محبوبا وعمله مبغوضا ، و قد يكون بالعكس كما أفصح عنه الرّسول الصّادق المصدّق

فاللّازم له إذاكان محبوب الذّات لله سبحانه ومبغوض العمل أن يجدّ في تحبيب عمله إليه تعالى حتّى يوافق نفسه عمله في المحبوبيّة ، و إذا كان محبوب العمل ومبغوض البدن أى الذّات أن يجدّ في تحبيب ذاته إليه كي يوافق عمله نفسه

والغرض بذلك الحثّ على تطبيق الظّاهر للباطن في الأوّل وتطبيق الباطن للظّاهر في الثّاني في المحبوبيّة حتى يكونا طيّبين ، و يفاز إلى النّعيم الدّائم والفوز الأبد ، ولا يعكس حتّى يكونا خبيثين مبغوضين له تعالى فيقع في العذاب الأليم و الخزى العظيم ، و قد زلّت في هذا المقام أقدام الشّرّاح و المحشّين ،

وكلّت فيه أفهامهم طوينا عن ذكر كلامهم ، من أراد الاطلاع فليراجع الشّروح ، والله وليّ التّوفيق

ثمّ حثّ على تزكية الأعمال و تصفيتها بمثل ضربه بقوله (و اعلم أنّ كلّ عمل نبات) وفي بعض النّسخ أنّ لكلّ عمل نباتاً ، قال الشّارح البحراني : استعار لفظ النّبات لزيادة الأعمال ونموّها ورشّح الاستعارة بذكر الماء آه ، وعلى مارويناه فهو من التّشبيه البليغ أعنى التّشبيه المحذوف الأداة أى كلّ عمل بمنزلة نبات ، ووجه الشّبه أنّ النّباتات كما أنّها مختلفة من حيث طيبها ونضارتها و خضرتها وحسنها وثبات أصلها في الأرض ورسوخ عروقها وارتفاع فروعها و حلاوة ثمراتها ومن حيث كونها على خلاف ذلك ، فكذلك الأعمال

و إلى ذلك أشار بقوله (و كلّ نبات لاغنى به عن الماء) و هو مادّة حياته كما قال سبحانه :

« وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » وقال « وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَ نَباتاً » .

و كذلك كلّ عمل لاغنى به عن النّية و عن توجّه القلب اليه وهو مادّة حصوله (و المياه مختلفة) هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج ، و النّيات أيضا مختلفة بعضها صادرة عن وجه الخلوص والتقرّب إلى الحضرة الرّبوبيّة ، و بعضها عن وجه الشّرك والرّياء والسّمعة (فماطاب سقيه) أى نصيبه من الماء لكونه عذبا صافيا (طاب غرسه) وثبت أصله وارتفع فرعه وكان له خضرة ونضرة (وحلت ثمرته) و كذلك العمل الصّادر عن وجه الخلوص و التقرّب إلى الحقّ يعلو ويزكو ويثمر ثمرات طيبة وهى ثمرات الجنان أكلها دائم وظلّها قال تعالى:

« فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » .

(وماخبث سقيه) لكون مائه ملحا اجاجا أو كدراً فاسداً (خبث غرسه) لايكون له رونق و بهاء ولا لأصله ثبات ولفرعه ارتفاع (و أمرّت ثمرته) و هكذا العمل المشوب بالشرك و الرّيا يثمر ثمرات خبيثة أعني ثمرات الجحيم و هي الضّريع و الزّقوم قال تعالى:

« طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنها فَمالِئُونَ مِنْها الْبُطُونَ ».

وأقول : قد وقع مثل هذا التّشبيه الواقع في كلام أمير المؤمنين أعني تشبيه العمل بالنّبات في كلام الله ربّ العالمين قال سبحانه في سورة إبراهيم :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ ».

قال في مجمع البيان « ألم تر » أي ألم تعلم يا محمّد « كيف ضرب الله مثلا » أي بين الله شبها ثمّ فسّر ذلك المثل فقال « كلمة طيّبة » و هي كلمة التّوحيد شهادة أن لا إله إلّا الله عن ابن عباس ، وقيل هي كلّ كلام أمر الله به من الطاعات عن أبي علي قال : وإنّما سمّاها طيّبة لأنّها زاكية نامية لصاحبها بالخيرات والبركات « كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السّماء » أي شجرة زاكية نامية راسخة اصولها في الأرض عالية أغصانها و ثمارها في السّماء وأراد به المبالغة في الرّفعة و الأصل سافل والفرع عال إلّا أنّه يتوصّل من الأصل إلى الفرع « تؤتي أكلها » أي تخرج هذه الشّجرة مايؤكل منها « كلّ حين » أي كلّ غدوة وعشيّة « باذن ربّها » وقيل: إنّه سبحانه شبّه الايمان بالنّخلة لثبات الايمان في قلب المؤمن كثبات النخلة

في منبتها ، وشبّه ارتفاع عمله إلى السّماء بارتفاع فروع النّخلة ، وشبّه ما يكسبه المؤمن من بركة الايمان و ثوابه في كلّ وقت و حين بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السّنة كلها من الرّطب و التمر « و يضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون » أي لكي يتدبّروا فيعرفوا الغرض بالمثل « ومثل كلمة خبيثة » وهي كلمة الكفر والشّرك ، عن ابن عبّاس وغيره ، وقيل : هو كلّ كلام في معصية الله عن أبي عليّ « كشجرة خبيثة »غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عبّاس وأنس و مجاهد « اجتثّت من فوق الأرض » أي اقتطعت واستوصلت و اقتلعت جثّته من الأرض « مالها من قرار » أي مالتلك الشّجرة من ثبات فانّ الرّيح تنسفها وتذهب بها ، فكما أنّ هذه الشّجرة لاثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها أحد، فكذلك الكلمة الخبيثة لاينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب .

تبصرة

قال الشّارح المعتزلي عند شرح قوله عليه السلام من هذه الخطبة : نحن الشّعار والأصحاب والخزنة والأبواب :

واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه و فضايله بفصاحته التي آتاه الله إيّاها و اختصّه بها و ساعده على ذلك فصحاء العرب كافّة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الصّادق صلوات الله عليه و آله في أمره ، ولست أعني بذلك أخبار العامّة الشّايعة الّتي يحتجّ بها الاماميّة على إمامته ، كخبر الغدير، والمنزلة ، وقصّة برائة ، وخبر المناجاة ، وقصّة خيبر ، وخبر الدار بمكّة في ابتداء الدّعوة ونحو ذلك ، بل الأخبار الخاصّة الّتي رواها فيه أئمّة الحديث الّتي لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره ، وأنا أذكر من ذلك شيئا يسيراً ممّا رواه علماء الحديث الذين لايتّهمون فيه و جلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه ، فروايتهم فضائله توجب سكون النّفس مالايوجبه رواية غيرهم

ثمّ أورد أربعة وعشرين حديثا نبويّا في فضائله ، والحديث الرّابع والعشرون

قوله : لمّا نزل إذا جاء نصرالله و الفتح بعد انصرافه من غزاة حنين جعل يكثر سبحان الله استغفرالله ثمّ قال : يا عليّ إنّه قد جاء ما وعدت به جاء الفتح و دخل النّاس في دين الله أفواجا وليس أحد أحقّ منك بمقامي لقدمك في الاسلام و قربك منّي وصهرك وعندك سيدة نساء العالمين ، وقبل ذلك ماكان من بلاء أبي طالب عندى حين نزل القرآن فأنا حريص أن اُراعى ذلك لولده ، رواه أبوإسحاق الثّعلبيّ في تفسير القرآن .

ثمّ قال الشّارح : واعلم أنّا إنّما ذكرنا ههنا هذه الأخبار لأنّ كثيراً من المنحرفين عنه عليه السلام إذا مرّوا على كلامه في نهج البلاغة وغيره المتضمّن للتّحدّث بنعمة الله عليه من اختصاص الرّسول صلى الله عليه وآله له وتميزه إيّاه عن غيره ينسبونه فيه إلى التّيه والزّهو والفخر ، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصّحابة قيل لعمرول عليّا أمر الجيش والحرب فقال : هوأتيه من ذلك ، وقال زيد بن ثابت : مارأينا أزهى من عليّ واُسامة

فاردنا ايراد هذه الأخبار أن تنبّه على غظيم منزلته عليه السلام عندالرّسول صلى الله عليه وآله وأنّ من قيل في حقّه مافيل لورقى إلى السّماء وعرج في الهواء وفخر على الملائكة والأنبياء تعظماً وتبجحاً لم يكن ملو مأبل كان بذلك جديراً

فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قطّ مسلك التعظّم والتكبّر في شيء من أقواله و لا من أفعاله ، وكان ألطف البشر خلقا ، وأكرمهم طبعا ، وأشدّهم تواضعا ، وأكثرهم احتمالا ، وأحسنهم بشراً ، وأطلقهم وجها حتّى نسبه من نسبه إلى الدّعابة والمزاح وهما خلقان يتنافيان التّكبّر و الاستطالة ، وإنماكان يذكر احيانا ما يذكره نفثة مصدور وشكوى مكروب وتنفّس مهموم ولايقصد به إذا ذكره إلاّ شكر النعمة وتنبيه الغافل على ماخصّه الله به من الفضيلة ، فانّ ذلك من باب الأمر بالمعروف والحضّ على اعتقاد الحقّ والصواب في أمره والنهى عن المنكر الذي هوتقديم غيره عليه في الفضل ، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال : أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لايهدّى إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون ، انتهى

أقول : ولقد أجاد الشارح فيما أفاد ولايخفى ما في كلامه من وجوه التعريض

إلى عمر من حيث نسبته أمير المؤمنين عليه السلام تارة إلى التيه والتكبّر ، و اُخرى إلى المزاح والدّعابة ، وقد نبّه الشّارح على أنّ هذه النّسبة افتراء منه عليه السلام لأنّ التكبّر و الدّعابة على طرفي الافراط و التفريط وهما مع تضادّهما و عدم امكان اجتماعهما في محلّ واحد لا يجوز أن يوصف الامام عليه السلام الّذي هو على حدّ الاعتدال في الأوصاف والأخلاق بشيء منهما فضلا عن كليهما ، وقد مرّ فساد نسبة الدّعابة إليه في شرح الكلام الثالث والثّمانين بما لامزيد عليه .

ثمّ العجب من الشّارح أنّه مع نقله هذه الرّوايات كيف ضلّ عن الهدى وأعمى عن الحقّ وأنكر وجود النّص على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مع ظهور دلالتها على خلافته لو لم تكن نصاً فيها لا سيّما الرّواية الأخيرة أعني الحديث الرّابع و العشرين .

وأعجب من ذلك أنّه قد صرّح هنا بأنّ تقديم غيره عليه عليه السلام من المنكر ، وأنّ غرض أمير المؤمنين عليه السلام من تعديد مناقبه وفضايله كان النّهي عن ذلك المنكر و ردع النّاس عن الاعتقاد الباطل إلى الحقّ و الصّواب وهو مناف لمذهبه الّذي اختاره وفاقا لأصحابه المعتزلة من أنّ تقديم غيره عليه إنّما هو من فعل الله سبحانه وتعالى عمّا يقول الجاهلون الضّالّون علوّاً كبيراً كما هو صريح كلامه في خطبة الشّرح حيث قال هناك : و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التّكليف ، وإذا كان تقديم غيره عليه منكراً وقبيحا كيف نسبه إلى الله تعالى هنالك ، وقد أجرى الله الحق على لسانه هنا حتّى صرّح بنفسه على فساد مذهبه ، والله الهادى إلى سواء السّبيل

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن بزرگوار ووصىّ محمّد مختار است درموعظه ونصيحت وذكر فضايل أهل بيت عصمت وطهارت ميفرمايد :

آلت نظر عاقل كه بوساطت آن مى بيند غايت خودرا ومى شناسد پستى وبلندى خودرا دعوت كننده ايست كه دعوت نمود ورعايت كننده ايست كه رعايت فرمود ،

ومراد ازدعوت کننده حضرت خاتم رسالت وازرعایت کننده جناب شاه ولایت عليهما السلام است ، پس استجابت نمائید دعوت کننده را ، ومتابعت کنید رعایت نماینده را ، پس بتحقیق که غوطه ور شدند مخالفان آن داعی و راعی در دریای فتنها ، و أخذ نمودند بدعتها نـه سنّتها را ، و منقبض شدند مؤمنان ، و ناطق شدند گمراهان وتکذیب کنندگان .

ماأهل بیت لباس مخصوص پیغمبر خدائیم وأصحاب پسندیدهٔ حضرت مصطفی وخزینه داران علم رب العزّة و درهای مدینه علم وحکمت ، وداخل نمي‌توان شد بخانها مگر ازدرهای آنها ، پس هر که بیاید بخانها از غیر درهای آن نامیده شود دزد وسارق .

بعض دیگر ازاین خطبه بازدرفضایل آل رسول علیه وعلیهم السلام است میفرماید در حق ایشانست آیات کریمهٔ قرآن ، وایشانست خزینهای رحمان ، اگر گویا بشوند راست میگویند ، و اگر ساکت شوند کسی نمیتواند سبقت نماید برایشان ، پس باید راست بگوید طالب آب و گیاه بأهل خود ، وباید که حاضرسازد عقل خودرا ، و باید که بشود از ابنای آخرت ، پس بدرستی که او ازآخرت که عالم لاهوتست آمده بسوی عالم ناسوت ، وبسوی آخرت بر گشت اوخواهد شد .

پس کسی که نظر کند بقلب خود وعمل کننده باشد به بصیرت خود میباشد ابتداء عمل او اینکه بداند آیا عمل او ضرر دارد براو یا منفعت دارد مراورا ، پس اگر نافع باشد اورا اقدام می کند در او ، واگر مضر باشد خودداری مینمایدازاو

پس بدرستي که عمل کننده بغیر علم مثل سیر کننده است برغیرراه راست پس زیاده نمیکند دوری اوازراه مگر دوری ازمقصود اورا ، وعمل کننده بعلم مثل سیر کننده‌است برراه روشن ، پس باید که نظر کند نظر کننده آیا سیر کننده‌است او یا رجوع نماینده است

و بدانکه بدرستی هر ظاهري را باطنی است برطبق او پس آنچه که پاکیزه است ظاهر اوپاکیزه است باطن او ، وآنچه که خبیث است ظاهراوخبیث

است باطن او ، وبتحقيق که فرموده‌است پيغمبر صادق القول ﷺ اينکه بدرستی خدای تعالی دوست می دارد بنده را و دشمن می دارد عمل اورا ، و دوست میدارد عمل خوب را و دشمن میدارد بدن اورا ، و بدانکه بدرستی که هر عمل بمنزلهٔ گیاهیست ، وهر گیاه استغنا نیست اورا از آب ، وآبها مختلفند پس آنچه که پاکیزه باشد سیرابی اوپاکیزه شود کاشتن او وشيرين شود ميوهٔ او ، وآنچه که زشت باشد آب خوردن آن زشت باشد کاشتن آن وتلخ وبد مزه باشدميوهٔ آن .

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش وهى المأة و الرابع والخمسون من المختار فى باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي انْحَسَرَتِ الْأَوْصافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِه ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَساغاً إِلى بُلُوغِ غايَةِ مَلَكُوتِه ، وَهُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، وَأَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمّا تَرَى الْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّها ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً ، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلى غَيْرِ تَمْثِيلٍ ، وَلا مَشْوَرَةِ مُشِيرٍ ، وَلا مَعُونَةِ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِه ، وَأَذْعَنَ لِطاعَتِه ، فَأَجابَ وَلَمْ يُدافِعْ ، وَانْقادَ وَلَمْ يُنازِعْ .

وَمِنْ لَطائِفِ صَنْعَتِه وَعَجائِبِ خِلْقَتِه ما أَرانا مِنْ غَوامِضِ الْحِكْمَةِ في هذِهِ الْخَفافِيشِ الَّتي يَقْبِضُها الضِّياءُ الْباسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَبْسُطُها الظَّلامُ الْقابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُها عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ

مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذاهِبِها ، وَتَتَّصِلُ بِعَلانِيَةِ بُرْهانِ الشَّمْسِ إِلىٰ مَعارِفِها ، وَرَدَعَها بِتَلَأْلُؤِ ضِيائِها عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحاتِ إِشْراقِها ، وَأَكَنَّها فِي مَكامِنِها عَنِ الذَّهابِ فِي بَلَجِ ائْتِلاقِها ، فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهارِ عَلىٰ حِداقِها ، وَجاعِلَةُ اللَّيْلِ سِراجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِماسِ أَرْزاقِها ، فَلا يَرُدُّ أَبْصارَها إِسْدافُ ظُلْمَتِهِ ، وَلا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ ، فَإِذا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِناعَها ، وَبَدَتْ أَوْضاحُ نَهارِها ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْراقِ نُورِها عَلَى الضِّبابِ فِي وِجارِها ، أَطْبَقَتِ الْأَجْفانَ عَلىٰ مَآقِيها ، وَتَبَلَّغَتْ بِما اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعاشِ فِي ظُلَمِ لَيالِيها ، فَسُبْحانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَها نَهاراً وَمَعاشاً ، وَالنَّهارَ سَكَناً وَقَراراً ، وَجَعَلَ لَها أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِها تَعْرُجُ بِها عِنْدَ الْحاجَةِ إِلَى الطَّيَرانِ كَأَنَّها شَظايا الْآذانِ ، غَيْرَ ذَواتِ رِيشٍ وَلا قَصَبٍ إِلَّا أَنَّكَ تَرىٰ مَواضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاماً ، وَلَها جَناحانِ لَمّا يَرِقّا فَيَنْشَقّا ، وَلَمْ يَغْلُظا فَيَثْقُلا ، تَطِيرُ وَوَلَدُها لاصِقٌ بِها ، لاجِئٌ إِلَيْها ، يَقَعُ إِذا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذا ارْتَفَعَتْ ، لا يُفارِقُها حَتّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكانُهُ ، وَتَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَناحُهُ ، وَيَعْرِفَ مَذاهِبَ عَيْشِهِ ، وَمَصالِحَ نَفْسِهِ ، فَسُبْحانَ الْبارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلىٰ غَيْرِ مِثالٍ خَلا مِنْ غَيْرِهِ .

اللغة

(الخفّاش) و زان رمّان طاير معروف جمعه خفافيش مأخوذ من الخفش وهوضعف في البصر خلقة أو لعلّة ، والرّجل أخفش وهوالذي يبصر باللّيل لابالنّهار أو في يوم غيم لا في يوم صحو و (حسر) حسوراً من باب قعد كلّ لطول مدى و نحوه ، و حسرته أنا يتعدّي ولا يتعدّي و (ساغ) الشّراب سوغا سهل مدخله والمساغ المسلك و (الحدّ) المنع والحاجز بين الشّيئين ونهاية الشّيء وطرفه ، وفي عرف المنطقيين التّعريف بالذّاتي .

و (المشورة) مفعلة من أشار إليه بكذا أى أمره به ، وفي بعض النسخ بضمّ الشّين بمعنى الشّورى و (المعونة) اسم من أعانه وعوّنه و (اللّطايف) جمع لطيفة وهى ما صغر ودقّ و (الغامض) خلاف الواضح و كلّ شيء خفى مأخذه و (العشا) بالفتح و القصر سوء البصر بالنّهار أو باللّيل والنّهار أوالعمى و(الاتّصال) إلى الشيء الوصول إليه ، و في بعض النّسخ متّصل بدل تتّصل و (السّبحات) بضمّتين جمع سبحة و هى النّور و قيل : سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت : سبحان الله .

و (البلج) مصدر بلج كتعب تعبا أى ظهر ووضح ، وصبح أبلج بيّن البلج أى مشرق ومضيء ، وقيل: البلج جمع بلجة بالضمّ وهى أوّل ضوء الصّبح و (الايتلاق) اللّمعان يقال : ائتلق و تألّق إذا التمع و (سدل) الثّوب أسد له أرخاه و أرسله و (الجفن) بالفتح غطاء العين من أعلاها وأسفلها ، والجمع جفان وجفون وأجفن و (الحدقة) محرّكة سواد العين ويجمع على حداق كما في بعض النّسخ وعلى أحداق كما في البعض الآخر و (أسدف) اللّيل اسدافاً أى أظلمت ، و في بعض النسخ أسداف بفتح الهمزة جمع سدف كأسباب وسبب وهو الظّلمة

و (الدّجنة) بضمّ الدّال و تشديد النّون و الدّجن و زان عتلّ الظّلمة و (الضّباب) بالكسر جمع الضبّ الدّابّة المعروفة و (وجارها) بالكسر جحرها الّذي تأوى إليه .

و (ماقيها) بفتح الميم وسكون الهمزة و كسر القاف وسكون الياء كما في أكثر النّسخ لغة في المؤق بضمّ الميم وسكون الهمزة أي طرف عينها ممّا يلي الأنف و هو مجرى الدّمع من العين و قيل : مؤخّرهما وعن الأزهري أجمع أهل اللّغة على أنّ المؤق والماق بالضمّ والفتح طرف العين الّذي يلي الأنف ، وأنّ الّذي يلي الصّدغ يقال له : اللّحاظ والما قي لغة فيه ، وقال ابن القطاع ما قي العين فعلى وقد غلط فيه جماعة من العلماء فقالوا : هومفعل وليس كذلك بل الياء في آخره للالحاق ، وقال الجوهري وليس هومفعل لأنّ الميم أصليّة وإنّما زيدت في آخره الياء للالحاق ولمّا كان فعلى بكسر اللام نادراً لاأخت لها الحق بمفعل ، ولهذا جمع على مافي على التّوهّم وفي بعض النّسخ ماقيها على صيغة الجمع .

و (المعاش) مايعاش به وما يعاش فيه وبمعنى العيش وهوالحياة ، وفي بعض النّسخ ليلها بدل لياليها و (الشّظايا) جمع الشّظية وهي القطعة من الشيء و (الأعلام) جمع علم بالتحريك وهوطراز الثوب ورسم الشّيء .

الاعراب

أحقّ و أبين بالرّفع بدلان من الحقّ المبين أو عطفا بيان ، و على الأوّل ففايدتهما التّقرير ، وعلى الثّاني فالايضاح وقوله : ومن لطايف صنعته تقديمه على المسند إليه أعني قوله : ما أرانا ، للتّشويق إلى ذكر المسند إليه و هو من فنون البلاغة كما في قوله :

ثلاثة تشرق الدّنيا ببهجتها شمس الضّحى وأبو إسحاق والقمر

وتتّصل في بعض النّسخ بالنصب عطفاً على تستمدّ وفي بعضها بالرّفع عطفاً على تهتدى ، وفي بعضها وتصل بدله ، وردعها عطف على جملة أرانا ، ومن في قوله من اشراق نورها زايدة في الفاعل كما زيدت في المفعول في قوله : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وقوله : غيرذوات ريش ، بالنّصب صفة لأجنحة ، وقوله : أعلاما بدل من بيّنة أوعطف بيان ، وكلمة لها غير موجودة في بعض النّسخ فيكون

قوله : جناحان ، خبر مبتدء محذوف أى جناحاه جناحان ، ولمّا في قوله : لمّا يرقا بمعنى لم الجازمة .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة يذكر فيها بديع خلقة الخفّاش ، والغرض منه التنبيه على عظمة قدرة خالقها ، وعلى كمال صنعه سبحانه في إبداعها ، والدّلالة على عظيم برهانه في ملكه وملكوته

ولمّا كان الغرض ذلك افتتح عليه السلام كلامه بالحمد والثناء عليه تعالى بجملة من صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال بمقتضى براعة الاستهلال فقال : (الحمدلله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته) أى عجز الواصفون عن صفته و أعيت الألسن عن وصفه بحقيقته ، لأنّ ذاته سبحانه بريئة عن أنحاء التركيب ، منزّهة عن الاجزاء والنّهايات ، فلا حدّ له ولا صورة تساويه ، فلا يمكن للعقول الوصول إلى حقيقة معرفته ، ولا للألسن الحكاية و البيان عن هويّته ، وقد مرّ تحقيق ذلك في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الأولى وغيره أيضاً غيرمرّة

(و ردعت) أى منعت (عظمته العقول فلم تجد مساغا) و مسلكا (إلى بلوغ غاية ملكوته) أى منتهى عزّه وسلطانه (هوالله الملك الحقّ) الثّابت المتحقّق وجوده وإلهيّته أو الموجود حقيقة (المبين) أى الظّاهر البيّن وجوده بل هوأظهر وجوداً من كلّ شيء فان خفى مع ظهوره فلشدّة ظهوره ، وظهوره سبب بطونه ونوره هوحجاب نوره إذ كلّ ذرّة من ذرّات مبدعاته و مكوّناته فلها عدّة ألسنة تشهد بوجوده ، و بالحاجة إلى تدبيره و قدرته كمامرّ تفصيلا و تحقيقاً في شرح الخطبة التّاسعة والأربعين .

(أحقّ و أبين) أى أثبت وأوضح (ممّا ترى العيون) لأنّ العلم بوجوده تعالى عقليّ يقينيّ لايتطرّق إليه ما يتطرّق إلى المحسوسات من الغلط و الاشتباه ألاترى أنّ العين قديرى الصّغير كبيراً كالعنبة في الزّجاجة المملوّة ماء ، والكبير صغيراً كالبعيد ، والسّاكن متحرّكاً كحرف الشّط إذا رآه راكب السّفينة متصاعداً

والمتحرك ساكناً كالظل بخلاف المعقولات الصرفة .

(لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّها) المراد بالتحديد إمّا إثبات الحدّ والنّهاية ، أو التعريف بالذّاتي كما هو عرف المنطقيّين ، وظاهر أنّ الله سبحانه منزّه عن الحدود والنّهايات الّتي هي من عوارض الأجسام والجسمانيّات ، مقدّس عن الأجزاء والتّركب مطلقاً من الذّاتيات أو العرضيّات ، فذاته سبحانه ليس له حدّ وتركيب حتّى يمكن للعقول البلوغ إليه بتحديد كما لساير الأجسام

(و لم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثّلا) قال الشّارح البحراني : إذ الوهم لايدرك إلاّ المعاني الجزئيّة المتعلّقة بالمحسوسات . و لابدّ له في إدراك ذلك المدرك من بعث المتخيّلة على تشبيهه بمثال من الصّور الجسمانيّة ، فلووقع عليه وهم لمثّله في صورة حسّية حتّى أنّ الوهم إنّما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدر

(خلق الخلق على غير تمثيل) الظّاهر أنّ المراد بالتمثيل ايجاد الخلق على حذوما خلقه غيره ، ولمّا لم يكن الباري سبحانه مسبوقاً بغيره فليس خلقه إلاّ على وجه الابداع والاختراع ، أوأنّ المراد أنّه لم يجعل لخلقه مثالاً قبل الايجاد كما يفعله البنّاء تصويراً لمايريد بنائه ، و معلوم أنّ كيفيّة صنعه للعالم منزّهة عن هذا الوجه أيضا كما سبق في شرح الفصل السّابع من الخطبة الأولى

(و لا مشورة مشير ولا معونة معين) لأنّ الحاجة إلى المشير و المعين من صفات النّاقص المحتاج وهوسبحانه الغنيّ المطلق في ذاته وأفعاله فلايحتاج في ايجاده إلى مشاورة ولا إعانة (فتمّ خلقه) أى بلغ كلّ مخلوق إلى مرتبة كماله و تمامه الّذي أراده الله سبحانه منه أوخرج جميع ما أراده من العدم إلى الوجود (بأمره) أى بمجرّد أمره التكويني ومحض مشيّته التّامة النّافذة كما قال عزّ من قائل : « إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (وأذعن) أي خضع و أقرّ و أسرع و انقاد كلّ (لطاعته فأجاب و لم يدافع ، و انقاد و لم ينازع) و هاتان الجملتان مفسّرتان للاذعان ، و المراد دخول الخلق تحت القدرة الالهيّة وعدم الاستطاعة

للامتناع كما قال سبحانه «ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» ولمّا فرغ من التّحميد والتّمجيد شرع في المقصود فقال عليه السلام (ومن لطايف صنعته وعجايب خلقته) أي من جملة صنايعه الّتي هي ألطف وأدقّ وأحقّ أن يتعجّب منها (ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش) حيث خالف بينها وبين جميع الحيوانات.

و أشار إلى جهة المخالفة بقوله (الّتي يقبضها الضّياء الباسط لكلّ شيء، ويبسطها الظّلام القابض لكلّ حيّ) لا يخفى ما في هاتين القرينتين من بديع النظم وحسن التّطبيق، والتّقابل بين القبض والبسط في القرينة الأولى والبسط والقبض في الثانية ثمّ المقابلة بين مجموع القرينتين بالاعتبار الذي ذكرنا مضافاً إلى تقابل الضياء للظّلام، ثمّ ردّ العجز إلى الصّدر، فقد تضمّن هذه الجملة على وجازتها وجوها من محاسن البديع مع عظم خطر معناها.

والضمير في يقبضها ويبسطها إمّا عايد إلى الخفافيش بتقدير مضاف، أو على سبيل الاستخدام، والمراد انقباض أعينها في الضّوء، وذلك لافراط التحلّل في الرّوح النّوري لحرّ النّهار، ثمّ يستدرك ذلك برد اللّيل فيعود الابصار، وقيل: الأظهر إنّه ليس لمجرّد الحرّ وإلاّ لزم أن لا يعرضها الانقباض في الشّتاء إلاّ إذا ظهرت الحرارة في الهواء، وفي الصّيف أيضاً في أوايل النّهار، بل ذلك لضعف في قوّتها الباصرة و نوع من التّضاد والتّنافر بينها وبين النّور كالعجز العارض لساير القوى المبصرة عن النظر إلى جرم الشّمس، وأمّا أنّ علة التنافر ماذا ففيه خفاء، وهو منشاء لتعجّب الّذي يشير إليه الكلام.

وإمّا عائد إليها نفسها فيكون المراد بانقباضها ما هو منشأ اختفائها نهاراً وإن كان ذلك ناشياً من جهة الابصار.

(و كيف عشيت أعينها) أي عجزت و عميت (عن أن تستمدّ) و تستعين (من الشّمس المضيئة نوراً تهتدى به في مذاهبها) أي طرق معاشها ومسالكها في سيرها و انتفاعها (و) عن أن (تتّصل بعلانية برهان الشّمس) أي دليلها الواضح

(إلى معارفها) يعني ما تعرفه من طرق انتفاعها و وجوه تصرّفاتها (و ردعها) أى ردّها ومنعها (بتلألؤ ضيائها عن المضىّ في سبحات إشراقها) أى جلاله و بهائـه (وأكنّها) أى سترها و أخفاها (في مكامنها) ومحال خفائها عن الذّهاب (في بلج ائتلاقها) ووضوح لمعانها .

(فهى مسدلة الجفون بالنّهار على حداقها) لانقباضها وتأثّر حاسّتها ، وقال البحراني : لأنّ تحلّل الرّوح الحامل للقوّة الباصرة سبب للنّوم أيضاً فيكون ذلك الاسدال ضرباً من النّوم (وجاعلة اللّيل سراجاً تستدلّ به في التماس أرزاقها) أى في طلب الرّزق لها ، واسناد الجاعلة إليها من المجاز العقلي (فلا يردّ ابصارها إسداف ظلمته) الاضافة للمبالغة والضّمير عايد إلى اللّيل (ولا تمتنع من المضيّ والذّهاب (فيه لغسق دجنّته) الاضافة فيه أيضاً للمبالغة

(فاذا ألقت الشّمس قناعها) استعارة بالكناية تشبيهاً للشّمس بالمرأة ذات القناع ، و اثبات القناع تخييل و ذكر الالقاء ترشيح ، و المراد طلوع الشّمس و بروزها من حجاب الأرض و الآفاق (و بدت أو ضاح نهارها) أى ظهر بياضه (ودخل من إشراق نورها على الضّباب في وجارها) وإنّما خصّها بالذّكر إذ من عادتها الخروج من وجارها عند طلوع الشّمس لمواجهة النّور على عكس الخفافيش

(أطبقت الأجفان) جواب إذا (على مآقيها وتبلّغت) أى اكتفت و قنعت (بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها) فتعيش به وتقنع عليه (فسبحان من جعل اللّيل لها نهاراً ومعاشاً) تعيش فيها (والنّهار سكنا وقراراً) لتسكن وتقرّ فيه

ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة ثانية لاختلافها لساير الحيوانات بقوله (و جعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنّها شظايا الآذان) لا يخفى ما في هذا التّشبيه من اللّطف و الغرابة (غير ذوات ريش ولا قصب) كما لأجنحة ساير الطّيور (إلاّ أنك ترى مواضع العروق بيّنة أعلاماً) أى واضحة ظاهرة مثل طراز الثّوب (ولها جناحان لمّا يرقّا فينشقّا ولم يغلظا فيثقلا) يعني أنّ جناحيه لم يجعلا دقيقين بالغين في الرّقة ولا غليظين بالغين في الغلظ حذراً من الانشقاق

والثّقل المانع من الطيران .

ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة ثالثة للاختلاف بقوله: (تطيروولدهالاصق بهالاجيء إليها) أي لائذ و معتصم بها (يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت لايفارقها) في حالتي الوقوع والطيران (حتّى تشتدّ أركانه) وجوانبه الّتي يستند إليها و يقوم بها (ويحمله للنهوض جناحه) ويمكنه الطيران والتصرّف بنفسه (ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه)

و لما افتتح كلامه بالتحميد ختمه بالتسبيح ليكمل حسن الافتتاح بحسن الاختتام و يتمّ براعة الفاتحة ببراعة الخاتمة فقال (فسبحان الباريء) الخالق (لكلّ شيء على غير مثال خلا) أي مضى وسبق (من غيره) يعني أنه لم يخلق الأشياء على حدّ وخالق سبقه بل ابتدعها على وفق الحكمة ومقتضى المصلحة

طريفة في نوادر الخفاش

قال تعالى : « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني » قال في التفسير : إنّه وضع من الطّين كهيئة الخفّاش ونفخ فيه فصار طايراً .

قال الشّارح في الأحاديث العاميّة قيل للخفّاش : لماذا الاجناح لك ؟ قال : لأنّي تصوير مخلوق ، قيل : فلماذا لاتخرج نهاراً؟ قال : حياء من الطّيور ، يعنون أنّ المسيح صوّره .

و في البحار في تفسير قوله : « إنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فتكون طيراً باذن الله » قال : المشهور بين الخاصّة و العامّة من المفسّرين أنّ الطّير كان هو الخفّاش

قال أبو اللّيث في تفسيره : إنّ النّاس سألوا عيسى عليه السلام على وجه التعنّت فقالوا له : اخلق لنا خفّاشا و اجعل فيه روحا إن كنت من الصادقين ، فأخذ طيناً وجعل خفاشاً ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والأرض ، وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى عليه السلام ، و الخلق من الله تعالى ويقال : إنّما طلبوا منه خلق خفّاش لأنه

أعجب من ساير الخلق ، ومن عجائبه أنه دم ولحم ، يطير بغير ريش ، ويلد كما يلد الحيوان ولايبيض كما يبيض ساير الطيور ، ويكون له الضرع ويخرج اللّبن ، ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة اللّيل ، وانما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدّاً ، ويضحك كما يضحك الانسان وتحيض كما تحيض المرأة ، فلمّا رأوا ذلك منه ضحكوا و قالوا : هذا سحر مبين فذهبوا إلى جالينوس فأخبروه بذلك فقال : آمنوا به

و قال الدّميرى في حيوة الحيوان : والحقّ أنه صنفان وقال قوم : الخفّاش الصغير ، و الوطواط الكبير ، و هو لايبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار ، و لما كان لايبصر نهاراً التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولاضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض ، فانّ البعوض ، يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهودماء الحيوان والخفاش يطلب الطعام فيقع طالب رزق على طالب رزق ، والخفّاش ليس هومن الطير في شيء لأنّه ذواذنين و أسنان و خصيتين ، و يحيض ، و يطهر ، و يضحك كما يضحك الانسان ، و يبول كما تبول ذوات الأربع ، و يرضع ولده ولاريش له.

قال بعض المفسرين : لمّا كان الخفّاش هوالذي خلقه عيسى بن مريم باذن الله كان مبايناً لصنعة الله ولهذا جميع الطّير تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللّحم أكله ومالا يأكل اللّحم قتله ، فلذلك لايطير إلاّ ليلا .

وقيل : لم يخلق عيسى غيره ، لأنّه أكمل الطّير خلقاً وهو أبلغ في القدرة ، لأنّ له ثدياً وأسناناً واذنا

وقيل : إنّما طلبوا الخفّاش لأنّه من أعجب الطير ، إذ هو لحم ودم ، يطير بغير ريش ، وهو شديد الطيران ، سريع التّقلّب ، يقتات بالبعوض والذّباب وبعض الفواكه ، وهو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال : إنّه أطول عمراً من النّسر ومن حمار الوحش ، و تلد اُنثاه مابين ثلاثة أفراخ و سبعة ، و كثيراً ما يسفد و هو طاير في الهواء ، وليس في الحيوان مايحمل ولده غيره والقرد والانسان ، و يحمله

تحت جناحه ، و ربّما قبض عليه بفيه وهومن حنوه واشفاقه عليه ، و ربّما أرضعت الانثى ولدها و هى طايرة ، و في طبعه أنّه متى أصابه ورق الدّلب حذر ولم يطر ، ويوصف بالحمق ، ومن ذلك أنّه إذا قيل له : اطرق كرى ، لصق بالأرض .

الترجمة

ازجمله خطب شريفه آن امام مبين وولیّ مؤمنين است كه ذكر مى‌فرمايد درآن عجيب خلقت شب‌پره را .

حمد و ستايش معبود بحقّي را سزاست كه عجز بهم رساند وصفها از كنه معرفت او ، ومنع نمود عظمت او عقلها را ، پس نيافتند گذرگاهي بسوى رسيدن بنهايت پادشاهي او ، و اوست معبود بحق پادشاه مطلق كه محقّق است وجود اوظاهر است و آشكارا ثابت تر و آشكار تر است ازآنچه كه مى‌بينند آن را چشمها نميرسد بكنه ذات اوعقلها تاباشد تشبيه كرده شده بمخلوقى از مخلوقات ، وواقع نمى‌شود براو وهمها بأندازه و تقديرى تا باشد تمثيل كرده شده بغير خود ، خلق فرمود مخلوقات را بدون اينكه مثال آنها را از ديگرى برداشته باشد و بدون مشورت مشير وبي ياري معين ، پس تمام شد مخلوق او بمجرّد أمر و إراده او ، و گردن نهادندبطاعت اوپس اجابت كردند ، ومدافعه‌ننمودند وانقياد كردند ومنازعه ننمودند

و از لطيفه هاى صنعت او و عجيبه هاى خلقت اوست آنچه نمود بما از پوشيدگی‌هاى حكمت خود در اين شب پره‌ها كه قبض ميكند چشمهاى آنها را روشني كه گستراننده هرچيز است ، وبسط مى كند چشمان ايشان را تاريكي كه فراگيرنده هرزنده است ، وچگونه ضعيف شد چشمهاى آنها ازآنكه مدد خواهند از آفتاب روشن نوريرا كه هدايت بيابد بسبب آن نور در مواضع رفتار خود ، و برسد بواسطه دليل آشكار آفتاب بسوى راههاى معرفت خود ، و منع فرمود حق سبحانه و تعالى آن خفّاشها را بسبب درخشيدن روشنائى خورشيد تابان از رفتن ايشان در رونق روشني آن ، و پنهان نمود آنها را در مكانهاى مخفى آنها از راه

رفتن در درخشیدن آشکار آفتاب .

پس آن شب‌پره‌ها فرو گذاشته شده پلکهای چشمهای ایشان در روز بر حدقهای ایشان ، و گردانندهاند شب را چراغ که راه می‌جویند بآن در طلب کردن روزیهای خود ، پس باز نمی‌دارد دیدهای ایشان را تاریکی ظلمت شب ، و باز نمی‌ایستند از گذشتن درشب بجهة تاریکی ظلمت آن ، پس زمانی که انداخت آفتاب عالمتاب نقاب خودرا ، و ظاهر شد روشنائیهای روز آن وداخل‌شد تافتن نور آن بر سوسمارهادرخانهای ایشان ، برهم‌نهند خفاشها پلکهای چشم خودرا بر گوشهای چشم خود ، واکتفا مینمایندبآنچیزی که کسب کرده‌اند آن‌را ازمعاش درظلمتهای شبهای خودشان .

پس پاکا پروردگاری که گردانیده‌است شب را از برای ایشان روز و سبب معاش ، وروز را بجهة ایشان هنگام آسایش و قرارگاه ، و گردانیده است از برای ایشان بالها از گوشت آنها که عروج می کنند بآن بالها در وقت حاجت بپریدن گویا که آن بالها پارچه‌های گوشهای مرده‌انست ، نه صاحب‌پرند ونه‌عروق‌لیکن تو می‌بیني جایهای رگهای ایشان را ظاهر ونمایان وخط خط ، و مر ایشان راست دوبال که آنقدر رقیق ولطیف نیستند تا شکافته شود ، وآنقدر غلیظ و کثیف نیستند تا سنگین باشد ، طیران می کنند در حالتی که بچهٔ ایشان چسبنده است بایشان پناه آورنده است بسوی ایشان ، می‌افتد آن وقتی که مادرشان می‌افتد ، و بلند می‌شود زماني که مادرشان بلند میباشد ، جدا نمی‌شود بچه ها از آنها تا آنکه اعضای آنها محکم شود ، و تا آنکه بردارد آنها را بجهت‌برخواستن بال آنها ، وتا بشناسند راههای معاش وزندگانی خودرا .

پس منزه است پروردگار آفرینندهٔ هر چیز بدون نمونه که گذشته باشد صدور آن ازغیر او ، ازجهة اینکه اوست مخترع أشیا که ایجاد آن برسبیل ابداعست واختراع .

و من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم و هو المأة و الخامس و الخمسون من المختار فى باب الخطب

وشرحها فى فصلين :

الفصل الاول منه

فَمَنْ اسْتَطاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللهِ فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوني فَإِنّي حامِلُكُمْ إِنْشاءَ اللهُ عَلىٰ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَ إِنْ كانَ ذا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَذاقَةٍ مَرِيرَةٍ ، وَ أَمّا فُلانَةُ فَأَدْرَكَها رَأْيُ النِّساءِ وَضِغْنٌ غَلافي صَدْرِها كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنالَ مِنْ غَيْرِي ما أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَ لَها بَعْدُ حُرْمَتُها الْأُولىٰ وَالْحِسابُ عَلَى اللهِ .

اللغة

(المرجل) وزان منبر القدر و (القين) الحدّاد .

الاعراب

على في قوله : على الله ، في الموضعين للاستعلاء المجازي و جملة لم تفعل جواب لو ، و الباقي واضح .

المعنى

قال الشّارح البحراني «قدّه» إنّ قوله عليه السلام (فمن استطاع عند ذلك) يقتضى أنّه سبق منه عليه السلام قبل هذا الفصل ذكر فتن و حروب يقع بين المسلمين وجب على من أدركها (أن يعتقل نفسه على الله) أى يحبسها على طاعته من دون أن يخالطها ويدخل فيها (فليفعل) لوجوب طاعته سبحانه عقلا ونقلا (فان أطعتموني فانّي حاملكم انشاءالله على سبيل الجنّة) وسبيلها هو الدّين القويم والصراط المستقيم وإنّما شرط عليه السلام حملهم عليها باطاعته إذلا رأى لمن لايطاع (وإن كان) هذه السّبيل وسلوكها (ذا مشقّة شديدة و مذاقة مريرة) لظهور أنّ النّفوس مايلة إلى اللّهو والباطل ، والمواظبة على الطّاعات والوقوف عندالمحرّمات أمرشاقّ شديد المشقّة مرّ المذاق بعيد عن المساغ البتّة .

(و أمّا فلانة) كنّى بها عن عايشة و لعلّه من السّيد «ره» تقيّة كما كنّى في الخطبة الشّقشقيّة عن أبي بكر بفلان (فأدركها رأى النّساء) أى ضعف الرّأى فانّ رأيهنّ إلى الأفن وعزمهنّ إلى الوهن ، وقد تقدّم مايدلّ على نقصان حظوظهنّ وعقولهنّ وميراثهنّ وساير خصالهنّ المذمومة في الكلام التّاسع والسّبعين وشرحه (وضغن) أى حقد (غلافي صدرها كمرجل القين) أى كغليان قدر الحدّاد ، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ، و وجه الشّبه الشّدة والدّوام وأسباب ضغنها كثيرة ستطّلع عليها بعيد ذلك .

(ولو دعيت لتنال غيري ما أتت إليّ لم تفعل) قال الشّارح المعتزلي : يقول لو أنّ عمر ولّي الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الّذي قتل عليه والوجه الّذي أنا ولّيت الخلافة عليه ونسب عمر إلى أنّه كان يؤثر قتله أو يحرض عليه ، ودعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الاسلام تثير فتنة و تنقض البيعة لم تفعل ، و هذا حقّ لأنّها لم تكن تجد على عمر ما تجده على علي عليه السلام ولا الحال الحال ، انتهى .

و محصّله أنّه عليه السلام أراد بقوله من غيري عمر قال العلاّمة المجلسيّ :

والأظهر الأعمّ، أى لوكان عمر أو أحد من أضرابه وليّ الخلافة بعد قتل عثمان ودعيت إلى أن تخرج إليه لم تفعل (ولها بعد حرمتها الأولى) أى كونها من أمّهات المؤمنين (والحساب على الله) هذا من باب الاحتراس الّذي تقدّم في ديباجة الشّرح أنّه من جملة المحسّنات البديعيّة ، فانّه عليه السلام لما أثبت لها حرمتها الأولى عقّبه بذلك لئلا يتوهّم منه أنّها محترمة في الدّنيا والعقبى ، ونبّه به على أنّ حرمتها ملحوظة في الدّنيا فقط لرعاية احترام الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم و أمّا في الأخرى فجزاء ضغنها وخروجها عن طاعة الامام المفترض الطّاعة وإثارتها الفتنة المؤدّية إلى إراقة دماء المسلمين على الله سبحانه إذ من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شراً يره و قد قال تعالى : « يا نساء النّبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً »

تذييل

أورد الشّارح المعتزلي في شرح هذا الكلام له عليه السلام فصلاً طويلاً كم فيه من التّصريح والتعريض والتلويح إلى مثالب عايشة و مطاعنها وإن لم يرفع الشّارح يده مع ذلك كلّه عن ذيل الاعتساف والتّعصّب أحببت ايراد ذلك الكلام على طوله لأنّه من لسان أبنائها أحلى ونعقّبه إنشاء الله بما عندنا من القول الفصل الّذي ليس هو بالهزل ، ومن الحقّ الذي هو أحقّ أن يتّبع ، فأقول :

قال الشارح : كانت عايشة فقيهة راوية للشّعر ذات حظّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت لها عليه جرأة وإدلال لم يزل ينمى ويستشرى حتّى كان منها في أمره في قصّة مارية ما كانت من الحديث الذّي أسرّه إلى الزّوجة الأخرى وأدّى إلى تظاهرهما عليه و أنزل فيهما قرآن يتلى في المحاريب يتضمّن وعيداً غليظاً عقيب تصريح بوقوع الذّنب وصغو القلب وأعقبتها تلك الجرأة وذلك الانبساط أن حدث منها في أيّام الخلافة العلويّة ماحدث ، ولقد عفى الله تعالى عنها وهى من أهل الجنّة عندنا بسابق الوعد وما صحّ من أمر التّوبة إلي أن قال :

فأمّا قوله عليه السلام : أدركها رأى النّساء ، أى ضعف آرائهنّ وقد جاء في الخبر لايفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة ، وجاء أنّهن قليلات عقل ودين ، أوقال ضعيفات و لذلك جعل شهادة المرأتين بشهادة الرّجل الواحد ، و المرأة في أصل الخلقة سريعة الانخداع سريعة الغضب سيّئة الظنّ فاسدة التّدبير، والشجاعة فيهنّ مفقودة أوقليلة و كذلك السّخاء .

قال الشارح : وأمّا الضغن فاعلم أنّ هذا الكلام يحتاج إلى شرح ، وقد كنت قرأته على الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللّمعاني (ره) أيّام اشتغالى عليه بعلم الكلام ، وسألته عمّا عنده فأجابني بجواب طويل أنا أذكر محصوله بعضه بلفظه وبعضه بلفظي فقد شذّ عنّي الآن لفظه كلّه بعينه

قال : أوّل بداء الضغن كان بينها وبين فاطمة عليها السلام ، وذلك لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله تزوّجها عقيب موت خديجة فأقامها مقامها ، و فاطمة عليها السّلام هى ابنة خديجة ، ومن المعلوم أنّ ابنة الرّجل إذا ماتت أُمّها وتزوّج أبوها أُخرى كان بين الابنة وبين المرأة كدروشنان، وهذا لابدّ منه لأنّ الزّوجة تنفس عليها ميل الأب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة كالضّرة لأُمّها ، بل هى ضرّة على الحقيقة و إن كانت الأُمّ ميتة ولأنّا لوقدّرنا الأمّ حيّة لكانت العداوة مضطرمة متسعّرة فاذا كانت قد ماتت ورثتها بنتها تلك العداوة .

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مال إليها وأحبّها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله ، و أكرم رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة إكراماً عظيما أكثر ممّا كان النّاس يظنّونه و أكثر من إكرام الرّجال لبناتهم حتّى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد فقال صلّى الله عليه وآله بمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لامرّة واحدة ، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد : إنّها سيّدة نساء العالمين ، وإنّها عديلة مريم بنت عمران ، وإنّها إذا مرّت في الموقف نادى مناد من جهة العرش ياأهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله ، وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة وأنّ انكاحه علياً إيّاها ماكان إلاّ بعد أن أنكحه الله إيّاها في السّماء بشهادة الملائكة

وكم قال لامرة : يؤذيني مايؤذيها و يغضبني مايغضبها ، وإنها بضعة يريبني ما رابها .

فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل ، والنفوس البشريّة تغيظ على ماهو دون هذا فكيف هذا؟!

ثمّ حصل عند بعلها عليه السلام ما هو حاصل عندها أعني علياً عليه السلام ، فانّ النساء كثيراً ما يحصلن الأحقاد في قلوب الرّجال لاسيّما وهنّ محدّثات اللّيل كما قيل في المثل ، و كانت تكثر الشكوى من عايشة و يغشيها نساء المدينة و جيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عايشة ثمّ يذهبن إلى بيت عايشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة ، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها كانت عايشة تشكو إلي ابيها لعلمها أنّ بعلها لايشكيها على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثرما .

ثمّ تزايد تقريظ رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ و تقريبه واختصاصه ، فأحدث ذلك حسداً له وغيظة في نفس أبي بكر عنه وهو أبوها وفي نفس طلحة وهو ابن عمّها وهي تجلس إليهما وتسمع كلامهما وهما يجلسان إليها ويحادثانها فأعدى إليها منهما كما أعدى إليهما منها .

قال : ولست أبرّىء علياً من مثل ذلك ، فانه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله إليه و ثنائه عليه ، ويحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصايص دونه ودون الناس أجمعين ، و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده فتأكّدت البغضة بين هذين الفريقين.

ثمّ كان من أمر القذف ماكان و لم يكن عليّ عليه السلام من القاذفين ولكنه كان من المشيرين على رسول صلى الله عليه وآله بطلاقها تنزيهاً لعرضه عن أقوال الشناة والمنافقين قال له لما استشاره : إن هي إلاّ شسع نعلك وقال له : سل الخادم وخوّفها وإن أقامت على الجحود فاضربها

و بلغ عايشة هذا الكلام كلّه و سمعت أضعافه ممّا جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة ، ونقل النساء إليها كلاماً كثيراً عن عليّ وفاطمة فاشتدّت

وغلظت وطوى كلّ من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه

ثمّ كان بينها وبين عليّ عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال كلّها تقتضي تهيّج ما في النفوس ، نحو قولها له وقد استدناه رسول الله فجاء حتّى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان : أما وجدت مقعداً لكذا ـ لا تكنى عنه ـ إلاّ فخذى، ونحو ماروي أنه صلى الله عليه وآله سايره يوماً وأطال مناجاته فجائت و هى سايرة خلفهما حتّى دخلت بينهما وقالت : فيم أنتما فقد أطلتما ، فيقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم وماروى في حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فاكفأتها و نحوها ممّا يكون بين الأهل وبين المرأة وأحماتها .

ثمّ اتّفق أنّ فاطمة ولدت أولاداً كثيراً بنين وبنات ولم تلد هى ولداً ، و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ويسمّى الواحد منهما ويقول: دعوالى ابني ، ولا تزرموا على ابني ، و ما فعل ابني ، فما ظنّك بالزّوجة إذا حرمت الولد من البعل ثمّ رأت البعل يتبنّى بني ابنته من غيرها ويحنو عليهم حنو الولد المشفق هل تكون محبّة لأولئك البنين و لأمّهم و لأبيهم أم مبغضة؟! و هل تودّ دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضائه ؟!

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سدّ باب أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره ثمّ بعث أباها ببرائة إلى مكّة ثمّ عزله عنها بصهره ، فقدح ذلك أيضاً في نفسها .

وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية فأظهر عليٌّ عليه السلام بذلك سروراً كثيراً و كان يتعصّب لمارية ويقوم بأمرها عند رسول الله ميلاً على غيرها ، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عايشة فبرّأها عليّ عليه السلام منه وكشف بطلانها و كشفه الله تعالى على يده وكان ذلك كشفاً محسّاً بالبصر لا يتهيّأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوا في القرآن المنزل ببراءة عايشة ، وكلّ ذلك مماكان يوعر صدر عايشة عليه ويؤكّد ما في نفسها منه .

ثمّ مات إبراهيم فأبطنت شماتة وإن أظهرت كآبة ، ووجم عليّ عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة وكانا يؤثران و يريدان أن تتميّز مارية عليها بالولد فلم يقدّر لهما ولا لمارية ذلك .

وبقيت الأمور على ماهي عليه وفي النّفوس مافيها ، حتّى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرض الّذي توفّي فيه ، فكانت فاطمة وعليّ يريدان أن يمرّضاه في بيتهما وكذلك كانت أزواجه فمال إلى بيت عايشة بمقتضى المحبّة القلبيّة الّتي كانت لها دون نسائه ، و كره أن يزاحم فاطمة و بعلها في بيتهما فلا يكون عنده من الانبساط بوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت من يميل إليه بطبعه و علم أنّ المريض يحتاج إلى فضل مداراة و نوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث فكانت نفسه إلى بيته أسكن منها إلى بيت صهره وبنته فانّه إذا تصوّر حيائهما منه استحيى هو أيضاً منهما و كلّ أحد يحبّ أن يخلو بنفسه و يحتشم الصّهر والبنت ولم يكن له صلى الله عليه وآله إلى غيرها من الزّوجات مثل ذلك الميل اليها فتمرّض في بيتها فغبطت على ذلك ، و لم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم المدينة مثل ذلك المرض و إنّما كان مرضه الشقيقة يوماً أو بعض يوم ثمّ تبرء فتطاول هذا المرض .

و كان عليّ عليه السلام لايشكّ أنّ الأمر له و أنّه لاينازعه فيه أحد من النّاس ولهذا قال له عمّه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله : امدد يدك أبايعك ، فيقول النّاس عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يختلف عليك اثنان ، قال : ياعمّ وهل يطمع فيها طامع غيري ؟ قال : ستعلم ، قال : فانّي لا أحبّ هذا الأمر من وراء رتاج وأحبّ أن أصهر «أصحر» به فسكت عنه .

فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه أنفذ جيش أسامة وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين و الأنصار ، فكان عليّ عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله صلى الله عليه وآله أوثق ، وتغلب على ظنّه أنّ المدينة لو مات صلى الله عليه وآله لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلّيّة ، فيأخذه صفواً عفواً ، ويتمّ له البيعة فلا يتهيّأ فسخها لورام ضدّ منازعة عليها .

فكان من عود أبي بكر من جيش اُسامة بارسالها إليه وإعلامه بأنّ رسول الله ﷺ يموت ماكان ، ومن حديث الصّلاة ماعرفت ، فنسب عليّ ؏ عايشة إلى أنّها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصلّ بالنّاس ، لأنّ رسول الله ﷺ كما روى قال : ليصلّ بهم أحدهم ولم يعيّن وكانت صلاة الصّبح .

فخرج رسول الله ﷺ و هو في آخر رمق يتهادى بين عليّ ؏ و الفضل ابن العبّاس حتّى قام في المحراب كما ورد في الخبر ، ثمّ دخل فمات ارتفاع الضّحى فجعل يوم صلاته حجّة في صرف الأمر إليه ، وقال : أيّكم أطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله ﷺ في الصّلاة ولم يحملوا خروج رسول الله ﷺ إلى الصلاة لصرفه عنها بل لمحافظته على الصّلاة مهما أمكن .

فبويع على هذه النّكتة الّتي اتّهمها عليّ ؏ أنّها ابتدأت منها وكان عليّ ؏ يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً و يقول : إنّه ﷺ لم يقل إنّكن لصويحبات يوسف إلاّ إنكاراً لهذه الحال وغضبا منها لأنّها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما و أنّه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم يجد ذلك و لا أثر مع قوّة الدّاعي الّذي يدعوالى أبي بكر ويمهد له قاعدة الأمر وتقرّر حاله في نفوس النّاس و من اتّبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار و لما ساعد على ذلك من الحظ الفلكى الأمر السّمائى الّذى جمع عليه القلوب والأهواء .

فكانت هذه الحال عند عليّ ؏ أعظم من كلّ عظيم وهى الطّامة الكبرى والمصيبة العظمى ولم ينسبها إلاّ إلى عايشة وحدها ، و لا علّق الأمر الواقع إلاّ بها ، فدعا عليها في خلواته و بين خواصّه وتظلّم إلى الله منها ، و جرى له في تخلّفه عن البيعة ما هو مشهور حتّى بايع .

و كان تبلغه و فاطمة عنها كلّ مايكرهانه منذ مات رسول الله ﷺ إلى أن توفّيت فاطمة عليها السلام وهما صابران على مضض ورمض ، واستظهرت بولاية أبيها واستطالت وعظم شأنها وانخذل عليّ ؏ وفاطمة وقهرا ، و اُخذت فدك و خرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً فلم تظفر بشيء .

وفي كل ذلك تبلّغها النّساء الداخلات والخارجات عن عايشة كل كلام يسوؤها ويبلغن عايشة عنها وعن بعلها مثل ذلك، إلاّ أنّه شتّان ما بين الحالين وبعد ما بين الفريقين، هذه غالبة وهذه مغلوبة، هذه آمرة وهذه مأمورة وظهر التّشفي والشّماتة ولا شيء أعظم مرارة ومشقّة من شماتة العدوّ.

قال الشارح: فقلت له: أفتقول أنت إنّ عايشة عيّنت أباها للصّلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعيّنه؟ فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن عليّاً عليه السلام كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه كان حاضراً ولم أكن حاضراً، فأنا محجوج بالأخبار الّتي اتّصلت بي وهي تتضمّن تعيين النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنّه من الحال الّتي كان حضرها.

قال: ثمّ ماتت فاطمة عليها السلام فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلّهنّ إلى بني هاشم في العزاء إلاّ عايشة، فانها لم تأت أظهرت مرضاً، ونقل إلى عليّ عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور.

ثمّ بايع عليّ عليه السلام أباها فسرّت بذلك وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا.

واستمرّت الأمور على هذه مدّة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلى والأحقاد تذيب الحجارة، وكلّما طال الزّمان على عليّ عليه السلام تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان وقد كانت عايشة أشدّ الناس عليه تأليبا وتحريضا، فقالت: أبعده الله لما سمعت قتله وأمّلت أن يكون الخلافة في طلحة فيعود الأمر تيميّة كما كانت أوّلا، فعدل الناس عنه إلى عليّ بن أبيطالب عليه السلام، فلما سمعت ذلك صرخت واعثماناه قتل عثمان مظلوما وثار ما في الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده.

قال الشارح: هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب ولم يكن يتشيّع، وكان شديداً في الاعتزال إلاّ أنه كان في التفضيل بغداديّاً.

ثم قال الشارح في شرح قوله عليه السلام والحساب على الله:

فان قلت : هذا الكلام يدلّ على توقّفه في أمرها و أنتم تقولون إنّها من أهل الجنّة فكيف تجمعون بين مذاهبكم وهذا الكلام ؟

قلت : يجوزأن يكون عليه السلام قال هذاالكلام قبل أن يتواتر الخبر عنده بتوبتها فان أصحابنا يقولون : إنّها تابت بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام و ندمت وقالت : لوددت أنّ لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة بنين كلّهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل ، و أنّها كانت بعد قتله تثنى عليه وتنشر مناقبه .

مع أنّهم رووا أيضاً أنّهاعقيب الجمل كانت تبكى حتّى تبلّ خمارها ، وأنّها استغفرت الله وندمت ولكن لم تبلغ أميرالمؤمنين عليه السلام حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر و يثبت الحجّة والّذي شاع عنها من أمرالنّدم و التّوبة شياعاً مستفيضاً إنّما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتت وهى على ذلك ، والتّائب مغفور له ويجب قبول التوبة عندنا في العدل وقد أكّد وقوع التّوبة منهاما روى في الأخبار المشهورة أنّها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة كما كانت زوجته في الدّنيا ، و مثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكلّف إثبات توبتها لو لم ينقل فكيف والنّقل لها يكاد أن يبلغ حدّ التّواتر ، انتهى كلام الشّارح المعتزلي .

وينبغي لنا أن نعقبه بما عندنا في هذا المقام فأقول وبالله التكلان :

اماما اشاراليه الشّارح من أنّه كان من عايشة في أمره صلى الله عليه وآله وسلم في قصّة مارية ماكان من الحديث الّذى أسرّه إلى الزوجة الأخرى وأدّى إلى تظاهرهما عليه وأنزل فيهما قرآن يتلى في المحاريب آه فشرحه ماذكره المفسّرون من العامّة والخاصّة في تفسير قوله تعالى : « يا أيّها النّبيّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفورٌ رحيم » قال في الكشّاف : روى أنّه عليه الصّلاة والسّلام خلا بمارية في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها : اكتمى عليّ وقد حرمت مارية على نفسى و أبشرك أنّ أبابكر و عمر يملكان بعدى أمر أُمّتي فأخبرت به و كانتا متصادقتين ، و في التّفسير الكبير في تفسير قوله تعالى : « وإذ أسرّ النّبيّ إلى بعض أزواجه حديثا فلمّا نبّأت به و أظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض

فلمّا نبّأها به قالت من أنباك هذا قال نبّأني العليم الخبير . قال الفخر الرّازي يعني ما أسرّ إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه واستكتمها ذلك ، وقيل : لمّا رأى النّبي الغيرة في وجه حفصة أراد أن يرضاها فأسرّ إليها بشيئين : تحريم الأمة على نفسه ، و البشارة بأنّ الخلافة بعده في أبي بكر و أبيها عمر ، قاله ابن عباس وقوله : فلمّا نبأت به أى أخبرت به عايشة وأظهره الله عليه اطلع نبيّه على قول حفصة لعايشة فأخبر النّبى حفصة عند ذلك ببعض ما قالت و هو قوله تعالى : عرّف بعضه حفصة و أعرض عن بعض لم يخبرها انّك أخبرت عايشة على وجه التّكريم و الاغضاء ، والذي أعرض عنه ذكر خلافة أبي بكر وعمر

و قال القمّي : سبب نزولها أنّ رسول الله ﷺ كان في بعض بيوت نسائه ، وكانت مارية القبطيّة تكون معه تخدمه ، و كان ذات يوم في بيت حفصة ، فذهبت حفصة في حاجة لها فتناول رسول الله ﷺ مارية فعلمت حفصة بذلك فغضبت وأقبلت على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله في يومي وفي دارى وعلى فراشي ، فاستحى رسول الله منها فقال : كفى فقد حرّمت مارية على نفسي و لا أطاها بعد هذا أبداً ، وأنا أقضى اليك سرّاً إن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين فقالت : نعم ماهو ؟ فقال ﷺ إنّ أبا بكر يلى الخلافة بعدي ، ثمّ بعده أبوك فقالت من أنباك ؟ فقال نبّأني العليم الخبير ، فأخبرت حفصة بـه عايشة من يومها ذلك و أخبرت عايشة أبابكر فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له : إنّ عايشة أخبرتني عن حفصة بشيء و لا أثق بقولها ، فاسأل أنت حفصة ، فجاء عمر إلى حفصة فقال لها : ما هذا الّذي أخبرت عنك عايشة ؟ فأنكرت ذلك وقالت : ما قلت لها من ذلك شيئا ، فقال عمر : إنّ هذا حقّ فأخبرينا حتّى نتقدّم فيه ، فقالت : نعم قد قال رسول الله ﷺ فأجتمعوا أربعة على أن يسمّوا رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بهذه السّورة قال : وأظهره الله عليه يعني وأظهره الله على ما أخبرت به وما همّوا به من قتله عرف بعضه أى خبرها وقال : لم أخبرت بما خبرتك به و أعرض عن بعض قال : لم يخبرهم بما يعلم بما همّوا به من قتله ، وقال تعالى في هذه السّورة :

« وضرب الله مثلا للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع الداخلين » قال في تفسير الصّافي : مثل الله حال الكفّار والمنافقين في أنّهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم ولايحابون بما بينهم وبين النّبي صلّى الله عليه وآله والمؤمنين من النّسبة والوصلة بحال امرءة نوح و امرءة لوط ، و فيه تعريض بعايشة وحفصة فى خيانتهما رسول الله بافشاء سرّه ونفاقهما إيّاه وتظاهرهما عليه كمافعلت امرئتا الرّسولين فلم يغن الرّسولان عنهما بحق الزّواج إغناء ماوقيل لهما بعد موتهما أويوم القيامة : ادخلا النّار مع الدّاخلين الّذين لاوصلة بينهم وبين الأنبياء .

واما اسباب الضّغن التي بين عايشة وفاطمة عليها السّلام على مافصّلها وحكاها عن الشّيخ أبي يعقوب اللّمعاني فهى كما ذكره إلاّ أنّ اللائمة فيها كلّها راجعة إلى عايشة وأبيها ، وتشريكه بينهما وبين فاطمة وبعلها سلام الله عليهما في ذلك أى في الاتّصاف بالضغن و الحقد و الحسد غلط فاحش بعد شهادة آية التطهير و غيرها بعصمتهما وبرائة ساحتهما عن دنس المعاصي والذّنوب وطهارة ذيلهما عن وسخ الآثام والعيوب .

ومن ذلك يعلم ما في قوله : ولست أبرّء عليّا من مثل ذلك فانّه كان ينفس على أبي بكر سكون النّبي صلّى الله عليه وآله إليه وثنائه عليه ويحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصايص دونه و دون النّاس أجمعين مضافا إلى ما فيه من أنّا لم نسمع إلى الآن لأبى بكر مزيّة وخاصّة ومكرمة اختصّ بها ، و لم نظفر بأنّ النّبي صلّى الله عليه وآله يوما أثنا عليه وسكن اليه ، و الأخبار المفصحة عن شقاقه ونفاقه وإزراء الرّسول عليه في غير موطن فوق حدّ الاحصاء ، و لولم يكن شاهد على عدم سكونه إليه غير بعثه بسورة برائة إلى مكّة ثمّ عزله عنها لكفى .

وأما الحديث الذي رواه عن النّبي صلّى الله عليه وآله أعني قوله : و كم قال لامرءة يؤذيني ما يؤذيها و يغضبني ما يغضبها ، فهو حديث صحيح رواه العامّة و الخاصّة ، وما أدرى مايجيب متعصّبى أبي بكر وعمر عن ذلك ، فانّ غصبهما فدك منها وأمرهما

باحراق باب بيتها و إخراج بعلها ملبّبا إلى المسجد للبيعة كان بالضّرورة موجبا لغضبها واذيها ، فاذا انضمّ إلى ذلك الحديث الّذي رووه وأضيف إليهما قوله سبحانه « و الّذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم » ينتج أنّهما في العذاب الأليم و السّخط العظيم كما مرّ تفصيله في التّنبيه الثّاني في شرح الكلام السّادس والسّتين ، وقد تقدّم هناك قول الشّارح أنّ الصحيح عندى أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر ، وأنها أوصت أن لايصلّيا عليها ، فانظر ماذا ترى .

وأما ماتكلّفه الشارح في آخر كلامه في اثبات توبةالخاطئة فدعوى لاتفى باثباتها بيّنة وهويريد اصلاحأمرها ـ ولن يصلح العطّارما أفسد الدّهر ـ و كيف تتوب عن خطائها وتندم على تفريطهابعد رسوخ الضغن فيهذه السنين المتطاولة فيقلبها و تزايد أسباب الحقد و الحسد و تراكمها يوما فيوما على ما فصّلها الشارح عن اللّمعاني ، وقدتقدّممايرشدك إلىبطلان هذهالدعوىفيشرح الكلام التاسعوالسبعين

واورد هنامضافاً إلى ما سبق ما حققه شيخ الطايفة قدّسالله روحه في تلخيص الشافي في إبطال تلك الدّعوى .

قال في محكىّ كلامه في البحار : وأمّا الكلام في توبة عايشة فما بينّاه من الطرق الثلاث في توبة طلحةوالزّبير هى معتمدة فيما يدّعونه من توبة عايشة .

أوّلها أنّ جميع مايروونه من الأخبار لايمكن ادّعاء العلم فيها و لا القطع على صحّتها ، وأحسن الأحوال فيها أن يوجب الظنّ و قد بيّنا أنّ المعلوم لايرجع عنه بالمظنون .

و الثاني أنها معارضة بأخبار تزيد ما رووه في القوّة أو تساويه ، فمن ذلك ما رواه الواقدى باسناده عن مسعبة عن ابن عباس قال : أرسلنى علىّ إلى عايشة بعد الهزيمة وهىفىدارالخزاعييّنيأمرها أن ترجع إلى بلادها وساق الحديث إلى قوله فبكت مرّة أخرى أشدّ منبكائها الأوّل ثمّ قالت : والله لئن لم يغفرالله لنالنهلكنّ ثمّ ساق الحديث إلى آخره ثمّ قال :

فان قيل : ففي هذا الخبردليل علىالتوبة وهى قولها عقيب بكائها لئن لميغفر

الله لنا لنهلكنّ .

قلنا : قد كشف الأمر ماعقبت هذا الكلام به من اعترافها ببغض أمير المؤمنين وبغض أصحابه المؤمنين ، و قد أوجب الله عليها محبّتهم و تعظيمهم ، و هذا دليل على الاصرار و أنّ بكائها إنّما كان للخيبة لا للتّوبة ، و ما كان في قولها لئن لم يغفر الله لنا لنهلكنّ من دليل على التّوبة وقد يقول المصرّ مثل ذلك إذا كان عارفاً بخطائه فيما ارتكبه ، وليس كلّ من ارتكب ذنباً يعتقد أنّه حسن حتّى لا يكون خائفاً من العقاب عليه ، و أكثر مرتكبى الذّنوب يخافون العقاب مع الاصرار ، ويظهر منهم مثل ماحكى من عايشة ولايكون توبة

وروى الواقدي باسناده أنّ عمّاراً رحمة الله عليه استأذن على عايشة بالبصرة بعد الفتح فأذنت له فدخل فقال : يا امه كيف رأيت الله صنع حين جمع بين الحقّ و الباطل ألم يظهر الله الحقّ على الباطل و يزهق الباطل ؟ فقالت : إنّ الحرب دول و سجال و قد اُديل على رسول الله صلّى الله عليه وآله ولكن انظر يا عمّار كيف تكون في عاقبة أمرك .

وروي الطبرىّ في تاريخه أنّه لمّا انتهى إلى عايشة قتل أمير المؤمنين قالت :

فألقت عصاها و استقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر

من قتله ؟ فقيل : رجل من مراد، فقالت :

فان يك نائياً فلقد نعاه بنعى ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت سلمة بن أبي سلمة: ألعليّ تقولين هذا ؟ فقالت: إنّي أنسى فاذا نسيت فذكّروني ، وهذه سخريّة منها بزينب وتمويه خوفاً من شناعتها ، ومعلوم أنّ النّاسي والسّاهى لايتمثّل بالشّعر في الأغراض المطابقة ، ولم يكن ذلك منها إلاّ عن قصد و معرفة .

وروى عن ابن عبّاس أنّه قال لأمير المؤمنين لمّا أبت عايشة الرّجوع إلى المدينة : أرى أن تدعها ياأمير المؤمنين بالبصرة ولاترحلها ، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام : إنّها لاتالو شرّاً ولكنّي أردّها إلى بيتها الّذي تركها فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله

فلانّ الله بالغ أمره .

وروى محمد بن إسحاق عن جنادة أنّ عايشة لمّا وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرّض النّاس على أميرالمؤمنين ، وكتبت إلى معاوية و إلى أهل الشّام مع الأسود بن أبي‌البختري تحرّضهم عليه صلوات الله عليه .

و روى عن مسروق أنّه قال : دخلت على عايشة فجلست إليها فحدّثتني و استدعت غلاما أسود يقال له: عبدالرّحمن ، فجاء حتّى وقف فقالت : يا مسروق أتدرى لم سمّيته عبدالرّحمن ؟ فقلت : لا ، فقالت : حبّاً منّى لعبدالرّحمن بن ملجم

فأمّا قصّتها في دفن الحسن فمشهورة حتّى قال لها عبدالله بن عباس : يوماً على بغل و يوماً على جمل ، فقالت : أو ما نسيتم يوم الجمل ياابن عبّاس إنّكم لذوو أحقاد .

و لو ذهبنا إلى تقصّى ما روى عنها من الكلام الغليظ الشّديد الدّالّ على بقاء العداوة واستمرار الحقد و الضغينة لأطلنا وأكثرنا ، وما روى عنها من التّلهف والتّحسّر على ما صدر عنها فلا يدلّ على التّوبة إذ يجوز أن يكون ذلك من حيث خابت عن طلبتها ولم تظفر ببغيتها مع الذّلّ الّذي لحقها وألحقها العار في الدّنيا والاثم في الآخرة، انتهى كلامه رفع مقامه .

اقول : ويدلّ على استمرار حقدها وبقاء عداوتها أيضاً ما في الارشاد للمفيد(ره) قال : روى عكرمة عن عايشة في حديثها له بمرض رسول الله صلّى الله عليه و آله و وفاته فقالت في جملة ذلك : فخرج رسول الله صلّى الله عليه و آله متوكّئاً على رجلين أحدهما الفضل بن العبّاس ، فلماحكى عنها ذلك لعبدالله بن العبّاس قال له : أتعرف الرّجل الآخر ؟ قال : لا لم تسمّه لي ، قال : ذاك عليّ بن أبيطالب و ما كانت أمّنا تذكره بخير و هى تستطيع .

الترجمة

ازجمله کلام آن بزرگوار است که خطاب فرمود با آن اهل بصره را برسبيل قصّه گوئى از واقعهاى عظيمه مى‌فرمايد :

پس کسی که استطاعت داشته باشد نزد آن حادثها اینکه حبس نماید نفس خودرا برطاعت خدا پس باید که بکند آنرا پس اگر اطاعت نمائید مرا پس بدرستی که من حمل کنندهٔ شما هستم إنشاءالله برراه بهشت واگرچه میباشد آن راه صاحب مشقّت سخت و چشیدني تلخ ، وأمّا فلانة یعنی عایشهٔ خاطئه پس دریافت اورا رأی سست زنان و کینهٔ دیرینه که جوش زد در سینهٔ او مثل دیك جوشندهٔ آهنگران ، واگر خوانده شدی که فرا گیرد ازغیرمن آنچه که آورد بسوی من نمی کرد ، یعني اگر دعوت مینمودند او را که اقدام نماید در حق غیر من بمثل آنچه اقدام کرد درحقّ من از مخالفت و عداوت وخصومت البته اقدام نمی نمود ، و با همهٔ این مراوراست بعداز این همهٔ قبایح که از او صادر شد حرمت قدیمه او که در زمان حضرت رسول صلّی الله علیه وآله وسلّم داشت وحساب برپروردگار است .

ما کارهای او بخداوند کار ساز بگذاشتیم تاغضب اوچه می کند

الفصل الثانی

منه ـ سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ ، وَ بِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَ بِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ، وَ بِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ ، وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَ بِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ ، وَ بِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَ تُبْرَزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ، وَ إِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

منه ـ قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ ، وَ صَارُوا إِلَى مَصَائِرِ

الْغاياتِ ، لِكُلٍّ دارٍ أَهْلُها ، لا يَسْتَبْدِلُونَ بِها ، وَلا يُنْقَلُونَ عَنْها ، وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحانَهُ ، وَإِنَّهُما لا يُقَرِّبانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلا يَنْقُصانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتابِ اللهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفاءُ النّافِعُ ، وَالرِّيُّ النّاقِعُ ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَالنَّجاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ ، لا يَعْوَجُّ فَيُقامُ ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَلا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ ، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله ﷺ فقال عليه السلام :

لَمّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحانَهُ قَوْلَهُ : ـ الٓمٓ أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ـ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنا ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ماهٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِها ؟ فَقالَ : يا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهادَةُ فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي : أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهادَةَ مِنْ وَرائِكَ ، فَقالَ لِي : إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً ؟ فَقُلْتُ :

يا رَسُولَ اللهِ لَيسَ هـذا مِنْ مَواطِنِ الصَّبْرِ وَلـكِنْ مِنْ مَواطِنِ الْبُشْرىٰ وَالشُّكْرِ ، وَقالَ يا عَلِيُّ : إِنَّ الأُمَّةَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدي بِأَمْوالِهِمْ ، وَ يَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلى رَبِّهِمْ ، وَ يَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَ يأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَ يَسْتَحِلُّونَ حَرامَهُ بِالشُّبُهاتِ الْكاذِبَةِ ، وَالأَهْواءِ السّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ ، وَ الرِّبا بِالْبَيْعِ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ فَبِأَيِّ الْمَنازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ ؟ أَ بِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقالَ : بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ .

اللغة

(بلج) الصّبح بلوجاً من باب قعد أسفر و أنار و (أرقل) أسرع و (شخص) من بلد كذا رحل وخرج منه و (الأجداث) القبور جمع جدث بالتّحريك كأسباب و سبب و (الشّفاء النّافع) بالفاء و (الرّى النّاقع) بالقاف يقال : ماء ناقع أى ينقع الغلة أى يقطعها ويروى منها .

الاعراب

قال في الكشّاف : الحسبان لا يصحّ تعلّقه بمعانى المفرد ولكن بمضامين الجمل ، ألا ترى أنّك لوقلت حسبت زيداً وظننت الفرس لم يكن شيئاً حتّى تقول حسبت زيداً عالماً وظننت الفرس جواداً ، لأنّ قولك زيد عالم أوالفرس جواد كلام دالّ على مضمون فأردت الأخبار عن ذلك المضمون ثابتاً عندك على وجه الظّن لا اليقين ، فلم تجد بدّاً في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتّى يتمّ لك غرضك .

فان قلت : فأين الكلام الدّال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية ؟
قلت: هو قوله: أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون، وذلك لأنّ تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا فالتّرك أوّل مفعولي حسب ، و لقولهم آمنّا هو الخبر ، واما غير مفتونين فتتمّة التّرك لأنّه من التّرك الّذي هو بمعنى التّصيير كقوله : فتركته جزر السّباع ينشنه، ألا ترى أنّك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا على تقدير حاصل ومستقرّ قبل اللاّم
فان قلت : أن يقولوا هو علّة قولهم غير مفتونين فكيف يصحّ أن يكون خبر مبتدء ؟

قلت كما تقول : خروجه لمخافة الشرّ وضربه للتّأديب ، و قد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشرّ وضربته تأديباً تعليلين وتقول أيضاً : حسبت خروجه لمخافة الشرّ و ظننت ضربه للتأديب ، فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدء و خبراً .
والهمزة في قوله عليه السلام : أوليس قد قلت ' للاستفهام التّقريرى كما في قوله تعالى : « أليس الله بكاف عبده » والمقصود به حمل المخاطب على الاقرار بما دخله النّفى

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه مشتمل على فصلين :

الفصل الاول (منه)

في وصف الدّين و الايمان وهو قوله (سبيل أبلج المنهاج) استعارة مرشّحة فانّ الايمان لمّا كان موصلا لصاحبه الى الجنّة وإلى حظاير القدس صحّ استعارة لفظ السّبيل له كما صحّ التعبير عنه بلفظ الصراط بذلك الاعتبار أيضاً في قوله تعالى

« إِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » .

فهو طريق أوضح المسلك إلى الجنّة (وأنور السّراج) لا يضلّ سالكها البتّة لوضوحها وإضائتها (فبالايمان يستدلّ على الصّالحات وبالصّالحات يستدلّ على الايمان) قال الشارح البحراني: والصّالحات هى الأعمال الصّالحات من ساير العبادات ومكارم الأخلاق الّتي وردت بها الشريعة وظاهر كونها معلولات للايمان وثمرات له يستدلّ بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها استدلالاً بالعلّة على المعلول، ويستدلّ بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلّة (و بالايمان يعمر العلم) إذ من المعلوم أنّ فضل العلم و كماله إنّما هو العمل بالأركان والعمل بالأركان إمّا شرط للايمان أو شطر منه حسبما عرفته فى شرح الخطبة المأة والتاسعة فيكون فضله وكماله بالايمان، وهو معنى كونه معموراً به.

ويؤمى إليه قول الصّادق عليه السلام: لا يقبل الله عملا إلاّ بمعرفة ولا معرفة إلاّ بعمل فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا أنّ الايمان بعضه من بعض.

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: مكتوب في الانجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم، فانّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلاّ كفراً و لم يزدد من الله إلاّ بعداً.

(و بالعلم يرهب الموت) لأنّ العلم بالمبدء و المعاد مستلزم لذكر الموت والتّوجه اليه وإلى ما يتلوه من الشدايد والأهوال، وذلك موجب للرّهبة منه لامحالة و أمّا الجاهل فهو غافل عن ذلك لكون همّته مقصورة على الدنيا مصروفة اليها (وبالموت تختم الدّنيا) وهو ظاهر إذ الموت آخر منازل الدّنيا كما هو أوّل منازل الآخرة (و بالدّنيا تحرز الآخرة) لأنّها دار التكليف و فيها يقام العبادات ويقتنى الحسنات فيفاز بالجنّات وينال السّعادات فهى محلّ الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد (وبالقيامة تزلف الجنّة للمتّقين وتبرز الجحيم للغاوين) اقتباس من الآية الشّريفة في سورة الشّعرا قال سبحانه:

« يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلّاَ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأُزْلِفَتِ

الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ».

أى قربت الجنّة و قدّمت للسّعداء بحيث يرونها من الموقف فيبجحون بأنّهم المحشورون إليها ، و تظهر الجحيم للأشقياء فيرونها مكشوفة بارزة فيتحسّرون على أنهم المسوقون اليها (وأنّ الخلق لامقصر لهم عن القيامة) أى لامحبس ولا غاية لهم دونها و لا مانع من ورودهم عليها (مرقلين) أى مسرعين (في مضمارها) وهو مدّة الحياة الدّنيا (إلى الغاية القصوى)

قال الشّارح البحراني قوله : وإنّ الخلق لامقصر لهم الى آخره كلام في غاية الحسن مع غزارة الفايدة ، وهو إشارة إلى أنّه لابدّ لهم من ورود القيامة ومضمارها مدّة الحياة الدّنيا ، وهو لفظ مستعار ، ووجه المشابهة كون تلك المدّة محلّ استعداد النّفوس للسباق إلى حضرة الله كما أنّ المضمار محلّ استعداد الخيل للسباق ، وارقالهم كناية عن سيرهم المتوهّم في مدّة أعمارهم إلى الآخرة ، وسرعة حثيث الزّمان بهم في اعداد أبدانهم للخراب والغاية القصوى هى السّعادة والشّقاوة الاُخروية

الفصل الثانى (منه)

في وصف حال أهل القبور والحثّ على الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر وعلى لزوم كتاب الله وبيان معنى الفتنة وهو قوله عليه السلام (قد شخصوا من مستقرّ الأجداث) أى ارتحل الموتى من محلّ استقرارهم وهى القبور (وصاروا إلى مصائر الغايات) أى انتقلوا إلى محال هى غاية منازل السّالكين ومنتهى سير السّائرين ، يعني درجات ودركات الجحيم (و لكلّ دار) من هاتين الدّارين (أهل) من السّعداء و الأشقياء (لا يستبدلون بها) غيرها (و لا ينقلون عنها) إلى غيرها يعني أنّ أهل الجنّة لا يطلبون إبدالها لما هم عليه من عظيم النّعماء وألذّ الآلاء ، و أهل النّار لا ينقلون عنها ولو طلبوا النّقل و الأبدال لكونهم مخلّدين فيها ، وهذه قرينة على أن يكون

مراده عليه السلام بأهل النّار الكفار و المنافقين ، إذ غيرهم من أصحاب الجرائر من المسلمين المذعنين بالولاية لايخلّدون في النّار لو دخلوها ، بل يخرجون بعد تمحيص الذّنوب إمّا بفضل من الله سبحانه ، أو بشفاعة أولياء الله تعالى كما دلّت عليه الأُصول المحكمة.

ثمّ حثّ على الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر بالتنبيه على فضلهما بقوله (و إنّ الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر لخلقان من خلق الله) قال الشّارح البحراني «ره» إطلاق لفظ الخلق على الله استعارة ، لأنّ حقيقة الخلق ملكة نفسانية تصدر عن الانسان بها أفعال خيريّة أوشرّية ، وإذ قد تنزّه قدسه تعالى عن الكيفيّات والهيئات لم يصدق هذا اللّفظ عليه حقيقة ، لكن لمّا كان الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر والأفعال الخيريّة الّتي بها نظام العالم وبقاؤه كحكمته وقدرته وجوده و عنايته و عدم حاجته بما يتعارف من الأخلاق الفاضلة الّتي تصدر عنها الأفعال الخيريّة البشريّة ، فاستعير بها لفظ الاخلاق واطلق عليه، انتهى .

أقول : هذا كلّه مبنيّ على التجوّز في لفظ الخلق حسبما صرّح به ، ويجوز ابقائه على حقيقته و البناء على التجوّز في الاضافة ، يعني أنّهما خلقان نسبتهما إليه سبحانه باعتبار كونهما مرضيّين عندالله و محبوبين له تعالى ، فصحّ بذلك الاعتبار كونهما من خلقه تعالى أى من خلق هو محبوبه ومطلوبه كما نقول : بيت الله تشريفاً ، وروح الله تعظيما وتكريما ونحو ذلك ، هذا .

ولمّا كان أكثر النّاس يكفون عن الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر، ويمسكون عن ردع الظلمة بتوهّم أن يبطش به فيقتل أو يقطع رزقه و يحرم فأشار عليه السلام إلى دفع هذا التّوهم بقوله (وانّهما لايقربان من أجل ولاينقصان من رزق) وقد روى هذا المعنى عنه عليه السلام في حديث آخر .

و هو ما رواه في الوسايل من الكافي عن يحيى بن عقيل عن حسن عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد فانّه إنّما هلك من

كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الرّ بانيون والأحبار عن ذلك ، وإنّهم لمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الرّ بانيّون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لن يقربا أجلا ولن يقطعا رزقا .

و فيه عن الحسن بن عليّ بن شعبة في تحف العقول عن الحسين عليه السلام قال : و يروى عن عليّ عليه السلام اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه عن الأحبار إذ يقول : « لولا ينهاهم الرّبّانيّون والأحبار عن قولهم الاثم » و قال : « لعن الّذين كفروا من بنى إسرائيل » إلى قوله « لبئس ماكانوا يفعلون » وإنّما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة ممّا يحذرون والله يقول : « فلا تخشوا النّاس واخشوني » وقال « المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فبدء الله بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنّها إذا ادّيت واقيمت استقامت الفرايض كلّها هيّنها وصعبها ، وذلك إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظّالم وقسمة الفيء والغنايم وأخذ الصدّقات من مواضعها ووضعها في حقّها ، هذا

وينبغي القيام بوظايف الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالشروط المقرّرة في الكتب الفقهيّة ، و من جملتها الأمن من الضّرر على المباشر أو على بعض المؤمنين نفساً أو مالاً أو عرضاً ، فلو غلب على ظنّه أو قطع بأن يصيبه أو يصيبهم ضرربهما سقط وجوبهما ، بل يحرمان كما صرّح به علماؤنا الأخيار و دلّت عليه أخبار أئمّتنا الأطهار .

روى في الوسايل عن الكليني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن يحيى الطّويل صاحب المقري قال قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ أو جاهل فيتعلّم فأمّا صاحب سوط أوسيف فلا .

وعنه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن مفضّل بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

قال لي : يا مفضّل من تعرّض لسلطان جائر فأصابته بليّة لم يوجر عليها ولم يرزق الصّبر عليها .

فظهر لك بما ذكرنا أنّ قوله عليه السلام في المتن : و إنّهما لا يقربان من أجل ولاينقصان من رزق ، لابدّ أن يحمل على صورة عدم الظنّ بالضّرر فضلا عن القطع به

ثمّ أمر بلزوم اتّباع الكتاب المجيد معلّلا وجوب متابعته بأوصاف كمال نبّه عليها فقال (وعليكم بكتاب الله فانّه الحبل المتين) استعارة لفظ الحبل له باعتبار حصول النّجاة للمتمسّك به كما يحصل النّجاة للمتمسّك بالحبل و ذكر المتانة ترشيح .

وقد وقع نظير تلك الاستعارة في النّبوي المعروف المرويّ بطرق عديدة منها ما رواه أبوسعيد الخدرى قال : قال النبيّ صلّى الله عليه وآله إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

(و النّور المبين) و هو أيضاً استعارة لأنّه نور عقليّ ينكشف بـه أحوال المبدء والمعاد ويهتدى به في ظلمات برّ الأجسام وبحر النّفوس كما يهتدى بالنّور المحسوس في الغياهب والظّلمات ونظير هذه الاستعارة قوله سبحانه : « قد جائكم من الله نور و كتاب مبين » (و الشّفاء النّافع) إذ بـه يحصل البرء من الأسقام الباطنيّة والأمراض النّفسانيّة كما قال تعالى : « قل هو للّذين آمنوا هدى وشفاء » وقال في موضع آخر : « وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظّالمين إلاّ خساراً » (والرّى النّاقع) أى القاطع لغليل العطشان بماء الحياة الأبديّة أعني ما تضمّنه من المعارف الحقّة والعلوم الالهيّة (وعصمة للمتمسّك ونجاة للمتعلّق) يعني من تمسّك وتعلّق به وأخذ بأحكامه وعمل بها فهو يعصمه من غضب الجبّار و ينجيه من دخول النّار

(لايعوجّ فيقام) لأنه كلام الحقّ يصدّق بعضه بعضاً « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » و احتاج إلى إصلاح اختلافه و إقامة اعوجاجه و خلله

(ولا يزيغ فيستعتب) أي لا يميل ولا يعدل عن الحقّ حتّى يطلب عتباه و رجوعه إليه (ولا يخلقه كثرة الرّد وولوج السّمع) يعني أنّ كلّ كلام نثراً كان أو نظما لو تكرّر تردّده على الألسنة وولوجه في الأسماع مجّه الأسماع وملّ عنه الطّباع و اشمأزّ منه القلوب و يكون خلقا مبتذلا مرذولا ، و أمّا القرآن الكريم فلا يزال غضّا طريّاً يزداد على كثرة التّكرار وطول التّلاوة في كرور الأعصار و مرور الدّهور حسناً وبهاءً و رونقاً وضياءً　　هو المسك ما كرّرته يتضوّع

وذلك من جملة خصايصها الّتي امتاز بها عن كلام المخلوق .

(من قال به صدق) لأنّه كلام مطابق للواقع فالقول بما أفاده البتّة يكون صدقا والقائل به صادقا (ومن عمل به سبق) إلى درجات الجنان وفاز أعظم الرّضوان

قال السّيّد (ره) (وقام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنة) الظّاهر أنّ اللام فيها للعهد و تكون الاشارة بها إلى فتنة معهودة سبق ذكرها في كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي الكتاب العزيز في الآية الآتية « واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة » وغيرهما ، والفتنة تكون لمعان شتّى من الابتلاء والامتحان والاضلال والعذاب والفضيحة والكفر والاثم واختلاف النّاس في الآراء ونحوها .

و لمّا كان خطابه عليه السّلام بذلك الكلام لأهل البصرة حسبما نبّه السّيّد في عنوانه فبقرينة مساق الكلام يحتمل أن يكون استخبار السّائل عن موضوع الفتنة ليفهم أنّ فتنة أهل البصرة هل هي داخلة في الفتنة الّتي أخبر الله بها ورسوله ، وأن يكون عن حكمها .

ويشعر بالأوّل جوابه للسّائل بما ينقله عن رسول الله من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يا عليّ إنّ امّتي سيفتنون من بعدي ، وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً : يا عليّ إنّ القوم سيفتنون بعدي .

ويشعر بالثّاني آخر كلامه عليه السّلام أعني قوله : فقلت يا رسول الله فبأيّ المنازل انزلهم عند ذلك أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة فقال : بمنزلة فتنة .

فعلى الاحتمال الأوّل يكون معنى قوله (وهل سألت عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم)

هل سألت عن معنيها ليتبيّن المراد بها .

و على الاحتمال الثّاني فالمعنى هل سألت عن حكمها عنه صلّى الله عليه و آله ليعلم أنّ المفتونين مرتدّون أم لا (فقال عليه السّلام) في جواب المستخبر .

(لمّا أنزل الله سبحانه قوله آلمّ أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون) قال في الكشّاف في تفسير الآية : الفتنة الامتحان بشدايد التّكاليف من مفارقة الأوطان و مجاهدة الأعداء وساير الطّاعات الشّاقّة وهجر الشّهوات و الملاذّ ، و بالفقر و القحط و أنواع المصائب في الأنفس و الأموال ، و بمصابرة الكفار على اذاهم و كيدهم وضرارهم ، والمعنى أحسب الّذين أجروا كلمة الشّهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالايمان أنّهم يتركون لذلك غير ممتحنين ، بل يمتحنهم الله بأنواع المحن وضروب البلا حتّى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحّة عقايدهم وخلوص نيّاتهم ليتميّز المخلص من غير المخلص والرّاسخ في الدّين من المضطرب والمتمكّن من العابد على حرف ، انتهى .

أقول : و بنحو ذلك فسّره غير واحد من علماء التّفسير ، ومحصّله أنّ المراد بالفتنة الامتحان والابتلاء في النّفس والمال .

و رواه الطبرسي في مجمع البيان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم و أموالهم ، و المستفاد من غير واحد من الأخبار الآتية أنّ المراد بها خصوص الامتحان بالولاية ، و اليه يرجع ما أجاب به أمير المؤمنين عليه السّلام هنا للسائل المستخبر، ولا تنافي بين المعنيين إذ الأوّل تنزيله والثاني تأويله ولا غبار عليه و إنّما الاشكال في قوله (علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله صلّى الله عليه و آله بين أظهرنا) لظهور أنّ الآية لا دلالة فيها على عدم نزول الفتنة بهم مع كون الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بينهم فمن أين علم أمير المؤمنين عليه السّلام ذلك ، و قد تنبّه لذلك الشّارح المعتزلي وأجاب عنه بما لا يعبأ به حيث قال :

فان قلت : فلم قال عليه السّلام علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله صلّى الله عليه و آله بين أظهرنا ؟ .

قلت : لقوله تعالى : « و ما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم » آه و أنت خبير بما فيه .

أمّا أوّلا فلأنّ هذا الجواب كما ترى مبنيّ على جعل الفتنة في الآية بمعنى العذاب ، وقد علمت أنّ كلام أمير المؤمنين في هذا المقام ناظر إلى كونها بمعنى الامتحان بالولاية والتنافي بين المعنيين ظاهر .

و أمّا ثانياً فلأنّا بعد الغضّ عمّا ذكرنا نقول إنّ قوله : علمت ، جواب لما و هو يفيد أنّ منشأ علمه بعدم نزول الفتنة هو قوله : الٓمّ أحسب النّاس الآية ، لا قوله: وما كان الله ليعذّبهم، والعلم بعدم نزول العذاب من الآية الثّانية لا يلازم حصول العلم من الآية الأولى على ما هو مقتضى ظاهر كلامه عليه السلام .

و الّذي عندي في رفع ذلك الاشكال أنّه عليه السلام علم ذلك حين نزول الآية باعلام النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقد روى في الصّافي عنه عليه السلام أنّه لما نزلت هذه الآية قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : لابدّ من فتنة تبتلى به الأمّة بعد نبيّها ليتعيّن الصّادق من الكاذب ، لأنّ الوحي قد انقطع وبقي السّيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة .

فانّ هذه الرّواية ككثير من الرّوايات الآتية صريحة في أنّ نزول الفتنة إنّما يكون بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فحصل بذلك العلم له عليه السلام بأنّها لا تنزل مع كونه بين أظهرهم .

ولمّا كان ذلك الاخبار من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حين نزول الآية صحّ بذلك الاعتبار قوله عليه السلام : لمّا أنزل الله قوله الٓمّ آه علمت إلى قوله (فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها فقال يا عليّ انّ امّتي سيفتنون من بعدي) وهذا الجواب من النّبيّ صلّى الله عليه وآله له عليه السلام وإن كان مجملا لم يصرّح فيه بانّ افتتان الامّة بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم بماذا إلاّ أنّه عليه السلام قد فهم منه أنّ مراده صلّى الله عليه وآله منه الافتتان بـه عليه السلام و امتحانهم بولايته .

وفهمه عليه السلام ذلك منه إمّا من باب سرّ الحبيب مع الحبيب أو بقرينة تصريحه صلّى الله عليه وآله به في غيره ، فقد روى في غاية المرام عن ابن شهر اشوب عن أبي طالب الهروي

باسناده عن علقمة و أبي أيّوب أنّه لمّا نزل ألم أحسب النّاس الآيات ، قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله لعمّار : إنّه سيكون من بعدي هناة حتّى يختلف السّيف فيما بينهم وحتّى يقتل بعضهم بعضاً وحتّى يتبرّء بعضهم من بعض ، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني عليّ بن أبيطالب ، فان سلك النّاس كلّهم وادياً فاسلك وادي عليّ وخلّ عن النّاس ، يا عمّار إنّ عليّاً لايردّك عن هدى ولا يردّك إلى ردى ، يا عمّار طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعةالله .

وفيه عنه من طريق العامّة أيضاً في قوله : آلمّ أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لايفتنون قال عليّ عليه السلام يا رسول الله ما هذه الفتنة ؟ قال صلّى الله عليه وآله : ياعليّ بك وأنك المخاصم فأعدّ للخصومة .

وفيه عن محمّد بن العباس مسنداً عن الحسين بن عليّ عن أبيه صلوات الله عليهم أجمعين قال : لما نزلت : ألم أحسب الناس الآية قال : قلت يا رسول الله ما هذه ؟ قال : يا على إنّك مبتلى بك وأنت مخاصم فأعدّ للخصومة .

وعن محمّد بن العباس قال : حدّثنا أحمد بن هودة عن إبراهيم بن إسحاق عن عبدالله بن حماد عن سماعة بن مهران قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات ليلة في المسجد ، فلمّا كان قرب الصّبح دخل أميرالمؤمنين عليه السلام فناداه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال يا عليّ ، فقال: لبيّك قال: هلمّ إليّ ، فلمّا دني منه قال : يا عليّ بت اللّيلة حيث تراني وقد سألت ربّي ألف حاجة فقضيها لي وسألت لك ربّي أن يجمع لك امّتي من بعدي فأبى عليّ ربّي فقال : آلمّ أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون .

و هذه الرّوايات و ما بمعناها (١) ممّا لم نورد ها خوف الاطالة كما ترى

---

(١) مثل ماورواه فى غاية المرام من تفسير العياشى باسناده عن عبدالرحمن بن سالم عن الصادق (ع) فى قوله تعالى « واتّقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة » قال(ع) أصاب الناس فتنة بعد ماقبض الله نبيّه (ص) حتّى تركوا علياً وبايعوا غيره ، و هى الفتنة الّتي فتنوا بها ؛ وقد أمرهم رسول الله باتباع علىّ والأوصياء من آل محمد(ص).

صريحة في الدلالة على أنّ الافتتان بعده صلّى الله عليه وآله إنّما هو بولاية أمير المؤمنين عليه السلام فهي رافعة للاجمال في الجواب المرويّ في المتن مبيّنة لكون مراد النّبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي افتتانهم بها و امتحانهم به عليه السلام.

ولمّا كان ذلك مبعداً لما كان ينتظره عليه السلام ويرجوه من شهادته الّتي بشّر بها النبيّ و موهما لعدم تنجّز ما بشّر به و مفيداً لعدم حصوله في زمان النبيّ صلّى الله عليه وآله وحال حياته وكان فيه خوف فوت المطلوب لاجرم أعاد عليه السلام السؤال تحصيلا لاطمينان القلب كما سأل إبراهيم ربّه بقوله: كيف تحيي الموتى فقال عليه السلام (فقلت أوليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين و حيزت) أي منعت (عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي: ابشر فانّ الشّهادة من و رائك؟ فقال لي: إنّ ذلك كذلك) يعني أنّ الشهادة واقعة لا محالة و إن لم تكن في زماني وفي مجاهداتك الّتي بين يديّ هذا.

و يجوز أن تكون الهمزة في قوله: أو ليس قد قلت، لم يرد بها الاستفهام والتقرير، بل المراد بها الاستبطاء نظير ما قاله علماء البيان في مثل: كم دعوتك من أنّ الغرض به ليس السؤال والاستفهام، بل المراد الاستبطاء وهو الوصف بالبطوء أي عدّ المتكلّم المخاطب بطيئاً في اجابة الدّعوة، والغرض من الكلام الشّكاية عن بطوء الاجابة والحثّ عليها.

و معنى الاستبطاء فيما نحن فيه وصف ما قاله النبيّ صلّى الله عليه وآله وما بشّر به من الشهادة بالبطوء والشّكاية من تأخيره فانّه صلّى الله عليه وآله لما أخبر بأنّ الأمة سيفتنون بعده أحبّ عليه السلام أن لا يبقى إلى زمان تلك الفتنة فقال ذلك الكلام استبطاء للشهادة فافهم جيداً.

و فيه عن العياشي باسناده عن اسماعيل السرى عنه (ع) في هذه الآية قال: أخبر أنهم أصحاب الجمل.

وفيه عن تفسير عليّ بن ابراهيم في هذه الآية قال: نزلت في طلحة والزبير لما حاربوا أمير المؤمنين وظلموه، منه.

ثمّ أراد النبيّ صلّى الله عليه وآله الابانة عن علوّ همّته عليه السلام والافصاح عن ثبات قدمه في جنب الله فقال (فكيف صبرك إذا) يعني إذا ظفرت بالشهادة (فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصّبر ولكن من مواطن البشرى والشّكر) يعني أنّ الصبر عبارة عن تحمل المشاقّ و المكروه و هو إنّما يتصوّر في حقّ المحجوبين عن الله المنهمكين في لذّات الدّنيا والغافلين عن لذّات الآخرة ، فانهم يكرهون الموت ويفرّون منه ويحذرون من الشّهادة ، وأمّا أولياء الدّين وأهل الحقّ واليقين فغاية غرضهم الخروج من هذه القرية الظّالم أهلها والفوز بلقاء الحقّ والنّيل إلى رضوانه

فالموت لمّا كان وسيلة للوصول إليه فهو أحبّ إليهم من كلّ شيء ، ولذلك كان عليه السلام يقول غير مرّة : والله لابن أبيطالب آنس بالموت من الطّفل بثدى أمّه ، ولمّا كان حصول الموت بالقتل والشّهادة من أعظم القربات وأفضل الطّاعات كانوا مستبشرين به وشاكرين على وصول تلك النعمة العظيمة ، وإليه ينظر قوله عليه السلام في الكلام المأة و الثّانية و العشرين ، إنّ أكرم الموت القتل والّذي نفس ابن أبيطالب بيده لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على فراش .

ثمّ عاد النبيّ صلّى الله عليه وآله بعد الاشارة إجمالا إلى افتتان الأمة من بعده إلى شرح حال المفتونين و بيان أوصافهم تفصيلا (و قال يا عليّ إنّ الأمّة سيفتنون بعدي بأموالهم) أى بقلّتها و كثرتها و باكتسابها من حلال أوحرام وبصرفها في مصارف الخير أو الشرّ و باخراج الحقوق الواجبة منها و البخل بها و غير ذلك من طرق الامتحان (و يمنّون بدينهم على ربهم) كما منّ من قبلهم بذلك على ماحكى الله عنهم بقوله : « يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هديكم للإيمان » (ويتمنّون رحمته ويأمنون سطوته) الأمن من سخط الله سبحانه كالأياس من رحمته من الكباير الموبقة ، و أمّا تمنّي الرّحمة مع عدم المبالاة في الدّين فهو من صفة الجاهلين وقد روى عنه صلّى الله عليه وآله قال: أحمق الحمقاء من اتبع نفسه هويها وتمنّي على الله .

(ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة والأهواء السّاهية) أى الغافلة ووصف

الأهواء بها للمبالغة كما في قولهم : شعر شاعر ، فانّ اتّباع الهوى لما كان موجباً للغفلة عن الحقّ صحّ اتّصافه به ، والمراد أنّ استحلالهم للحرام بسبب متابعتهم لهوى أنفسهم الصّاد لهم عن الحقّ والشّاغل بهم إلى الدّنيا .

روى أبوحمزة عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ: يقول الله عزّ وجلّ : وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لايؤثر عبد هواه على هواي إلاّ شتّت عليه أمره ولبّست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم اُوته منها إلاّ ما قدرت له وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلاّ استحفظته ملائكتي ، و كفّلت السّماوات و الأرضين رزقه و كنت له من وراء تجارة كلّ تاجر ، و أتته الدّنيا وهي راغمة .

و أشار إلى تفصيل ما يستحلّونه من المحرّمات بقوله (فيستحلّون الخمر بالنّبيذ) الغالب في الخمر إطلاقه على الشّراب المتّخذ من العنب ، و في النّبيذ استعماله في الشّراب المتّخذ من التّمر ، ومن ذلك نشأت شبهتهم حيث زعموا أنّ النّبيذ ليس بخمر فحكموا بحلّيته أي حلّية النّبيذ بتوهّم اختصاص الحرمة بالخمر فأوجب ذلك استحلالهم للخمر من حيث لايشعرون .

وقد ذمهم عليه السلام على ذلك تنبيهاً على فساد مازعموه وهو كذلك(١) .

اما اولا فلمنع خروج النّبيذ من موضوع الخمر ، لأنّ الخمر عبارة عن كلّ ما يخمر العقل أي يستره ويغطّيه ، فيشمل النّبيذ وغيره وإن كان استعماله في العصير العنبى اكثر .

ويدلّ عليه مارواه في الوسايل عن الكليني بسنده عن عبدالرّحمن بن الحجّاج عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ الخمر من خمسة : العصير من الكرم والنّقيع من الزّبيب والبتع من العسل ، والمرز من الشّعير ، والنبيذ من التّمر .

وعن الكليني عن عامر بن السمط عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : الخمر من خمسة أشياء : من التمر ، والزبيب ، والحنطة ، والشّعير ، والعسل .

١ـ يعني أن مازعموه فاسد .

وفيه أيضاً عن ابن الشيخ في أماليه باسناده عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيها الناس إن من العنب خمراً ، وإن من الزبيب خمراً و إن من التمر خمراً ، و إن من الشعير خمراً ، ألا أيها الناس أنهاكم عن كل مسكر .

وأما ثانياً فلمنع اختصاص حكم الحرمة بخصوص الخمر بعد تسليم عدم شموله للنبيذ حقيقة ، وذلك لتعلّق الحكم بكل مسكر كمامر في الرواية آنفا .

ومثله ما رواه في الوسايل عن الكليني عن عطاء بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كل مسكر حرام و كل مسكر خمر .

وفيه عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : إنما الخمر و الميسر الآية ، أما الخمر فكل مسكر من الشراب إذا أُخمر فهو خمر وما أسكر كثيره فقليله حرام وذلك إن أبابكر شرب قبل أن يحرم الخمر فسكر إلى أن قال فأنزل الله تحريمها بعد ذلك و إنما كانت الخمر يوم حرمت بالمدينة فضيخ البسر والتمر ، فلما نزل تحريمها خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقعد في المسجد ثم دعا بآنيتهم التي كانوا ينبذون فيها فأكفاها كلها ، وقال صلى الله عليه وآله : هذه كلّها خمر حرمها الله فكان أكثر شيء أُكفى في ذلك اليوم الفضيخ ولم أعلم أُكفى يومئذ من خمر العنب شيء إلا إناء واحد كان فيه زبيب و تمر جميعاً ، فأما عصير العنب فلم يكن منه يومئذ بالمدينة شيء ، وحرم الله الخمر قليلها و كثيرها وبيعها وشرائها والانتفاع بها ، هذا .

ويدل على حرمة النبيذ بخصوصه ما رواه في الوسايل عن الكليني باسناده عن خضر الصيرفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من شرب النبيذ على أنه حلال خلد في النار ، ومن شربه على أنه حرام عذب في النار .

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن علي عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام لو أن رجلا كحل عينيه بميل من نبيذ كان حقاً على الله عز وجل أن يكحله بميل من نار .

و فيه عن الشّيخ باسناده عن عمّار قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الرّجل يكون مسلما عارفا إلاّ أنّه يشرب المسكر هذا النّبيذ ، فقال لي : يا عمّار إن مات فلا تصلّ عليه .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناها كفاية .

(و) يستحلّون (السّحت بالهدية) السّحت الحرام وكلّ مالايحلّ كسبه ، وفي مجمع البحرين عن عليّ عليه السلام هو الرّشوة في الحكم و مهر البغي و كسب الحجام وعسب الفحل و ثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة .

و الظّاهر أنّ المراد بههنا خصوص الرّشوة كمافسّره بهاالصّادق عليه السلام فيما رواه في الوسايل عن الشّيخ باسناده عن أحمدبن محمّدعن محمّد بن سنان عن ابن مسكان عن يزيد بن فرقد قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن السّحت فقال: هو الرّشا في الحكم .

والمقصود أنّهم يأخذون الرّشوة إذا اُهديت إليهم ويستحلّونها بزعم أنّها هديّة

قال الفاضل النّراقي : الفرق بين الرّشوة و الهديّة أنّ الأولى هى المال المبذول للقاضي للتوسّل بـه إلى الحكم ابتداء أو إرشاداً ، و الثّانية هى العطيّة المطلقة أو لغرض آخر نحو التّودّد والتّقرّب إليه أو إلى الله ، والحاصل أنّ كلّ مال مبذول للشّخص للتّوسّل بـه إلى فعل صادر منه ولو مجرّد الكفّ عن شرّه لساناً أو يداً أو نحو هما فهو الرّشوة ، و لا فرق في الفعل الذي هوغاية البذل أن يكون فعلا حاضراً أو متوقّعاً كان يبذل للقاضي لأجل أنّه لو حصل له خصم يحكم للباذل و ان لم يكن له بالفعل خصم حاضر و لا خصومة حاضرة ، وكلّ مبذول لا لغرض يفعله المبذول لـه بل لمجرّد التقرّب أو التودّد إليه أوبصفة محمودة أو كمال فيه فهوهدية وإن كان الغرض من التودّد والتقرّب الاحتفاظ من شرّ شخص آخر أو التّوسل إلى فعل شخص آخر يوجبه التقرّب والتودّد إليه .

وقد يستعمل لفظ أحدهما فى معنى الآخر تجوّزاً فما كان من الأوّل فان كان الفعل المقصود الحكم فهو حرام مطلقاً سواء كان الحكم لخصومة حاضرة أو فرضيّة ، و لذا حكموا بحرمة الهديّة الغير المعهودة قبل القضاء ، لأنه

قرينة على أنّ المقصود منه الحكم ولو فرضاً وهو كذلك لصدق اسم الرّشوة عرفاً فيشمله إطلاقاتها و عليه يحمل إطلاق ما ورد من طريق العامّة و الخاصّة كما في أمالي الشيخ أنّ هدايا العمّال كما في بعضها أو هديّة الأمراء كما في بعض آخر غلول أو سحت

ويدلّ عليه أيضاً رواية أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رجلا يقال له اللّتبة على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا اهدى لى ، فقام النبيّ صلّى الله عليه وآله على المنبر فقال : ما بال العامل نبعثه على أعمالنا يقول : هذا لكم وهذا اهدى لي فهلاّ جلس في قعب بيته أو في بيت الله ينظر ليهدى أم لا ، والّذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منها شيئاً إلاّ جاء يوم القيامة يحمل على رقبته ، الحديث .

و إن كان غير الحكم فان كان أمراً محرّماً فهو أيضاً كرشوة الحكم محرّم لكونه إعانة على الاثم واتّباعا للهوى ، وان لم يكن محرّماً فلا يحرم للأصل واختصاص الأخبار المتقدّمة برشوة الحكم ، وما كان من الثاني لا يحرم .

(و) يستحلّون (الرّبا بالبيع) الرّبا لغة هو الزّيادة و شرعاً هو الزّيادة على رأس المال من أحد المتساويين جنسا ممّا يكال أو يوزن ، و المراد أنهم يأخذون الزّيادة بواسطة البيع أى يجعلون المبايعة وسيلة إلى أخذ تلك الزيادة و يزعمون حليّتها لأجل أنها معاملة بتراضي الطرفين أو أنهم يستحلّون الرّبا بقياسه على البيع كما كان عليه بناء أهل الجاهليّة على ما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله : « ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الرّبا وأحلّ الله البيع و حرّم الرّبا » .

قال الشيخ الطبرسيّ أى ذلك العقاب لهم بسبب قولهم إنّما البيع الّذي لا ربا فيه مثل البيع الّذى فيه الرّبا .

قال ابن عباس : كان الرّجل منهم إذا حلّ دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له : زدني في الأجل وأزيدك في المال ، فيتراضيان عليه ويعملان به ، فاذا قيل لهم هذا ربا قالوا : هما سواء ، يعنون بذلك أنّ الزّيادة في الثمن حال البيع والزّيادة فيه بسبب الأجل عند حلّ الدّين سواء ، فذمّهم الله به والحق الوعيد بهم وخطاهم في ذلك لقوله تعالى : « وأحلّ الله البيع وحرّم الربا

و قال الفخر الرازي : اعلم أنّ الرّبا قسمان : ربا النسيئة وربا الفضل أمّا ربا النّسيئة فهو الأمر الّذي كان متعارفا مشهوراً في الجاهليّة ، و ذلك أنّهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كلّ شهر قدراً معيّناً ويكون رأس المال باقياً ، ثمّ إذا حلّ الدّين طالبوا المديون برأس المال ، فاذا تعذر عليه الأداء زادوا في الحقّ و الأجل ، فهذا هو الرّبا الّذي كانوا في الجاهليّة يتعاملون به ، وأمّا ربا النّقد فهو أن يباع منّ من الحنطة بمنوين منها وما أشبه ذلك .

أما قوله تعالى « ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الرّبا » ففيه مسائل :

المسألة الاولى القوم كانوا في تحليل الرّبا على هذه الشّبهة ، وهي أنّ من اشترى ثوبا بعشرة ثمّ باعه بأحد عشر فهذا حلال فكذا إذا باع العشرة بأحد عشر يجب أن يكون حلالا ، لأنّه لافرق في العقل بين الأمرين فهذا في ربا النقد

و أمّا في ربا النّسيئة فكذلك أيضاً لأنّه لو باع الثوب الّذي يساوي عشرة في الحال بأحد عشر إلى شهر جاز ، فكذا إذا أعطى العشرة بأحد عشر إلى شهر وجب أن يجوز ، لأنّه لافرق في العقل بين الصّورتين ، وذلك لأنّه إنّما جاز هنا لأنّه حصل التّراضي فيه من الجانبين فكذا ههنا لمّا حصل التّراضي من الجانبين وجب أن يجوز أيضاً ، فالبياعات إنّما شرعت لدفع الحاجات ولعلّ الانسان أن يكون صفر اليد في الحال شديد الحاجة ويكون له في المستقبل من الزّمان أموال كثيرة فاذا لم يجز الرّبا لم يعطه ربّ المال شيئاً فيبقى الانسان في الشّدة والحاجة أمّا بتقدير جواز الرّبا فيعطيه ربّ المال طمعاً في الزّيادة والمديون يردّه عند وجدان المال مع الزّيادة وإعطاء تلك الزيادة عند وجدان المال أسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال، فهذا يقتضي حلّ الرّبا كما حكمنا بحلّ ساير البياعات لأجل دفع الحاجة

فهذا هو شبهة القوم والله تعالى أجاب عنه بحرف واحد و هو قوله : وأحلّ الله البيع و حرّم الرّبا .

و وجه الجواب أنّ ما ذكرتم معارضة للنّص بالقياس و هو من عمل إبليس فانّه تعالى لمّا أمره بالسّجود لآدم عليه السلام عارض النّص بالقياس فقال : أنا خير منه

خلقتني من نار وخلقته من طين ، و ذكر الفرق بين البابين فقال : من باع ثوباً يساوي العشرة بالعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا بالعشرين ؛ فلمّا حصل التّراضي على هذا التّقابل صار كلّ واحد منهما مقابلا للآخر في الماليّة عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئا بغير عوض ، أمّا إذا باع العشرة بالعشرين فقد أخذ العشرة الزّايدة من غير عوض .

ولا يمكن أن يقال إنّ عوضه هو الامهال في المدّة ، لأنّ الامهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتّى يجعله عوضا من العشرة الزّايدة ، فظهر الفرق بين الصّورتين إلى أن قال :

المسألة الثالثة في الآية سؤال ، وهو أنّه لم لم يقل إنّما الرّبا مثل البيع و ذلك لأنّ حلّ البيع متّفق عليه فهم أرادوا أن يقيسوا عليه الرّبا ، و من حقّ القياس أن يشبه محلّ الخلاف بمحلّ الوفاق ، فكان نظم الآية أن يقال إنّما الرّبا مثل البيع في الحكمة في قلب هذه القضيّة فقال إنّما البيع مثل الرّبا

و الجواب أنّه لم يكن مقصود القوم أن يتمسّكوا بنظم القياس ، بل كان غرضهم أنّ الرّبا والبيع متماثلان من جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز تخصيص أحد المثلين بالحلّ و الثّاني بالحرمة ، و على هذا التّقدير فأيّهما قدّم أو أخّر جاز ، هذا .

وقال الرازي و ذكروا في سبب تحريم الرّبا وجوهاً :

أحدها الرّبا يقتضي أخذ مال الانسان من غير عوض لأنّ من يبيع الدّرهم بالدّرهمين نقداً أو نسية فيحصل له زيادة درهم من غير عوض ، ومال الانسان متعلّق حاجته وله حرمة عظيمة .

فان قيل : لم لا يجوز أن يكون إبقاء رأس المال في يده مدّة مديدة عوضا عن الدّرهم الزّايد ، و ذلك لأنّ رأس المال لو بقى في يده هذه المدّة لكان يمكن المالك أن يتّجر فيه ويستفيد بسبب تلك التّجارة ربحا ، فلمّا تركه في يد المديون وانتفع به المديون لم يبعد أن يدفع إلى ربّ المال ذلك الدّرهم الزّايد عوضا عن انتفاعه بماله .

قلنا : إنّ هذا الانتفاع الّذي ذكرتم أمر موهوم لاينفكّ عن نوع ضرر موهوم قد يحصل وقد لا يحصل، واخذ الدراهم الزائدة أمر متيقّن فتفويت المتيقّن لأجل الأمر الموهوم لاينفكّ عن نوع ضرر

وثانيها قال بعضهم : الله تعالى إنّما حرّم الرّبا من حيث إنّه يمنع النّاس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأنّ صاحب الدّرهم إذا تمكّن بواسطة عقد الرّبا من تحصيل الدّرهم الزايد نقداً كان أو نسية خفّ عليه اكتساب وجه المعيشة ،فلا يكاد يتحمّل مشقّة الكسب والتّجارة والصّناعات الشّاقة ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ومن المعلوم أنّ مصالح العالم لاتنتظم إلاّ بالتجارات والحرف والصّناعات والعمارات

وثالثها قيل : السّبب في تحريم عقد الرّبا إنّه يفضى إلى انقطاع المعروف بين النّاس من القرض ، لأنّ الرّبا إذا حرم طابت النّفوس بقرض الدّرهم و استرجاع مثله ، ولو حلّ الرّبا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدّرهم بدرهمين ، فيفضى ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والاحسان .

أقول : وهذا الوجه الأخير هو المروىّ عن الصّادق عليه السلام قال : إنّما شدّد الله في تحريم الرّبا لئلاّ يمتنع النّاس من اصطناع المعروف قرضا ورفداً .

قال بعض العارفين : آكل الرّبا أسوء حالا من جميع مرتكبي الكبائر ، فانّ كل مكتسب له توكّل مافي كسبه قليلا كان أو كثيراً كالتّاجر والزارع والمحترف لم يعينوا أرزاقهم بعقولهم و لم يتعيّن لهم قبل الاكتساب ، فهم على غير معلوم في الحقيقة كما قال رسول الله : أبي الله أن يرزق المؤمن إلاّ من حيث لا يعلم ، و أمّا آكل الربا فقد عيّن مكسبه ورزقه وهو محجوب عن ربّه بنفسه وعن رزقه بتعيّنه لاتوكل له أصلا ، فوكّله الله إلى نفسه وعقله وأخرجه من حفظه و كلائته فاحتفظته الجنّ وخبلته فيقوم يوم القيامة ولارابطة بينه وبين الله عزّوجلّ كساير النّاس المرتبطين به بالتّوكل، فيكون كالمصروع الّذي مسّه الشّيطان فتخبّطه لايهتدى إلى مقصد، هذا .

والأخبار في عقاب الرّبا كثيرة جدّاً

منها ما في الصّافي عن الكافي عن الصّادق عليه السلام درهم ربا أشدّ من سبعين

زنية كلّها بذات محرم ، وزاد في الفقيه و التّهذيب مثل خالة و عمّة ، وزاد القمّي في بيت الله الحرام ، و قال : الرّبا سبعون جزء أيسره مثل أن ينكح الرّجل أمّه في بيت الله الحرام .

و عن الفقيه و التهذيب عن أمير المؤمنين عليه السلام لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الرّبا وآكله وبايعه ومشتريه و كاتبه وشاهديه .

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما بيّن لأمير المؤمنين عليه السلام أوصاف المفتونين فأعاد عليه السلام السؤال وقال (فقلت يارسول الله فبأيّ المنازل أنزلهم عندذلك أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة فقال بمنزلة فتنة) وذلك لبقائهم على الاقرار بالشهادتين و ان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبه غطت على أعين أبصارهم ، فلا يجرى عليهم في الظاهر أحكام الكفر وإن كانوا باطنا من أخبث الكفار .

تنبيهات : ـ الاول

قال الشارحان المعتزلي والبحراني : إنّ هذا الخبر الذي رواه أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قد رواه كثير من المحدّثين عنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله : إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين قال عليه السلام فقلت : يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد ؟ قال صلى الله عليه وآله فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلاّ الله ، و أنّي رسول الله و هم مخالفون للسنّة ، فقلت : يا رسول الله فعلىم أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال صلى الله عليه وآله : على الاحداث في الدّين و مخالفة الأمر ، فقلت : يا رسول الله إنّك كنت وعدتنى بالشهادة فاسأل الله أن يعجّلها لي بين يديك ، قال : فمن يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين أما أنّي وعدتك بالشهادة و ستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف صبرك إذا ؟ فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر ، قال : أجل أصبت فأعدّ للخصومة فانك مخاصم ، فقلت : يا رسول الله لو بيّنت لي قليلا ، فقال صلى الله عليه وآله إنّ أمّتي ستفتن

من بعدي فتتأوّل القرآن، وتعمل بالرّأي، وتستحلّ الخمر بالنبيذ، والسحت بالهديّة والرّبا بالبيع، و تحرّف الكلام عن مواضعه، وتغلب كلمة الضّلال فكن جليس بيتك حتّى تقلّدها، فاذا قلّدتها، جاشت عليك الصّدور، وقلبت لك الأُمور، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثّانية دون حالهم الأُولى، فقلت: يا رسول الله فبأيّ المنازل أُنزل هؤلاء المفتونين؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟ فقال صلّى الله عليه وآله: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل، فقلت يا رسول الله أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟ قال صلّى الله عليه وآله: بل منّا، بنا فتح الله وبنا يختم، و بنا ألّف الله بين القلوب بعد الشّرك، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

بيان

قوله صلّى الله عليه وآله: كن جليس بيتك هكذا في نسخة الشّارح المعتزلي فعيل بمعنى فاعل أي كن من يجالس بيتك، وفي نسخة البحراني حلس بيتك بالحاء المهملة وزان حبر قال في مجمع البحرين: في الخبر كونوا أحلاس بيوتكم، الحلس بالكسر كساء يوضع على ظهر البعير تحت البرذعة، و هذا هو الأصل، و المعنى الزموا بيوتكم لزوم الاحلاس و لا تخرجوا منها فتقعوا في الفتنة، و الضّمير في تقلّدها وقلّدتها على البناء للمفعول فيهما راجع إلى الخلافة، والتّقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة و تقليدهم اطاعتهم و ترك الفساد، و جاش القدر بالهمز وغيره غلا، و قلبت لك الامور أي دبّروا أنواع المكائد والحيل.

الثاني

قال الشّارح المعتزلي: في قوله عليه السلام: بل بمنزلة فتنة، تصديق لمذهبنا في أهل البغي وأنّهم لم يدخلوا في الكفر بالكلّية، بل هم فسّاق، والفاسق عندنا في منزلة بين المنزلتين خرج من الايمان ولم يدخل في الكفر، انتهى.

اقول: قد علمت تحقيق الكلام في حكم البغاة والخوارج في شرح الخطبة

الثّالثة و الثّلاثين و ظهر لك هناك أنّهم محكومون بكفرهم باطناً و إن يجرى عليهم في الظّاهر أحكام الاسلام ، ولقد ظفرت حيثما بلغ بنا الشّرح إلى هذا المقام على تحقيق أنيق للعلاّمة المجلسي قدّس سرّه العزيز في هذا المرام ، فأحببت أن أورده هنا لكونه معاضداً لما قدّمنا ، فأقول :

قال قدّس الله روحه في المجلّد الثّامن من البحار في باب حكم من حارب أمير المؤمنين عليه الصّلاة و السّلام :

تذييل

اعلم أنّه قد اختلف في أحكام البغاة في مقامين :

الاول في كفرهم ، فذهب أصحابنا إلى كفرهم قال المحقّق الطّوسي رحمة الله عليه في التجريد : محاربوا عليّ عليه السلام كفرة ، ومخالفوه فسقة .

أقول : ولعلّ مراده إنّ مخالفيه في الحرب والذين لم ينصروه فسقة كما يؤمى إليه بعض كلماته فيما بعد .

وذهب الشّافعي إلى أنّ الباغي ليس باسم ذمّ ، بل هو اسم من اجتهد فأخطأ بمنزلة من خالف الفقهاء في بعض المسائل .

و قال شارح المقاصد : و المخالفون لعليّ عليه السلام بغاة ، لخروجهم على امام الحقّ بشبهة من ترك القصاص من قتلة عثمان ، ولقوله صلى الله عليه وآله لعمّار رضي الله عنه تقتلك الفئة الباغية ، وقد قتل يوم صفّين على يد أهل الشّام ، ولقول عليّ عليه الصّلاة والسّلام : إخواننا بغوا علينا وليسوا كفّاراً ولا فسقة وظلمة ، لما لهم من التأويل و إن كان باطلا ، فغاية الأمر أنّهم أخطأوا في الاجتهاد ، وذلك لا يوجب التّفسيق فضلا عن التّكفير .

وذهبت المعتزلة إلى أنّه اسم ذمّ ويسمّونهم فسّاقاً .

والدّلائل على ما ذهب إليه أصحابنا أكثر من أن تحصى ، وقد مضت الأخبار الدّالّة عليه وسيأتي في أبواب حبّ أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليّ بن أبيطالب

عليه صلوات الله الملك الغالب وبغضه عليه الصّلاة والسّلام و أبواب مناقبه وايرادها هنا يوجب التّكرار ، فبعضها صريح في كفر مبغض أهل بيت العصمة و الطّهارة عليهم الصّلاة والسّلام ، ولا ريب في أنّ الباغي مبغض ، وبعضها يدلّ على كفر من أنكر إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه الصّلاة والسّلام ، وبعضها على أنّ الجاحد له من أهل النّار ، وبعضها يدلّ على كفر من لم يعرف امام زمانه ، وذلك ممّا اتّفقت عليه كلمة الفريقين ، و البغى لايجامع في الغالب معرفة الامام ، و لو فرض باغ على الامام لأمر دنيويّ من غير بغض و لا انكار لامامته فهو كافر أيضاً ، لعدم القائل بالفرق .

ثمّ إنّ الظّاهر (١) أنّ قوله تعالى :

« وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » .

لا يتعلّق بقتال البغاة بالمعنى المعروف ، لما عرفت من كفرهم ، وإطلاق المؤمن عليهم باعتبار ماكانوا عليه بعيد ، وظاهر الآية التّالية وهى قوله :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

بقاء المذكورين في الآية السّابقة على الايمان ، ولعلّه السّرّ في خلوّ أكثر الأخبار عن الاحتجاج بهذه الآية في هذا المقام ، فتكون الآية مسوقة لبيان حكم طائفتين من المؤمنين تعدّت و بغت احديهما على الأخرى لأمر دنيويّ أو غيرها ممّا لا

---

(١) فيه تأمل يظهر وجهه مما نورد ها من الاخبار فى تفسير الآية فى شرح الفصل الثامن من الخطبة القاصعة وهى المأة والحادية والتسعون من المختار فى باب الخطب، منه

يؤدّى إلى الكفر .

الثاني فيما اغتنمه المسلمون من أموال البغاة فذهب بعض الأصحاب إلى أنّه لايقسم أموالهم مطلقاً ، وذهب بعضهم إلى قسمة ما حواه العسكر دون غيره من أموالهم وتمسّك الفريقان بسيرته عليه السلام في أهل البصرة .

قال الأوّلون : لوجاز الاغتنام لم يردّ عليه السلام عليهم أموالهم وقد روى أنّه عليه السلام نادى من وجد ماله فله أخذه فكان الرّجل منهم يمرّ بمسلم يطبخ في قدر فيسأله أن يصبر حتّى ينضج فلا يصبر فيكفاها و يأخذها ، و أنّه عليه السلام كان يعطى من القوم من له بيّنة ومن لم يكن له بيّنة فيحلفه ويعطيه .

وقال الآخرون لولا جوازه لما قسم عليه السلام أموالهم أوّلا بين المقاتلة وقد كان ردّها عليهم بعد ذلك على سبيل المنّ لا الاستحقاق كما منّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله على كثير من المشركين ، و قد رووا عنه عليه السلام أنّه قال : مننت على أهل البصرة كما منّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله على أهل مكّة ، ولذا ذهب بعض أصحابنا على جواز استرقاقهم كما جاز للرّسول صلّى الله عليه وآله في أهل مكّة ، والمشهور عدمه .

والّذي نفهم من الأخبار أنّهم واقعاً في حكم المشركين وغنايمهم وسبيهم في حكم غنايم المشركين وسبيهم ، والقائم عليه السلام يجرى عليهم تلك الأحكام ، ولمّا علم أمير المؤمنين عليه السلام استيلاء المخالفين على شيعته لم يجرهذه الأحكام عليهم لئلاّ يجروها على شيعته ، و كذا الحكم بطهارتهم و جواز مناكحتهم و حلّ ذبيحتهم لاضطرار معاشرة الشّيعة معهم في دولة المخالفين .

و يدلّ عليه ما رواه الكلينيّ باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لسيرة عليّ يوم البصرة كانت خيراً للشّيعة ممّا طلعت عليه الشّمس لأنّه علم أنّ للقوم دولة فلوسباهم لسبيت شيعته، قلت فأخبرني عن القائم أيسير بسيرته عليه السلام ؟ قال : لا إنّ عليّاً سارفيهم بالمنّ ، للعلم من دولتهم ، وإنّ القائم عليه السلام يسير فيهم بخلاف تلك السّيرة ، لأنّه لا دولة لهم .

و أمّا ما لم يحوها العسكر من أموالهم فنقلوا الاجماع على عدم جواز

تملكها ، و كذلك ما حواه العسكر إذا رجعوا إلى طاعة الامام عليه السلام وإنّما الخلاف فيما حواه العسكر مع إصرارهم ، وأما مدبرهم وجريحهم وأسيرهم فذوالفئة منهم يتبع و يجهز عليه و يقتل ، بخلاف غيره ، وقد مضت الأخبار في ذلك و ستأتي في باب سيرته عليه السلام في حروبه .

تكملة

قال الشيخ قدّس الله روحه في تلخيص الشافي عندنا أنّ من حارب أمير المؤمنين وضرب وجهه ووجه أصحابه بالسيف كافر ، والدّليل المعتمد في ذلك إجماع الفرقة المحقّة الاماميّة على ذلك ، فانّهم لايختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال وتدلّلنا على أنّ إجماعهم حجّة فيما تقدّم ، وأيضاً فنحن نعلم أنّ من حاربه عليه السلام كان منكراً لامامته ودافعاً لها ، ودفع الامامة كفر كما أنّ دفع النبوّة كفر ، لأنّ الجهل بهما على حدّ واحد .

وقد روى عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : من مات وهو لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، وميتة الجاهليّة لاتكون إلاّ على كفر .

وأيضاً روى عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : حربك يا عليّ حربي وسلمك ياعليّ سلمي ، ومعلوم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما أراد أحكام حربك تماثل أحكام حربي ، ولم يرد أنّ إحدى الحربين هي الأخرى ، لأنّ المعلوم ضرورة خلاف ذلك وان كان حرب النّبي كفراً أوجب مثل ذلك في حرب أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه جعله مثل حربه .

ويدلّ على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله : اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، ونحن نعلم أنّه لايجب عداوة أحد بالاطلاق إلاّ عداوة الكفّار .

و أيضاً فنحن نعلم أنّ من كان يقاتله يستحلّ دمه ويتقرّب إلى الله بذلك ، واستحلال دم مؤمن مسلم كفر بالاجماع ، وهو أعظم من استحلال جرعة من الخمر الّذي هو كفر بالاتّفاق .

فان قيل : لو كانوا كفّاراً لوجب أن يسير فيهم بسيرة الكفّار ، فيتبع مولّيهم و يجهز على جريحهم ، و يسبى ذراريهم ، فلمّا لم يفعل ذلك دلّ على أنّهم لم

يكونوا كفّاراً .

قلنا : لايجب بالتّساوي في الكفر التّساوى في جميع أحكامه ، لأنّ أحكام الكفر مختلفة ، فحكم الحربي خلاف حكم الذّمي ، و حكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له من عباد الأصنام ، فانّ أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزيـة ويقرّون على أديانهم ، ولا يفعل ذلك بعبّاد الأصنام ، وعند من خالفنا من الفقهاء يجوز التّزوّج بأهل الذّمة وإن لم يجز ذلك في غيرهم ،وحكم المرتدّ بخلاف حكم الجميع ، و إذا كان أحكام الكفر مختلفة مع الاتّفاق في كونـه كفراً لايمتنع أن يكون من حاربه كافراً وإن سار فيهم بخلاف أحكام الكفّار .

وأمّا المعتزلة و كثير من المنصفين من غيرهم فيقولون بفسق من حاربـه ونكث بيعته ومرق عن طاعته ، وإنّما يدعون أنّهم تابوا بعد ذلك ، ويرجعون في اثبات توبتهم إلى أمور غير مقطوع بها و لا معلومة من أخبار الآحاد ، و المعصية معلومة مقطوع عليها ، وليس يجوز الرّجوع عن المعلوم إلاّ بمعلوم مثله .

الترجمة

فصل ثاني از كلام آن امام انام است مى‌فرمايد :

راه ايمان راهى است روشن‌تر ازهمهٔ راهها ، و نورانى تر از جميع چراغها ، پس با ايمان استدلال كرده مى‌شود بأعمال صالحه ، وباأعمال‌صالحه استدلال كرده ميشود بايمان ، وباايمان آباد شده ميشود علم ، وباعلم ترس‌حاصل مى‌شود ازمرگ وبامرگ ختم مى‌شوددنيا،وبادنيامحكم‌مى‌شود كار آخرت ، و با قيامت نزديك شده ميشود بهشت عنبرسرشت ازبراى متّقين ، واظهارميشود دوزخ ازبراى معصيتكاران و بدرستى كه مخلوقان هيچ مكان نگاهدارنده نيست ايشان را از ورود قيامت در حالتى كه سرعت كننده‌اند درميدان آن بسوى غايت نهايت كه عبارتست از سعادت و شقاوت .

بعض ديگر از اين كلام دربيان حال أهل قبور است مى‌فرمايد :

بتحقيق که کوچ کردند ایشان از قرارگاه قبرها ، و منتقل شدند بمحل انتقال غايتها که‌عبارتست‌ازبهشت وجهنّم ، وازبرای هرخانه از این‌دوخانه أهلیست که طلب نمیکنند عوض نمودن آن را بخانهٔ دیگر ، ونقل کرده نمیشوند از آن خانه بسوی غیر آن ، و بدرستی که أمر بمعروف و نهی از منکر دوخلق پسندیده هستند ازاخلاق خدا ، وبدرستی که این دوخلق نزدیك نمی گردانند ازمرگ و کم نمی کنند از روزی ، ولازم نمائید بخودتان عمل کردن کتاب خدا را ، پس بدرستی که اوست ریسمان محکم ، ونور آشکار وشفا دهندهٔ با منفعت ، و سیراب کنندهٔ که رفع عطش می‌نماید ، ونگاه دارندهٔ ازبرای کسی که تمسّك بآن نماید ، ونجاة دهندهٔ هر کسی که تعلّق بآن داشته باشد ، کج نمیشود تا راست کرده شود ، وعدول نمی کند ازحق تاطلب کرده شود بازگشت آن بسوی حق ، و کهنه نمیکند آن را کثرت ورد آن بزبانها ودخول آن بگوشها ، هر کس قایل شد بآن کتاب صادق‌شد ، وهر کس عمل نمود بآن سبقت کرد بدرجات جنان وروضهٔ رضوان .

وبرخواست‌بسوی آن حضرت در أثنای این کلام مردی ، پس عرض نمود أی أمیرمؤمنان خبرده ما را ازفتنه وبلیّه و آیا پرسیدی آنرا از حضرت رسول‌صلّی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلّم ؟ پس فرمود :

زمانی که نازل نمود حق سبحانه وتعالی آیهٔ

«الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ».

یعنی منم‌خدای لطیف مجیدآیا گمان کردند مردمان که ایشان ترك کرده میشوند بحال خودشان بمحض اینکه میگویند ایمان آوردیم‌ما وحال آنکه ایشان امتحان کرده نشوند ، آن حضرت فرمود زمانی که نازل شد این آیه دانستم من که فتنه نازل نمی‌شود بما وحال آنکه حضرت رسالتمآب صلّی‌الله‌علیه‌وآله در میان‌ماست ، پس گفتم یا رسول الله چیست این فتنه وامتحان که خبرداده تورا خداوند متعال بآن ؟ پس فرمود آن‌حضرت که: أی‌عليّ بدرستی که‌امّت‌من‌زود باشد که بفتنه افتند بعدازمن

پس گفتم أی رسول خدا آیا نبود که گفتی مرا در روز جنگ احد هنگامی که بدرجهٔ شهادت رسیدند کسانی که شهید شدند از مسلمانان ومنع شد از من شهادت پس دشوار آمد این شهیدنشدن بمن ، پس فرمودی تو بمن که : شاد باش که شهادت ازپس تو است ، پس فرمود حضرت رسول بمن که : یا عليّ کار بهمین قرار است یعنی البتّه شهید خواهی شد پس چگونه است صبر تو آن هنگام ؟ عرض کردم : یا رسول الله نیست این مقام از مقامهای صبر و شکیبائی ولکن از مواضع بشارت وشکر است ، پس فرمود آن حضرت : أی عليّ بدرستی این قوم زود باشد که مفتون باشند بعداز من بمالهای خودشان و منّت گذاری کنند بدین خود بپروردگار خودشان ، و آرزو نمایند رحمت او را و ایمن شوند از سخط او ، و حلال شمارند حرام اورا با شبهه‌های دروغ وباخواهشات غفلت کننده، پس حلال شمارند شراب را به نبیذ ، و رشوت را باسم هدیه ، وربا را بسبب مبایعه ، پس گفتم : یا رسول الله بکدام منزلها نازل کنم ایشان را در آن حال آیا بمنزلهٔ فتنه یا بمنزلهٔ مرتد شدن ؟ پس فرمود که بمنزله فتنه از جهت اینکه ظاهراً اقرار بشهادتین دارند اگرچه باطناً کافرند .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأةو السادسة والخمسون من المختار في باب الخطب

أَلْحَمْدُ لله ٱلّذي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَليلاً عَلىٰ آلاٰءِهِ وَعَظَمَتِهِ ، عِبادَالله إِنَّ الدَّهْرَ يَجْري بِالْباقينَ كَجَرْيِهِ بِالْماضينَ ، لا يَعُودُ ما قَدْ وَلّىٰ مِنْهُ ، وَلا يَبْقىٰ سَرْمَداً مافيهِ ، آخِرُ فِعالِهِ كَأَوَّلِهِ ، مُتَشابِهَةٌ أُمُورُهُ ، مُتَظاهِرَةٌ أَعْلاٰمُهُ ، فَكَأَنَّكُمْ

بالسّاعةِ تحدُوكُمْ حدوَ الزاجرِ بشوْلِه ، فمَنْ شغَلَ نفْسَهُ بغيْرِ نفسه تحير في الظُّلُماتِ ، وارْتبَكَ في الهلكاتِ ، ومدّتْ به شياطينُهُ في طُغيانه ، وزيّنت لَهُ سيّئ أعمالِه ، فالجنّةُ غايةُ السّابقينَ ، والنّارُ غايةُ المُفرطينَ ، اعلَمُوا عِبادَاللهِ أنّ التّقوى دارُ حِصْنٍ عزيزٍ ، والفُجُورَ دارُ حِصْنٍ ذَليلٍ ، لا يَمنَعُ أهلَهُ ، ولا يُحرِزُ مَنْ لجأَ إليهِ ، ألا وبالتّقوى تُقطَعُ حُمَةُ الخطايا ، وباليقينِ تُدْرَكُ الغايةُ القُصْوى ، عِبادَاللهِ اللهَ اللهَ في أعزّ الأنفسِ عليكُمْ ، وأحبِّها إليكُمْ ، فإنّ اللهَ قدْ أوْضحَ لكُمْ سبيلَ الحقّ ، وأنارَ طُرُقَهُ ، فشقْوةٌ لازمةٌ ، أوْ سعادةٌ دائمةٌ ، فتزوّدُوا في أيّامِ الفناءِ لأيّامِ البقاءِ ، قدْ دُللتمْ على الزّادِ ، وأُمرْتُمْ بالظّعْنِ ، وحُثثتمْ على المسيرِ ، فإنّما أنتمْ كرَكْبٍ وُقوفٍ لا تدرُونَ متى تُؤمَرُونَ بالسّيْرِ ، ألا فما يصْنَعُ بالدّنيا مَنْ خُلِقَ للآخرةِ ، وما يصْنَعُ بالمالِ مَنْ عمّا قليلٍ يُسلَبُهُ ، ويَبْقى عليهِ تبعَتُهُ وحِسابُهُ ، عِبادَاللهِ إنّهُ ليسَ لما وعَدَ اللهُ مِنَ الخيرِ مَترَكٌ ولا فيما نَهى عنْهُ مِنَ الشّرّ مرغَبٌ ، عِبادَاللهِ احذَرُوا يوْماً تُفحَصُ فيهِ الأعمالُ ، ويَكثُرُ فيهِ الزّلزالُ ، وتَشيبُ فيهِ الأطفالُ ، إعلمُوا عِبادَاللهِ أنّ عليكُمْ رَصَداً مِنْ أنفُسِكُمْ ، وعُيُوناً مِنْ جَوارِحِكُمْ ، وحُفّاظَ صِدْقٍ يحفَظُونَ أعمالَكُمْ ، وعَدَدَ أنفاسِكُمْ ، لا

تَسْتُرُكُمْ مِنهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ داجٍ ، ولا يُكِنُّكُمْ مِنهُمْ بابٌ ذُو رِتاجٍ ، وَإِنَّ غداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ ، يَذْهَبُ الْيَوْمُ بما فيه ، و يَجيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِءٍ مِنكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِه ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِه ، فَيالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ ، وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضاءِ ، قَدْ زاحَتْ عَنكُمُ الأَباطِيلُ ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقايِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الأُمُورُ مَصادِرَها ، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ .

اللغة

(زجر) البعيرمن باب نصر ساقه و (شول) جمع شائلة على غير قياس وهى من الابل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها وجمع الجمع أشوال ، و أمّا الشّائل بغير هاء فهى النّاقة تشول و ترفع ذنبها للقاح و الجمع شوّل مثل راكع وركّع و (الحمة) بضمّ الحاء وفتح الميم ابرة العقرب وهى محلّ سمّها ، وربّما يطلق على نفس السمّ ، ويروى حمّة بالتّشديد من حمة الحرّ وهو معظمه و (رتج) الباب أغلقه كارتجه و (مخطّ حفرته) في بعض النّسخ بالخاء المعجمة لأنّ القبر يخطّ أوّلا ثم يحفر، وفي بعضها بالحاء المهملة من حطّ القوم إذا نزلوا .

الاعراب

قوله : الله الله في أعزّ الأنفس ، منصوبان على التّحذير ، و حذف العامل وجوباً اي احذروا الله أو اتّقوا الله قال نجم الأئمة : وحكمة اختصاص وجوب الحذف

بالمحذر منه المكرّر كون تكريره دالاً على مقارنة المحذر منه للمحذر بحيث يضيق الوقت إلاّ عن ذكر المحذر منه على أبلغ ما يمكن ، وذلك بتكريره و لا يتّسع لذكر العامل مع هذا المكرّر ، وإذا لم يكرّر الاسم جاز إظهار العامل اتّفاقاً

و قوله : فشقوة لازمة أو سعادة دائمة ، مرفوعان على الخبريّة أى فعاقبتكم شقوة أوسعادة ، أومبتدءان محذوفا الخبر ، ولايضرّ نكارتهما لكونهما نكرة موصوفة والتّقدير فشقوة لازمة لمن نكب عنها أو سعادة دائمة لمن سلكها ، أى سلك هذه الطرق ، ويجوز أن يكونا فاعلين لفعل محذوف .

وقوله : فمايصنع، استفهام انكارى على سبيل التّقريع و التّوبيخ ، و عن في قوله . عمّا قليل ، بمعنى بعد ، و الضّمير في قوله : انّه ليس آه للشّأن ، و إضافة المخطّ إلى حفرته من باب الاضافة في سعيد كرز إذ المراد بهما القبر ، و قوله : فياله من بيت وحدة ، النّداء للتّفخيم والتّهويل ، واللاّم للاستغاثة ، والضّمير في له، راجع إلى مخطّ حفرته ، ومن بيت وحدة تميز .

قال الرّضيّ : وقد يكون الاسم في نفسه تامّاً لالشيء آخر أعنى لايجوز اضافته فينصب عنه التميز و ذلك في شيئين : أحدهما الضّمير و هو الأكثر وذلك فيما فيه معنى المبالغة والتّفخيم كمواضع التّعجب نحو يا له رجلا ويالها قصّة ويالك ليلا ويالها خطّة « إلى أن قال » فان كان الضّمير فيها (١) لايعرف المقصود منه فالتّميز عن المفرد كقول امرء القيس :

فيالك من ليل كأنّ نجومه بكلّ مغار القتل شدّت بيذبل

و إن عرف المقصود من الضّمير برجوعه إلى سابق معيّن كقولك : جائني زيد فياله رجلا و ويله فارساً و ياويحه رجلا و لقيت زيداً فللّه درّه رجلا ، أو بالخطاب لشخص معيّن نحو قلت لزيد يا لك من شجاع و لله درّك من رجل و نحو ذلك ، فليس التميز عن المفرد ، لأنّه لا إبهام إذاً في الضّمير بل عن النّسبة الحاصلة بالاضافة ، كما يكون كذلك إذا كان المضاف إليه فيها ظاهراً ، نحو يا لزيد رجلا

١- اى في تلك الأمثلة .

ولله در زيد رجلا إلى آخر ما ذكره .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة قد خطب بها للنّصح والموعظة وتنبيه المخاطبين من نوم الغفلة و الجهالة ، و افتتحها بما هو حقيق أن يفتتح به كلّ كلام ذي بال أعني حمد الله سبحانه والثناء عليه تعالى بجملة من نعوت كماله فقال (الحمد لله الّذي جعل الحمد مفتاحا لذكره) قال الشّارح المعتزلي : لأنّ أوّل الكتاب العزيز الحمد لله ربّ العالمين ، والقرآن هو الذكر قال سبحانه:

«إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ».

أقول: هذا إنّما يتمّ لو كان سورة الفاتحة أوّل ما نزل من القرآن أو يكون هذا الجمع و الترتيب ووقوع الفاتحة في البداء بجعل من الله سبحانه .

أمّا الثّاني فباطل قطعاً إذ نظم السّور و تأليفها و ترتيبها على ما هي عليه الآن إنّما كان في زمن عثمان و من فعله حسبما عرفته في تذييلات شرح الفصل السّابع عشر من الخطبة الاُولى .

وأمّا الأوّل فهو أيضاً غير معلوم بعد ، بل المشهور بين المفسّرين أنّ أوّل سورة نزلت بمكّة هو سورة اقرء باسم ربك ، و قد رواه في مجمع البيان في تفسير سورة هل أتى عن ابن عباس و غيره ، نعم قد روى هناك عن سعيد بن المسيّب عن عليّ عليه السلام أنّ اوّل ما نزل بمكّة فاتحة الكتاب ثمّ اقرء باسم ربّك .

فالأولى أن يقال إنّ المراد أنه سبحانه جعل الحمد مفتاحاً لذكره في عدّة سور ، واطلاق الذكر على السورة لاغبار عليه كما أنّ القرآن يطلق على المجموع وعلى البعض من سورة وآية ونحوها (وسببا للمزيد من فضله) بمقتضى وعده الصادق في كتابه العزيز أعني قوله : لإن شكرتم لأزيدنّكم .

(ودليلا على آلائه وعظمته) أمّا كونه دليلا على آلائه فيحتمل معنيين .

أحدهما أنـه دليل للحامد على آلائه سبحانه أى على الفوز بها إذ الحمد والشّكر سببان للوصول إلى النّعم موجبان لزيادتها حسبما عرفت آنفاً ، و أنّها منه دون غيره ، فمن حمد له تعالى فقد اهتدى بحمده إلى نيل نعمه .

وثانيهماأنّ الحمد لله تعالى دليل على أنّه صاحب الآلاء والنّعم إذ الحمد لا يليق إلاّ بوليّ النّعمة ، ولعلّ الثاني أظهر .

وأمّا كونه دليلا على عظمته فلدلالته على عدم تناهي قدرته وعدم نفاد ملكه وخزائنه إذكلّما ازدادالحمد ازدادتالنّعمة لايزيده كثرة العطاء إلاّ كرماً وجوداً فسبحان من لاتفنى خزائنه المسائل ، ولا تبدل حكمته الوسائل ·

ولمّا فرغ من حمدالله سبحانه شرع في التّذكير والموعظة فقال (عباد الله إنّ الدّهر يجري بالباقين كجريه بالماضين)يعني أنّ جريانه بالأخلاف كجريانه بالأسلاف قال الشّاعر :

فما الدّهر إلاّ كالزمان الّذي مضى ولا نحن إلاّ كالقرون الأوائل

و هو من تشبيه المعقول بالمعقول ، إذ الجرى أمر عقلانيّ غير مدرك باحدى الحواس الخمس ، ومن باب التّشبيه المفصل للتّصريح بوجه الشّبه و كونه مذكوراً في الكلام وهوقوله (لايعود ما قد ولّي منه ولا يبقى سرمداً ما فيه) يعني أنّ ما ولّي منه و أدبر فقد فات و مضى لاعود له أبداً ، و ما هو موجود فيه فهو في معرض الزّوال والفناء ليس له ثبات ولا بقاء ، إذ وجود الزّماني إنّما هوبوجود زمانـه ، فيكون منقضياً بانقضائه ، وفي هذا المعنى قال الشّاعر :

ما أحسن الأيّام إلاّ أنّها يا صاحبيّ إذا مضت لم ترجع

(آخر فعاله كأوّله) وعن بعض النّسخ كأوّلها فالضّمير راجع إلى فعاله ، وعلى ما في المتن فالضّمير راجع إلى الدّهر فيحتاج إلى تقدير مضاف كأوّل فعالـه ، والمراد واحد وانّ هو أجزاء الزّمان أوّلا و آخراً سابقا ولاحقاً على وتيرة واحدة ونسق واحدأى (متشابهة اموره) فانّه كماكان أوّلا يعدّ قوماً للفقر وآخرين للغنى وطائفة للصحّة و اُخرى للمرض ، وفرقة للضّعة واُخرى للرّفعة ، و جمعاً للموجود

و آخر للعدم ، وهكذا كذلك هو آخراً ، وبالجملة فانّ حديثه يخبر عن قديمه ، وجديده ينبيء عن عتيقه قال الشّارح المعتزلي : وروى متسابقة اُموره ، أى شيء منها قبل كلّ شيء كأنّها خيل تتسابق في مضمار (متظاهرة أعلامه) أى دلالاته على سجيّته و شيمته و أفعاله الّتي يعامل بها النّاس قديماً وحديثاً تظاهر بعضها بعضاً وتعاضده هذا .

و نسبة هذه الاُمور إلى الدّهر و إن كان الفاعل في الحقيقة هو الرّب تعالى باعتبار كونه من الأسباب المعدّة لحصول ما يحصل في عالم الكون و الفساد من الخير والشرّ والسّعة والضّيق حسبما عرفت في شرح الخطبة الثّانية والثلاثين .

و قوله (فكأنّكم بالساعة تحدوكم حد و الزّاجر بشوله) قد مرّ تحقيق الكلام في شرح نظير هذا الكلام لـه عليه السلام في شرح الخطبة الحادية و العشرين واستظهرنا هناك أنّ المراد بالسّاعة ساعات اللّيل والنّهار ، لأنّها تسوق النّار إلى الدّار الآخرة ويسعى النّاس بها إليها ، ويجوز أن يراد بها هنا القيامة وإن لم نجوّزه فيما تقدّم لاباء لفظة ورائكم هناك عنه ، و لعلّ إرادة هذه هنا أظهر بملاحظة لفظة فكأنّكم فتأمّل .

و تسميتها بالسّاعة باعتبار أنّ النّاس يسعى إليها ، فيكون المقصود بـه الاشارة إلى قرب القيامة و كونها حادية للمخاطبين باعتبار أنّها لابدّ للنّاس من الحشر اليها والاجتماع فيها للسّؤال والجواب والحساب والكتاب والثواب والعقاب لا مناص لهم عن وقوفها فكأنّها تسوقهم إليها ليجتمعوا فيها و ينظر إلى أعمالهم و إنّما شبّه حدوهم بحدو الزّاجر بشوله لأنّ سائق الشّول إنّما يسوقها بعنف وسرعة لخلوّها من الضّرع واللّبن بخلاف سائق العشار فانّه يرفق بها ولا يزجرها كما هو ظاهر .

و لمّا نبّه على قرب السّاعة و أنّها تحد والمخاطبين أردفه بالتّنبيه على وجوب الاشتغال بالنّفس أى بصرف الهمّة إلى محاسبتها و إصلاحها و تزكيتها و ترغيبها إلى ما اُريد منها (فـ)ـانّ (من شغل نفسه بغير نفسه) لا يتحصّل له نور

يهتدي به في ظلمات طريق الآخرة بل إنّما يحصل على أغطية من الهيئات البدنيّة و أغشية متحصّلة من الاشتغال بزخارف الدّنيا حاجبة له عن نور البصيرة فلأجل ذلك يكون قد (تحيّر في الظّلمات) وتاه فيها (وارتبك) أى اختلط (في الهلكات) لايكاد يتخلّص منها (و مدّت به شياطينه في طغيانه وزينت له سيّء أعماله) كما قال عزّ من قائل:

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذاهُمْ مُبْصِرُونَ وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يَقْصِرُونَ ».

يعني أنّ الّذين اتّقوا الله باجتناب معاصيه إذا طاف عليهم الشّيطان بوساوسه تذكّروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبوه و يتركونه فاذاهم مبصرون للرّشد ، و إخوان المشركين من شياطين الجنّ والانس يمدّونهم في الضّلال والمعاصى ويزيدونهم فيه ويزينون ماهم فيه ثم لايقصرون لايكفّون الشّياطين عن استغوائهم ولايرحمونهم وقيل : معناه وإخوان الشّياطين من الكفّار يمدّهم الشّياطين في الغيّ ثم لايقصرون هؤلاء مع ذلك كما يقصر الّذين اتّقوا ، هكذا في مجمع البيان .

ثمّ ذكر غاية وجود الانسان و قال : (فالجنّة غاية السّابقين و النّار غاية المفرطين) و كفى بالجنّة نعمة لمن طلب ، و كفى بالنّار نقمة لمن هرب ، وتخصيص الجنّة بالسّابقين و النّار بالمفرطين تنبيها على فضيلة السّبق و رذيلة التّفريط بتقوى الباعث على طلب أشرف الغايتين والهرب من أخسّهما .

و لمّا كان السّبق إلى الجنّة و النّجاة من النّار لا يحصل إلاّ بالتّقوى و بالكفّ عن الفجور أردفه بذكر ثمرات هذين الوصفين وشرح ما يترتّب عليهما من الفضايل والرّذائل فقال : (اعلموا عباد الله أنّ التّقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل) قال الشّارح المعتزلي : أى دار حصانة ، فاُقيم الاسم مقام المصدر هذا

و نسبة العزّة و الذلّة إلى الدّار من التّوسّع باعتبار عزّة من تحصّن بالأوّل وذلّة من تحصّن بالآخر

أمّا الأوّل فلأنّ التقوى تحرز من اتّقى في الدّنيا من الرّذايل المنقصة والقبايح الموقعة له في الهلكات و المخازى ، وفي الآخرة من النار و غضب الجبّار كالحصن الحصين الذي يحرز متحصّنه من المضارّ والمكاره .

و أما الثاني فلأنّ الفجور يوقع الفاجر في الدّنيا في المعاطب و المهالك ولاينجيه في الآخرة من العذاب الأليم والسخط العظيم ، فهو بمنزلة دارغير وثيق البنيان منهدم الحيطان والجدران (لايمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه) ومن تحصّن بدار كذلك ليكونن ذليلا مهانا لامحالة .

(ألاوبالتّقوى تقطع حمة الخطايا) التشبيه المضمر في النفس للخطايا بالعقارب أوبذوات السموم من الحيوان استعارة بالكناية وذكر الحمة تخييل والقطع ترشيح و المراد أنّ بالتقوى يتدارك و ينجبر سريان سمّ الخطايا و الآثام في النفوس الموجب لهلاكها الأبد كما يقطع سريان سموم العقارب و الأفاعي في الأبدان بالبادزهر والترياق و يمنع من نفوذها في أعماق البدن بقطع العضو الملدوغ من موضع اللّدغ ، وعلى رواية حمة بالتشديد فالمقصود أنّ بها تدفع شدّتها وترفع .

ولمّا نبّه على كون التقوى حاسمة لمادّة الخطايا ، وكان بذلك إصلاح القوّة العمليّة نبّه على ما به يحصل إصلاح القوّة النّظرية أعني اليقين فقال : (وباليقين تدرك الغاية القصوى) وإدراكها به لأنّ الانسان إذا كملت قوّته النّظريّة باليقين وقوّته العمليّة بالتّقوى ، بلغ الغاية القصوى من الكمال الانساني البتّة .

ثمّ عاد عليه السلام إلى تحذير العباد تأكيداً للمراد فقال : (عباد الله الله) أى راقبوه سبحانه و اتّقوه تعالى (في أعزّ الأنفس عليكم و أحبّها إليكم) الظّاهر أنّ المراد بأعزّ الأنفس عليهمَ نفسهم ، إذ كلّ أحد يحبّ نفسه بالذّات و لغيره بالعرض والتّبع ، ولذلك قال سبحانه :

« يا أيُّهَا الّذينَ آمَنُوا قُوا أنْفُسَكُمْ وَأهلِيكُمْ ناراً وَ قُودُهَا النّاسُ

وَالْحِجارَةُ ».

قدّم الأمر بوقاية النّفس على الأهل لكونها أولى بها من الغير هذا .

وقال الشّارح البحراني : وفي الكلام إشارة إلى أنّ للانسان نفوساً متعدّدة و هى باعتبار مطمئنة و أمّارة بالسّوء و لوّامة و باعتبار عاقلة وشهويّة وغضبيّة ، و الاشارة إلى الثّلاث الأخيرة و أعزّها النّفس العاقلة إذ هى الباقية بعد الموت وعليها العقاب و فيها العصبيّة .

أقول : كون كلامه عليه السلام إشارة إلى ما ذكره بعيد غايته

(فانّ الله قد أوضح لكم سبيل الحقّ و أنار طرقه) و يروى فأبان طرقه ، فالعطف للتّفسير يعني أنّه سبحانه أتمّ الحجّة عليكم ، و أزال العذر عنه بمابعثه من الأنبياء والرّسل وأنزله من الزّبر والكتب ، وأبلج لكم نهج الحقّ على لسانهم (ف)لم يبق بعد ذلك إلاّ (شقوة لازمة) لمن نكب عنه (أوسعادة دائمة) لمن سلكه كما قال عزّ من قائل

« إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَ إِمّا كَفُوراً » .

ثمّ عاد على الحثّ على أخذ الزّاد ليوم المعاد وقال : (فتزوّدوا في أيّام الفناء لأيّام البقاء قد دللتم على الزّاد) أى دلّكم الله سبحانه عليه بقوله :

« وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوىٰ » .

(وأمرتم بالظّعن) والرحيل (وحثثتم على المسير) يحتمل أن يكون الظّعن والمسير كنايتين عن ترك الدّنيا والرّغبة في الآخرة و السّير إليها بالقلوب و النّفوس ، فيكون المراد بالأمر و الحثّ ما ورد في الكتاب والسّنة من الآيات و الأخبار المنفّرة من الأولى والمرغبة في الأخرى ، ويجوز أن يراد بهما معناهما الحقيقي أعني السّير و الرّحلة إلى الآخرة بالأبدان فيكون الأمر والحثّ كناية عمّا أو جدالله من الأسباب المعدّة لفساد المزاج المقربة إلى الموت ، وعن اللّيل والنّهار الحاديين

للانسان بتعاقبها إلى وطنه الأصلي على ما مرّ تحقيقاً و تفصيلاً في شرح الخطبة الثّالثة والسّتين .

(فانّما أنتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالسّير) لمّا أمرهم بالتّزوّد في الدّنيا علّله بذلك تنبيهاً على وجوب المبادرة إلى أخذ الزّاد لأنّ المسافر إذا كان زمام أمره بيد غيره و لا يعلم متى يسار به لزم عليه أن يبادر إلى زاده كيلا يفجاه السّفر ويسير بغير زاد فيعطب .

قال الشّارح البحراني : قوله : فانّما أنتم كركب إلى آخره فوجه التّشبيه ظاهر ، فالانسان هو النّفس ، والمطايا هى الأبدان و القوى النّفسانيّة و الطريق هى العالم الحسّي والعقلي ، والسّير الّذي ذكر ما قبل الموت هوتصرّف النّفس في العالمين لتحصيل الكمالات المعدّة و هى الزّاد لغاية السّعادة الباقية ، و أمّا السّير الثّاني الّذي هم وقوف ينتظرون و لا يدرون متى يؤمرون به فهوالرّحيل إلى الآخرة من دار الدّنيا و طرح البدن وقطع عقبات الموت والقبر إذ الانسان لا يعرف وقت ذلك .

(ألا فما يصنع بالدّنيا من خلق للآخرة) الاستفهام في معرض التّنفير عن الدّنيا و التّوبيخ لطالبيها إذ الانسان لمّا كان مخلوقاً للآخرة فمقتضى العقل أن يصرف همّته إليها لا إلى الدّنيا الزّائلة عنه عن قليل (وما يصنع بالمال عمّاقليل يسلبه) وهو في معرض التّنفير عن المال بالتّنبيه على أنّه مسلوب عنه بعد زمان قليل فيزول سريعاً لذّته (و يبقى عليه تبعته) أى اثمه (وحسابه) و ما كان هذا وصفه فحرىّ بأن يرفض ويترك لا أن يقتنى ويجمع .

ثمّ رغّب في الخير بقوله (عبادالله أنّه ليس لما وعدالله من الخير مترك) أى ليس للخيرات والمثوبات الّتي وعدهاالله سبحانه في كتابه وعلى لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله محلّ لأن تترك رغبة عنها إلى غيرها إذ كلّ خيردونها زهيد ، و كلّ نفع عندها قليل كما قال عزّ من قائل:

«أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَالْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً»

و في سورة آل عمران:

«زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّسآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعامِ وَالْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ ءَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ». هذا

و مقصوده عليه السلام بذلك الكلام التّرغيب في الطّاعات المحصّلة للخيرات الأُخرويّة والتّحضيض عليها وعلى القيام بوظائفها.

ثمّ نفّر عن الشّر بقوله (ولا فيما نهي عنه من الشّر مرغب) أي ليس في المحرّمات والمعاصي الّتي نهى الله سبحانه عنها محلّ لأن يرغب فيها مع وجود نهيه و كونها مبغوضة عنده محصّلة للآثام والعقوبات الدّائمة (عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال) أي تكشف و تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً (ويكثر فيه الزّلزال) ونظير التّحذير عنه بكثرة الزّلزال التّحذير في قوله تعالى:

«يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النّاسَ سُكارىٰ وَما هُمْ بِسُكارىٰ وَلٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ».

قال في مجمع البيان معناه يا أيّها العقلاء المكلّفون اتّقوا عذاب ربّكم واخشوا معصية ربّكم إنّ زلزلة الأرض يوم القيامة أمرٌ عظيم هايل لايطاق ، يوم ترون الزّلزلة أو السّاعة تشغل كلّ مرضعة عن ولدها وتنساه ، و تضع الحبالي ما في بطونها وهو تهويل لأمر القيامة وتعظيم لما يكون فيه من الشّدايد أى لو كان ثمّ مرضعة لذهلت أوحامل لوضعت وإن لم يكن هناك حامل ولا مرضعة ، و ترى النّاس سكارى من شدّة الخوف والفزع ، وماهم بسكارى من الشّراب وقيل : معناه كأنّهم سكارى من ذهول عقولهم لشدّة ما يمرّ بهم لأنّهم يضطربون اضطراب السّكران هذا

(و) لشدّة ذلك اليوم أيضاً (يشيب فيه الأطفال) كما قال تعالى:

« يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً » .

قال الطّبرسيّ : وهذا وصف لذلك اليوم وشدّته كمايقال هذا أمر يشيب منه الوليد وتشيب منه النّواصى إذا كان عظيماً شديداً .

و قال الشّارح المعتزلي : قوله عليه السلام ويشيب فيه الأطفال كلام جار مجرى المثل وليس ذلك على حقيقته لأنّ الأمّة مجتمعة على أنّ الأطفال لايتغيّر حالهم في الآخرة إلى الشّيب ، و الأصل في هذا أنّ الهموم و الأحزان إذا توالت على الانسان شاب سريعاً قال أبوالطّيّب :

والهمّ يخترم الجسيم مخافة ويشيب ناصية الصّبىّ ويهرم

ثمّ عقّب بالتّحذير من المعاصي بقوله (اعلموا عباد الله أنّ عليكم رصداً من أنفسكم) أى حرساً وحفظة ملازمين لكم غير منفكّين عنكم ، وأراد به الجوارح و الأعضاء ، و لذا فسّره بقوله (وعيونا من جوارحكم) مراقبين لكم شهداء عليكم يوم القيامة كما قال تعالى فى سورة السّجدة:

« وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتّى إِذا جاؤُها

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

روى في الصّافي عن القمّي نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون ما عملنا شيئاً منها، فيشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا عليهم أعمالهم

قال الصّادق عليه السلام فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً و هو قول الله عزّ وجلّ «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون لـه كما يحلفون لكم» و هم الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله عزّ وجلّ على ألسنتهم و ينطق جوارحهم فيشهد السّمع بما سمع ممّا حرّم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله عزّ وجلّ، و يشهد اليدان بما أخذتا، و تشهد الرّجلان بما سعتا فيما حرّم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب ممّا حرّم الله. ثمّ أنطق الله عزّ وجلّ ألسنتهم، فيقولون هم لجلودهم: لم شهدتم علينا الآية قال: والجلود الفروج

وفي الصّافي عن القمّي أيضاً في تفسير قوله تعالى في سورة يس:

«أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْديهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ».

قال: إذا جمع الله عزّ وجلّ الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة، فيقولون، يارب ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلك شيئاً و هو قول الله عزّ وجلّ: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» فاذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون، هذا

و بما ذكرنا ظهر لك ضعف ما ذكره الشّارح البحراني بل فساده من أنّ شهادة الجلود وغيرها بلسان الحال والنّطق به ، فانّ كلّ عضو لماكان مباشراً لفعل من الأفعال كان حضور ذلك العضو وما صدر عنه في علم الله تعالى بمنزلة الشّهادة القوليّة بين يديه ، فانّ ذلك مخالف لظاهر الآية ونصّ الرّواية لدلالتهما على كون الشّهادة بلسان القال لا بلسان الحال كما زعمه الشّارح وتوهّم

وقوله (وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم) أراد بهم الكرام الكاتبين قال تعالى:

« إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » .

قال في مجمع البيان : ذكر سبحانه أنّه مع علمه به و كّل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاماً للحجّة ، فقال : إذ يتلقّى المتلقّيان ، وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه ، عن اليمين و عن الشّمال قعيد ، المراد بالقعيد هو الملازم الّذي لا يبرح لا القاعد الّذي هو ضدّ القائم، وقيل: عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشّمال كاتب السّيئات عن الحسن ومجاهد ، و قيل: الحفظة أربعة : ملكان باللّيل ، وملكان بالنّهار عن الحسن ، ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد أى ما يتكلّم بكلام فيلفظه أى يرميه من فيه إلاّ لديه حافظ حاضر معه يعني الملك الموكّل به إمّا صاحب اليمين وإمّا صاحب الشّمال ، يحفظ عمله لا يغيب عنه ، وعن أبي أمامة عن النّبي صلّى الله عليه وآله قال : إنّ صاحب الشّمال ليرفع القلم ستّ ساعات عن العبد المسلم المخطى أو المسيء ، فان ندم واستغفرالله منها ألقاها وإلاّ كتب واحدة ، و في رواية اخرى قال : صاحب اليمين أمير على صاحب الشّمال ، فاذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها و إذا عمل سيئة فأراد صاحب الشّمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : امسك ، فيمسك عنه سبع ساعات ، فان استغفرالله منها لم يكتب عليه شيء ، وإن لم يستغفرالله كتب له سيئة واحدة،هذا

وقد علم بذلك أنّه سبحانه مع علمه بحال العبد و كونه أقرب إليه من حبل الوريد و كّل عليه لحكمة اقتضته من تشديد في تثبط العبد من المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال و ضبطها للجزاء وإلزام الحجّة يوم يقوم الأشهاد حفظة صدق يحفظون عمله ويضبطونه وهم ملازمون له غير غائبين عنه أبداً .

كما أشار إليه بقوله (لا تستركم منهم ظلمة ليل داج) أى شديدة الظلمة (ولا يكنّكم) أى لايستركم (منهم باب ذورتاج) أى باب عظيم مغلق .

ثمّ حذّر بقرب الموت فقال : (وانّ غداً من اليوم قريب) كنّى بالغد عن وقت الموت (يذهب اليوم بما فيه) من الخير والشّر والطّاعة والمعصية (و يجيء الغد لاحقا بـه) ثمّ حذّر ببلوغ القبر وكنّى عنه بقوله (فكان كلّ امرء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته و مخطّ حفرته) وأشارإلى هول ذلك المنزل ووصفه بالأوصاف الموحشةالمنفرّة فقال (فياله من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة) ثمّ حذّر بالصّيحة و نفخ الصّور وقيام السّاعة فقال : (و كان الصّيحة قد أتتكم و السّاعة قد غشيتكم) و الظّاهر أنّ المراد بالصّيحة الصّيحة و النّفخة الثانية و قد اُشير اليهما أعنى الصّيحتين في سورة يس قال تعالى:

«ما يَنظُرُونَ إِلاّ صَيحَةً واحِـدَةً تَأْخُذُهُم وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَ نُفِخَ فِي‌الصُّور فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجداثِ إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هٰذا ما وَعَدَ الرَّحمٰنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كانَتْ إِلاّ صَيحَةً واحِدَةً فَإِذاهُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحضَرُونَ» .

قال في مجمع البيان : أى ما ينتظرون إلاّ صيحة واحدة يريد النّـفخة الأُولى عن ابن عبّاس ، يعني أنّ القيامة تأتيهم بغتة تأخذهم الصّيحة وهم يخصّمون أى

يختصمون في امورهم و يتبايعون في الأسواق ، ثمّ أخبر عن النفخة الثّانية و ما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال : ونفخ في الصّور فاذاهم من الأجداث ، وهي القبور ، إلى ربّهم أي إلى الموضع الّذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك ، ينسلون ، أي يخرجون سراعاً ثمّ أخبر عن سرعة بعثهم فقال : إن كانت إلاّ صيحة واحدة ، أي لم تكن المدّة إلاّ مدّة صيحة واحدة ، فاذاهم جميع لدينا محضرون ، أي فاذاالأوّلون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة محضرون في موقف الحساب

وفي سورة الزّمر :

« وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذاهُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ » .

قال في مجمع البيان : فصعق من في السّموات آه أي يموت من شدّة تلك الصّيحة الّتي تخرج من الصّور جميع من في السّماوات و الأرض ، و قوله : ثمّ نفخ فيه أخرى ، يعني نفخة البعث وهي النّفخة الثّانية .

(وبرزتم لفصل القضاء) أي لحكم العدل الفاصل بين الحقّ و الباطل ليتميّز المصيب من المخطى ، والمسلم من الكافر ، و المؤمن من المنافق ليجزى كلّ ما عمل كما قال عزّ من قائل:

« وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ » .

(قد زاحت عنكم الأباطيل) أي بعدت وتنحت عنكم الهيئآت الباطلة الممكنة الزّوال (و اضمحلّت عنكم العلل) أي ذهبت وانحلّت عنكم العلل و الأمراض النّفسانيّة (و استحقّت بكم الحقايق) قال الشّارح المعتزلي : أي حقّت ووقعت

فاستفعل بمعنى فعل (وصدرت بكم الأمور مصادرها) أراد به رجوع كلّ امرء إلى ثمرة ما قدّم ، قاله البحراني (فاتّعظوا بالعبر) أى بكلّ ما يفيد اعتباراً وتنبّهاً على أحوال الآخرة وبما فيه تذكرة للموت و ما بعده من الشدّايد والأهوال ، ألا ترى إلى الآباء و الاخوان و الأبناء و الولدان و الأقرباء و الجيران كيف طحنتهم المنون ، وتوالت عليهم السّنون ، وفقدتهم العيون ، اندرست عن وجه الأرض آثارهم و انقطعت عن الأفواه أخبارهم .

إذا كان هذا حال من كان قبلنا فانّا على آثارهم نتلاحق

(واعتبروا بالغير) أى بتغيّرات الدّهر وانقلاباته على أهله ، لايدوم سروره ، ولا تتمّ اُموره ، لايقيم على حال ، ولايمتنع بوصال ، وعوده كاذبة . وآماله خائبة .

تحدّثك الأطماع أنّك للبقاء خلقت و أنّ الدّهر خلّ موافق

كأنّك لم تبصر اُناساً ترادفت عليهم بأسباب المنون اللّواحق

(وانتفعوا بالنّذر) أى بكلّ ما أفاد تخويفاً بالآخرة ومافيها من المفزعات والدّواهى فيا من عدم رشده ، وضلّ قصده إنّ أوقاتك محدودة ، وأنفاسك معدودة ، وأفعالك مشهورة ، وأنت مقيم على الاصرار ، غافل عن يوم تشخص فيه الأبصار .

إذا نصب الميزان للفصل والقضا و ابلس محجاج و اخرس ناطق

واجّجت النّيران واشتدّ غيظها إذا فتحت أبوابها و المغالق

فانّك مأخوذ بما قد جنيته و إنّك مطلوب بما أنت سارق

فقارب وسدّد و اتّق الله وحده ولا تستقلّ الزّاد فالموت طارق

الترجمة

ازجمله خطب بليغهٔ آن امام مبين وولىّ ربّ العالمين است درنصيحت وموعظه وتنفير از دنيا وترغيب بعقبى ميفرمايد :

حمد و ثنا مر خدايراست كه گردانيد حمد را كليد از براى ذكر خود ، و سبب زيادتى فضل و انعام خود ، ودليل برنعمتهاى خود و عظمت بى‌نهايت خود ،

ای بندگان خدا بدرستی روزگار جاری می‌شود بباقی‌ماندگان مثل جاری شدن او بر گذشتگان درحالتی که باز نمی‌گردد آنچه که پشت گردانیده از آن، و باقی نمی‌ماند همیشه آنچه که دراو است، آخر کارهای او مثل أوّل کارهای اوست شبیه است بهمدیگر کارهای او، هم‌پشت یکدیگرند علامتهای او، پس گویا که شما می‌بینید قیامت را میراند شمارا بسوی خود مثل راندن کسی که بعنف وزجر شتر مادهٔ بی‌شیر وبچه خودرا براند. پس کسی که مشغول نماید نفس خودرا بغیر اصلاح نفس خود متحیّر می‌ماند در ظلمتهای جهالت، و آمیخته شود در تباهی هلاکات، وبکشند اورا شیطانها در طغیان او، وزینت میدهنداز برای اوعملهای بد اورا پس بهشت پایان‌کار سبقت کنندگانست، وجهنم نهایت کار تفریط نمایندگان

بدانید ای بندگان خدا که تقوی حصن‌حصینی است با عزّت، وفسق‌وفجور خانه حصنی است باذلّت که منع نمی‌کند أهل‌خودرا ازبلا ومکاره، وحفظ نمیکند کسی را که پناه برد بسوی او، آگاه باشید که باتقوی بریده میشود نیش پرزهر گناهها، و با یقین درك می‌شود غایة قصوی.

ای بندگان بپرهیزید ازخدا در عزیزترین نفسهابرشما ودوست ترین آنها بسوی شما، پس بدرستی که حقتعالی واضح گردانیده از برای شما راه حق را، وظاهر نموده راههای آن را، پس نهایت کار یا شقاوتیست لازم، یا سعادتیست دائم پس توشه بردارید در روزهای فنا از برای روزهای بقا، پس بتحقیق که راه نموده شدید برتوشه آخرت ومامورشدید برحلت وحثّ وترغیب شدید بسیر کردن‌بسوی وطن اصلی، پس بدرستی که شما مانند سوارانید منتظر ایستاده که نمی‌دانید چه وقت مأمور خواهید شد بحرکت.

آگاه باشید چه می‌کند دنیا را کسی که خلق شده است ازبرای آخرت، و چه کار دارد با مال کسی که بعدازمان قلیل سلب می‌شود از آن وباقی می‌ماند براو وبال وحساب آن، ای بندگان خدا بدرستی که نیست مرچیزیرا که وعده فرموده است خدا از نیکوئی جای ترکی، ونیست در آنچه نهی فرموده از آن از

بدی جای رغبتی ، ای بندگان خدا حذر نمائید از روزی که جستجو می‌شود درآن عملها ، وبسیار می‌شود درآن زلزله ، وپیر می‌شوند درآن بچه‌گان .

بدانید ای بندگان خدا که برشما است نگهبانان از نفسهای خودتان ، وجاسوسان ازأعضاء وجوارح شما ، ونگهدارندگان راست ودرست یعنی کرام الکاتبین که نگه می‌دارند عملهای شما را وشمارهٔ نفسهای شما را درحالتی که نمی پوشاند شما را از ایشان تاریکی شب تار ، وپنهان نمی‌سازد شما را از آنها در محکم بسته شده ، وبدرستی که فردا نزدیکست ازامروز میرود امروز با آنچه که دراوست ازخیر وشر ، ومی‌آید فردا درحالتی که لاحق است بآن .

پس گویا هرمردی ازشما بتحقیق رسیده است از زمین بمنزل تنهائی خود ، وبمحلّ خطّ گودال خود که عبارتست از قبر او ، پس أی بسا تعجّب أیقوم مرا بمنزل ومکان ازخانه تنهائی و منزل بیمناك ومحلّ تفرّد غریبی ، و گویا صدای نفخه صور اسرافیل آمده‌است بشما ، وقیامت احاطه نموده برشما ، وبیرون آمده‌اید از قبر بجهة حکم عدل پروردگار که‌تمیز دهنده‌است میان حق‌وباطل‌درحالتی که‌بعید شده است ازشما باطلها ، وزایل شده از شما علّتها ، ومستحق شده است بشماحقیقتها وباز گشته بشما امورات بمواضع بازگشتن خودشان .

پس پند گیرید باعبرتها ، وعبرت نمائید با تغیّرات روزگار ، ومنتفع باشید با چیزهائی که می‌ترساند شمارا از عذاب نار ، واز سخط خداوند قهار .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و السابعة و الخمسون من المختار فى باب الخطب

والظاهر أنّها مع الخطبة الثّامنة والثّمانين متّحدتان ملتقطتان من خطبة طويلة قدّمنا روايتها من الكافي في شرح الخطبة التي أشرنا اليها

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ ، أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

مِنْهَا ــ فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً ، فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ ، وَلاَ فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ ، أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ وِرْدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ ، وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ ، وَزَوَامِلُ الآثَامِ ، فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ ، ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا وَلاَ تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ .

اللغة

(الفترة) بين الرّسل انقطاع الوحى و الرّسالة و (الهجعة) النّومة من اللّيل أو من أوّله و (أبرم) الحبل جعله طاقين ثمّ فتله و أبرم الأمر أحكمه و (الترحة) المرّة من التّرح بالتحريك الهمّ والحزن و (أصفيت) فلانا بكذا خصّصته به و (المأكل) و (المشرب) مصدران بمعنى الأكل والشّرب ويجوز هنا أن يجعلا بمعنى المفعول و(المقر) ككتف الصّبر أو شبيه به أوالسمّ كالمقروزان

فلس و (الشعار) مايلي الجسد من الثّياب و (الدّثار) مافوقه و (المطايا) جمع مطيّة و هي الدّابة تمطو أي تجدّ في سيرها و (الزّوامل) جمع الزّاملة و هي الّتي يحمل عليها من الابل وغيرها و (تنخم) دفع بشيء من أنفه أوصدره و (النّخامة) بالضمّ النّخاعة .

الاعراب

على في قوله عليه السلام : على فترة بمعنى في كما في قوله تعالى :

« عَلىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها » « عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمانَ » .

ومن في قوله : من الرّسل نشوية و كذا في قوله: من الاُمم ومن المبرم ، والباء في قوله فجائهم بتصديق آه يحتمل المصاحبة والتّعدية .

قال الشّارح المعتزلي : مأكلا منصوب بفعل مقدّر أي يأكلون مأكلا ، والباء هنا للمجازاة الدّالّة على الصّلة كقوله تعالى :

« فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ » وقال سبحانه «قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ »

وقال البحراني : و مأكلا ومشرباً منصوبان بفعل مضمر و التّقدير و يبدلهم مأكلا بمأكل .

أقول : الظّاهر أنّ الباء على ما قرّره الشّارح المعتزلي من الفعل سببيّة لا للمجازاة ، وإن كان مراده بالمجازاة هي السّببيّة فلا مشاحة ، وعلى تقرير البحراني فهي للمقابلة ، و على قول الأوّل فمن في قوله : من مطاعم العلقم ومشارب الصبر ، بيان لمأكلا و مشربا ، و على قول الثّاني فهي بيان لقوله : بمأكل و مشرب فافهم جيّداً .

والانصاف أنّه لاحاجة إلى تقدير الفعل ، بل يجعل مأكلا ومشربا مفعولين لظلم بواسطة الحرف المقدّر ، و يجعل قوله : بمأكل متعلّقا بينتقم ، و على ذلك

فيكون من مطاعم بياناً لقوله : لمأكل كما قدّمناه في قول البحراني ، و تقدير الكلام وسينتقم الله ممن ظلم أحداً في أكل أوشرب بأكل من مطاعم العلقم وبشرب من مشارب الصّبر : على ذلك فيستقيم الكلام على أحسن نظام كما هو غير خفيّ على أولى الأفهام .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على فصلين :

الفصل الاول

في الاشارة إلى بعثة الرّسول صلّى الله عليه وآله وفضيلته عليه السّلام و فضيلة ما جاء بـه من كتاب الله سبحانه وهو قوله (أرسله على حين فترة من الرّسل وطول هجعة من الأُمم) قد تقدّم شرح هاتين القرينتين في شرح الخطبة الثّامنة والثّمانين ، فليراجع ثمّة (و انتقاض من المبرم) أى انتقاض ما أبرمه الأنبياء و الرّسل من أحكام الدّين وأحكموه من قوانين الشرع المبين (فجائهم بتصديق الّذي بين يديه) أى جائهم الرّسول مصاحباً بالتّصديق أى مصدّقا لما قبله فيكون التّصديق و صفاً لنفس الرسول كما قال تعالى :

«وَلَمّا جآءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَريقٌ» .

و على كون الباء للتّعدية فالمعنى أنّه أتاهم بكتاب فيه تصديق الّذي بين يديه ، فيكون المصدّق هو الكتاب كما قال تعالى :

« نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ » .

قال في مجمع البيان : أى لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتادة و الرّبيع و جميع المفسّرين و إنّما قيل لما بين يديه لما قبله لأنّه ظاهر له كظهور الّذي بين يديه .

وقال الفخر الرّازي في تفسير هذه الآية: الوصف الثّاني لهذا الكتاب قوله : مصدّقا لما بين يديه ، والمعنى أنّه ، مصدّق لكتب الأنبياء عليهم السلام و لما أخبروا به عن الله عزّ وجلّ .

ثمّ في الآية وجهان :

الأوّل أنّه تعالى دلّ بذلك على صحّة القرآن لأنّه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقاً لساير الكتب ، لأنّه كان أمّيا لم يختلط بأحد من العلما ولا تلمّذ لأحد ولا قرء على أحد شيئا ، والمفترى إذا كان هكذا امتنع أن يسلم عن الكذب والتّحريف ، فلمّا لم يكن كذلك ثبت أنّه عرف هذه القصص بوحي الله

الثّاني قال أبومسلم : المراد منه أنّه تعالى لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا بالدّعاء إلى توحيده والايمان به وتنزيهه عمّا لايليق به ، والأمر بالعدل والاحسان والشّرايع الّتي هي صلاح كلّ زمان ، فالقرآن مصدّق لتلك الكتب في كلّ ذلك

بقى في الآية سؤالان :

الأوّل كيف سمّى ما مضى بأنّه بين يديه **و الجواب** أنّ تلك الأخبار لغاية ظهورها سماها بهذا الاسم .

الثاني كيف يكون مصدّقا لما تقدّمه من الكتب مع أنّ القرآن ناسخ لأكثر تلك الأحكام **و الجواب** إذا كانت الكتب مبشّرة بالقرآن وبالرّسول ودالّة على أنّ أحكامها تثبت إلى حين بعثته و أنّها تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن ، فكان القرآن مصدّقا لها ، و أمّا فيما عدا الأحكام فلا شبهة في أنّ القرآن مصدّق لها ، لأنّ دلائل المباحث الالهيّة لاتختلف في ذلك ، فهو مصدّق لها في الأخبار الواردة في التوراة والانجيل ، هذا .

والأظهر كون التّصديق في قوله عليه السلام : وصفاً للقرآن و الباء فيه للتّعدية بقرينة قوله (والنّور المقتدى به) فانّه وصف له أيضاً وكونه نوراً يهتدى به في ظلمات الجهل ، و يقتدى بأحكامه ظاهر، قال سبحانه :

« قَدْ جَآئَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ » .

(ذلك) الموصوف بما تقدّم هو (القرآن) المنزل من عند الله إعجازاً لرسول الله صلى الله عليه وآله (فاستنطقوه) يحتمل أن يكون المراد به الأمر باستفهام مضامينه وتفهم ما تضمّنه من الحقايق والدقايق والحلال والحرام والحدود والأحكام.

ولمّا كان التّفهّم عنه بنفسه غير ممكن لاشتماله على المحكم و المتشابه والنّاسخ و المنسوخ والظّاهر و الباطن و التنزيل والتأويل وغيرها عقّبه بقوله (ولن ينطق) أى لا يمكن تفهيمه بنفسه أبداً بل لابدّ له من مترجم فأردفه بقوله (ولكن اخبركم عنه) تنبيهاً على أنّه عليه السلام مترجمه و قيّمه و مفهم معانيه وظواهره وبواطنه .

ويجوز أن يكون استفعل بمعنى أفعل فيكون المراد باستنطاقهم له إنطاقهم إياه ولمّا كان ذلك موهماً لكونه ذا نطق بنفسه أتى بقوله : ولن ينطق، من باب الاحتراس الّذي عرفت في ديباجة الشّرح من المحسنات البديعية ثمّ عقّبه بقوله: ولكن اخبركم عنه تنبيهاً على أنّه خطّ مسطور بين الدّفتين ليس له لسان بل لابدّ له من ترجمان وهو عليه السلام لسانه وترجمانه وإلى ذلك يشير عليه السلام في الخطبة المأة والثانية والثّمانين بقوله : فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق، أى صامت بنفسه وناطق بترجمانه ، ولعلّنا نذكر لهذا الكلام معنى آخر في مقامه إنشاء الله حيثما بلغ الشّرح إليه هذا .

وقد تقدّم في التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السّابع عشر من الخطبة الأولى الأدلّة العقليّة والنقليّة على أنّ دليل القرآن وقيّمه و ترجمانه و العالم بمعانيه ومبانيه وبأسراره وبواطنه وظواهره هو أمير المؤمنين عليه السلام و الطيّبون من أولاده سلام الله عليهم جميعاً .

وقد علمت هناك أيضاً أنّ القرآن مشتمل على علم ماكان وما يكون و ماهو كائن. وإليه أشار هنا بقوله (ألا إنّ فيه علم ما يأتي) أى أخبار اللاّحقين كلّياتها

و جزئياتها و أحوال الموت و البرزخ و البعث والنّشور والقيامة و الجنّة و النّار ودرجات الجنان و دركات الجحيم و أحوال السّابقون إلى الاُولى والسّائرون إلى الاُخرى ، وتفاوت مراتب المثابين والمعاقبين في الثواب والعقاب شدّة وضعفا وقلّة و كثرة وغير ذلك ممّا يحدث في المستقبل .

(والحديث عن الماضي) أى أخبار السّابقين و كيفيّة بدء الخلق من السّماء والأرض و الشّجر والحجر والنّبات و الانسان والحيوان وقصص الأنبياء السّلف واممهم ومعاصريهم من ملوك الأرض والسّلاطين وغير ذلك ممّا مضى .

(و دواء دائكم) لاشتماله على الفضايل العلميّة والعمليّة بها يحصل اصلاح النّفوس والشّفاء من الأمراض النّفسانيّة والبرء من داء الغفلة و الجهالة (و نظم ما بينكم) لتضمّنه القوانين الشّرعية و الحكمة السّياسيّة الّتي بها نظام العالم و استقامة الامور .

الفصل الثانى (منها)

في وصف حال بني اميّة و الاخبار عن ملكهم و ظلمهم و زوال دولتهم بعد فسادهم في الأرض وهوقوله (فعند ذلك لايبقى بيت مدر ولا وبر) أى أهل الحضر والبدو (إلاّ وأدخله الظلمة) من بني اُميّة ومن أعوانهم (ترحة) أى همّاً وحزنا (واولجوا) أى ادخلوا (فيه نقمة) وعقوبة (فيومئذ) يحيق بهم العذاب و (لايبقى لهم في السّماء عاذر) أى ناصر (و لافي الأرض ناصر) فيزول دولتهم و يكسر صولتهم .

و أردف ذلك بتوبيخ المخاطبين الرّاضين بفعل الظّلمة و المتقاعدين عن ردعهم عن ظلمهم فقال (أصفيتم بالأمر) أى آثرتم بأمر الخلافة (غير أهله) الّذي هوحقّ له (وأوردتموه غيرورده) أى أنزلتموه عند من لايستحقّه من الأوّل والثاني والثّالث ومن يحذ و حذوهم من معاوية و ساير بني اميّة ، إذ الخطاب في أصفيتم

وإن كان متوجّهاً إلى المخاطبين الحاضرين إلاّ أنّ المراد به العموم كساير الخطابات الشّفاهيّة .

(و سينتقم الله ممّن ظلم مأكلا بمأكل و مشرباً بمشرب من مطاعم العلقم و مشارب الصّبر و المقر) أى يبدل نعمتهم بالنّقمة و مطاعمهم اللّذيذة الشّهية بالمريرة .

قال الشّارح البحراني : و استعار لفظ العلقم والصّبروالمقر لما يتجرّعونه من شدايدالقتل وأحوال العدوّ ومرارات زوال الدّولة (و) ينتقم أيضاً بـ(لباس شعار الخوف ودثارالسّيف) أى بالخوف اللاّزم لهم لزوم الشّعار وبالسّيف اللاّزم عليهم لزوم الدّثار ، وتخصيص الشّعار بالخوف والدّثار بالسيف لأنّ الخوف باطن في القلوب والسّيف ظاهر في البدن كما أنّ الشّعار ماكان يلى الجسد من الثّياب والدّثار مافوقه فناسب الأوّل بالأوّل والثّاني بالثّاني

(وانّماهم مطاياالخطيئآت وزواملالآثام) يعنى أنّهم حمّالالمعاصيوالسّيئآت لكون حركاتهم وسكناتهم كلّها على خلاف القانون الشّرعي .

ثمّ أخبرعن زوال ملكهم وأتى بالقسم البارّ المؤكّد تنبيهاً على أنّالمخبر به واقع لا محالة فقال (فاقسم) بالله العليم (ثمّ اقسم) به وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم (لتنخمنّها اميّة)أى لتلفظنّ الخلافة بنواُميّة (من بعدى كماتلفظ النخامة) أى تدفع من الصدر و الأنف (ثمّ لاتذوق) لذّة(ها ولاتتطعم بطعمها أبداً ما كرّ الجديدان) أى اللّيل و النهار يعني أنّهم لا يجدون حلاوتها و لا يستلذّون بها و لا ينالون إليها أبد الدّهر ، لأنه تعالى قد أخبر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّ مدّة ملكهم ألف شهر بقوله :

« لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

و أخبره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمير المؤمنين عليه السلام و أولاده الطاهرين .

روى في الصافي عن عليّ بن إبراهيم القمّي(ره)قال: رأىرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان قروداً تصعد منبره فغمّه ذلك ، فأنزل الله سورة القدر :

« إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْرٰيكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

تملك بنو أميّة ليس فيها ليلة القدر .

وفيه عن الكافي عن الصادق عليه السلام اُري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أنّ بني اُميّة يصعدون على منبره من بعده ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى ، فأصبح كئيبا حزينا قال عليه السلام : فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يارسول الله مالى أراك كئيباً حزيناً قال : ياجبرئيل إنّي رأيت بني اُميّة في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلّون الناس عن الصراط القهقرى ، فقال : والذي بعثك بالحقّ نبيا إنّي ما اطّلعت عليه ، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآى من القرآن يونسه بها قال :

«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ » وأنزل عليه « إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْرٰيكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

جعل الله ليلة القدر لنبيّه خيراً من ألف شهر ملك بني اُميّة ، وفي معناه اخبار اُخر هذا

و قد تقدّم تفصيل زوال الدّولة الأمويّة و انقراضهم بيد السّفاح في شرح الخطبة المأة والرّابعة ، فليراجع هناك .

الترجمة

ازجمله خطب آن بزرگوار وولىّ پروردگاراست در بعثت پيغمبر آخرالزمان و فضيلت قرآن و وصف حال بني اُميّة و ظلم ايشان و زوال دولت آنها بعداز فساد وطغيان مى‌فرمايد :

فرستاد خداى تبارك وتعالى پيغمبر مختاررا درزمان منقطع شدن وحى وخالى

بودن آن از پیغمبران ، و بردرازی خواب غفلت از اُمّتان ، و هنگام شکسته شدن ریسمان پُرتاب شریعت پیشینان ، پس آورد بایشان تصدیق آن چیزی را که پیش ازاو بوداز توراة وانجیل وزبور، وآوردنوری را که اقتداوتبعیّت می‌شود بآن ، آن نور عبارتست ازقرآن پس طلب کنید نطق وگفتار اورا وحال آنکه أبداً گویا نخواهد شد ، ولکن من خبردهم شما را بـه مضمون آن از جهة اینکه منم ترجمان قرآن آگاه باشید بدرستی درقرآن است علم آنچه که خواهد آمد وخبر از گذشته یعنی متضمّن علم أوّلین و آخرین است ، ودر اوست دواء درد شما ونظام مابین شما .

ازجملهٔ آن خطبه است می‌فرماید :

پس نزد دولت بنی اُمیّه باقی نمی‌ماند هیچ خانهٔ که ساخته شده باشد ازگل وخشت ونه خانهٔ که بنا شده باشد از پشم یعنی نمی‌ماند عمارتی درشهر و نـه خرگاهي در بیابان مگر اینکه داخل می کنند ظلام در آن خانه همّ وحزن را ، و درآورند درآن عقوبت ونقمت را ، پس‌درآن روز باقی نماند ازبرای‌ظلام‌درآسمان عذر آورنده ، ونه درزمین‌یاری کننده،اختیار کردید شما بأمرخلافت‌غیرأهل آن‌را ، ووارد کردید أمرخلافت رادرغیرمحلّ او ، وزودباشد که انتقام‌بکشد خداوند قهّار از کسی که ظلم کرده باشد کسی را در مأکول ومشروبی با مأکول‌ومشروبی که از مأکولات تلخ است وازمشروبات تلخ وبدمزه، وبا لباس باطني خوف وترس وبا لباس ظاهری شمشیر ، وبدرستی که ایشان شتران بارکش گناهانند و شتران توشهٔ معاصی ، پس قسم می‌خورم بخدا باز قسم می‌خورم البته‌می‌أندازد خلافت‌را بنی‌امیه بعدازمن چنانچه انداخته شود آب دهن از دهن پس از آن نچشند هرگز چاشنی‌خلافت را ، ونمی‌خورندطعام آن‌را هیچ مادامی که باز گردد شب‌و روز .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و الثامنة والخمسون من المختار فى باب الخطب

وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوارَكُمْ ، وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرائِكُمْ ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ ، وَحَلَقِ الضَّيْمِ ، شُكْراً مِنّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ ، وَإِطْراقاً عَمّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ .

اللغة

(الجوار) بالضمّ و قد يكسر المجاورة و (الرّبق) بالكسر و زان حمل حبل فيه عدّة عرى يشدّ به البهم و كلّ عروة ربقة با لكسر و الفتح و يجمع على ربق كعنب و أرباق كأصحاب و رباق كجبال و (الحلق) بالتحريك جمع الحلقة بسكون اللاّم علي غير القياس وربّما يجمع على حلق بالسّكون كبدرة وبدر وعلى حلق كقصعة وقصع ، وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلا أنّ الحلقة بالفتح ، وعلى هذا فالجمع بحذف الهاء قياس كقصبة وقصب ، قاله الفيومي في مصباح اللّغة .

الاعراب

الواو في قوله : ولقد ، للقسم و المقسم به محذوف لكونه معلوماً ، و شكراً مفعول له للأفعال المتقدّمة على سبيل التنازع ، ومن فى قوله : من المنكر ، بيان لما أدركه .

المعنى

الظّاهر أنّه خاطب به أهل الكوفة ، و الغرض منه المنّ على المخاطبين

والتّنبيه على حسن مداراته عليه السلام معهم و صفحه عنهم و الغض عن خطيئاتهم على كثرتها كما قال (ولقد أحسنت جواركم) أي مجاورتكم أى كنت لكم جار حسن وقد وقع نظير التعبير بهذه اللّفظة في كلامه عليه السلام المأة و التّاسع والعشرين حيث قال هناك : و إنّما كنت جاراً جاوركم بدنى أيّاما ، و أراد بمجاورته لهم مطلق المصاحبة والمعاشرة على سبيل الكناية .

ويجوز أن يراد به معناه الحقيقى ، لأنّه عليه السلام ارتحل من المدينة إلى البصرة لجهاد النّاكثين ، واحتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة إذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بمقابلتهم ، ثمّ اتّصلت تلك الفتنة بفتنة أهل الشّام فاضطرّ إلى المقام بينهم وصار جاراً لهم كما تقدّم الاشارة إلى ذلك فى الكلام السّبعين وشرحه .

(و أحطت بجهدى من ورائكم) قيل : أراد بالاحاطة من الوراء دفع من يريدهم بشرّ لأنّ العدوّ غالبا يكون من وراء الهارب .

أقول : بل الظّاهر أنّه أراد أنّه كان بـه عليه السلام قوّة ظهرهم و شدّ ازرهم (و أعتقتكم من ربق الذّل وحلق الضّيم) والظلم أراد به أنّه دفع عنهم ذلّ الاسر وظلم الأعداء ، والمقصود حمايته عليه السلام لهم واعتزازهم به (شكراً منّي للبرّ القليل) أى ثناء منّى و محمدة لأفعالكم الحسنة على قلّتها (وإطراقا) أى سكوتاً وغضّاً (عمّا أدركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير) و إطراقه عنهم مع مشاهدتهم على المنكرات على كثرتها إمّا لعدم تمكّنه من الانكار والرّدع بالعنف و القهر ، أولا نجراره إلى ما هو أعظم فساداً ومفسدة ممّاهم عليه .

قال الشّارح البحراني : وظاهر أنّهم كانوا غير معصومين ، ومحال أن يستقيم دولـة أو يتمّ ملك بدون الاحسان إلى المحسنين من الرّعيّة و التّجاوز عن بعض المسيئين .

الترجمة

ازجمله خطب فصاحت نظام وبلاغت فرجام آن امام أنام است درإظهار حسن رفتار و كردار خود نسبت بأصحاب وأتباع ميفرمايد :

قسم بخدا هر آينه بتحقيق نيكو كردم همسايگى شما را و حقّ جوار را خوب بجا آوردم ، واحاطه نمودم بقدر طاقت خود از پس شما ، وآزاد كردم شما را از ريسمانهاى ذلّت واز حلقه‌هاى ظلم و ستم بجهت تشكّر ازمن مر نيكوئى اُندك شما را كه آن طاعت قليل شما است نسبت بمن ، و بجهة سكوت و چشم در پيش افكندن از آنچه كه درك نمود آن را چشم من و مشاهده كرد آن را بدن من از منكرات و أعمال قبيحهٔ كثيره ، بجهت اينكه دفع آن مؤدّى برفساد عظيم مى شد .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و التاسعة و الخمسون من المختار فى باب الخطب

وشرحها فى فصلين :

الفصل الاول

أَمْرُهُ قَضَآءٌ وَ حِكْمَةٌ، وَ رِضاهُ أَمانٌ وَ رَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ ، أَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى ما تَأْخُذُ وَ تُعْطي ، وَ عَلى ما تُعافي وَ تَبْتَلي ، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ ، حَمْداً يَمْلَأُ ما خَلَقْتَ ، وَ يَبْلُغُ ما أَرَدْتَ ، حَمْداً لا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلا يَقْصُرُ دُونَكَ ، حَمْداً لا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلا يَفْنى مَدَدُهُ ، فَلَسْنا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلّا أَنّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصارَ ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمالَ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّواصي وَالْأَقْدامِ ، وَ مَا الَّذي نَري

مِنْ خَلقِكَ ، وَنَتَعَجَّبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَما تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبصارُنا عَنْهُ ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنا دُونَهُ ، وَحالَتْ سَواتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ ، فَمَنْ فَرَغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوآءِ سَمٰواتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلى مَوْرِ الْماءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ والِهاً ، وَفِكْرُهُ حائِراً .

اللغة

قال الفيومى (عافاه) الله محى عنه الأسقام والعافية اسم منه وهى مصدر جائت على فاعلة ، و مثله ناشئة اللّيل بمعنى نشوء اللّيل و الخاتمة بمعنى الختم ، والعاقبة بمعنى العقب ، و ليس لوقعتها كاذبة و (حسر) البصر حسوراً من باب قعد كلّ لطول مدى ونحوه فهو حسير و (بهره) بهراً من باب نفع غلبه ومنه قيل للقمر الباهر لظهوره على ساير الكواكب و (الَـهَ) تحيّر .

الاعراب

جملة لا تأخذه في محلّ النّصب على الحال ، وما في قوله عليه السلام : و ما الّذى نرى للاستفهام على وجه الاستحقار ، والواو في قوله عليه السلام : وما تغيّب ، حاليّة وما موصول اسميّ بمعنى الّذي مرفوع المحلّ على الابتداء وخبره أعظم .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة متضمّن لتعظيم الله سبحانه وتبجيله بجملة

من نعوت كماله و أوصاف جماله قال عليه السلام (أمره قضاء و حكمة) يجوز أن يراد بأمره الأمر التّكويني أعني الاختراع و الاحداث ، فيكون القضاء بمعنى الانفاذ و الامضاء ، و حمله عليه حينئذ من باب المبالغة أو المصدر بمعنى الفاعل أو المفعول ، يعني أنّ أمره سبحانه نافذ وممضى لا رادّ له ولا دافع كما قال عزّ من قائل

«إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» .

اى إذ أراد أن يكوّنه فيكون .

قال الزّمخشري : فان قلت : ما حقيقة قوله : أن يقول له كن فيكون ؟

قلت : هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنّه لا يمتنع عليه شيء من المكوّنات وأنّه بمنزلة من المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع ، والمراد بالحكمة حينئذ العدل و النّظام الأكمل ، فمحصّل المعنى أنّ أمره تعالى نافذ في جميع الموجودات والمكوّنات ، متضمّن للعدل ، ومشتمل على النظام الأكمل .

و يجوز أن يراد به الأمر التّكليفي فيكون القضاء بمعنى الحتم و الالزام يعني أنّ أمره سبحانه حتم وإلزام مشتمل على الحكمة و المصلحة في المأمور به كما هومذهب العدليّة من كون الأوامر والنّواهي تابعة للمصالح والمفاسد الكامنة الواقعيّة ، و قد تكون المصلحة في نفس الأمر دون المأمور به كما في الأوامر الابتلائيّة .

ويجوز أن يكون المراد به الشّأن فيكون القضاء بمعنى الحكم ، يعني أنّ شأنه تعالى حكم وحكمة لأنّه القادر القاهر العالم العادل ، فبمقتضى قدرته وسلطانه حاكم ، وبمقتضى علمه وعدله حكيم .

و كون الأمر بمعنى الشّأن قد صرّح به غير واحد منهم الزّمخشري في تفسير الآية السّابقة قال : إنّما أمره إنّما شأنه إذا أراد شيئاً إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف أن يقول له كن أن يكوّنه من غير توقّف ، فيكون فيحدث أي فهو كائن موجود لامحالة .

(ورضاه أمان ورحمة) أي أمان من النّار ورحمة للأبرار إذ رضوانه سبحانه مبدء كلّ منحة ونعمة، ومنشاء كلّ لذّة وبهجة كما قال تعالى :

« وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أكْبَرُ ».

(يقضى بعلم) أي يحكم بما يحكم به لعلمه بحسن ذلك القضاء واقتضاء الحكمة والعدل له وهو كالتفسير لقوله : أمره قضاء وحكمة ، كما أنّ قوله (ويعفو بحلم) بمنزلة التّفسير لقوله: ورضاه أمان ورحمة ، لأنّ العفو يعود إلى الرّضا بالطّاعة بعد تقدّم الذّنب ، و إنّما يتحقّق العفو مع القدرة على العقاب إذ العجز عن الانتقام لا يسمّى عفواً فلذلك قال : يعفو بحلم ، يعني أنّ عفوه لكونه حليماً لا يستنفره الغضب .

ثمّ أثنى عليه تعالى بالاعتراف بنعمه فقال (اللّهمّ لك الحمد على ماتأخذ وتعطى وعلى ما تعافي وتبتلي) أي على السّرّاء والضّرّاء و الشدّة والرّخاء ، وقد تقدّم تحقيق معنى الأخذ والاعطاء ، ووجه استحقاق الله سبحانه للحمد بهذين الوصفين في شرح الخطبة المأة والثّانية والثّلاثين ، ووجه استحقاقه للحمد على البلاء والابتلاء هناك أيضاً مضافا إلى شرح الخطبة المأة والثّالثة عشر .

وأقول هنا زيادة على ما تقدّم : إنّه قد ثبت في علم الأصول أنّ الله عزّ وعلا الغنيّ المطلق عمّا سواه و المتعالى عن الحاجة إلى ماعداه ، بل غني كلّ مخلوق بجوده ، وقوام كلّ موجود بوجوده ، فاذاً جميع ما يصدر عنه سبحانه في حقّ العباد من الأخذ و الاعطاء و المعافاة والابتلاء و الافتقار والاغناء ليس الغرض منها جلب منفعة لذاته أو دفع مضرّة عن نفسه ، بل الغرض منها كلّها مصالح كامنة للمكلّفين ومنافع عائدة إليهم يعلمها سبحانه و لانعلمها إلاّ بعضاً منها ممّا علّمنا الله سبحانه بالقوّة العاقلة أو بتعليم حججه ، فكم من فقير لا يصلحه إلاّ الفقر ولواستغنى لطغى، وكم من غنيّ لايصلحه إلاّ الغنى ولوافتقر لكفر ، وربّ مريض لوكان معتدل المزاج لانهمك في الشّهوات واقتحم في الهلكات ، وكأيّن من صحيح البنية لومرض

لم يصبر عليه وأحبّ المنيّة ، وهكذا جميع ما يفعله سبحانه في حقّ المكلّفين فهو في الحقيقة نعمة منه تعالى عليهم ظاهرة أو باطنة كما قال عزّ من قائل « وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً » فاذا ثبت أنّ هذه كلّها إنعام منه سبحانه عليهم ، وإحسان اليهم ظهر وجه استحقاقه للحمد والثّناء عليها كلّها إذ الشّكر على النّعم فرض عقلا ونقلا هذا .

و يدلّ على ما ذكرنا من كون الابتلاء منه تعالى في الحقيقة نعمة منه على العباد ما رواه في الكافي عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّه ليكون للعبد منزلة عندالله فما ينالها إلاّ باحدى خصلتين : إمّا بذهاب في ماله أو ببليّة في جسده .

و فيه عن يونس بن رباط قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ أهل الحقّ لم يزالوا منذ كانوا في شدّة اما إنّ ذلك إلى مدّة قليلة وعافية طويلة .

وفيه عن عبيدبن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول إنّ المؤمن من الله عزّ وجلّ لبأفضل مكان ثلاثاً إنّه ليبتليه بالبلاء ثمّ ينزع نفسه عضواً عضواً وهو يحمدالله على ذلك .

ثمّ أخذ في تفخيم شأن حمده عليه و تعظيمه باعتبار كيفيّته فقال (حمداً يكون أرضى الحمد لك) أى أكمل رضاء منك به من غيره (وأحبّ الحمد إليك وأفضل الحمد عندك) أى أشدّ محبّة منك إليه وأرفع منزلة عندك من ساير المحامد لاتّصافه بالفضل والكمال ورجحانه على ماسواه .

ثمّ اتبعه بتفخيمه باعتبار كميّته فقال (حمداً يملاء ما خلقت) من السّماء والعرش والأرض (ويبلغ ما أردت) من حيث الكثرة والزّيادة .

ثمّ بتفخيمه باعتبار الخلوص فقال (حمداً لايحجب عنك و لا يقصر) أى لا يحبس (دونك) لخلوصه من شوب العجب والرّيا وساير ما يمنعه عن الوصول إلى درجة القبول والرّضا

ثمّ باعتبار مادّته فقال (حمداً لاينقطع عدده و لايفنى مدده) هذا و تكرار

لفظ الحمد إمّا لقصد التّعظيم كما في قوله:

« وَأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ » وفي قوله: « إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ ».

أو للتّلذّذ بذكر المكرّر كما في قول الشّاعر:

سقى الله نجداً والسّلام على نجد ... و يا حبّذا نجد على النأى والبعد

نظرت إلى نجد و بغداد دونه ... لعلّي أرى نجداً وهيهات من نجد

و في قوله:

تالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر

أو للاهتمام بشأنه ثمّ إنّه عليه السلام لمّا بالغ في حمده سبحانه و الثّناء عليه من حيث الكيف والكمّ والخلوص والعدد و المدد، وكان الحمد عبارة عن الوصف بالجميل على وجه التّعظيم و التّبجيل، و كان ذلك موهماً لمعرفة عظمة المحمود له حقّ معرفتها، عقّب ذلك بالاعتراف بالعجز عن عرفان كنه عظمته، تنبيهاً على عدم إمكان القيام بوظايف الثّناء عليه وإن بولغ فيه منتهى المبالغة، تأسّيا بماصدر عن صدر النّبوّة من الاعتراف بالعجز حيث قال صلّى الله عليه وآله: لاأُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، و لهذا أتى بالفاء المفيدة للتّعقيب و الاتّصال فقال (فلسنانعلم كنه عظمتك) لقصور المشاعر الظّاهرة والباطنة من المتفكّرة و المتخيّلة وغيرهما والقوّة العقلانيّة و إن كانت على غاية الكمال و بلغت إلى منتهى معارجها عن إدراك ذاته و اكتناه عظمته (إلاّ أنّا نعلم) أى لكن نعرفك بصفات جمالك و جلالك فنعلم (أنّك حيّ قيّوم).

قال في الكشّاف: الحيّ الباقي الّذي لاسبيل عليه للفناء وعلى اصطلاح المتكلّمين الّذي يصحّ أن يعلم ويقدر، والقيّوم الدّائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لاتأخذه سنة) هى ما يتقدّم النّوم من الفتور يسمّى النّعاس (و لانوم) بالطّريق الأولى وهو تأكيد للنّوم المنفي ضمناً.

قال الزّمخشري : و هو تأكيد للقيّوم لأنّ من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيّوماً، ومنه حديث موسى عليه السلام أنـه سأل الملائكة و كان ذلك (۱) من قومه كطلب الرؤية : أينام ربّنا ؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثا ولايتركوه ينام ، ثمّ قال : خذ بيدك قارورتين مملوّتين فأخذهما و ألقى الله عليه النعاس فضرب إحديهما على الأخرى فانكسرتا ، ثمّ أوحى إليه قل لهؤلاء إنّي لُمسك السماوات و الأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أونعاس لزالتا .

و كيف كان فالمقصود بقوله : لا تأخذه سنة ولا نوم تنزيهه تعالى عن صفات البشر وتقديسه عن لوازم المزاج الحيواني .

فان قلت : مقتضى المقام أن ينفى النوم أوّلا والسنة ثانياً إذ مقام التقديس يناسبه نفى الأقوى ثمّ الأضعف كما تقول : زيد لا يقدّم على الحرام بل لا يأتي بالمكروه ، و فلان لا يفوت عنه الفرايض ولا النوافل ، كما أنّ التمجيد بالاثبات على عكس ذلك ، فيقدّم فيه غيرالأبلغ على الأبلغ تقول : فلان عالم نحرير و جواد فياض .

قلت : سلّمنا ولكنه قدّم سلب السنة تبعا لكلام الله سبحانه وملاحظة للترتيب الطبيعي ، فانّ السنة لماكانت عبارة عن الفتور المتقدّم عن النوم فساق الكلام على طبق ما في نفس الأمر .

(لم ينته إليك نظر) عقليّ أو بصري (ولم يدركك بصر) قد تقدّم تحقيق عدم امكان إدراكه تعالى بالنظر و البصر أي بالمشاعر الباطنة و الظاهرة في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى وشرح الخطبة التاسعة والأربعين والخطبة الرّابعة والسّتين والفصل الثّاني من الخطبة التّسعين مستوفي

وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق : إنّ قوله عليه السلام : لم يدركك بصر ، إبطال لزعم المجوّزين للرّؤية ، فانّ الأمة قد اختلفوا في رؤية الله تعالى على أقوال ، فذهب الاماميّة و المعتزلة إلى امتناعها مطلقاً ، و ذهبت المشبّهة والكراميّة إلى جوازها

---

(۱) اى كان ذلك السؤال من طلب قومه ولاجل استدعائهم، منه

منزّها عن المقابلة والجهة والمكان.

قال الاعرابي في كتاب إكمال الاكمال ناقلا عن بعض علمائهم إنّ رؤيته تعالى جايزة في الدّنيا عقلا ، و اختلف في وقوعها وفي أنّه هل رآه النبي صلّى الله عليه وآله ليلة الاسرى أم لا ، فأنكرته عايشة و جماعة من الصّحابة والتّابعين والمتكلّمين ، وأثبت ذلك ابن عباس ، و قال : إنّ الله اختصّه بالرّؤية و موسى بالكلام و إبراهيم بالخلّة ، و أخذبه جماعة من السّلف ، والأشعريّ ، وجماعة من أصحابه وابن حنبل وكان الحسن يقسم لقد رآه ، وقد توقّف فيه جماعة ، هذا حال رؤيته في الدّنيا .

و أمّا رؤيته في الآخرة فجايزة عقلا ، و أجمع على وقوعها أهل السّنة وأحالها المعتزلة والمرجئة و الخوارج ، و الفرق بين الدّنيا و الآخرة أنّ القوى والادراكات ضعيفة في الدّنيا حتّى إذاكانوا في الآخرة وخلقهم للبقاء قوي إدراكهم فأطاقوا رؤيته ، انتهى كلامه على ماحكي عنه

وقد عرفت فيما تقدّم أنّ استحالة ذلك مطلقا هو المعلوم من مذهب أهل البيت عليهم السّلام ، و عليه إجماع الشّيعة باتّفاق المخالف والمؤالف ، وقد دلّت عليه الأدلّة العقليّة و النقليّة من الآيات و الأخبار المستفيضة ، و من جملة تلك الآيات قوله سبحانه :

« لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » .

استدلّ بها النّافون للرّؤية وقرّروها بوجهين :

أحدهما أنّ إدراك البصر عبارة شايعة عن الادراك بالبصر إسناد للفعل إلى الآلة ، و الادراك بالبصر هو الرّؤية بمعنى اتّحاد المفهومين أو تلازمهما ، و الجمع المعرّف باللاّم عند عدم قرينة العهديّة والبعضيّة تفيد العموم و الاستغراق باجماع أهل العربيّة والأصول وأئمّة التّفسير ، وبشهادة استعمال الفصحاء ، وصحّة الاستثناء فالله سبحانه قد أخبر بأنّه لايراه أحد في المستقبل ، فلو رآه المؤمنون في الجنّة لزم كذبه .

و اعترض عليه بأنّ اللاّم في الجمع لوكان للعموم و الاستغراق كان قوله : تدركه الابصار موجبة كلية ، وقد دخل عليها النفى فرفعها هو رفع الايجاب الكلّي و رفع الايجاب الكلّي سلب جزئيّ ، و لولم يكن للعموم كان قوله : لا تدركه الأبصار سالبةمهملة فيقوّة الجزئية فكان المعنىلاتدركهبعض الأبصار، ونحن نقول بموجبهحيثلا يراهالكافرون، ولوسلّم فلانسلّمعمومه فيالأحوالوالأوقات ، فيحمل علىنفىالرّؤيةفي الدّنيا جمعاً بين الأدلّة .

والجواب أنه قد تقرّر في موضعه أنّ الجمع المحلّى باللاّم عامّ نفيا واثباتا في المنفيّ والمثبت كقوله تعالى :

« وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ » « وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ » .

حتّى أنه لم يرد فيسياق النفى في شيء من الكتاب الكريم إلاّ بمعنى عموم النفى و لم يرد لنفى العموم أصلا ، نعم قد اختلف في النفى الدّاخلعلى لفظة كلّ لكنّه في القرآن المجيد أيضا بالمعنى الذي ذكرنا كقوله تعالى :

« وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ » .

إلى غير ذلك ، وقد اعترف بما ذكرنا في شرح المقاصد وبالغ فيه .

و أمّا منع عموم الأحوال والأوقات فلايخفى فساده ، فانّ النفى المطلق غير المقيّدلاوجه لتخصيصهببعض الأوقات إذ لاترجيح لبعضها على بعض ، وهومنالأدلّة على العموم عند علماء الأُصول .

و أيضا صحّة الاستثناء دليل عليه وهل يمنع أحد صحّة قولنا : ماكلّمت زيداً إلاّ يوم الجمعة ، و لا أُكلّمه إلاّ يوم العيد و قال تعالى « و لا تعضلوهنّ » إلى قوله « إلاّ أن يأتين » وقال « لا تخرجوهنّ » إلىقوله « الاّ أنيأتين»

و أيضا كلّ نفى ورد في القرآن بالنسبة إلى ذاته تعالى فهو للتأبيد و عموم الأوقات لا سيّما ماقبل هذه الآية .

و أيضاً عدم إدراك الأبصار جميعا لا يختص بشيء من الموجودات خصوصاً مع اعتبار شمول الأحوال و الأوقات ، فلا يختص به تعالى فتعيّن أن يكون التمدّح بمعنى عدم إدراك شيء من الأبصار له في شيء من الأوقات .

وثانيهما أنّه تعالى تمدّح بكونه لايرى به فانّه ذكره في أثناء المدايح و ما كان من الصّفات عدمه مدحا كان وجوده نقصا ، فيجب تنزيه الله تعالى بنفيه مطلقا .

ثمّ لمّا نفى عنه درك الأبصار له أثبت له دركه للأبصار فقال عليه السلام (أدركت الأبصار و أحصيت الأعمال) كما نطق به الكتاب العزيز قال عزّ من قائل :

« لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »

و قال أيضاً « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللهُ وَ نَسُوهُ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » .

أى أحاط به عدداً لم يغب عنه شيء و نسوه لكثرته أو تهاونهم به ، والله على كلّ شيء شهيد أى يعلم الأشياء كلّها من جميع وجوهها لايخفى عليه شيء منها ، و قال أيضا تلو هذه الآية :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلٰثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

ثمّ وصفه سبحانه بكمال الاقتدار فقال (وأخذت بالنّواصي والأقدام) أي أحاطت قدرتك بنواصي العباد و أقدامهم ، و أخذت بها على وجه القهر والاذلال ، ويجوز أن يكون المراد به خصوص أخذ المجرمين بنواصيهم وأقدامهم يوم القيامة كما قال تعالى:

« يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ » .

و نسبته عليه السلام الأخذ إلى الله سبحانه مع كونه فعل الملائكة من باب الاسناد إلى السبب الآمر كما أسند الله التوفي الى نفسه في قوله:

« اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا »

مع كونه فعل ملك الموت بدليل قوله سبحانه في سورة السجدة :

« قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ » .

قال الفخر الرّازي في تفسير الآية الاُولى : و في كيفيّة الأخذ ظهور نكالهم لأنّ في نفس الأخذ بالنّاصية إذلالاً وإهانة ، وكذلك الأخذ بالقدم .

وفي الأخذ بها وجهان بل قولان لأهل التّفسير .

أحدهما أن يجمع بين ناصيتهم و قدمهم من جانب ظهورهم فيربط بنواصيهم أقدامهم أو من جانب وجوههم فتكون رؤوسهم على ركبهم و نواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطة .

و الثاني أنّهم يسحبون سحباً ، فبعضهم يؤخذ بناصيته ، وبعضهم يجرّ برجله

ثمّ استفهم على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه فقال (و ما الّذي نرى من خلقك) أي من مخلوقاتك على كثرتها و اختلاف أجناسها و أنواعها و هيئآتها ومقاديرها و خواصّها و أشكالها و ألوانها إلى غير هذه من أوصافها وحالاتها الّتي لا يضبطها عدّ و لا يحيط بها حدّ (و نعجب له من قدرتك) أي من مقدوراتك الغير المتناهية عدداً ومدداً و كيفاً و كمّاً (ونصفه من عظيم سلطانك) النّافذ في الأنفس والآفاق ، والماضي في أطباق الأرض و أقطار السّماء (و) الحال أنّ (ماتغيّب عنّا

منه) أى من مخلوقك و مقدورك و ملكك (و قصرت أبصارنا عنه) من محسوسات الموجودات (وانتهت عقولنا دونه) من معقولات المخلوقات (وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه) أى كانت سرادقات العزّة و أستار القدرة عائلة بيننا وبينه ، وحاجبة لنا من الوصول إليه من غيابات الغيوب والغيب المحجوب .

(أعظم) وأفخم يعني أنّه لوقيس كلّ ما شاهدناه بأبصارنا و أدركناه بعقولنا ووصفناه بألسنتنا ممّا ذرأه الله سبحانه في عالم الامكان إلى ما غاب عنّا من أسرار القدرة والجلال ، وشئونات الكبرياء والجمال لم يكن إلاّ أقلّ قليل كنسبة الجدول إلى النّهر ، بل القطرة إلى البحر

(فمن فرغ قلبه) للنّظر في عجائب الملك والملكوت (وأعمل فكره ليعلم) مشاهد العزّ والسّلطان والقدرة والجبروت و أنّه (كيف أقمت عرشك) في الجوّ على عظمه (و كيف ذرأت) أى خلقت(خلقك)على كثرته (و كيف علقت في الهواء سماواتك) بغير عمد (و كيف مددت على مور الماء) أى موجه واضطرابه (أرضك) على ثقلها مع عدم رسوبها فيه (رجع طرفه حسيراً)كليلا (وعقله مبهوراً) مغلوباً (و سمعه والها) متحيّراً (وفكره حائراً) قاصراً عن الاهتداء إليه و عن الوصول إلى معرفته .

ومحصّله أنّه لو بالغ أحد في إعمال فكره و بذل وسعه للوصول إلى معرفة بعض ماأبدعه الله سبحانه في عالم الغيب والشّهادة من بدايع القدرة ، و لطايف الحكمة ، وعجايب الصّنعة لعجز وحار ، وانقطع واستحار ،فكيف لورام معرفة كلّه ويشهد على ماذكره عليه السلام ماقدّمنا في شرح الخطبة الأولى وفى شرح الخطبة التّسعين ، فليراجع ثمّة.

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن حضرتست كه فصل أوّل آن متضمّن أوصاف كمال حضرت ذوالجلالست مى فرمايد كه :

أمرخداى تعالى حكميست لازم وموافق است باحكمت وخوشنودى آن أمانست

ازعقوبت وسبب مغفرتست ورحمت حکم میفرماید بعلم شامل خود ، وعفومیفرماید باحلم کامل ، پروردگارا مر توراست حمد برآنچه می گیري ومی‌دهی ، و برآنچه که سلامت می‌داری از بلیّات و مبتلا می‌نمائی بآفات ، حمد می کنم تو را حمد کردنی که باشد خوشنودترین حمدها از برای تو ، ودوست‌ترین حمدها بسوی تو وفاضلترین حمدها نزد تو ، چنان حمدی که پرسازد آنچه را خلق کردهٔ ، و برسد بمقامی که مراد تواست،حمدی که محجوب نباشد ازدرگاه تو ، وممنوع ومحبوس نباشدنزد بارگاه تو، حمدیکه‌منقطع نشودشماره وعدد آن، وفاني‌نشود مادّه ومددآن

پس نیستیم ما که بدانیم نهایت بزرگی جلال تورا غیراز این که مي‌دانیم که تو زندهٔ قائم بامور مخلوقان ، أخذ نمی کند تورا مقدّمه خواب که خواب خفیف است ونه خواب گران ، منتهی‌نشد بسوی کمال تو نظر وفکری ، ودرك ننمود جمال تورا هیچ بصری ، درك کردی تو بصرهارا ، ودرشماره آوردی‌عملهارا ، واخذکردی به‌پیشانیها وقدمهای مردمان .

وچه چیز است آنچه که می‌بینیم ازخلق تو وتعجّب میکنیم از برای او از قدرت تو ، ووصف میکنیم آن را ازبزرگی‌پادشاهي تو وحال آنکه آنچه که غایب شده از ما ازآن ، وقاصر شده بصرهای ما از درك آن وبنهایت رسیده عقلهای ما نزد آن ، وحایل شده پرده‌های غیبها میان ما ومیان آن بزرگتر است .

پس هر که فارغ نماید قلب خودش را و إعمال کند فکر خودرا تا بداند که چگونه برپاداشتهٔ عرش خودرا ، وچه سان آفریدهٔ مخلوقات خودرا ، وچه قرار در آویخته در هوا آسمانهای خودرا ، وچه نوع گسترانیدهٔ برموج آب زمین خودرا برمي‌گردد بینائي او در مانده و آواره ، وعقل او مغلوب ، وقوّهٔ سامعهٔ اوحیران ، وقوّهٔ متفکّرهٔ او متحیّر وسرگردان .

الفصل الثاني (منها)

يَدعي بزعمه أنَّه يَرجو اللهَ، كَذِبَ وَالعظيم ما بالُهُ لا يَتبيَّن رجاؤُهُ في عَمَلِه، وَكُلُّ مَن رَجا عُرِف رَجاؤُه في عَمَلِه إلا رجاءَ اللهِ فإنَّه مَدخُول، وَكُلُّ خَوفٍ مُحقَّقٌ إلا خَوفَ اللهِ فإنَّه مَعلُولٌ، يَرجُو اللهَ في الكَبيرِ وَيَرجُو العِبادَ في الصَّغيرِ، فيُعطِي العَبدَ مالا يُعطِي الرَّبَّ، فما بالُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَصَّرُ بهِ عَمّا يُصنَعُ بهِ بِعِبادِه، أتخافُ أن تَكُونَ في رَجاءِكَ لَهُ كاذِباً، أو تَكُونَ لا تَراهُ للرَّجاءِ مَوضِعاً، وَكَذلكَ إن هُوَ خافَ عَبداً مِن عَبيدِهِ أعطاهُ مِن خَوفِه ما لا يُعطِي رَبَّهُ، فجَعَلَ خَوفَهُ مِنَ العِبادِ نَقداً، وَخَوفَهُ مِن خالِقِهِ ضِماراً وَوَعداً، وَكَذلكَ مَن عَظُمَتِ الدُّنيا في عَينِهِ، وَكَبُرَ مَوقِعُها في قَلبِهِ، آثَرَها عَلى اللهِ فانقَطَعَ إليها، وَصارَ عَبداً لَها.

وَلَقَد كانَ في رَسُولِ اللهِ ﷺ كافٍ لَكَ في الأُسوَةِ، وَدَليلٌ لَكَ عَلى ذَمِّ الدُّنيا وَعَيبِها، وَكَثرَةِ مَخازِيها وَمَساوِيها، إذ قُبِضَت عَنهُ أطرافُها، وَوُطِّئَت لِغَيرِهِ أكنافُها، وَفُطِمَ مِن رَضاعِها وَزُوِيَ عَن زَخارِفِها.

وَإن شِئتَ ثَنَّيتَ بِمُوسى كَليمِ اللهِ ؏ إذ يَقُولُ «رَبِّ إنّي لِما أنزَلتَ إلَيَّ مِن خَيرٍ فَقيرٌ» وَاللهِ ما سَأَلَهُ إلا خُبزاً يَأكُلُهُ، لأنَّهُ كانَ

يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ، وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِدَاوُدَ ﷺ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِي أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرُ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ ﷺ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا

صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً للهِ ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ .

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِي ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ ، فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ ، فَيَقُولُ : يَا فُلانَةُ ـ لإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي ، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا ، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً ، وَلا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً ، وَلا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا ، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ ، أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟! فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلا يَأْمَنِ

الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ ، خَرَجَ مِنَ الدُّنيا خَمِيصاً ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً ، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ، وَاللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ ، فَقُلْتُ : اعْزُبْ عَنِّي ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى.

اللغة

(الزّعم) مثلّثة الزاء قد يطلق على الظنّ والاعتقاد الفاسد ومنه قوله تعالى «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا».

وقد يطلق على القول الباطل والكذب ، وربّما يطلق على القول الحقّ والمراد هنا الأوّل و (مدخول) مفعول من الدّخل بالتسكين وهو المكر والخديعة والعيب ومثله الدّخل محرّكة قال تعالى:

«وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ».

أي مكراً وخديعة و(الضّمار) ما لا يرجى من الوعود هكذا قال الشّارح المعتزلي وقال الفيروزآبادى : الضّمار ككتاب من المال الّذي لا يرجى رجوعه ، ومن العذاب ماكان ذا تسويف وخلاف العيان ، ومن الدّين ماكان بلا أجل و (الاسوة) بالكسر و الضّم القدوة و (المخازي) جمع مخزاة و هى الأمر يستحى من ذكره لقبحه و (المساوى) العيوب و (الأكناف) الأطراف و (شفّ) الثّوب شفّاً و شفيفاً رقّ فحكى ما تحته .

و (الصّفاف) ككتاب الجلد الأسفل تحت الجلد الّذي عليه الشّعر و(الهزال) بضمّ الهاء نقيض السّمن و (المزامير) جمع المزمار وهي الآلة الّتي يزمر فيها من زَمَرَ يزمُرُ ويزمِرُ من باب نصروضرب زمراً وزميراً غنّى في القصب ونحوه و مزامير داود .ما كان يتغنّى به من الزّبور وضروب الدّعاء (السّفايف) جمع السّفيفة و هي النّسيجة من سففت الخوص و أسففته نسجته ، و في نسخة الشّارح المعتزلي بعد قوله : ويلبس الخشن : و يأكل الجشب، وهو كالجشيب الخشن الغليظ البشع من كلّ شيء والسّيىء الماكل أو بلا ادم .

(ولا ولد يحزنه) مضارع حزن كنصر قال تعالى « انّي ليحزنني أن تذهبوا به » و يقرء يُحزِن مضارع أحزنه الشّيء و (لفته) عن كذا يلفته صرفه و لواه و (القضم) الأكل بأدنى الفم أى بأطراف الأسنان ويروى قصم بالصّاد المهملة من القصم وهو القصر و (الهضم) محرّكة انضمام الجنبين و خمص البطن و (الكشح) الخاصرة (وحقر شيئاً) يروى بالتّخفيف والتضعيف

الاعراب

الباء في قوله : بزعمه ، للسببيّة إن كان الزّعم بمعنى الظنّ والاعتقاد ، وإلاّ فهى صلة ، والواو في قوله : كذب والعظيم ، للقسم و إنّما قال : والعظيم ولم يقل : والله العظيم ، تأكيداً لعظمة الباري سبحانه ، لأنّ الموصوف إذا لغى وترك واعتمد على الصّفة حتّى صارت كالاسم كانت أدلّ على تحقّق مفهوم الصّفة كالحارث والعبّاس هكذا قال الشّارح المعتزلي .

وقال البحراني : وإنّما قال : والعظيم ، دون الله لأنّ ذكر العظمة هنا أنسب للرّجاء ، والاضافة في قوله : من خوفه ، من اضافة المصدر إلى الفاعل أوالمفعول ، و اللاّم في قوله تعالى : لما أنزلت إلىّ من خير فقير ، بمعنى إلى أو للتّعليل أو ضمن فقير معنى سائل فعدّى باللاّم ، و الواو في قوله : ولقد كانت ، للقسم والمقسم به محذوف لمعلوميّته ، وسلفاً ، وقائداً ، منصوبان على الحال من ضمير به .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام قد نبّه في هذا الفصل من كلامه عليه السلام على بطلان دعوى من يدّعي رجاء ثواب الله سبحانه و خوف عقابه ويزعم اتّصافه بهذين الوصفين اللّذين هما من أوصاف السّالكين وحالات الطّالبين ومقامات العارفين الرّاغبين ، وعقّبه بالتّزهيد عن الدّنيا بالأمر بالتّأسّي على رسول الله صلّى الله عليه وآله و جملة من السّلف الصّالحين من الأنبياء و المرسلين حيث زهدوا في الدّنيا ، و آثروا الآخرة على الأولى لما رأوا من معايبها ومساويها ،وقد تقدّم في التّنبيه الثّالث من تنبيهات الفصل السّادس من فصول الخطبة الثّانية والثّمانين تحقيق معنى الرّجاء و تفصيل الكلام فيه ولا حاجة إلى الاعادة ، و إنّما نشير هنا إلى محصّل ما أوردناه هناك تمهيداً و توضيحاً للمتن .

فأقول : خلاصة ما قلناه فيما تقدّم : إنّ الرّجاء عبارة عن ارتياح النّفس لانتظار ما هو محبوب عندها ، فهو حالة لها تصدر عن علم وتقتضي عملا ، فمن كان يرجو لقاء ربه و يأمل ثوابه فليعمل عملا صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً ، كما نطق به الكتاب الكريم والقرآن الحكيم ، فاللاّزم على الرّاجي للثواب من الملك الوهّاب عزّ وعلا أن يبذر المعارف الالهيّة في قلبه ، ويدوم على سقيه بماء الطّاعات و يجتهد في تطهير نفسه عن شوك الأخلاق الرّديـة المانعة من نماء العلم و زيادة الايمان ، وينتظر من فضل الله سبحانه أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله و حصاد عمله ، فذلك الانتظار هو الرّجاء الحقيقي المحمود .

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّ من النّاس من يتّبع هواه ويفرّط في أمر مولاه و يغمر في المعاصي ويدوم على المناهي ومع ذلك كلّه (يدّعى بزعمه) الفاسد ونظره الكاسد (أنّه يرجو الله)ويأمل لقائه فقد (كذب) في دعواه وخاب فيما يتوقّعه و يتمنّاه (و) الرّبّ (العظيم) لما قد عرفت أنّ الرّجاء بدون إصلاح العمل حمق وجهالة ، ومن دون تزكية النّفس سفه وضلالة (ما باله) استفهام على سبيل التّوبيخ والتّقريع أى ما بال هذا الدّاعي للرّجاء (لا يتبيّن رجاؤه في عمله) يعني انّه لو كان

رجاؤه صدقا لظهر رجاؤه في عمله ، و ذلك لأنّا نرى أنّ كلّ من رجا شيئاً من سلطان أوغيره فانّه يتابعه ويخدمه ويتقرّب إليه ويتحبّب إليه ويبالغ في طلب رضاه و يسارع إلى خدمته و يأتي بقدر طوعه كلّ ما هومطلوب له و محبوب عنده ليظفر بمراده وينال إلى مايرجوه منه ، وهذا المدّعي للرّجاء حيث لايظهر رجاؤه في عمله يتبيّن أنّه كاذب في دعواه ، غيرخالص في رجاه .

و هذا معنى قوله (و كلّ من رجا عرف رجاؤه في عمله إلاّ رجاء) من يرجو (الله فانّه مدخول) أي معيب (و كلّ خوف محقّق) أى كلّ خائف فخوفه محقّق ثابت له أصل وحقيقة يظهر آثاره على الخائف (إلاّ خوف الله) تعالى (فانّه معلول) أي مشتمل على المرض والعلّة حيث لايظهر آثاره وعلاماته على من يخافه سبحانه كما ستعرفه تفصيلا .

هذا على تقدير عود الضّمير في قوله: فانّه، إلى خوف الله ، ويجوز عوده إلى كلّ خوف بأن يجعل محقّق صفة لخوف وإلاّ بمعنى غير وهذه الجملة أعني جملة فانّه معلول خبراً لكلّ خوف ، فيكون محصّل المعنى أنّ كلّ خوف ثابت غير خوف الله سبحانه فان هذا الخوف معلول ، بخلاف خوفه سبحانه فانّه الخوف الصّريح الحقيقي ، و ذلك لأنّ مايخاف به من غيره تعالى فهو أمر دنيويّ سريع الزّوال والانقضاء ، مع أنّ ذلك الغير لايقدر على ايقاع مكروه على الخائف إلاّ بمشيّة الله سبحانه وإقدار منه له عليه ، بخلاف الخوف منه تعالى فانّه خوف من القادر القاهر لارادّ لقضائه ولادافع لحكمه ، وعذابه أليم لايفنى ، وسخطه عظيم لاينقطع ولايتناهى

ويؤيّد هذا الاحتمال الثّاني في هذه الفقرة ما في بعض النّسخ بدل قوله : وكلّ من رجا آه و كلّ رجاء إلاّ رجاء الله فانه مدخول ، وجه التّأييد أنّ الضّمير حينئذ يعود إلى كلّ رجاء فيكون سوق كلتا الفقرتين على مساق واحد ، و يتطابق الكلّيتان كما هوغير خفيّ على البصير ، هذا .

وأكّد كون رجائه لله سبحانه معلولا بقوله (يرجوالله في الكبير) أى يرجو رحمته ومغفرته ونعمته ومنّته وجنّته الّتي عرضها السّماء والأرض (و يرجوالعباد

في الصّغير) أى في امور دنيويّـه زهيدة المنفعة قليلة الجدوى سريعة الزّوال والانقضاء ومع ذلك (فيعطى العبد ما لا يعطى الرّب) الاتيان بلفظ الاعطاء في يعطى الرّب للمشاكلة ، و المراد أنّـه يكثر عمله لمن يرجوه من العباد و يتقرّب إليه بكلّ وسيلة ليفوز بما يتوقّعه منه ، ويتهاون في طاعة ربّه ويتكاسل في عبادته و يقصّر فيما يقربه إليه مع أنّ اللاّزم عليه أن يكون عمله بعكس ذلك ، فيكون قيامه بوظايف التّقرّب إلى الله سبحانه أكثر و آكد من القيام بوظايف التّقرّب إلى غيره ، حيث إنّ المرجوّا لكبير يستدعى ما يناسبه ممّا هو وسيلة إليه كميّة و كيفيّة .

وحيث إنّه عكس في القيام بوظايف رجاه ولم يعط ربه ما أعطاه سواه فحقيق بالتّوبيخ و الملام و التّقريع والتّبكيت ، ولذلك قال ذمّا وتشنيعاً (فما بال الله عزّ وجلّ يقصر به عمّا يصنع به بعباده) أى عمّا يعمل به ، ويصانع لهم من المصانعة الّتي هى أن تصنع شيئاً لغيرك لتصنع لك مثله .

وأكد التّوبيخ والتشنيع بقوله (أتخاف أن تكون في رجاءك له كاذبا أو تكون لاتراه للرّجاء موضعاً) يعني أنّ قصورك في القيام بوظايف الرّجا كاشف من خوفك من أحد أمرين كلاهما باطل :

أحدهما أن تكون كاذبا في رجاءك له سبحانه لزعمك أنّك لاتستعدّ مع العمل بلوازم رجائه تعالى لافاضة الجود منه عليك ولاتنال إلى مرجوّك ، وهو خطاء عظيم ناش عن ضعف الاعتقاد بالوعود الّتي وعدها الله سبحانه على ألسنة رسله و أنبيائه لمن عمل صالحا ويرجو رحمة ربّه .

وثانيهما أن تكون لا تراه للرّجاء موضعاً ، وهو كفر صريح ناش من توهّم عجزه أو بخله ، هذا .

ولما نبّه على بطلان دعوى المدّعين للرّجاء وشنّعهم على تلك الدّعوى ، عقّبه بالتّشنيع على الخائفين بسبب قصورهم في لوازم الخوف ، وتوضيح قصورهم فيها محتاج إلى تحقيق معنى الخوف وبيان حقيقته

فأقول : إنّ الخوف كما في إحياء العلوم عبارة عن تألّم القلب و احتراقه بسبب توقّع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرّجاء و هو صفة تقتضى علماً وعملا .

اما العلم فهو العلم بالسّبب المفضى إلى المكروه ، و ذلك كمن جنى على ملك ثمّ وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ، ولكن يكون تألّم قلبه بالخوف بحسب قوّة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله ، و هو تفاحش جنايته و كون الملك حقوداً غضوباً منتقماً ، و كونه محفوفا بمن يحثّه على الانتقام ، خالياً عمّن يتشفّع إليه في حقّه ، وكان هذا الخائف عاطلا عن كلّ وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك ، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوّة الخوف وشدّة تألّم القلب ، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف .

وقد يكون الخوف لاعن سبب جناية قارفها الخائف ، بل عن صفة المخوف منه كالّذى وقع في مخالب سبع ، فانّه يخاف السّبع لصفة ذات السّبع و هى سطوته وحرصه على الافتراس غالباً وإن كان افتراسه بالاختيار .

وقد يكون من صفة جبليّة للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق من الغرق والاحتراق ، لأنّ طبع الماء مجبول على السّيلان والاغراق ، و كذا النّار على الاحراق ، فالعلم بأسباب المكروه هو السّبب الباعث المثير لاحراق القلب وتألّمه ، وذلك الاحراق هو الخوف .

فكذلك الخوف من الله تارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته وأنّه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ، و تارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي ، وتارة يكون بهما جميعاً ، وبحسب معرفته بعيوب نفسه و معرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنّه لايسئل عمّا يفعل وهم يسئلون تكون قوّة خوفه فأخوف النّاس لربّه أعرفهم بنفسه وبربّه ولذلك قال صلى الله عليه وآله : أنا أخوفكم لله ، و كذلك قال الله : إنّما يخشى الله من عباده العلماء .

وأما العمل فهو أنّه إذا حصل له الخوف أوجب ذلك الكفّ و التّوقّى عن

كلّ ما يؤدّي إلى المكروه المتوقّع الّذي يخاف منه .

و خوف الله سبحانه إذا ثبت في القلب و اشتدّ يظهر أثره على البدن و على الجوارح والصّفات .

اما البدن فبالنّحول والصّفار والغشية و الزّعقة و البكاء ، و قد تنشقّ به المرارة فيفضى إلى الموت ، أو يصعد إلى الدّماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط و اليأس .

واما الجوارح فبكفّها عن المعاصي و تقييدها بالطّاعات تلافياً لما فرّط و استعداداً للمستقبل .

واما الصفات فبأن يقمع الشّهوات ويكدّر اللّذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أنّ فيه سمّاً فتحرق الشّهوات بالخوف وتتأدّب الجوارح ويحصل في القلب الذّبول والخشوع والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهمّ بخوفه و النّظر في خطرعاقبته، فلايتفرّغ لغيره ولايكون له شغل إلاّ المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضّنة بالأنفاس واللّحظات ، ومؤاخذة النّفس بالخطرات والخطوات و الكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدرى أنّه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هوخائف منه لامتّسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه .

و قوّة المراقبة و المحاسبة و المجاهدة بحسب قوّة الخوف الّذي هو تألّم القلب و احتراقه وقوّةالخوف بحسب قوّةالمعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وأفعاله وبعيوب النّفس ومابين يديها من الأخطار والأهوال .

وأقلّ درجات الخوف ممّا يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمّى الكفّ الحاصل عن المحظورات ورعاً ، فان زادت قوّته كفّ عمّا يتطرق إليه امكان التّحريم فيكفّ أيضاً عن المشتبهات ويسمّى ذلك التّقوى ، إذالتّقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لايريبه ، وقد يحمله على ترك مالا بأس به مخافة مابه

بأس ، وهو الصّدق في التّقوى ، فاذا انضمّ إليه التّجرّد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ، و لا يجمع مالا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّها تفارقه ، ولا يصرف إلى غيرالله تعالى نفساً من أنفاسه ، فهو الصّدق وصاحبه جدير بأن يسمّى صديقاً .

و يدخل في الصّدق التّقوى ، و يدخل في التّقوى الورع ، و يدخل في الورع العفة فانّها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشّهوات خاصّة فاذا الخوف يؤثّر في الجوارح بالكفّ والاقدام ، ويتجدّد له بسبب الكفّ اسم العفّة ، وهو كفّ عن مقتضى الشّهوة و أعلى منه الورع ، فانّه أعمّ لأنّه كفّ عن كلّ محظور و أعلى منه التّقوى ، فانّه اسم للكفّ عن المحظور و الشّبهة جميعا وورائه اسم الصّديق والمقرّب .

إذا عرفت ذلك ظهر لك معنى قوله (و كذلك إن هو خاف عبداً من عبيده) سبحانه(أعطاه من خوفه) الضمير راجع إلى الخائف أو العبد أى أعطاه من أجل خوفه إيّاه (مالايعطى ربّه) يعنى أنّه يقوم بمقتضيات خوفه إن خاف غيرالله تعالى فيفعل ما يأمر و يترك ما ينهى ويأتي بمايريد بخلاف خوفه منه سبحانه فيدّعى الخوف ولايظهر أثره عليه (فجعل خوفه من العباد نقدا) أي كالنقد المعجّل لوجود آثاره فيه بالفعل (و خوفه من خالقه ضماراً و وعداً) ذا تسويف غير موجود آثاره فيه بعد هذا .

و لمّا نبّه على بطلان دعوى المدّعين للخوف و الرّجاء و كذّبهم في تلك الدّعوى معلّلا بكون رجاهم لغيرالله تعالى أكثر و آكد ، وخوفهم من غيره سبحانه أقوى وأشدّ ، وفهم من ذلك ضمناً بدلالة الالتزام أنّ توجّههم ومراقبتهم إلى غيره عزّ وعلا أكثر من مراقبتهم و توجّههم إليه ، حيث إنّهم يؤثرون غيره عليه إذا رجوا ، ويقدمون خوف الغير على خوفه إذا خافوا أردف ذلك بالتّنبيه على أنّ حال أبناء الدّنيا كذلك ، لا يثارهم الدّنيا عليه تعالى و انقطاعهم إليها و افتتانهم بها و رغبتهم إليها دونه .

وبهذا ظهر لك حسن الارتباط والمناسبة بين مامرّ وبين قوله (و كذلك من

عظمت الدّنيا في عينه) وراقه زبرجها (و كبر موقعها من قلبه) وعظم محلّها عنده للذّاتها العاجلة و شهواتها الموجودة الحاضرة (آثرها على الله) و اختارها على ما لديه ممّا لا عين رأت و لا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لكونه آجلا غايباً (فانقطع إليها وصار عبداً لها) ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها ، غافلا عن أنّه ظلّ زائل ، و ضوء آفل ، و سناد مائل ، وغرور حائل .

و لمّا وصف حال أبناء الدّنيا المفتونين بها عقّبه بأمرهم بالتّأسّي برسول الله ﷺ المعرض عنها لما رأى من فنائها و زوالها ومخازيها ومعايبها تزهيداً لهم عنها ، و تنبيهاً على خطائهم في الافتتان بها فقال (و لقدكان في رسول الله ﷺ كاف لك في الاسوة) أي في القدوة والاتّباع (و دليل لك على ذمّ الدّنيا و كثرة مخازيها) أي مهالكها ومقابحها وفضايحها (ومساويها) أي معايبها .

و أشار إلى دليل الذّم بقوله (إذ قبضت عنه أطرافها و وطئت) أي هيّأت (لغيره أكنافها) وجوانبها و (فطم من رضاعها) والتقم غيره ضرعها (وزوى) أي نحّى (عن زخارفها) وقرّب إلى غيره زبرجها .

ودلالة هذه الجملة على ذمّها وعيبها أنّه لوكان لها وقع عنده سبحانه و لها كرامة لديه لم يضن بها على أحبّ خلقه إليه و أشرفهم و أكرمهم عنده ، فحيث زويها عنه وبسطها لغيره دلّ ذلك على خسّتها وحقارتها وهو انها

وإلى ذلك يشيرما في الحديث : ما زوى الله عن المؤمن في هذه الدّنيا خير ممّا عجّل له فيها .

قال بعض شرّاح الحديث : أي مانحّى من الخير والفضل ، وتصديق ذلك انّ الرّجل منهم يوم القيامة يقول : يارب إنّ أهل الدّنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النّساء ولبسوا الثّياب اللّينة و أكلوا الطّعام وسكنوا الدّور وركبوا المشهورمن الدّواب فأعطني مثل ما أعطيتهم ، فيقول الله تبارك و تعالى : ولكلّ عبد منكم ما أعطيت أهل الدّنيا منذ كانت الدّنيا إلى أن انقضت سبعون ضعفاً .

(وإن شئت ثنّيت) إعراض رسول الله صلى الله عليه وآله عن الدّنيا (ب)اعراض (موسى كليم الله) عنها أو إن شئت ثنّيت الأُسوة بالرّسول صلى الله عليه وآله بالأُسوة بالكليم (إذ يقول) ما حكى الله سبحانه عنه في سورة القصص بقوله (ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير) أى إنّي محتاج (١) إلى ما أنزلت إليّ أو سائل طالب لما أنزلته ، أو إنّي فقير من الدّنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدّين وهو النّجاة من الظّالمين أى صرت فقيراً لأجل ذلك لأنّه كان عند فرعون في ثروة و سعة وملك ، وقال عليه السلام ذلك رضا بالبدل النبي و فرحاً به و شكراً له ، وعلى ذلك فالمراد بما في قوله لما أنزلت ، هو خير الدّين والنّجاة من الظّالمين وقال في الكشاف إنّى لأيّ شيءٍ أنزلت إليّ قليل أو كثير غثّ أو سمين لفقير .

وحمله الأكثرون على الطعام ، ويؤيّده ما في الصّافي عن الكافي والعياشي عن الصّادق عليه السلام سأل الطعام ، قال : وفي الاكمال روى أنّه قال ذلك و هو محتاج إلى شقّ تمرة .

وفي مجمع البيان عن ابن عبّاس قال : سأل نبيّ الله فلق خبز يقيم به صلبه و يؤيّده أيضاً كما يؤيّد تضمين فقير معنى سائل وكون اللاّم للصّلة قول أمير المؤمنين عليه السلام (والله ماسأله إلاّ خبزاً يأكله ، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض) إذ خرج من مدينة فرعون خائفاً يترقّب بغير ظهر ولادابّة ولا خادم ولازاد تخفضه الأرض مرّة و ترفعه أُخرى حتّى انتهى إلى أرض مدين ، و كان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيّام ، وقيل : ثمانية ، فخرج منها حافياً ولم يصل إلى مدين حتّى وقع خفّ قدميه ، وكان لا يأكل في مدّة مسيرها إلاّ حشيش الصّحراء وبقل الأرض .

(و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه) يعني أنّ جلد بطنه

---

(١) هذا مبنى على تضمين فقير معنى محتاج وجعل اللاّم بمعنى الى ، والثانى مبنى على تضمينه معنى الطلب والسؤال وجعل اللام للصلة ، والثالث مبنى على ابقاء الفقير على معناه الاصلى وجعل اللاّم للتعليل ، ولكلّ واحد قال المفسرون، منه

بسبب رقّته لم يكن حاجباً عن إدراك البصر لما ورائه وذلك (لهزاله وتشذّب لحمه) أى تفرّقه قال في عدّة الدّاعي : ويروى أنّه أى موسى عليه السلام قال يوما يا ربّ إنّي جائع فقال الله أنا أعلم بجوعك ، قال : يا ربّ أطعمني قال : إلي أن أُريد.

وفيما أوحى إليه عليه السلام ياموسى الفقير من ليس له مثلي كفيل ، و المريض من ليس له مثلي طبيب ، و الغريب من ليس له مثلي مونس قال : و يروى حبيب ، يا موسى ارض بكسرة من شعير تسدّ بها جوعتك ، و بخرقة توارى بها عورتك ، واصبر على المصائب ، وإذا رأيت الدّنيا مقبلة عليك فقل : إنّا لله وإنّا إليه راجعون عقوبة قد عجلت في الدّنيا ، وإذا رأيت الدّنيا مدبرة عنك فقل : مرحباً بشعار الصّالحين ، يا موسى لا تعجبنّ بما أُوتى فرعون و ما تمتّع به فانّما هي زهرة الحياة الدّنيا .

(وإن شئت ثلّثت بداود) بن أيش من أولاد يهودا سمّي به لأنّه داوي جرحه بودّ وقد قيل : داوى ودّه بالطّاعة حتّى قيل عبد، رواه في البحار من معاني الأخبار وغيره (صاحب المزامير) قال الفيروزآبادي : مزاميره ماكان يتغنّى به من الزّبور وقال الشّارح المعتزلي : يقال : إنّ داود اعطى من طيب النّغم ولذّة ترجيع القراءة ماكان الطّيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه ، والوحش تسمعه فيدخل بين النّاس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته .

وفي البحار من الامالي عن هشام بن سالم عن الصّادق عليه السلام في الحديث الآتي وكان إذا قرء الزّبور لايبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلاّ جاذبه (و) لعلّه لطيب صوته كان (قاري أهل الجنّة فلقد كان يعمل سفائف الخوص) أي نسايج ورق النّخل (بيده ويقول لجلسائه أيّكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشّعير من ثمنها) قال في البحار : لعلّ هذا كان قبل أن ألان الله له الحديد .

وروي فيه من تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى « ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه » أى سبّحى لله « والطّير و ألنّا له الحديد » قال : كان داود إذا مرّ في البرارى يقرء الزّبور يسبّح الجبال والطّير معه والوحوش وألان الله

له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما أحب.

وفيه من الفقيه بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوحى الله إلى داود نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تأكل بيدك شيئاً قال: فبكى داود عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى الحديد أن لن لعبدي داود فألان الله له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمأة و ستين درعا فباعها بثلاثمأة و ستين ألفاً، و استغنى عن بيت المال.

وعن صاحب الكامل كان داود بن ايشاح (ايشخل) من أولاد يهودا وكان قصيرا أزرق قليل الشعر، فلما قتل طالوت أتى بنواسرائيل داود وأعطوه خزاين طالوت وملكوه عليهم.

و قيل إن داود ملك قبل أن يقتل جالوت، فلما ملك جعله الله نبياً ملكا و أنزل عليه الزبور و علمه صنعة الدرع و ألان له الحديد وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح، ولم يعط الله أحداً مثل صوته كان إذا قرء الزبور تدنو الوحش حتى يؤخذ بأعناقها، وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر، وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف، و كان يأكل من كسب يده أربعة آلاف، و كانت مدة ملكه أربعين وتمام عمره مأة، هذا.

و قد اتضح بذلك أنه عليه السلام مع ما آتاه الله من الملك والنبوة والبسطة زهد في الدنيا ورغب عنها وجعل رزقه في كد يمينه، و العجب أنه مع زهده ذلك عيره حزقيل النبي ويعجبني أن أذكر قصته معه لمناسبتها بالمقام، و دلالتها على ذم الدنيا المسوق له هذا الفصل من كلام الامام عليه السلام

فأقول: روى في البحار من أمالي الصدوق عن أبيه عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إن داود خرج ذات يوم يقرء الزبور و كان إذا قرء الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلا جاذبه، فما زال يمر حتى انتهى إلى جبل فاذا على ذلك الجبل نبي عابد يقال له حزقيل، فلما سمع دوي الجبال وأصوات السباع والطير علم أنه داود، فقال

داود : يا حزقيل أتاذن لي فأصعد إليك ؟ قال : لا ، فبكى داود عليه السلام فأوحى الله جلّ جلاله إليه يا حزقيل لا تعيّر داود وسلني العافية ، فقام حزقيل فأخذ بيد داود عليه السلام فرفعه إليه فقال : داود عليه السلام ياحزقيل هل هممت بخطيئة قطّ ؟ قال : لا ، قال: فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله تعالى ؟ قال : لا ، قال : فهل ركنت إلى الدّنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذّتها ؟ قال : بلى ربّما عرض بقلبي ، قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك ؟ قال : أدخل هذا الشّعب فأعتبر بمافيه .

قال : فدخل داود النّبيّ الشعب فاذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام فانية ، وإذا لوح حديد فيه كتابة ، فقرأها داود فاذا هي : أنا أردى شلم ملكت ألف سنة و بنيت ألف مدينة و افتضضت ألف بكر فكان آخر أمري أن صار التّراب فراشي ، والحجارة وسادتي ، والدّيدان والحيّات جيراني ، فمن رآني فلا يغترّ بالدّنيا

و في البحار أيضاً دخل داود غاراً من غيران بيت المقدّس ، فوجد حزقيل يعبد ربّه وقد يبس جلده على عظمه فسلّم عليه ، فقال: أسمع صوت شبعان ناعم فمن أنت ؟ قال : أنا قال : الّذي له كذا و كذا امة ؟ قال : نعم و أنت في هذه الشّدة قال : ما أنا في شدّة ولا أنت في نعمة حتّى تدخل الجنّة .

(وان شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام) أى ان شئت أن تذكر حال المسيح فاذكر انّه لـ(قد كان يتوسّد الحجر) أى يأخذه وسادة له (و يلبس) اللّباس (الخشن و كان إدامه الجوع) قال العلاّمة المجلسيّ : لعلّ المعنى أنّ الانسان إنّما يحتاج إلى الادام لأنّه يعسر على النّفس أكل الخبز يابسا ، فأمّا مع الجوع الشّديد فيلتذ بالخبز و لا يطلب غيره فهو بمنزلة الادام ، أو أنّه كان يأكل الخبز دون الشّبع فكان الجوع مخلوطا به كالادام .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد أنّه كان يلتذّ بالجوع كما يلتذّ بالادام والطّعام ، أو أنّ الجوع كان بدلا عن إدامه فاستعير لفظ الجوع له من باب استعارة اسم الضدّ للضّد مثل قوله في الخطبة الثّانية : نومهم سهود و كحلهم دموع .

(و سراجه باللّيل القمر) يستضيء به كما يستضاء بالسراج (و ظلالـه في

الشّتاء) أى مكمنه من البرد (مشارق الأرض) في الضّحى (ومغاربها) في المساء (وفاكهته وريحانه ماتنبت الأرض للبهائم) واستعارة الفاكهة والرّيحان لما تنبت باعتبار التذاذ ذوقه وشمّه به كالتذاذ غيره بالفواكه والرّياحين (و لم تكن لـه زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته) أي يلويه ويصرفه عن ذكرالله (ولاطمع يذلّه) أى يوقعه في الذلّة والهوان (دابّته رجلاه وخادمه يداه) أى انتفاعه بهما كما ينتفع غيره بالدّابة والخادم .

واعلم أنّ ما وصف عليه السلام به عيسى فقد روى عنه عليه السلام نحوه في عدّة الدّاعي قال : و أمّا عيسى روح الله وكلمته فانّه كان يقول : خادمي يداى ودابّتي رجلاى وفراشي الأرض ووسادي الحجر ودفئي في الشّتاء مشارق الأرض و سراجي باللّيل القمر وادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصّوف وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام ، أبيت وليس لي شيء ، وأصبح وليس لي شيء ، وليس على وجه الأرض أحد أغنى منّي ورواه مثله في البحار من ارشاد القلوب إلاّ أنّ فيه بدل مشارق الأرض مشارق الشّمس ، وبدل ريحاني ريحانتي .

و في عدّة الدّاعي عن أبيعبدالله عليه السلام قال : في الانجيل إنّ عيسى قال : اللّهمّ ارزقني غدوة رغيفاً من شعير ر عشيّة رغيفاً من شعير و لا ترزقني فوق ذلك فاطغى .

أقول: وان شئت فاتّبع ذكرحال هؤلاء الأنبياء الأكرمين بذكرحال غيرهم من الأنبياء والمرسلين.

واذكر نوحاً نجيّ الله فانّه مع كونه شيخ المرسلين وقدروي أنّه عاش ألفى عام وخمسمأة عام ، وعمّر في الدّنيا مديداً ، مضى منها ولم يبن فيها بيتاً ، وكان إذا أصبح يقول لا امسى وإذا أمسى يقول لا أصبح .

و انظر إلى أبي الأنبياء إبراهيم خليل الرّحمن فقد كان لباسه الصّوف و طعامه الشّعير .

ثمّ انظر إلى يحيى بن زكريا كان لباسه اللّيف وأكله ورق الشّجر .

ثمّ إلى سليمان بن داود فقد كان مع ماهوفيه من الملك العظيم يلبس الشعر وإذا جنّه اللّيل شدّ يديه إلى عنقه فلا يزال قائماً باكيا حتّى يصبح، وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده، و هكذا كان حال ساير الأنبياء في إعراضهم عن الدّنيا.

و أمّا سيّد البشر فوصف حاله إجمالا قد مرّ وقد تقدّم أنّ فيه كافياً لك في الاتباع به والاهتداء بهداه، و لذلك عقّبه بالأمر بالتّأسّي به و أردفه بوصف حاله تفصيلا فقال (فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله) و اتّبع له (فانّ فيه اسوة لمن تأسّى وعزاء لمن تعزّى) أى نسبة لمن انتسب (وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه والمقتصّ)المتتبّع(لاثره)وإنّما كان أحبّ العباد إليه سبحانه لقوله تعالى « قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله » قال الفخر الرّازي: قال المتكلّمون محبّة الله للعبد عبارة عن إرادته تعالى ايصال الخيرات والمنافع في الدّين والدّنيا إليه، وقال بعض المحقّقين: ومن المتكلّمين من أنكر محبّة الله لعباده كالزمخشري و أترابه، زعماً منهم أنّ ذلك يوجب نقصاً في ذاته ولم يعلموا أنّ محبّة الله تعالى لخلقه راجعة إلى محبّة ذاته، هذا.

وقوله (قضم الدّنيا قضما) استيناف بيانيّ، فانّه لمّا ذكر أنّ أحبّ العباد إلى الله من اقتصّ أثر النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكان ذلك مظنّة لأن يسأل عن الأثر الذي يقتصّ أردف بهذا الكلام و ما يتلوه جواباً لهذا السّؤال المتوهّم، و تفصيلا لما فيه الاسوة، و به يكون الاقتصاص، و أراد بقضمه اقتصاره صلى الله عليه وآله في الدّنيا على قدر الضّرورة إذا لقضم يقابل الخضم و الأوّل أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، والثاني الأكل بالفم كلّه للأشياء الرّطبة كما قال عليه السلام في وصف حال بني اميّة في الخطبة الشقشقيّة: يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع، و في حديث أبي ذر «رض» يخضمون ونقضم والموعد الله

(و لم يعرها طرفا) أى لم يعطها نظرة على وجه العارية فكيف بأن يجعلها مطمح نظره، وهو كناية عن عدم التفاته إليها (أهضم أهل الدّنيا كشحاوأخمصهم

بطنا) أي أخمصهم خاصرة وبطناً ، و هو كناية عن كونه أشدّهم جوعا وأقلّهم شبعا كما روى أنّه صلّى الله عليه وآله إذا اشتدّ جوعه كان يربط على بطنه حجراً ويسمّيه المشبع مع كونه مالكا لقطعة واسعة من الدّنيا .

قال الغزالي في احياء العلوم : وفي الخبر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يجوع من غير غورأى مختاراً لذلك .

قال : و كانت عايشة تقول إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يمتل قطّ شبعا و ربّما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدى وأقول نفسى لك الفداء لوتبلّغت من الدّنيا بقدرما يقويك ويمنعك من الجوع ، فيقول : يا عايشة اخواني من أُولى العزم من الرّسل قد صبروا على ما هو أشدّ من هذا ، فمضوا على حالهم فقدموا على ربّهم فأكرم مآبهم و أجزل ثوابهم ، فأجدني أستحي إن ترفّهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم ، فالصّبر أيّاما يسيرة أحبّ إليّ من أن ينقص حظّى غداً في الآخرة ، و مامن شيء أحبّ إليّ من اللّحوق بأصحابي و إخواني ، قالت عايشة : فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتّى قبضه الله إليه .

و عن أنس قال : جائت فاطمة صلوات الله و سلامه عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : ما هذه الكسرة ؟ قالت : قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أما أنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام ، هذا ، وسنورد فصلا مشبعا في فضيلة الجوع وفوايده بعد الفراغ من شرح الخطبة إنشاء الله .

(عرضت عليه الدّنيا فأبى أن يقبلها) إشارة إلى ما ورد في غير واحد من الأحاديث العاميّة و الخاصّية من أنّه عليه السّلام عرض عليه مفاتيح كنوز الأرض فامتنع من قبولها .

منها ما في الكافي عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن عبدالله بن سنان عن أبيعبدالله عليه السّلام قال : خرج النّبيّ صلّى الله عليه وآله و هو محزون ، فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض فقال : يا محمّد

هذه مفاتيح خزائن الدّنيا يقول لك ربّك: افتح وخذمنها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : الدّنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له الملك : و الّذي بعثك بالحقّ لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السّماء الرّابعة حين اعطيت المفاتيح .

ومنها ما في الوسائل عن الكليني عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السّلام في حديث طويل وفيه : ثمّ قال عليه السّلام : يا محمّد لعلّك ترى أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم شبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام منذ بعثه الله إلى أن قبض ، ثمّ ردّ على نفسه ثمّ قال : لا و الله ما شبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ بعثه الله إلى أن قبضه ، أما أنّي لا أقول إنّه كان لا يجد ، لقد كان يجير الرجل الواحد بالماة من الابل فلو أراد أن يأكل لأكل ، وقد أتاه جبرئيل بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرّات يخيّره من غير أن ينقص ممّا أعدّ الله له يوم القيامة شيئاً ، فيختار التّواضع لله ، الحديث .

و قد مرّ في شرح الكلام التّاسع و السّتّين في التّذنيب الأوّل من شرحه المسوق لكيفيّة شهادة أمير المؤمنين عند اقتصاص حالـه في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان حديث عرض المفاتيح برواية لوط بن يحيى بنحو آخر فتذكّر

(و علم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ الله سبحانه أبغض شيئا) و لم يرده لأوليائه (فأبغضه) النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لنفسه لأنّه لايشاء إلاّ أن يشاء الله روى في إحياء العلوم عن موسى بن يسار قال : قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدّنيا و أنّه منذ خلقها لم ينظر إليها .

وفيه أيضا قال رسول الله : الدّنيا موقوفة بين السّماء والأرض منذ خلقها الله لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة : يا ربّ اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا ، فيقول اسكتي يا لاشيء إنّي لم أرضك لهم في الدّنيا ارضاك لهم **اليوم** ؟

(وحقّر شيئا فحقّره) أي حقره النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لحقارته عندالله سبحانه كما روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل بن درّاج عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بجدى اسك ملقى على مزبلة ميّتاً فقال

لأصحابه كم يساوى هذا ؟فقالوا:لعلّه لو كان حيّاً لم يساودرهماً ،فقال النّبي صلّى الله عليه وآله والّذي نفسي بيده الدّنيا أهون عندالله من هذا الجدي على أهله .

(وصغّرشيئاً) أراد تصغيره بالنسبة إلى ما أعدّه لأوليائه في الآخرة (فصغّره)

قال في إحياء العلوم قال داود بن هلال : مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام : يا دنيا ما هونك على الابرار الّذين تصنّعت و تزيّنت لهم إنّي قذفت في قلوبهم بغضك والصّدود عنك ،وما خلقت خلقا أهون عليّ منك كلّ شأنك صغير ، وإلى الفناء تصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومى لأحد ، ولايدوم لك أحد وإن بخل بهصاحبك وشحّ عليك ، طوبى للأبرار الّذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصّدق و الاستقامة ، طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء إذا و فدواإليّ من قبورهم إلاّ النّور يسعى أمامهم ، والملائكة حافّون بهم حتّى ابلغهم مايرجون من رحمتى ، هذا

ولمّا ذكرأنّ الدّنيا مبغوضة لله ، حقيرة عنده و كذلك عندالنّبيّ صلّى الله عليه وآله تبعا لرضائه تعالى ، عقّب ذلك بالتنبيه على أنّ اللاّزم على المتأسّي له صلّى الله عليه وآله والمقتصّ لأثره أن يبغض ما أبغضه الله ورسوله ويحقّر ما حقّراه وإلاّ لكان موادّاً لما حادّ الله ورسوله فقال (ولولم يكن فينا إلاّ حبّنا ما أبغض اللهورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله لكفى به شقاقالله) ومخالفة له(ومحادّة عن أمرالله) أى معاداة و مجانبة عنه .

وإلى ذلك ينظر ما روى أنّ سلمان رضىالله عنه كان متحسّراً عند موتـه ، فقيا، له : يا أباعبدالله على ما تأسّفك ؟ قال : ليس تأسّفي علي الدّنيا ، و لكن رسول الله صلّى الله عليه وآله عهد إلينا وقال : لتكن بلغة أحدكم كزاد الراكب ، وأخافأن يكون قد جاوزنا أمره و حولى هذه الأساور ، و أشار إلى ما في بيته وإذا هو دست وسيف وجفنة .

ثمّ أشار إلى تواضعهوتذلّله صلّى الله عليه وآله في مأكله ومجلسه ومركبه وغيرهافقال (ولقدكان صلّى الله عليه وآله يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد) وقد ورد التصريح بذلك

في روايات كثيرة مرويّة في الوسائل في كتاب الأطعمة .

ففيه عن محمّد بن يعقوب الكليني باسناده عن هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يأكل أكل العبد ، و يجلس جلسة العبد و يعلم أنّه عبد .

و عن الكليني عن الحسن الصيّقل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول مرّت امرأة بذيّة برسول الله صلّى الله عليه وآله و هو يأكل وهو جالس على الحضيض(١) فقالت: يا محمّد إنّك تأكل أكل العبد وتجلس جلوسه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : و أيّ عبد أعبد منّي .

وفيه عن البرقي عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يأكل بالأرض ، هذا .

وظهور التّواضع في الأكل على الأرض واضح .

و المراد بأكله أكل العبد إمّا ذلك أعني الأكل على الأرض ، أوالأكل بثلاثة أصابع لا بالأصبعين كما يشعر به ما في الوسائل عن البرقي عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يجلس جلسة العبد ويضع يده على الأرض ويأكل بثلاثة أصابع ، و قال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يأكل هكذا ليس كما يفعله الجبّارون يأكل أحدهم بأصبعيه، أوالأكل من غير اتّكاء

و يدلّ عليه ما في الوسائل عن الكليني عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أكل رسول الله صلّى الله عليه وآله متّكئاً منذ بعثه الله إلى أن قبضه تواضعاً لله عزّ وجلّ .

وعن زيد الشّحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أكل رسول الله صلّى الله عليه وآله متّكئاً منذ بعثه الله حتّى قبض كان يأكل أكلة العبد ، ويجلس جلسة العبد ، قلت : ولم ذلك ؟ قال : تواضعاً لله عزّ وجلّ .

و أما المراد من كون جلوسه جلسة العبد إمّا جلوسه على الأرض ، ويدلّ عليه ما مر

أو الجلوس من غير تربّع كما هو جلوس الملوك ، ويدلّ عليه ما في الوسائل

---

١ ـ القرار في الأرض

عن الكليني عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إذا جلس أحدكم على الطعام فليجلس جلسة العبد و لا يضعن احدى رجليه على الأخرى ويتربع ، فانها جلسة يبغضها الله ويمقتها .

أو الجلوس دون شرفه ، و يفيده ما في الوسايل أيضاً عن الكليني مرسلا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل .

(ويخصف بيده نعله) وتضمن لبس النعل المخصوفة للتواضع ظاهر لاسيما إذا كان لابسها هو الخاصف ، و قد تأسي به عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوصف مضافاً إلى ساير الصفات كما يفصح عنه مامر في عنوان الخطبة الثالثة و الثلاثين عن ابن عباس أنه قال : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذى قار و هو يخصف نعله ، فقال لي ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت : لاقيمة لها ، فقال عليه السلام : والله لهى أحب إلي من امرتكم إلا أن أقيم حقاً أوأدفع باطلا .

(ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويردف خلفه) ومعلوم أن ركوب الحمار العاري آية التواضع و هضم النفس ، و إرداف غيره خلفه آكد في الدلالة عليه .

روى في الوسائل من العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال خمس لا أدعهن حتى الممات : الأكل على الحضيض مع العبد ، وركوبي الحمار موكفا (١) وحلب العنز بيدي ، ولبس الصوف ، و التسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي .

وكذلك لبس الثوب المرقع لاسيما إذا كان اللابس هوالراقع .

ثم أشار إلى مبغوضية الدنيا وقيناتها عنده بقوله (و يكون الستر على باب بيته ويكون فيه التصاوير) الظاهر أن المراد به تصاوير الشجر والنبات ونحوها لا تصاوير الحيوان و غيره من ذوى الأرواح ، إذ بيته صلى الله عليه و آله كان مهبط الوحى

(١) الوكف محركة العيب والضعف والثقل . ق

ومختلف الملائكة ولا يدخل الملك بيتا فيه صورة مجسّمة كما ورد به الأخبار .

(فيقول صلى الله عليه وآله وسلم يا فلانــة لإحدى أزواجه غيبّي عنيّ) الظّـاهر أنه أراد بها عايشة كما يؤمى إليه في باب الزّهد من احياء العلوم قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على باب عايشة ستراً فهتكه و قال : كلّما رأيته ذكرت الدّنيا أرسلي بــه إلى آل فلان .

قال الشارح البحراني : أمره بتغييب التصاوير محافظة من حركة الوسواس الخناس ، و كما أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا كاسرين للنفس الأمّارة بالسوء ، و قاهرين لشياطينهم كانوا أيضا محتاجين إلى مراعاتهم ومراقبتهم و تفقّد أحوال نفوسهم في كلّ لحظة وطرفة ، فانها كاللّصوص المخادعين للنفوس المطمئنّة مهما تركت وغفل عن قهرها والتحفّظ منها عادت إلى طباعها .

أقول : لا يخفى مافي هذا التعليل بعد الغضّ عن كونه خلاف ما يستفاد من كلامه عليه السلام من الركاكة والسخافة والسماجة وإساءة الأدب بالنسبة إلى خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم بل وساير أولياء الدّين و كيف يتصوّر في حقّه صلى الله عليه وآله وسلم حركة الوسواس الخناس مع وجود ملكة العصمة و لولم يغب عنه صلى الله عليه وآله التصاوير ، بل الظاهر أنّ أمره صلى الله عليه وآله وسلم بتغييبها إنما هو لأجل أنّ الدّنيا وزخارفها كانت مبغوضة عنده بالذات ومكروهة لديه بالطبع ، فأمر بتغييبها لكونها موجبة لذكر مايبغضه ويتنفّر عنه و يعاديه .

كما يومى إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم (فانّى إذا نظرت إليه ذكرت الدّنيا وزخارفها) ويدلّ عليه صريحا قوله عليه السلام الآتي و كذلك من أبغض شيئا آه (فأعرض صلى الله عليه وآله وسلم عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه) وهو الزهد الحقيقي (وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتّخذ منها رياشا) أى لباساً فاخراً ، وذلك لما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم إنّ الله يحب المبتذل الذي لايبالي ما لبس

قال في إحياء العلوم : قال أبوبردة : اخرجت لنا عايشة كسـاءً ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذين .

قال : واشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثوباً بأربعة دراهم وكانت قيمة ثوبيه عشرة

و كان إزاره أربعة أذرع ونصفاً واشترى سراويل بثلاثة دراهم و كان يلبس شملتين بيضاوين و كانت تسمى حلّة لأنّهما ثوبان من جنس واحد ، وربّما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ ، وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلّى فيه فلما سلّم : قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فانى نظرت إليه في الصلاة ، و كان صلّى الله عليه وآله قد احتذى مرّة نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخرّ ساجداً و قال : أعجبني حسنهما فتواضعت لربّي خشية أن يمقتني فدفعهما إلى أوّل مسكين رآه .

(ولا يعتقدها قراراً ولا يرجو فيها مقاما) لأنها دار مجاز لا دار قرار

أحلام نوم أو كظلّ زائل إنّ اللّبيب بمثلها لا يخدع

ولذلك قال صلّى الله عليه وآله : الدّنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وعليها يعادي من لاعلم له ، وعليها يحسد من لافقه له ، ولها يسعى من لايقين له ولنعم ماقيل:

أرى طالب الدّنيا وإن طان عمره ونال من الدّنيا سروراً وأنعما

كبان بني بنيانه فأقامه فلمّا استوى ماقدبناه تهدّما

(فأخرج) محبّتـ(ـها من النّفس وأشخص) رغبتـ(ـها عن القلب وغيّب) زينتـ(ـها عن البصر) و ذلك لفرط بغضه لها و نفرته عنها و كراهته إيّاها (و كذلك) حال (من أبغض شيئاً) فانه إذا أبغضه (أبغض أن ينظر إليه و أن يذكر عنده)

ثمّ أكّد ما قدّم وقال : (ولقد كان في رسول الله صلّى الله عليه وآله مايدلّك على مساوى الدّنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصّته) .

أمّا جوعه صلّى الله عليه وآله فقد عرفته فيما تقدّم ، و أقول هنا مضافاً إلى ما سبق : روى أحمد بن فهد في عدّة الداعي أنه صلّى الله عليه وآله أصابه يوما الجوع فوضع صخرة على بطنه ثمّ قال : ألا ربّ مكرم لنفسه وهولها مهين ، ألا ربّ مهين لنفسه وهولها مكرم ألا ربّ نفس جايعة عارية في الدّنيا طاعمة في الآخرة ناعمة يوم القيامة، ألا ربّ نفس كاسية ناعمة في الدّنيا جايعة عارية يوم القيامة ، ألا ربّ نفس متخوّض متنعّم فيما أفاء الله على رسوله ماله في الآخرة من خلاق ، ألا إنّ عمل أهل الجنّة حزنة بربوة

ألا إنّ عمل أهل النّار سهلة لشهوة ، ألا ربّ شهوة ساعة أورثت حزناطويلا يوم القيامة .

و أما جوع خاصته فقد ورد في روايات مستفيضة .

منها ما في إحياء العلوم قال أبوهريرة : ما أشبع النّبي صلى الله عليه وآله أهله أعني أهل بيته و أزواجه وأهل بطانته من أصحابه ثلاثة أيّام تباعاً من خبز الحنطة حتّى فارق الدّنيا ، وقال إنّ أهل الجوع في الدّنياهم أهل الشّبع في الآخرة .

وفيه قال الفضيل ما شبع رسول الله منذ قدم المدينة ثلاثة أيّام من خبزالبرّ

قالت عايشة : كانت تأتي علينا أربعون ليلةومايوقدفي بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مصباح ولا نار ، قيل لها : فيم كنتم تعيشون ؟ قال : بالأسودين : التّمر والماء .

واما جوع أخصّ خاصّته أعني أهل بيت العصمة و الطّهارة فهو غنيٌّ عن البيان ، و كتب الخاصّة بل العامّة قد تضمّنت أخباراً كثيرة في ذلك المعنى ، ولنقتصر على ثلاثة أحاديث .

أحدها مارواه المحدّث الجزايري في الأنوار النّعمانيّة عن الصدوق طاب ثراه باسناده إلى خالد بن ربعى قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكّة في بعض حوائجه فوجد اعرابيا متعلّقاً بأستار الكعبة وهويقول : ياصاحب البيت البيت بيتك والضيف ضيفك ولكلّ ضيف من مضيفه قرى فاجعل قراى منك اللّيلة المغفرة

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه : أما تسمعون كلام الأعرابي ؟! قالوا : نعم قال عليه السلام : الله أكرم من أن يردّ ضيفه .

قال : فلمّا كان من اللّيلة الثانية وجده متعلّقا بذلك الركن وهو يقول : يا عزيزاً في عزّك فلا أعزّ منك في عزّك أعزّني بعزّ عزّك في عزّ لا يعلم أحد كيف هو أتوجّه إليك و أتوسّل إليك بحقّ محمّد و آل محمّد عليك اعطني ما لا يعطيني أحد غيرك ، و اصرف عني ما لا يصرفه أحد غيرك .

قال فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه : هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله سأله الجنّة فأعطاه وسأله صرف النارفصرفهاعنه .

قال : فلما كان اللّيلة الثالثة وجده وهومتعلّق بذلك الركن و هو يقول : يا من لايحويه مكان ولا يخلو منه مكان بلا كيفية كان ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم .

قال : فتقدّم إليه أميرالمؤمنين عليه السلام و قال يا اعرابي سألت ربّك فأقراك ، وسألت الجنّة فأعطاك ، و سألته أن يصرف عنك النار فصرفها عنك و في هذه اللّيلة تسأله أربعة آلاف درهم ؟ قال الاعرابي : من أنت ؟ قال عليه السلام أناعليّ بن أبيطالب قال الاعرابي : أنت والله بغيتي و بك أنزلت حاجتي ، قال عليه السلام : سل يا اعرابي ، قال : أريد ألف درهم للصداق ، و ألف درهم اقضى بها (به خ) ديني ، وألف درهم اشترى بها داراً ، وألف درهم أتعيّش بها ، قال أنصفت يا اعرابي فاذا خرجت من مكّة فسل عن دارى بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فأقام الاعرابي بمكّة اسبوعا فخرج في طلب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى المدينة ونادى من يدلّني على دار أميرالمؤمنين عليه السلام فقال الحسين بن عليّ من بين الصبيان أنا أدلّك على دار أميرالمؤمنين و أنا ابنه الحسين بن عليّ ، فقال الاعرابى : من أبوك ؟ قال : أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، قال : من أمّك ؟ قال : فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ، قال : من جدّك ؟ قال : محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، قال من جدّتك ؟ قال خديجة بنت خويلد ، قال : من أخوك ؟ قا ل أبومحمّد الحسن بن عليّ عليه السلام ، قال : قد أخذت الدّنيا بطرفيها امش إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقل له إنّ الاعرابي صاحب الضمان بمكّة على الباب .

قال : فدخل الحسين بن عليّ عليهما السلام فقال يا أبـه اعرابيّ بالباب ويزعم أنـه صاحب الضمان بمكّة ، قال : فقال : يافاطمة عندك شيء يأكله الاعرابي ؟ قالت : اللّهم لا ، فتلبّس أميرالمؤمنين عليه السلام وخرج وقال: ادعوا لي أباعبدالله سلمان الفارسي قال . فدخل سلمان الفارسي (رض) فقال عليه السلام : يا أباعبدالله اعرض الحديقة التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التجار .

قال : فدخل سلمان إلى السوق و عرض الحديقة فباعها باثنى عشر ألف درهم

وأحضر المال وأحضروا الاعرابي فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهما نفقة ، ووقع الخبر إلى سؤّال المدينة فاجتمعوا ، ومضى رجل إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت : آجرك الله في ممشاك ، فجلس عليّ عليه السلام والدّراهم مصبوبة بين يديه حتّى اجتمع عليه أصحابه فقبض قبضة قبضة وجعل يعطى رجلا رجلا حتى لم يبق معه درهم واحد

فلمأ أتى المنزل قالت له فاطمة عليها السلام : ياابن عم بعت الحائط الذى غرسه لك والدى ، قال : نعم بخير منه عاجلا و آجلا ، قالت : فأين الثمن ؟ قال دفعته إلى أعين استحييت أن أذلّها بذلّ المسألة اعطيتها قبل أن تسألني ، قالت فاطمة : أنا جايعة وأولادي جايعان ولا شكّ إلاّ وأنّك مثلنا في الجوع لم يكن لنا منه درهم وأخذت بطرف ثوب عليّ ، فقال عليّ : خلّيني ، فقالت عليها السلام : لا والله أو يحكم بيني و بينك أبي .

فهبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ربك يقرءك السّلام ويقول اقرء عليّاً منّي السّلام وقل لفاطمة : ليس لك أن تضربي على يديه ولا تلزمي بثوبه فلمّا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزل عليّ عليه السلام وجد فاطمة ملازمة لعليّ عليه السلام ، فقال لها يا بنيّة مالك ملازمة لعليّ ؟ قالت : يا أبت باع الحائط الّذي غرسته له باثنى عشر ألف درهم لم يحبس لنا منه درهماً واحداً نشترى بـه طعاماً ، فقال : يا بنيّة إنّ جبرئيل يقرئني من ربّي السّلام ويقول : اقرء عليّا منّي السّلام وأمرني أن أقول لك ليس لك أن تضربي على يديه و لا تلزمي بثوبـه ، قالت فاطمة : أستغفر الله و لا أعود أبداً .

قالت فاطمة عليها السّلام : فخرج أبي في ناحية وزوجي في ناحية فما لبث أن أتى أبي صلى الله عليه وآله ومعه سبعة دراهم سود هجرية ، فقال صلى الله عليه وآله : يا فاطمة أين ابن عمّي فقلت له : خرج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هاك هذه الدّراهم فاذا جاء ابن عمّي فقولي لـه يبتاع لكم بها طعاماً ، فما لبث إلاّ يسيراً حتّى جاء علي عليه السلام فقال : رجع ابن عمّي فانّي أجد رايحة طيّبة ، قالت : نعم وقد دفع إليّ شيئا تبتاع به طعاما قال : فقال عليّ عليه السلام : هاتيه ، فدفعت إليه سبعة دراهم سود هجريّة فقال : بسم الله

و الحمدلله كثيراً طيبا وهذا من رزق الله تعالى ، ثمّ قال عليه السلام : يا حسن قم معي فأتيا السّوق فاذا هما برجل واقف وهويقول :من يقرض الملي الوفي ؟ قال : يابنيّ نعطيه قال:اي والله يا أبه ، فأعطاه عليّ الدّراهم كلّها ، فقال : يا أبتاه أعطيته الدّراهم كلّها ؟ قال : نعم يا بنيّ إنّ الّذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير .

قال : فمضى عليّ عليه السلام إلى باب رجل يستقرض منه شيئا ، فلقيه اعرابيّ ومعه ناقة ، فقال : يا علي اشتر منّي هذه النّاقة قال : ليس معي ثمنها قال : فاني انظرك به إلى القبض ، قال : بكم يا اعرابي ؟ قال:بمأة درهم ، فقال عليّ عليه السلام : خذها يا حسن فأخذها .

فمضى عليّ عليه السلام فلقيه اعرابي آخر المثال واحد و الثياب مختلفة فقال : يا علي تبيع النّاقة ، قال عليّ عليه السلام : وما تصنع بها ؟ قال : أغزوبها أوّل غزوة يغزوها ابن عمّك ؟ قال عليه السلام : إن قبلتها فهي لك بلا ثمن ، قال : معي ثمنها و بالثّمن أشتريها ،قال:فبكم اشتريتها؟ قال عليه السلام : بمأة درهم ، قال الاعرابي : فلك سبعون ومأة درهم ، قال علي عليه السلام للحسن عليه السلام : خذ السّبعين والمأة وسلّم المأة للاعرابي الّذي باعنا الناقة والسبعين لنا نبتاع بها شيئا ، فأخذ الحسن عليه السلام الدّراهم وسلّم الناقة

قال عليّ عليه السلام : فمضيت أطلب الاعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنه فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا لم أر فيه جالسا قبل ذلك اليوم و لا بعده على قارعة الطريق ، فلما نظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليّ تبسّم ضاحكا حتّى بدت نواجذه ، قال عليّ عليه السلام أضحك الله سنّك وبشرك بيومك ، فقال يا أباالحسن إنك تطلب الاعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن ؟ فقلت : إي والله فداك أبي و أُمّي ، فقال : يا أباالحسن الّذي باعك النّاقة جبرائيل والّذي اشتريها منك ميكائيل والناقة من نوق الجنة والدّراهم من عند ربّ العالمين فأنفقها في خير ولاتخف إقتاراً .

الثاني ما روته العامة والخاصة بروايات كثيرة تنيف على عشرين في سبب نزول سورة هل أتى ، فلنقتصر على رواية واحدة .

و هي ما في غاية المرام عن الصّدوق بسندين مذكورين فيه أحدهما عن ابن عبّاس ، وثانيهما عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ « يوفون بالنّذر » قال عليه السلام : مرض الحسن والحسين وهما صبيّان صغيران فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه رجلان (۱) فقال أحدهما لو نذرت في ابنيك نذراً إن عافاهما الله قال عليه السلام أصوم ثلاثة أيّام لله شكراً لله عزّ وجلّ ، و كذلك قالت فاطمة ، و قال الصّبيان و نحن أيضاً نصوم ثلاثة أيّام ، و كذلك قالت جاريتهم فضّة فألبسهما الله العافية فأصبحوا صائمين ، وليس عندهم طعام .

فانطلق عليّ عليه السلام إلى جارله من اليهود يقال له : شمعون يعالج الصّوف ، فقال له : هل لك أن تعطيني جزّة من صوف تغزلها ابنة محمّد بثلاثة أصوع من شعير قال : نعم ، فأعطاه ، فجاء بالصّوف و الشّعير و أخبر فاطمة فقبلت و أطاعت ، ثمّ عمدت فغزلت ثلث الصّوف ثمّ أخذت صاعا من الشّعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد منهم قرص ، وصلّى عليّ عليه السلام مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم المغرب ثمّ أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم .

فأوّل لقمة كسرها عليّ عليه السلام إذاً مسكين واقف ، فقال : السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنّة ، فوضع اللّقمة من يده ثمّ قال عليه السلام :

فاطم ذات المجد و اليقين ... يا بنت خير النّاس أجمعين
أماترين البائس المسكين ... جاء إلى البـاب لـه حنين
يشكو إلى الله و يستكين ... يشكو إلينا جائع حزين
كلّ امرء بكسبه رهين ... من يفعل الخير يكن حسين
موعده في جنّة ومين ... حرّمها الله على الضّنين
وصاحب البخل يقف حزين ... تهوى به النّار إلى سجّين
شرابه الحميم والغسلين

(۱) وهما أبو بكر وعمر كما في رواية الخوارزمي منه

فأقبلت فاطمة عليها السلام تقول .

أمرك سمع ياابن عم وطاعة ... ما بي من لؤم و لا ضراعة
غذيت باللّب و بالبراعة ... أرجو إذا أشبعت في مجاعة
أن الحق الخيار و الجماعة ... و أدخل الجنّة في شفاعة

وعمدت إلى ماكان من الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعا و أصبحوا صياما لم يذوقوا إلاّ الماء القراح .

ثمّ عمدت إلى الثلث الثّاني من الصّوف فغزلته ثمّ أخذت صاعاً من الشّعير فطحنته و عجنته و خبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد قرص ، وصلّى علي عليه السلام المغرب مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ أتا إلى منزله فلمّا وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم .

فأوّل لقمة كسرها علي عليه السلام إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف فقال : السّلام عليكم ياأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنا يتيم المسلمين أطعموني ممّا تاكلون أطعمكم الله على موائد الجنّة ، فوضع علي عليه السلام اللّقمة من يده ثمّ قال عليه السلام :

فاطم بنت السّيد الكريم ... بنت نبيّ ليس بالزّنيم
قد جائنا الله بذا اليتيم ... من يرحم اليوم فهو رحيم
موعده في جنّة النّعيم ... حرّمها الله على اللّئيم
و صاحب البخل يقف ذميم ... تهوى به النّار إلى الجحيم

شرابه الصّديد والحميم

فأقبلت فاطمة عليها السلام تقول :

فسوف أعطيه و لا اُبالي ... و اُوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهم أشبالي ... أصغرهما يقتل في القتال
في كربلا يقتل باغتيال ... لقاتليه الويل و الوبال
تهوى به النّار إلى سفال ... كبوله زادت على الأكبال

ثمّ عمدت فأعطته جميع ما على الخوان ، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلاّ الماء القراح

فأصبحوا صياماً .

وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف وطحنت الثلث الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي عليه السلام مع النبي ثم أتى منزله فقرب إليه الخوان فجلسوا خمستهم .

فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا أسير من أسير المشركين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله تأسرونا وتشدونا ولا تطعمونا ، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطم يا بنت النبي أحمد — بنت نبي سيد مسدد

قدجائك الأسير ليس يهتدى — مايزرع الزارع سوف يحصد

فأعطيه و لا تخطيه بنكد (١)

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهى تقول :

لم يبق مما كان غير صاع — قد دبرت كفي مع الذراع

شبلاى والله هما جياع — يا رب لا تتركهما ضياع

أبوهما للخير ذو اصطناع — عبل الذراعين طويل الباع

و ما على رأسي من قناع — إلا عباء نسجها بصاع

وعمدوا إلى ماكان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاً و أصبحوا مفطرين ليس عندهم شيء .

قال شعيب في حديثه : وأقبل علي عليه السلام بالحسن والحسين عليهما السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع ، فلما بصر رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يا أبا الحسن أشد ما يسوءني ما أرى بكم انطلق إلى بنتي فاطمة عليها السلام فانطلقوا وهى في محرابها قدلصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها ،

---

(١) هكذا في رواية الصدوق و لا يستقيم وزن الشعر وأثبتناه كما وجدناه و في رواية الخوارزمي عن ابن عباس (رض) : فأطعمي من غيرمن نكد . وبعده : حتى تجازى بالذى لم ينفد . منه

فلمّا رآها رسول الله ضمّها إليه ، و قال : و اغوثاه أنتم منذ ثلاث فيما أرى فهبط جبرائيل فقال : يا محمّد صلى الله عليه و آله خذها هنالك في أهل بيتك، قال :وما آخذ يا جبرئيل ؟ قال : « هل أتى على الإنسان حين من الدّهر » حتّى بلغ « إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً » وقال الحسن بن مهران في حديثه : فوثب النبيّ صلى الله عليه و آله حتّى دخل منزل فاطمة فرأى ما بهم فجمعهم ثمّ انكبّ عليهم يبكي ، و قال : أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم ، فهبط جبرائيل بهذه الآيات « إنّ الأبرار يشربون من كأسٍ كانَ مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً » قال : هي عين في دار النّبيّ يتفجّر إلى دور الأنبياء والمؤمنين « يوفون بالنّذر » يعني عليّاً وفاطمة والحسن والحسين و جاريتهما فضّة « وَيخافون يوماً كان شرّه مستطيراً » يقول عابسا كلوحا « ويطعمون الطّعام على حبّه » يقول على حبّ شهوتهم الطّعام وايثارهم له « مسكيناً » من مساكين المسلمين « ويتيماً » من يتامى المسلمين « وأسيراً » من أُسارى المشركين ، ويقولون إذا أطعموهم « إنّما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكوراً » قال : والله ماقالوا هذا ولكنّهم أضمروا في أنفسهم فأخبر الله باضمارهم يقول : لا نريد منكم جزاء تكافوننا به ، ولا شكوراً تثنون علينا به ، ولكنّا إنّما نطعمكم لوجه الله و طلب ثوابه قال الله تعالى ذكره « فوقيهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّيهم نضرة وسروراً » نضرة في الوجوه و سروراً في القلب « وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً » جنّة يسكنونها و حريراً يفرشونه ويلبسونه « متّكئين فيها على الأرآئك » والأرائك السّرير عليه الحجلة « لايرون فيها شمسا ولا زمهريراً » قال ابن عبّاس : فبينا أنّ أهل الجنّة في الجنّة إذا رأوا مثل الشّمس اشرقت له الجنان فيقول أهل الجنّة : يا ربّ إنّك قلت في كتابك لا يرون فيها شمسا ، فيرسل الله جلّ اسمه إليهم جبرئيل فيقول : ليس هذه بشمس لكن عليّا وفاطمة ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما ، ونزلت هل أتى فيهم إلى قوله : وكان سعيكم مشكوراً .

أقول : وقد أثبتُّ الرّواية برمّتها وإن كان خاتمتها خارجة من الغرض الذي

نحن فيه شغفا منّي بذكر مآثر أمير المؤمنين و زوجته و الطيّبين من أولادهما سلام الله عليهم ، وفيما رويناه من الفضل الّذي تخصّصوا به ما لم يشركهم فيه أحد ولا ساواهم في نظير له مساو .

الثالث ما في الصافي من الأمالي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه جاء إليه رجل فشكى إليه الجوع ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقال : ما عندنا إلاّ ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من لهذا الرّجل اللّيلة ؟ فقال عليّ بن أبيطالب : أنا له يارسول الله وأتا فاطمة عليها السلام فقال لها : ما عندك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقالت : ما عندنا إلاّ قوت العشيّة لكنا نؤثر ضيفنا ، فقال : ياابنة محمد صلى الله عليه وآله نومي الصبيّة وأطفي المصباح ، فلما أصبح عليّ عليه السلام غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر ، فلم يبرح حتى أنزل الله عزّ وجلّ « و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة و من يوق شحّ نفسه فأُولئك هم المفلحون » هذا .

وقد ظهر لك ممّاتضمّنته هذه الرّوايات الثلاث الذي هو انموزج ممّاتضمّنته ساير الرّوايات كيفيّة عيش رسول الله مع خواصّه في دار الدّنيا و زهدهم فيها وايثارهم الآخرة على الأولى و أنّها قبضت عنه و عن أهل بيته (وزويت) أي صرفت ونحيت (عنه زخارفها) وزينتها (مع عظيم) تقرّبه و (زلفته فلينظر ناظر بعقله) أنه لويكون في الدّنيا والاكثار منها خير لم يفت هؤلاء الأكياس الذين هم أقرب الخلق إلى الله وخاصّته وحججه على ساير الناس، بل تقرّبوا إليه سبحانه بالبعد عنها ، وتحبّبوا إليه تعالى بالبغض لها .

وليتفكّر بفكرة سليمة أنه (أكرم الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله) وساير أنبيائه و أوليائه (بذلك) الضيق في الدّنيا و الاعسار فيها (أم أهانه) وأهانهم .

(فان قال أهانه) و إيّاهم (فقد كذب والعظيم) ضرورة أنّ أحقر ملك من ملوك الدّنيا لا يقصد بأحد من خاصّته إذا كان مطيعا لـه منقاداً لأمره مخلصا في طاعته الاهانة فكيف يصدر ذلك عن ملك الملوك وسلطان السلاطين حكيم الحكماء ورحيم الرحماء في حقّ أخصّ خواصّه و أقربهم إليه وأشدّهم زلفة عنده و اكثرهم

طاعة له .

(و إن قال أكرمه) و أكرمهم كما هوالحقّ والصدق (فليعلم أنّ الله) قد (أهان غيره) وغيرهم إذالشيء إن كان عدمه إكراما و كما لا كان و جوده نقصا و إهانة ف(حيث بسط الدّنيا) له أى لذلك الغير (و زويها عن أقرب النّاس منه) كان في بسطها له إهانة لامحالة .

(فتأسّي متأسّ بنبيّه و اقتصّ أثره و ولج مولجه) الفاء فصيحة والجملات الثلاث إخبار في معنى الانشاء أى إذا عرف زهد النّبيّ في الدّنيا وعلم أنّها دار هوان فليتأسّ المتأسّي به ﷺ ، و ليتّبع أثره و ليدخل مدخله و يحذ و حذوه وليرغب عنها .

(وإلاّ فلا يأمن الهلكة) لأنّ حبّ الدّنيا والتّنافس فيها رأس كلّ خطيئة جاذبة من درجات النّعيم إلى دركات الجحيم .

وأوضح هذه العلّة بقوله (فانّ الله سبحانه جعل محمّداً ﷺ علماً للسّاعة ومبشّراً بالجنّة ومنذراً بالعقوبة) أى مطلعاً بأحوال الآخرة جميعها ، فحيث آثر الآخرة على الأُولى و ترك الرّكون إليها مع اطلاعه عليهما علم أن ليس ذلك إلاّ لكون الدّنيا مظنّة الهلاك ، و العقبى محلّة النّجاة و الحياة ، فالرّاكن إليها متعرّض للهلاك الدائم والخزي الأبد لامحالة .

ويظهر لك عدم ركونه ﷺ إليها بأنّه (خرج من الدّنيا خميصاً) أى جائعاً إمّا حقيقة أو كناية عن عدم الاستمتاع بها (و ورد الآخرة سليما) من التبعات والمكاره (لم يضع حجراً على حجر) كناية عن عدم بنائه فيها (حتّى مضى لسبيله وأجاب داعى ربّه) .

قال الحسن : مات رسول الله ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، رواه في إحياء العلوم .

وفيه أيضاً قال النّبيّ ﷺ : إذا أراد الله بعبد شرّاً أهلك مالـه في الماء و الطّين .

وقال عبدالله بن عمر : مرّ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن نعالج خصّاً ، فقال صلى الله عليه وآله : ما هذا ؟ قلنا : خصّ لنا قد وهى ، فقال : أرى الأمر أعجل من ذلك .

و قال الغزالي : وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله من بنى فوق ما يكفيه كلّف أن يحمله يوم القيامة ، هذا .

ولمّا فرغ من التزهيد في الدّنيا والتّرغيب في الآخرة بالتّنبيه على هوانها وحقارتها بما لامزيد عليه ، و بشرح حال أولياء الدّين من خاتم النّبيّين و ساير الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين في رفضهم لها وتركهم ايّاها ، أردف ذلك بالاشارة إلى زهده وإظهار غاية الامتنان من الله سبحانه في إنعامه عزّ وجلّ عليه عليه السلام بالتّأسّي بنبيّه فقال : (فما أعظم نعمة الله عندنا حين أنعم علينا به) أى برسول الله صلى الله عليه وآله (سلفا نتّبعه وقائداً نطأ عقبه) ونقفو أثره ونسلك سبيله في زهده

وأوضح اتّباعه وتأسّيه به صلى الله عليه وآله بالاشارة إلى بعض مراتب زهده فانّه انموزج من ساير المراتب ، وفيه عبرة لمن اعتبر ، و كفايه لمن تذكّر ، فقال : (والله لقد رقعت مدرعتى هذه) وهو ثوب من صوف يتدرّع به (حتّى استحييت من راقعها) لكثرة رقاعها (ولقد قال لي قائل) لمّا رأى أنّها خلق وسمل (ألاتنبذها) وتطرحها (عنك فقلت) له (اعزب) أى غب وتباعد (عنّي فعند الصّباح يحمد القوم السّرى) وهو مثل يضرب لمن احتمل المشقّة عاجلا لينال الرّاحة آجلا .

وأصله أنّ المسافر إذا احتمل المشقّة وحرّم على نفسه لذة الرّقاد و بادر إلى السّرى من أوّل اللّيل وجدّ في سيره فانّه يبلغ عند الصّباح منزله ويصل إليه سالما غانما وينزل أحسن المنازل وأشرفها مقدّما على غيره ، و يستريح من تعب اللّيل ويكون محموداً ، بخلاف من أخذه نوم الغفلة و آثر اللّذة العاجلة على الآجلة ، فانّه إذا سرى في آخر اللّيل وفي اخريات النّاس فانّه ربما يغيله اللّصوص فلايسلم أو ن الطّريق فيعطب ، و مع سلامته يكون مسيره في حرّ النّهار على وصب وتعب ، فيصل إلى المنزل بعد ماسبق غيره إلى أحسنه و أشرفه ، فلا يجد له منزلا ومقيلا إلاّ أرده المنازل و أدونها ، فعند ذلك يلوم نفسه بتفريطه ، ويذمّه غيره ويندم

على ما فرّط ولا ينفعه النّدم .

وبهذا التّقرير انقدح لك وجه المطابقة بين المثال والممثّل .

بيانـه أنّ ذلك النشأة المشوبـة بالكدورات والعلايق الظّلمانية البدنيّة بمنزلة اللّيل ، و النّشأة الأخرويّة المطابقة لتلك النشأة الّتي هى دار التجرّد الصّافية عن الكدورات و العلاقات بمنزلة الصّباح الواقع عقيب اللّيل ، و الوطن الأصلي للانسان هي الدّار الآخرة ، وهوفي الدّنيا بمنزلة المسافر ، فمن ترك الدّنيا وجدّ في السّير إلى الآخرة بالمواظبة على الطّاعات والرّياضات الشّاقة الموصلة له إليها وصل إلى مقصده ، و نزل في غرفات الجنان ، و فيهنّ خيرات حسان فعند ذلك يكون محموداً مسروراً عند نفسه وعند الخالق والخلايق لماصبر على مشاقّ الدّنيا ومقاساة الشّدائد .

و من أخذه نوم الغفلة فيها و اغترّ باللّذات الحاضرة و الشهوات العاجلة ، ورد الآخرة وليس له مقام إلاّ سجّين ، ولا شراب وطعام إلاّ من حميم و غسلين ، فعند ذلك يلومه نفسه وغيره ويندم على تقصيره ، ويقعد ملومامحسوراً ويدعو ثبوراً

تذييلان - الاول

قد مضى في مقدّمات شرح الخطبة الشقشقيّة و في غيرها بعض الكلام في زهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وأقول هنا مضافا إلى ماسبق :

روى في عدّة الدّاعي عن خبير بن حبيب قال : نزل بعمر بن خطّاب نازلة قلم لها وقعد ، وتربخ لها وتقطر (١) ثمّ قال : يا معشر المهاجرين ما عندكم فيها قالوا : يا أمير المؤمنين أنت المفزع و المنزل ، فغضب وقال : يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاسديدا ، أما والله إنّا وإيّاكم لنعرف ابن بجدتها (٢) والخبير

---

(١) تربخ بالباء الموحدة و الخاء المعجمة استرخى ، وتقطر تهيأ للقتال و رمى بنفسه من علو ، ق

(٢) ابن بجدتها بالباء والجيم يقال : بالعالم بالشيء ، وللدليل الهادى ، ولمن لا

بها ، قالوا : كأنك أردت ابن أبي طالب ؟ قال : وأنّي يعدل بي عنه وهل طفحت جرّة بمثله ؟ قالوا : فلو بعثت إليه ، قال : هيهات هيهات هناك شمخ من هاشم و لحمة من الرّسول و اثرة من علم يؤتى لها و لا يأتي ، امضوا إليه فاقصفوا(١) نحوه و أفضوا إليه ، وهو في حايط له عليه تبّان يتركّل على مسحاته (٢) وهويقول : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منيّ يمنى ، ثمّ كان علقة فخلق فسوّى » ودموعه تهمى على خدّيه ، فأجهش (٣) القوم لبكائه ثمّ سكن وسكنوا ، وسأله عمر عن مسألة فأصدر إليه جوابها فلوى عمر يديه ثمّ قال : أما والله لقد أرادك الحقّ ولكن آبى قومك ، فقال عليه السلام : يا أباحفص خفّض عليك من هناك ومن هنا إنّ يوم الفصل كان ميقاتا ، فانصرف وقد أظلم وجهه وكأنّما ينظر إليه من ليل .

وفي شرح المعتزلي عن أحمد بن حنبل قال : لمّا ارسل عثمان إلى عليّ عليه السلام وجدوه مؤتزرا بعباة محتجزاً بعقال (٤) وهو يهنأ (٥) بعيراً له .

وفي كشف الغمة من مناقب الخوازرمي عن عبدالله بن أبي الهذيل قال : رأيت على عليّ عليه السلام قميصا زريّا إذا مدّه بلغ الظفر ، وإذا أرسله كان مع نصف الذراع ،

ومنه عن عديّ بن ثابت قال : اتي عليّ بن أبيطالب عليه السلام بفالوذج فأبى أن يأكل منه ، وقال : شيء لم يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وآله لا أحبّ أن آكل منه .

ومنه عن أبي مسطر قال : خرجت من المسجد فاذا رجل ينادي من خلفي : ارفع إزارك فانّه أتقى لثوبك و أبقى لك وخذ من رأسك إن كنت مسلما ، فمشيت خلفه وهو مؤتزر بازار ومرتد برداء و معه الدرّة كأنّه أعرابيّ بدويّ ، فقلت من هذا

يبرح عن قوله هكذا في ق

(١) اى تزاحموا اليه .

(٢) سراويل صغير يستر العورة المغلظة يكون مع الملاحين ، وتركل بمسحاته ضربها برجله لتدخل الارض ، منه

(٣) اى تهيأوا للبكاء

(٤) أى شدّ وسطه بالحبل لتشمير ثوبه ويقال لذلك الحبل الحجاز

(٥) أى يطليه بالقطران

فقال لي رجل أراك غريبا بهذا البلد ،قلت:أجل رجل من أهل البصرة ، قال : هذا عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام حتّى انتهى الى دار بني أبي معيط وهو سوق الابل فقال : بيعوا ولا تحلفوا فانّ اليمين تنفق السّلعة وتمحق البركة ..

ثمّ أتى أصحاب التمر فاذا خادمة تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: باعني هذا الرّجل تمراً بدرهم فردّوه مواليّ فأبى أن يقبله ، فقال : خذ تمرك و أعطها درهمها فانّها خادم ليس لها أمر ، فدفعه ، فقلت أتدري من هذا ؟! قال : لا قلت : عليّ بن ابيطالب أمير المؤمنين عليه السلام فصبّ تمره و أعطاها درهمها وقال : أُحبّ أن ترضى عنّي ، فقال: ما أرضاني عنك إذا وفيتهم حقوقهم .

ثمّ مرّ مجتازاً بأصحاب التّمر فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يربو كسبكم.

ثمّ مرّ مجتازاً ومعه المسلمون حتّى أتى أصحاب السّمك فقال : لايباع في سوقنا طاف .

ثمّ أتى دار فرات وهو سوق الكرابيس فقال : يا شيخ أحسن بيعي في قيمصي بثلاثة دراهم ، فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئاً ، فأتى غلاما حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرّسغين إلى الكعبين ، وقال حين لبسه : الحمد لله الّذي رزقني من الرّياش ما أتجمّل به في النّاس وأُوارى به عورتي .

فقيل لـه : يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: بل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله عند الكسوة : فجاء أبو الغلام صاحب الثّوب فقيل يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين عليه السلام قميصاً بثلاثة دراهم قال : أفلا أخذت منه درهمين.

فأخذ أبوه درهماً وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على باب الرّحبة ومعه المسلمون ، فقال : امسك هذا الدّرهم يا أمير المؤمنين ، قال عليه السلام : ماشأن هذا الدّرهم ؟ قال : كان ثمن قميصك درهمين ، فقال : باعني رضاي وأخذ رضاه .

ومنه قال ابن الأعرابي : إنّ عليّاً عليه السلام دخل السّوق و هو أمير المؤمنين فاشترى قميصا بثلاثـة دراهم و نصف فلبسه في السّوق فطال أصابعه ، فقال عليه السلام

للخيّاط : قصّه ، قال: فقصّه وقال الخيّاط : أحوصه(١) يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ومشى والدرّة على كتفه وهو عليه السلام يقول: شرعك ما بلغك المحلّ شرعك (٢) ما بلغك المحل .

وفي كشف الغمة أيضا قال هارون بن عنترة : قال حدّثني أبي قال : دخلت على عليّ بن أبيطالب عليه السلام بالخورنق و هو يرعد تحت سمل (٣) قطيفة ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنّ الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعمّ و أنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : والله ما أرزاكم من أموالكم شيئا وانّ هذه لقطيفتي الّتي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها .

وفيه وخرج عليه السلام يوما وعليه ازار مرقوع فعوتب عليه فقال : يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمنين إذا رآه عليّ .

واشترى عليه السلام يوما ثوبين غليظين فخيّر قنبراً فيهما ، فأخذ واحداً و لبس هو الآخر ، ورأى في كمّه طولا عن أصابعه فقطعه .

وكان عليه السلام قد ولّي على عكبرا رجلا من ثقيف قال : قال لي عليّ عليه السلام إذا صلّيت الظّهر غدا فعد إليّ ، فعدت إليه في الوقت المعيّن فلم أجد عنده حاجبا يحبسني دونه فوجدته جالسا وعنده قدح و كوز ماء ، فدعا بوعاء مشدود مختوم ، فقلت: قد أمنني حتّى يخرج إليّ جوهراً ، فكسر الختم فاذا فيه سويق فأخرج منه فصبّه في القدح وصبّ عليه ماء فشرب وسقاني فلم أصبر فقلت له : يا أمير المؤمنين أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته ؟ فقال عليه السلام : أما والله ما أختم عليه بخلا به ولكنّي أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره وأنا أكره أن أدخل بطني إلّا طيّبا ، فلذلك أحترز عليه كما ترى ، فايّاك وتناول ما لا تعلم حلّه .

قال كاشف الغمّة بعد روايته لهذه الأخبار وغيرها ممّا تركنا روايتها خوف الاطالة : و كم له صلّى الله عليه من الآثار والأخبار والمناقب الّتي لا تستر أو يستر

---

(١) الحوص الخياطة (٢) اى كفاك وحسبك (٣) السمل الخلق من الثياب .

وجه النّهار، و السّيرة الّتي هي عنوان السّير، و المفاخر الّتي يتعلّم منها من فخر، والمآثر الّتي تعجز من بقي كما أعجزت من غبر، فأعجب بهذه المكارم والأفعال الّتي هي غرر في جبهات الأيّام، والزّهادة الّتي فاق بها جميع الأنام، والورع الّذي حمله على ترك الحلال فضلا عن الحرام، والعبادة الّتي أوصلته إلى مقام وقف دونه كلّ الأقوام.

ولمّا ألزم نفسه الشّريف تحمّل هذه المتاعب، و قادها إلى اتّباعه فانقادت انقياد الجنائب، وملكها حتّى صاحب منها أكرم عشير وخير مصاحب، واستشارها ليختبرها فلم تنه إلاّ عن منكر ولا أمرت إلاّ بواجب صار له ذلك طبعا وسجيّة، وانضمّ عليه ظاهراً ونية، واعمل فيه عزيمة بهمّة قويّة، واستوى في السّعى لبلوغ غاياته علانية وطويّة، فما تحرّك حركة إلاّ بفكر وفي تحصيل أجر، وفي تخليد ذكر لا لطلب فخر وإعلاء قدر، بل لامتثال أمر وطاعة في سرّ وجهر، فلذلك شكر الله سعيه حين سعى، وعمّه بألطافه العميمة ورعى، و أجاب دعائه لما دعى، وجعل اذنه السّميعة الواعية فسمع ووعى، فاسأل الله بكرمه أن يحشرني ومحبّيه وإيّاه معا.

قال كاشف الغمّة: أنشدني بعض الأصحاب لبعض العلويّين

عتبت على الدّنيا وقلت إلى متى — أكابد عسراً ضرّه ليس ينجلي
أكلّ شريف من علي جدوده — حرام عليه الرّزق غير محلّل
فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم — بسهمي عناداً حين طلّقني علي (١)

التذييل الثاني

لمّا كان هذا الفصل من خطبته عليه السلام متضمّنا للتحريض على الجوع والترغيب فيه تأسّيا بالنّبي صلى الله عليه وآله وسلم وساير السّلف الصّالحين أحببت أن اُعرّفك فوايد الجوع

---

(١) ويبالي انى رأيت فى بعض الكتب نسبة هذه الابيات الى الشريف الرضى مؤلف المتن وعليه فالمراد بالحسين فى البيت الاخير هو أبو الرضى ره كما عرفته فى ديباجة الشرح فى ترجمته، منه

وآفات الشّبع على ما يستفاد من الأخبار ويدلّ عليه الوجدان والتجربة فأقول :

قال الغزالي في إحياء العلوم ما ملخّصه ببعض تصرّف و تغيير منّا: إنّ في الجوع عشر فوايد .

الفائدة الاولى صفاء القلب وإيقاد القريحة و إنفاذ البصيرة ، فانّ الشّبع يورث البلادة و يعمى القلب ويكثر ابخار في الدّماغ شبه السّكر حتّى يحتوى على معادن الفكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار وعن سرعة الادراك

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحيوا قلوبكم بقلّة الضّحك وقلّة الشّبع ، وطهّروها بالجوع تصفو وترق .

وقال لقمان لابنه : يا بنيّ إذا امتلائت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة .

الثانية رقّة القلب وصفائه الّذي به يتهيّأ لادراك لذّة المناجاة و التّأثر بالذّكر ، فكم من ذكر يجرى على اللّسان ولكنّ القلب لايلتذّ به ولا يتأثّر حتّى كأنّ بينه وبينه حجاباً من قسوة القلب ، وإنّما يحصل التّلذّذ والتّأثّر بخلوّ المعدة كما هومعلوم بالتّجربة .

الثالثة الانكسار والذّل وزوال البطر والأشر و الفرح الّذي هومبدء الطغيان والغفلة عن الله كما قال تعالى « إنّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى » فلاتنكسر النّفس ولا تذلّ بشيء كما تذلّ بالجوع ، فعنده تسكن لربّها و تخشع و تذعن بعجزها وذلّها لما ذاقت حيلتها بلقمة طعام وأظلمت الدّنيا عليها بشربة ماء ، ومالم يشاهدالانسان ذلّ نفسه وعجزه لايرى عزّة مولاه ولا قهره .

ولذلك إنّ النّبي صلى الله عليه وآله لمّاجائه جبرئيل وعرض عليه خزائن الدّنياوأبي من قبولها قال لجبرئيل : دعني أجوع يوماً و أشبع يوماً ، فاليوم الّذي أجوع فيه أتضرّع إلى ربّي وأسأله ، و اليوم الّذي أشبع فيه أشكر ربّي و أحمده ، فقال له جبرئيل : وفّقت لكلّ خير .

الرابعة التّذكّر بجوعه جوع الفقراء والمساكين والمحتاجين ، لأنّ الانسان إنّما يقيس غيره على نفسه فيلاحظ حال الغير بملاحظة حاله ، فاذا شاهد في نفسه ألم الجوع يعرف بذلك مافي المحتاجين من الألم ، فيوجب ذلك مواساتهم ، ويدعو إلى الاطعام والشّفقة والرّحمة على خلق الله ، والشّبعان بمعزل عن ذلك وغفلة منه .

و لذلك قيل ليوسف عليه السلام : لم تجوع و في يديك خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن اشبع فانسى الجايع .

الخامسة التّذكّر به جوع يوم القيامة وعطشه ، فانّ العبد لاينبغي أن يغفل أهوال يوم القيامة و آلامها .

قال في عدّة الدّاعي : قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : أكثر النّاس شبعاً أكثرهم جوعاً يوم القيامة ، لأنّ تذكّرها يهيج الخوف والخشية من الله وهوزمام النّفس الأمّارة العاطف لها عن الفحشاء والمنكر .

السادسة وهي أعظم الفوايد كسرة شهوات المعاصي كلّها والاستيلاء على النّفس فانّ منشأ المعاصي الشّهوات والقوى ، ومادّة القوى والشّهوات هي الأطعمة البتّة ، فتقليلها يضعف كلّ شهوة وقوّة ، وإنّما السّعادة كلّها في أن يملك الرّجل نفسه ولايملكه نفسه و كما أنّك لاتملك الدّابة الجموح إلاّ بضعف الجوع والهزال فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت ، فكذلك النّفس .

ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ الشّيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم في العروق ، فضيّقوا مجاريه بالجوع .

السابعة دفع النوم ودوام السّهر ، فانّ من شبع شرب كثيراً ، ومن كثر شربه كثر نومه ، وفي كثرة النّوم ضياع العمر وفوات التهجّد ، والعمر أنفس الجواهر وهورأس مال الانسان به يتّجر ويتزوّد لآخرته ، وفضيلة التّهجّد غير خفيّة .

الثامنة تيسير المواظبة على العبادات ، فانّ كثرة الأكل مانعة منها ، لأنّها محتاجة إلى زمان يشتغل فيه بالأكل ومضغ الطّعام وازدراده في الفم ، وربّما يحتاج إلى شراء الطّعام وطبخه وغسل اليد ونحوها ، وفي ذلك تفويت العمر وتضييع الوقت

فلو صرف زمانه المصروف إلى ذلك في الطّاعات والمناجات لعظم أجره وكثر ربحه

التاسعة صحّة البدن و السّلامة من الأمراض ، فانّ سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق .

روى إنّ بقراط الحكيم كان قليل الأكل فقيل له في ذلك : فأجاب إنّ الأكل للحياة وليس الحياة للأكل .

قال المحدّث الجزائري في زهر الرّبيع : ورد في الحديث أنّ حكيما نصرانيّا دخل على الصّادق عليه السلام فقال : أفي كتاب ربّكم أم في سنّة نبيّكم شيء من الطّبّ ؟ فقال : أمّا في كتاب ربّنا فقوله تعالى « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » و أمّا في سنّة نبيّنا : الاسراف في الأكل رأس كلّ داء والحمية منه رأس كلّ دواء ، فقام النّصراني وقال : والله ماترك كتاب ربّكم ولاسنّة نبيّكم شيئا من الطبّ لجالينوس

قال : روي عنه عليه السلام أنه لوسئل أهل القبور عن السّبب والعلّة في موتهم لقال أكثرهم التّخمة ، فعلم من ذلك أنّ عمدة السبب للمرض هو كثرة الأكل وممانعة المرض من العبادات و تشويشه للقلب و منعه من الذّكر و الفكر وتنغيصه للعيش معلوم .

العاشرة خفّة المؤنة ، فانّ من اعتاد قلّة الأكل كفاه القليل من الطعام واليسير من المال ، بخلاف من تعوّد البطنة ، فانّ بطنه صار غريما له آخذاً بخناقه في كلّ يوم وليلة ، فيلجاه إلى أن يمدّ عين الطمع إلى الناس ، ويدخل المداخل فيكتسب إما من الحرام فيعصى ، أومن الحلال فيحاسب .

هذا كله مضافا إلى ما في قلّة الأكل من التمكّن من الايثار والتصدّق بفاضل قوته على الفقراء والمساكين ، فيكون يوم القيامة في ظلّ صدقته ، وقد تقدّم في شرح الخطبة المأة و التاسعة في فضايل الصوم والصدقة مايوجب زيادة البصيرة في هذا المقام فليتذكّر .

ثم انه بقى الكلام في مقدار قلّة الأكل ، وقد عيّنه النبيّ صلّى الله عليه وآله فيمارواه عنه في عدّة الدّاعي قال : ويروى عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال : حسب ابن آدم لقيمات يقمن

به صلبه ، فان كان ولابدّ فليكن الثّلث للطعام والثّلث للشراب والثّلث للنفس .

قال القرطبي لوسمع بقراط بهذه القسمة لتعجّب في هذه الحكمة .

قيل : لاشكّ إنّ أثر الحكمة في هذا الحديث واضح وإنّما خصّ الثلاثة (١) بالذّكر ، لأنها أسباب حياة الحيوان ، لأنّه لايدخل البطن سواها .

ومراتب الأكل على ماقاله بعضهم سبع : **الاولى** مابه تقوم الحياة **الثانية** أن يزيد حتّى أن يصوم ويصلّي عن قيام ، و هذان واجبان **الثالثة** أن يزيد حتّى يقوى على أداء النوافل **الرابعة** أن يزيد حتّى يقدر على التكسّب للتّوسعة ، وهذان مستحبّان **الخامسة** أن يملاء الثّلث وهذا جايز **السادسة** أن يزيد على ذلك فيثقل البدن ويكثر النوم ، وهذا مكروه **السابعة** أن يزيد حتّى يتضرّر وهى البطنة المنهىّ عنها وهذا حرام ، ويمكن إدخال الأولى إلى الثانية والثالثة إلى الرّابعة .

الترجمة

فصل دويم ازاين خطبه متضمّن است ابطال دعوى بعض أهل زمان رجا بثواب خداوند را وخوف ازعقاب آن می فرمايد:

ادّعا می كند بزعم فاسد خود كه اميدواراست بخداى تعالى دروغ ميگويد بحقّ خداى بزرگ ، چيست حال او كه ظاهر نمی شود رجا واميدوارى درعمل او و هر كه اميد داشته باشد شناخته می شود اميدواري در عمل و كردار اومگر اميد بخداوند متعال كه بدرستي آن مغشوش است ومعيوب ، وهرترس محقّق است مگر ترس از حقتعالى پس بدرستى كه آن معلولست ومريض ، اميد می دارد آن شخص بخدا درچيز بزرگ و اميد می دارد به بندگان در چيز حقير پس می دهد به بنده چيزيرا كه نمی دهد بپروردگار ، پس چيست شأن خداى عزّوجل كه تقصير كرده می شود بأواز آن چيزي كه رفتار می شود با آن بربندگان او ، آيا می ترسى كه

(١) أى الطعام والشراب والنفس . منه

باشی درامیدواری تو بأو دروغ گوی ، یا باشی که نه‌بینی اورا ازبرای امیدواری محل قابل .

وهمچنین است اگر او بترسد ازبندهٔ ازبندگان خدا عطا می کند بأوازجهة خوف خود چیزیرا که عطا نمی کند بپروردگار خود ، پس میگرداند ترس خودرا ازبندگان نقد وترس خودراازخالق خود وعده غیر امیدوار ، وهمین قراراست کسی که عظم وشأن داشته باشد دنیا درچشم‌او ، وبزرگ باشد وقع دنیا ازقلب‌اوترجیح می‌دهد آن دنیا را بر خدا پس بالکلّیه رجوع نماید بآن دنیا و بر گردد بنده از برای آن .

وبتحقیق که هست در رفتار و کردارحضرت رسالتمآب صلّی الله علیه وآله وسلّم کفایت کننده مرتورا در تأسّی و پیروی نمودن بآن بزرگوار و راه نماینده از برای تو بر مذمت دنیای فانی و کثرت مهالك ومعایب آن ، ازجهة اینکه بسته شد ازاو اطراف آن ، ومهیا شد ازبرای غیراو جوانب او ، وباز گرفته شد ازشیرخواري دنیا ، ودور کرده شد از زینتهای آن .

واگر بخواهی دوتا گردانی اعراض حضرت رسالتمآب را از دنیا بااعراض وزهد حضرت موسی‌کلیم‌الله وقتی که گفت بخداوند تعالی : بارپروردگارا بدرستی من محتاجم بآنچه که فرو میفرستی بمن از طعام ، قسم بخدا که سؤال نمی کرد ازخداوند مگرنانی که بخورد آنرا ، بجهة اینکه بود آن حضرت می‌خورد سبزي زمین را ، وبتحقیق که بود سبزی تره دیده میشد ازپوست درون شکم اوبجهةلاغري او و کمی گوشت او .

و اگر می خواهی سه تا گردانی آنرا با زهد حضرت داود علیه السّلام صاحب مزمارهای زبور و قرائت کنندهٔ أهل بهشت ، پس بتحقیق که بود عمل می کرد ببافته‌شده‌های برگ درخت خرمایعنی‌زنبیل‌می‌بافت بدست خود می گفت بهمنشینان خود کدام یك از شما کفایت میکند مرا بفروختن این ، ومی‌خورد نان جوی از قیمت آن .

و اگر بخواهی بگوئی در عیسی بن مریم عليه‌السلام پس بتحقیق که بود بالش اخذ می‌نمود سنگ را ، و می‌پوشید جامهٔ درشت را ، وبود نان خورش او گرسنگی و چراغ او درشب روشنائی ماه ، و سایه بانهای او درفصل زمستان مشرقهای آفتاب ومغربهای آن ، ومیوهٔ اووریحان او آنچه که می‌رویانید آنرا زمین‌ازبرای‌حیوانات ونبود اورا زنی که مفتون نماید اورا ، ونه فرزندي که محزون کند اوراء‌ونه مالی که برگرداند اورا از حق ، ونه طمعی که ذلیل بگرداند اورا ، مرکب او پایهای او بود ، وخدمتکار او دستهایش بود .

پس تأسّی کن به‌پیغمبرپاك پاکیزهٔ خودت صلى‌الله‌عليه‌وآله ، پس بتحقیق که دراوست قابلیّت‌متبوعیّت ازبرای کسی که اقتدا وتبعیّت نماید ، ولیاقت انتساب ازبرای کسی که نسبت خودرا باو بدهد ، و دوسترین بندگان بسوی خدا کسی است که تأسّی نماید بـه پیغمبر خود و متابعت کند أثر اورا ، خورد دنیارا خوردنی أندك بأطراف دندان و پر نکرد از آن دهان خودرا ، و نظر التفات بسوی او نگماشت ، لاغرترین أهل دنیا بود از حیثیّت تهی گاه ، و گرسنه ترین ایشان بوده از حیثیّت شکم ، عرض کرده شد براو خزاین دنیا پس امتناع فرمود ازقبول آن ودانست که خدای‌تعالی دشمن داشته چیزی را پس دشمن گرفت آن حضرت نیز آنرا ، وحقیر گرفته چیزیرا پس‌حقیر گرفت آن حضرت نیزآن را ، و کوچك وبی‌مقدارشمرده چیزیرا پس کوچك شمردآن‌هم اورا .

و اگر نشود در ما هیچ چیز مگر محبّت ما بچیزی که دشمن داشته خدا ورسول او ، و تعظیم ما چیزی را که خوار وخرد شمرده خدا ورسول او هر آینه کفایت می کند آن ازحیثیّت مخالفت مرخدا را ، وازحیثیّت معاداة و مجانبت از فرمان آن .

و بتحقیق که بود حضرت رسول صلى‌الله‌عليه‌وآله می‌خورد طعام را برروی زمین ، ومی‌نشست مانند نشستن غلام ، و می‌دوخت با دست خود کفش خودش‌را ، و پینه میزد بادست خود رخت خودرا ، وسوار می‌شد برالاغ برهنه ورديف میکرد

درپس خود دیگریرا ، ومی‌بود پردهٔ بردرخانهٔ آن حضرت پس می‌شد درآن پرده نقش نگارها ، پس می فرمود بر یکی از زوجات خود : أی فلانه پنهان کن این را از نظرمن ، پس بدرستی که من زمانی که نظر می کنم بسوی آن یاد می کنم دنیا وزینتهای آنرا .

پس اعراض فرمود از دنیا بقلب مبارك خود ، و معدوم ساخت ذکر دنیا را از نفس نفیس خود ، و دوست گرفت که غایب شود زینت آن از چشم جهان بین خود تا اینکه اخذ ننماید از دنیا لباس فاخری ، و اعتقاد نکند آنرا آرامگاهی ، وامید نگیرد درآن اقامت را ، پس بیرون نمود دنیا را أزنفس نفیس ، وکوچانید حبّ دنیا را ازخواطرأنور ، وغایب گردانید آن را از نظر آفتاب منظر ، وهمچنین است هر کس که دشمن مي گيرد چيزيرادشمن‌میگیرد آنکه نگاه کند بسوی آن وآنکه ذکر بشودنام‌ونشان آن درنزد او .

وبتحقیق که هست دررسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم چيزي که دلالت کند ترا بر بدیهای دنیا وعیبهای آن ازجهت‌اینکه گرسنه ماند در دنیا با خواصّ خودش ، ودور کرده شد از او زینتهای آن با وجود بزرگی قرب ومنزلت او .

پس باید که نظر کند نظر کننده بعقل خود که آیا گرامی داشته خدای‌تعالی محمّد مصطفی صلى الله عليه وآله را به سبب این ، یا خوار نموده آن رام پس اگر گوید خوار فرموده اورا پس بتحقیق که دورغ گفته قسم بخدای‌بزرگوار ، واگر گوید گرامی داشته اورا پس باید که بداند آنکه خدای متعال بتحقیق که خوار کرده غیراورا ازجهةاینکه‌بسطفرموده‌دنیاراازبرای‌آن‌غیر،وصرف‌نموده‌دنیاراأزأقرب‌خلق‌بسوی‌او.

پس باید که تأسّی نماید تأسّی کننده به‌پیغمبر بر گزیدهٔ خود ، وپیروی نماید أثر اورا ، وداخل شود بمحلّ دخول آن ، وإلاّ پس أیمن نشود ازهلاکت .

پس بدرستی که خدای تعالی گردانید محمّد مصطفی صلى الله عليه وآله را نشانه از برای قیامت ، وبشارت دهنده به‌بهشت ، وترسانندە با عقوبت ، بیرون رفت آن حضرت از دنیا درحالتی که شکم تهی بود ، ووارد شد بآخرت درحالتی که سالم بود ازمکاره

و معایب ، ننهاد سنگ بالای سنگی تا اینکه در گذشت براه خود واجابت فرمود دعوت کنندهٔ پروردگار خودرا .

پس چه قدر بزرگست منّت و نعمت خدا در نزد ما وقتی که انعام فرمود با آن حضرت برما پیش روی که متابعت کنیم اورا ، وپیشوائی که گام می نهیم درپی او ، قسم بخدا بتحقیق که پینه دوزاندم این دراعهٔ خودرا تا بمرتبهٔ که خجالت کشیدم از پینه دوزندهٔ آن ، وبتحقیق که گفت مرا گویندهٔ : آیا نمی‌اندازی آن را ازخودت ؟! پس گفتم که دورشو ازمن که درنزد صبح ستایش کرده می‌شوند مردمان شب رونده .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و الستون من المختار فى باب الخطب

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ ، وَالْبُرْهانِ الْجَلِيِّ ، وَالْمِنْهاجِ الْبادي، وَالْكِتابِ الْهادي ، أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَغْصانُها مُعْتَدِلَةٌ وَثِمارُها مُتَهَدِّلَةٌ ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ،وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ، عَلابِها ذِكْرُهُ،وَامْتَدَّ بِها صَوْتُهُ ،أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ،وَمَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ،وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ،أَظْهَرَ بِهِ الشَّرايِعَ الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكامَ الْمَفْصُولَةَ ، فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّويلِ ، وَالْعَذابِ الْوَبِيلِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الْإِنابَةِ إِلَيْهِ ،وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبيلَ

الْمُؤَدِّيَةِ إِلىٰ جَنَّتِهِ ، الْقاصِدَةِ إِلىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

أُوصِيكُمْ عِبادَاللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطاعَتِهِ فَإِنَّها النَّجاةُ غَداً ، وَالْمَنْجاةُ أَبَداً ، رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنيا وَانْقِطاعَها ، وَزَوالَها وَانْتِقالَها ، فَأَعْرِضُوا عَمّا يُعْجِبُكُمْ فِيها لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ مِنْها ، أَقْرَبُ دارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، وَأَبْعَدُها مِنْ رِضْوانِ اللهِ ، فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبادَاللهِ غُمُومَها وَأَشْغالَها لِما قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِن فِراقِها وَتَصَرُّفِ حالاتِها ، فَاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّفِيقِ النّاصِحِ ، وَالْمُجِدِّ الكادِحِ ، وَاعْتَبِرُوا بِما قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَزايَلَتْ أَوْصالُهُمْ ، وَزالَتْ أَبْصارُهُمْ وَأَسْماعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلادِ فَقْدَها ، وَبِصُحْبَةِ الأَزْواجِ مُفارَقَتَها ، لا يَتَفاخَرُونَ ، وَلا يَتَناسَلُونَ ، وَلا يَتَزاوَرُونَ ، وَلا يَتَجاوَرُونَ ، فَاحْذَرُوا عِبادَاللهِ حَذَرَ الْغالِبِ لِنَفْسِهِ الْمانِعِ لِشَهْوَتِهِ النّاظِرِ بِعَقْلِهِ ، فَإِنَّ الأَمْرَ واضِحٌ ، وَالْعَلَمَ قائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ .

اللغة

(بعثه) و ابتعث أرسله فانبعث و (أُسرة) الرّجل بالضمّ رهطه الأدنون

و (التّهدّل) الاسترخاء والتدلّي و (طيبة) بالفتح والتخفيف اسم مدينة الرّسول صلى الله عليه وآله كطابة والطيبة وكان اسمها يثرب فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله بطيبة و (التلافي) الاستدراك و (قمعه) يقمعه قهره وذلّله وضربه بالمقمعة وزان مكنسة وهى العمود من الحديد أو كالمحجن يضرب به على رأس الفيل وخشبة يضرب به الانسان على رأسه و(كبا) الجواد كبواً عثر فوقع إلى الأرض و انكبّ على وجهه والاسم الكبوة و (نجا) نجواً ونجاة خلص وقال الشارح المعتزلي: والمنجاة مصدر نجا ينجو والنجاة النّاقة ينجى عليها و (لايتجاورون) بالجيم من المجاورة ويروى بالحاء المهملة .

الاعراب

الباء في قوله : بالنّور ، للمصاحبة والملابسة ، وتعدية القاصدة بالى لتضمينها معنى الافضاء ، وفاعل رهّب ورغّب راجع إلى الله تعالى، والفاء في قوله: فأعرضوا ، فصيحة وأقرب دار خبر لمبتداء محذوف ، وجملة قد تزايلت استيناف بيانيّ ، والفاء في قوله : فبدّلوا ، عاطفة من عطف المفصّل على المجمل .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة متضمّنة لذكر ممادح النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ومناقبه الجميلة ثمّ الموعظة الحسنة والتنفير عن الدّنيا بالتّنبيه على معايبها ومساويها .

قال عليه السلام (ابتعثه) وفي بعض النّسخ بعثه بدله وهما بمعنى كمامرّ (بالنّور المضىء) أراد به نور النّبوة ، وتفسير الشّارح المعتزلي له بالدّين اوالقرآن وهم لأنّ المراد بالمنهاج الآتي ذلك ، و الكتاب أيضاً يجىء ذكره و التّأسيس أولى من التّأكيد (والبرهان الجليّ) أى بالمعجزات الباهرات والأدلّة الواضحة على حقيّته (والمنهاج البادى) أى الطّريق الظّاهر يعني الشّريعة والدّين (والكتاب الهادى) إلى سبيل الجنّة وطريق النّجاة قال تعالى :

« ذٰلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ».

(أسرته خير أسرة و شجرته خير شجرة) أى رهطه خير رهط و أصله خير أصل ، وقد مضى شرح هاتين القرينتين في شرح الخطبة الثالثة والتسعين مستوفاً ولا حاجة هنا إلى الاعادة

(أغصانها معتدلة) المراد بها الأغصان المعهودة أعني أهل بيت العصمة والطهارة فانّ الجمع المضاف إنّما يفيد العموم حيث لا عهد ، والقرينة على ارادة الخصوص هنا قائمة وهى قوله معتدلة فان الظاهر أنّ المراد به اعتدالها في الكمالات النفسانيّة وكونها مصونة من التفريط والافراط كما قال تعالى:

« وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً » .

روى بريد العجلي في هذه الآية عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : نحن الأمّة الوسط . وفي رواية حمران عنه عليه السلام إنّما انزل الله :

« وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً » يعني عدلا « لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » .

قال : ولا يكون شهداء على النّاس إلاّ الأئمة و الرّسل ، فقد علم بما ذكرناه أنّ ما قاله الشّارح البحراني من أنّ لفظ الاغصان مستعار لأشخاص بيته صلى الله عليه وآله وسلم كعليّ عليه السلام و أولاده وزوجته و أعمامه واخوته ، واعتدال هذه الأغصان في الفضل والشرف سخيف ، إذ اعتدال الأوّلين مسلّم ، و أمّا الأعمام و الاخوة فقياسهم عليهم فاسد ، والتّقارب بينهم ممنوع .

(و ثمارها متهدّلة) أى ثمار هذه الشّجرة الظّاهرة من أغصانها متدلّية و هو كناية عن سهولة الانتفاع بها ، وأراد بالثّمار العلوم الحقّة المأخوذة عنهم عليهم السلام .

(مولده بمكّة) شرّفها الله يوم الجمعة عند طلوع الشّمس السّابع عشر من ربيع الأوّل عام الفيل قاله أبو عليّ الطّبرسي وقد تقدّم تفصيل تاريخ ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم

وطالع ولادته صلى الله عليه وآله وسلم في شرح الفصل السادس عشر من الخطبة الأولى .

(وهجرته بطيبة) هاجر إليها وهوابن ثلاث وخمسين كما يدلّ عليه مارواه في كشف الغمّة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهوابن ثلاث وستّين سنة في سنة عشر من الهجرة ، فكان مقامه بمكّة أربعين سنة ، ثمّ نزل عليه الوحي في تمام الأربعين ، وكان بمكّة ثلاث عشرسنة ، ثمّ هاجر إلى المدينة و هو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فأقام بالمدينة عشرسنين وقبض صلى الله عليه وآله وسلم

(علابها) أى في طيبة (ذكره) لأنّه قهر الأعداء وانتصر من الكفّار بعد الهجرة إليها بنصرة أهلها ، و لذلك سمّى أهلها بالأنصار (و امتدّ بها صوتــه) أى انتشرت دعوته فيها وبلغ صيت الاسلام إلى الأصقاع والأكناف بعد ما هاجرإليها .

(أرسله بحجّة كافية) يعني الآيات القرآنية الكافية في إثبات نبوّته مضافة إلى ساير معجزاتــه صلى الله عليه وآله وسلم (و موعظة شافية) لأسقام القلوب و أمراض النّفوس ، والمراد بها ما اشتمل عليه الكتاب الكريم و السنّة الكريمة من الوعد و الوعيد وضرب الأمثال والتّذكير بالقرون الخالية والأمم الماضية الموقظة للخلق من نوم الغفلة والمنقذة لهم من ضلال الجهالة (ودعوة متلافية)متداركة بها ما فسد من نظام أمرالدّين في أيّام الجاهليّة .

(أظهر به الشّرايع المجهولة) الظاهر أنّ المراد بها قوانين الشّريعة النّبويّة الّتي كانت مجهولة بين النّاس ثم ظهرت وعرفت بعد وجوده صلى الله عليه وآله وسلم وتشريعه ايّاها، ويجوزأن يراد بها شرايع الماضين من السّنن الّتي لم تكن منسوخة وإنّما كانت مجهولة بين النّاس لبعد العهد وطول الزّمان واتّباع الهوى فأظهرها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بأخذها ولزومها.

(و قمع به البدع المدخولة) أراد بها ما كان أهل الفتره و أيّام الجاهليّة أبدعوها في الدّين و أدخلوها على الشّرع المبين من عبادة الأصنام ونحرهم لها وحجّهم لأجلها وزعمهم أنّها تقرّبهم إلى الله زلفى ، ومن النّسيء والطواف بالبيت عرياناً و غيرها من البدع الّتي لا تحصى فأذلّ الله سبحانه ببعث النّبيّ صلى الله عليه وآله تلك البدع و أذلّ المبدعين وقطع دابر الكافرين .

(وبيّن به الأحكام المفصولة) أي أحكامه صلى الله عليه وآله وسلم المفصولة الآن ببيانه، لا أنّها كانت مفصولة قبل (فمن يبتغ) ويطلب (غير الاسلام ديناً) بعد ما بلغه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمه وشرعه وأفصح عن معالمه و أقام الأدلّة القاطعة والبراهين السّاطعة على صحّته وحقيّته (تتحقّق شقوته) في الآخرة (وتنفصم عروته) أي ينقطع ما يتمسّك به من حبل النّجاة (وتعظم كبوته) وعثرته فيطيح في نار الجحيم والسّخط العظيم (ويكن) مرجعه و (مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل) المتضمّن للهلاك والوبال في دار البوار، وهذا مراد من فسّره بالشّديد.

(و أتوكّل على الله توكّل الانابة إليه) أي توكّل الملتفت عن غيره والرّاجع بكلّيته إليه المعلم بأنّ غيره لايضرّ ولاينفع ولا يعطى ولايمنع.

قال أبوعبدالله عليه السلام في رواية الكافي : أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السّماوات والأرض ومن فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ، و ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت أسباب السّماوات من يده وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأىّ واديهلك.

(وأسترشده السّبيل المؤدّية إلى جنّته القاصدة إلى محلّ رغبته) أي الطّريق الّتي من سلكها أدّته إلى جنّته، ومن قصدها أفضته إلى محلّ رغبته.

ثمّ عقّب ذلك بالموعظة والوصيّة بما لايزال يوصى به دائماً فقال (اُوصيكم عبادالله بتقوى الله و طاعته فانّها النّجاة غداً) إفراد الضّمير مع تعدّد المرجع باعتبار أنّهما في المعنى شيء واحد، ولكونهما سبب النّجاة اطلق عليهما النّجاة من باب اطلاق المسبّب على السّبب، فيكون مجازاً مرسلا، وعلى ماذكره الشّارح المعتزلي من أنّ النّجاة اسم للنّاقة الّتي ينجي عليها فيكون استعارة تشبيهاً لهما بالمطيّة الّتي يركب عليها فيخلص من العطب، فانّ المطيع ينجو بهما من الهلاك الاُخروي والعذاب الأليم.

(والمنجاة أبداً) جعلهما محلّ النّجاة باعتبار حصولهما في الاتّصاف بهذين

الوصفين، فشبهها بالمحلّ الّذي يحلّ فيه الشّيء و أطلق عليهما لفظ المنجاة من باب تسمية الشيء باسم محلّه.

ولمّا أمر بالتّقوى والطّاعة وكانت الطّاعة عبارة عن امتثال الأوامر والنّواهي أشار إلى أنّ الله سبحانه قد أعذر وأنذر وأتمّ الحجّة ولم يبق لأحد معذرة في التقصير حيث (رهب) المجرمين بعذاب الجحيم و السخط العظيم (فأبلغ) في ترهيبه (ورغب) المطيعين في درجات الجنان والحور والغلمان وأكبر نعمائه الرّضوان (فأسبغ) وأكمل في ترغيبه (ووصف لكم) في قوله:

«إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ».

كما وصف في غيره من آيات الكتاب الكريم والقرآن الحكيم (الدّنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها) وحيث إنّها موصوفة بالانقطاع متّصفة بسرعة الزّوال و الانقضاء (فاعرضوا) بقلوبكم (عمّا يعجبكم منها) من زينتها وزخارفها وازهدوا فيها و في رياشها (لقلّة ما يصحبكم منها) قال الشارح البحراني: وإنّما قال: لقلّة ذلك و لم يقل لعدمه لأنّ السالكين لابدّ أن يستصحبوا منها شيئاً وهو ما يكتسبه أحدهم من الكمالات إلى الآخرة، ولكنّ القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات إذا قصدوا بأموالهم وساير زينة الحياة الدّنيا الوصول إلى الله نزر قليل، ومع ذلك فهم في غاية الخطر و مزلّة القدم في كلّ حركة و تصرّف، بخلاف أهل القشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنيّة، ويحتمل أن يريد بالقليل الّذي يصحبهم منها كالكفن ونحوه.

(أقرب دار من سخط الله) لأنّها محفوفة بالشهوات الموجبة لسخطه وأكثر أهلها محبّون لها راغبون إليها متابعون للهوى، و رأس كلّ خطيئة حبّ الدّنيا

(وأبعدها من رضوان الله) لأنّ الطالب فيها لتحصيل رضوانه وللانتفاع بقيناتها في سلوك سبيله قليل (فغضّوا عنكم عباد الله) وكفّوا عن أنفسكم واخرجوا عن قلوبكم (غمومها و أشغالها لما قد أيقنتم بـه من فراقها وتصرّف حالاتها) يعني أنّ الغمّ و الاشتغال انما يحسن أن يوجها نحومايبقى دون مايفنى مع أنّ الاشتغال بمايفنى شاغل عن الاشتغال بمايبقى ، وهو ليس فعل العاقل .

وروى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يحيى بن عقبة الأزدي عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال أبو جعفر عليه السلام مثل الحريص على الدّنيا مثل دودة القزّ كلّما زادت من القزّ على نفسها لفّا كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّا .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً .

وقال : لاتشعروا قلوبكم الاشتغال بماقد فات فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت (فاحذروها) على أنفسكم (حذر الشفيق الناصح) على شفيقه (و) حذر (المجدّ الكادح) من خيبة سعيه .

روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن المغيرة عن غياث ابن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ في كتاب عليّ عليه السلام إنمـا مثل الدّنيا كمثل الحيّة ماألين مسّها وفي جوفها السمّ النافع يحذرها الرجل العاقل ، ويهوى إليها الصّبيّ الجاهل .

(واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون) الماضية (قبلكم) فانكم عمّا قليل لاحقون بهم وصائرون مثلهم (قد تزايلت أوصالهم)وأعضاؤهم (وزالت أسماعهم وأبصارهم) وجرت أحداقهم على الخدود ، وسالت أفواههم ومناخرهم بالقيح والصديد (وذهب شرفهم وعزّهم وانقطع سرورهم ونعيمهم)فلا تنظر إلى طيب عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم و سوء منقلبهم .

يا راقد اللّيل مسروراً بأوّله ... إنّ الحوادث قد يطرقن أسحاراً
أفنى القرون التي كانت منعّمة ... كرّ الجديدان إقبالا و إدباراً

كم قد أبادت صروف الدّهر من ملك قد كان في الدّهر نفّاعا و ضرّارا
يا من يعانق دنياً لا بقاء لهــا يمسى و يصبح في دنياه سفّاراً
هلاّ تركت من الدّنيا معانقةً حتّى تعانق في الفردوس أبكاراً
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النارا

ثمّ انظر إلى أهل القبور كيف صاروا إليها بعد سكنى القصور ، و انتقلوا إلى دار الوحدة و ارتحلوا إلى بيت الوحشة ليس لهم أنيس بـه يستأنسون و لا سكن إليه يسكنون (فبدلوا بقرب الأولاد فقدها وبصحبة الأزواج مفارقتها) بل استوحش من قربهم الأولاد والأصحاب ، واستنفر من قبرهم الألاّف والأحباب (لايتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتجاورون) إذ لم يبق لهم زائر ولا مجاور

و حلّوا بدار لا تزاور بينهم و أنّى لسكّان القبور التّزاور

وإنما صارهوام الأرض لهم الزوّاروالضيفان ، والحشرات والديدان لهم الجيران وانحصر لباسهم ورياشهم في الأكفان .

(فاحذروا عباداللہ) ثمّ احذروا(حذرالغالب لنفسه) الأمّارة بالسوء (المانع لشهوته) المؤدّية إلى هلكته (الناظر بعقله) المميّز بين منفعته ومضرّته (فانّ الأمر واضح) أى أمر الدّنيا و الآخرة ظاهر لاخفاء فيه (والعلم قائم) أى علم الشريعة الهادى إلى الحقّ قائم لا غبار عليه (و الطريق) إلى الله (جدد) سهل (و السبيل) إلى رضوان الله تعالى (قصد) مستقيم .

فطوبى لعبد آثرالله ربّه و جاد بدنياه لما يتوقّع

الترجمة

أز جملۀ خطب شريفۀ آن حبل الله المتين و سيّد وصيين است مشتمل است برمناقب حضرت رسالت ومتضمن است موعظه ونصيحت رامى‌فرمايد:

مبعوث فرمود خداوند تعالى پيغمبر آخر الزّمان ﷺ را با نور روشن كننده كه عبارتست ازنورنبوّت ، و با دليل آشكارا كه عبارتست ازمعجزات رسالت،

و با راه واضح که جادّهٔ شریعت است ، وبا کتاب مشتمل بهدایت که قرآن کریم است ، رهط وقبیلهٔ آن حضرت بهترین قبایلست ، و درخت آن بزرگوار بهترین درختهاست ، شاخهای آن درخت معتدلند و متقارب ، ومیوه‌های آن فروریخته شده است و آویزان ، مکان ولادت آن حضرت مکّهٔ معظّمه‌است ، وهجرت اوبمدینهٔ طیبه درمدینه بلند شد ذکر آن، وکشیده شد درآن صدای آن ، دررسید بآفاق وأکناف فرستاد خداوند عزّوجلّ اورا با حجّت کفایت کننده، وبا موعظهٔ شفا دهنده ، وبا دعوت تدارك کننده،ظاهرفرمودخدا باظهار وبیان آن‌حضرت شریعتهای مجهوله‌را ، و منکوب و مخذول نمود بوجود او بدعتهای مدخوله را ، و روشن گردانید بزبان گوهر فشان او حکمهای فصل شده را ، پس هرکه طالب نماید غیر از اسلام دینی را متحقّق می‌شود شقاوت او ، وگسیخته می‌شود متمسك او ، و بزرگ گردد لغزش او ، وباشد بازگشت او بسوی اندوه دراز ، و عذاب شدید ، و توکّل می کنم بخداوند توکّل رجوع کردن بسوی او ، وطلب ارشاد می کنم ازاوبراهی که رساننده باشد ببهشت عنبرسرشت او ، وقصد کننده باشد به محلّ رغبت او .

وصیّت میکنم شمارا أی بندگان خدا بپرهیزکاري ازخدا وفرمان برداري او ، پس بدرستی که پرهیزکاري و فرمان برداري رستگاریست فردا روز قیامت ، ومحلّ رستگاریست‌همیشه، ترساننده خدای عزّوجلّ مخلوقات‌را بعقاب ، وترغیب فرموده ایشان‌را بثواب ، ووصف نموده ازبرای شما دنیای بی‌وفا وبریده شدن آنرا وزوال آن را وانتقال آن را ، پس اعراض نمائید ازآنچه که‌شگفت می‌آورد شمارا در دنیا از جهة کمی آنچه که همراه خواهد شد با شما از دنیا ، نزدیك ترین خانه‌ایست ازغضب خدا ، ودورترین خانه‌ایست از رضای خدا .

پس باز دارید از خودتان ای بندگان خدا غمهای دنیا و شغلهای آن را از جهت آنکه محقّقاً یقین کرده اید بآن از مفارقت آن و انقلاب حالات آن ، پس بترسید درآن همچو ترسیدن برادر مهربان نصیحت کننده ، ومثل ترسیدن صاحب جدّو جهد سعی کننده ، وعبرت بردارید بآنچه که دیدید از مهالك قرنهائی که

پیش از شما بودند ، بتحقیق که جدا شد از یکدیگر عضوهای بدن ایشان ، وزایل شد گوشها و چشمهای ایشان ، و رفت بزرگواري و عزّت ایشان ، و بریده گشت شادی و نعمت ایشان ، پس بدل کرده شدند بنزدیکی اولاد نا یابی ایشانرا ، و بمصاحبت زنان جدائی ایشان را ، تفاخر نمی‌توانند بکنند بیکدیگر ، و نسل أخذ نمی کنند، وزیارت یکدیگر نمی‌نمایند ، وباهم همسایگی نمی کنند .

پس حذر کنید ای بندگان خدا مثل حذر نمودن کسی که غلبه نماید برنفس خود ، ومنع کننده باشد شهوت خودرا ، ونظر کننده باشد بچشم عقل خود پس بدرستی که امردنیا وآخرت واضح است وروشن ، وعلم شریعت قائمست وبرپا و راه حق سهل است و آسان ، وراه درست مستقیم است وراست .

هنا انتهى الجزء التاسع من هذه الطبعة الجديدة النفيسة، وتمّ تصحيحه وترتيبه وتهذيبه بيد العبد « السيد ابراهيم الميانجى » عفى عنه وعن والديه في اليوم الثاني عشر من شهر الله الاعظم سنة-١٣٨١-ويليه انشاء الله الجزء العاشر وأوله : المختار المأة والواحد والستون، والحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطناً .

فهرس الجزء التاسع من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة
المختار المأة والثالث والاربعون	**٢**
في الاستسقاء	٢
فضيلة الاستغفار وكونه سببا لدرور الرزق و ساير مايترتّب عليه من الآثار والثمرات .	٩
تنبيه	
في أنّ التسعير من الله أومن العبد	١٣
الترجمة	**١٤**
المختار المأة والرابع والاربعون	**١٦**
وشرحه في فصلين	
الفصل الاول	
في الاشارة إلى بعث الرسل والحكمة في بعثهم	١٦
في أنّ أهل بيت الولاية هم الراسخون في العلم وبهم يستجلى العمى .	٢١
تنبيه	
ذكر الأقوال في اشتراط النسب في الامامة .	٢٤
ذكر الأخبار الدالّة على أنّ الأئمة كلّهم من قريش و أنّ الامامة مخصوصة لعليّ أميرالمؤمنين وولده الأحد عشر عليهم السلام .	٣٠
الترجمة	**٣٦**
الفصل الثاني	
في توبيخ طائفة غير مرضيّي الطريقة	٣٧
تنبيه	
في ذكر كلام للشارح المعتزلي في المقام	٤١
الترجمة	**٤٣**
المختار المأة والخامس والاربعون	**٤٣**
في التنفير عن الدّنيا و الترغيب عنها بالتنبيه على معائبها ومثالبها المنفرّة منها .	٤٣
الترجمة	**٤٨**
المختار المأة والسادس والاربعون	**٤٩**
قاله عليه السلام حين استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس	٤٩
تبصرة	
في الاشارة إلى أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام لعمر في غزاة القادسيّة أم غيرها.	٥٤

العنوان	الصفحة
الاشارة إلى وقعة القادسيّة ووقعة نهاوند	٥٧
الترجمة	**٦٠**
المختار المأة والسابع والاربعون	**٦١**
ومدار هذا المختار على أربعة فصول	٦٥
الفصل الاول	
في الاشارة إلى بعثة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والغرض من بعثته	٦٥
الفصل الثاني	
في الاخبار عن زمان يأتي بعده عليه السلام بالأوصاف المذكورة فيه	٦٨
الفصل الثالث	
في النصح والموعظة والتنبيه على وجوب قصر الآمال	٧١
الفصل الرابع	
في الأمر بالتواضع و التسليم والانقياد لله سبحانه .	٧٢
في التنبيه على وجوب التبرّى من أئمّة الضلال .	٧٥
في التنبيه على وجوب التولّى لأئمة الهدى.	٧٨
تنبيه	
في الكبر وخسّته ، والكلام فيه في مقامات .	
المقام الاول	**٨١**
في الآيات والأخبار الواردة في ذمّ الكبر و قبحه و ما يترتّب عليه من الخزى والعقاب	٨١
الثاني في حقيقة الكبر وماهيته	**٨٣**
الثالث في المتكبر عليه	**٨٤**
الرابع فيما به التكبر	**٨٧**
الخامس في معالجة الكبر	**٨٩**
الترجمة	**١٠٢**
المختار المأة والثامن والاربعون	**١٠٤**
في اقتصاصه عليه السلام حال طلحة والزبير في نكثهما بيعته ونهوضهما إلى حربه .	١٠٤
الترجمة	١١٠
المختار المأة والتاسع والاربعون	١١١
قاله عليه السلام لما ضربه ابن ملجم «لع» في معرض التوصية و التذكير	١١١
اختلاف الأقوال في أنه عليه السلام هل كان عارفاً بمقتله مفصّلة أم لا .	١١٦
تذكرة	
في ذكر بعض ما قيل في رثاء أمير المؤمنين عليه السلام	١٢٥
تكملة	
في نقل المختار على رواية الكافي	١٢٧

العنوان	الصفحة
الترجمة	١٢٩
المختار المأة و الخمسون فى الملاحم	١٣١
و مداره على فصول	١٣٤
الفصل الاول	
في ذكر قوم من فرق الضّلال .	١٣٤
الفصل الثانى	١٣٨
الفصل الثالث	١٤٠
في اقتصاص حال المرتدّين بعد قبض الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم	١٤٠
تنبيه	
فيذكر كلام للشارح المعتزلي .	١٤٩
استشكال المصنف «قده» على الشارح المعتزلي .	١٥١
الترجمة	١٥٥
المختار المأة والواحد والخمسون	١٥٧
في الاخبار عن الملاحم والوقايع الحادثة في غابر الزمان والتحذير من الفتن .	١٥٧
الترجمة	١٦٩
المختار المأة والثانى والخمسون	١٧٢
وشرحها في فصول :	
الفصل الاول	
ذكر جملة من أوصاف الكمال ونعوت الجلال .	١٧٢
الترجمة	١٨١
الفصل الثانى	
خطب به عليه السلام بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه .	١٨٢
تنبيه	
في ذكر اختلاف الشارحين في شرح فقرات الخطبة .	١٩٠
تذييل	
في تحقيق قوله عليه السلام: لايدحل الجنة إلاّ من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه .	١٩٢
الترجمة	٢٠٧
الفصل الثالث والفصل الرابع	
في النّصح و الموعظة و تذكير المخاطبين بالموت وتنبيههم من نوم الغفلة .	٢٠٨
في التهديد من خمس خصال مهلكة .	٢١٧
تذييل	
فى ما قاله الشارح المعتزلي في المقام .	٢٢٥

العنوان	الصفحة
الترجمة	**٢٣٦**
المختار المأة والثالث والخمسون	**٢٢٨**
و فيه فصلان	
الفصل الاول	
في أنه عليه السلام وأولاده الطيبين خزان الله.	٢٢٨
الفصل الثاني منه	
في فضايل أهل البيت عليهم السلام	٢٣٩
في الاشارة إلى فضيلة العلم.	٢٤٣
في أنّ ماطاب ظاهره طاب باطنه و ما خبث ظاهره خبث باطنه و الاشارة إلى ذمّ الكوسج و قصّة معاوية مع الحسن بن عليّ عليهما السلام.	٢٤٤
في الحثّ على تزكية الأعمال وتصفيتها وأنّ ماطاب من النبات سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته.	٢٤٩
تبصرة	
ذكر كلام للشارح المعتزلي في فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام	٢٥١
الترجمة	**٢٥٣**
المختار المأة والرابع والخمسون	**٢٥٥**
في ذكر بديع خلقة الخفاش	٢٥٥
ظريفة في نوادر الخفاش	**٢٦٣**
الترجمة	**٢٦٥**
المختار المأة والخامس والخمسون	**٢٦٧**
خاطب به أهل البصرة على جهة أقتصاص الملاحم	٢٦٧
وشرحه في فصلين.	
الفصل الاول	
في ذكر عايشة وأنها أدركها رأى النساء	٢٦٧
تذييل	
في ايراد كلام للشارح المعتزلي في شرح هذا المختار يذكر فيه عايشة و يذكر أسباب ضغنها مع عليّ وفاطمة عليهما السلام	٢٦٩
كلام للشارح المصنف «قد».	٢٧٦
الترجمة	**٢٨١**
الفصل الثاني	**٢٨٢**
هذا الفصل من كلامه عليه السلام مشتمل على فصلين	٢٨٥
الفصل الاول منه	
في وصف الدّين والايمان.	٢٨٥
الفصل الثاني	
في وصف حال أهل القبور والحثّ على الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر.	٢٨٧
في الأمر بلزوم اتّباع كتاب الله المجيد.	٢٩٠

العنوان	الصفحة
في معنى الفتنة وشرحها والروايات الواردة في بيانها .	٢٩١
في الاشارة إلى حرمة الخمر والنبيذ	٢٩٧
في الاشارة إلى حرمة الرشوة وذكر الفرق بينها وبين الهدية.	٢٩٩
في الاشارة إلى حرمة الربا وعقابه	٣٠٠
تنبيهان الاول	**٣٠٤**
الثانى	**٣٠٥**
تذييل	
في أحكام البغاة و فيما اغتنمه المسلمون من أموالهم .	٣٠٦
تكملة	
في كفر من حارب عليّـا أمير المؤمنين عليه السلام	٣٠٩
الترجمة	**٣١٠**
المختار المأة والسادس والخمسون	**٣١٢**
في النصح والموعظة وتنبيه المخاطبين من نوم الغفلة والجهالة .	٣١٢
في الأمر بالتّقوى و الحثّ على أخذ الزاد ليوم المعاد .	٣١٩
في الاشارة إلى أهوال يوم القيامة وشدائدها والتحذير منها .	٣٢٣
الترجمة	**٣٢٩**
المختار المأة والسابع والخمسون	**٣٣١**
ومدار هذا المختار على فصلين	٣٣٤
الفصل الاول	
في الاشارة إلى بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وفضيلة القرآن .	٣٣٤
الفصل الثانى	
في وصف حال بني اُمية والأخبار عن ظلمهم وزوال دولتهم .	٣٣٧
الترجمة	
المختار المأة والثامن والخمسون	**٣٤١**
في مخاطبته عليه السلام أهل الكوفة والتنبيه على حسن مداراته معهم وصفحه منهم والغضّ عن خطيئآتهم.	٣٤١
الترجمة	**٣٤٢**
المختار المأة والتاسع والخمسون	**٣٤٣**
وشرحه في فصلين	
الفصل الاول	
في تعظيم الله سبحانه و تمجيده بذكر جملة من نعوت كماله وأوصاف جماله	٣٤٣
ذكر اختلاف الاُمّة في الرؤية .	٣٤٩
الترجمة	**٣٥٤**
الفصل الثانى	

العنوان	الصفحة
في الموعظة والنصيحة والتنبيه على بطلان دعوى من يدعي رجاء ثواب الله وخوف عقابه و الأمر بالتأسّي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجملة من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام	٣٥٦
في الخوف وعلاماته وبيان حقيقته	٣٦٤
في الأمر بالتأسّي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجملة من الأنبياء عليهم السلام و ذكر نبذ من تزهيدهم في الدّنيا .	٣٦٧
وصف حال سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم اجمالا في الدّنيا وإعراضه عنها .	٣٧٣
تواضع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في مأكله ومجلسه ومركبه واعراضه صلى الله عليه وآله وسلم عن الدّنيا بقلبه .	٣٧٦
قصّة علي عليه السلام مع الأعرابي وبيعه الحديقة وصدقته ثمنها قبل أن يصل إلى المنزل .	٣٨١
ذكر شأن نزول سورة الدّهر .	٣٨٤
ايثار علي أمير المؤمنين عليه السلام ضيفه ونزول آية «ويؤثرون على أنفسهم» الخ	٣٨٩
تذييلان	
الاول ذكر بعض الكلام في زهد أمير المؤمنين عليه السلام في الدّنيا	٣٩٢
التذييل الثانى في ذكر فوايد الجوع و آفات الشبع وهى عشرة .	٣٩٦
الترجمة	٤٠٠
المختار المأة والستون	٤٠٤
في ذكر ممادح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومناقبه الجميلة ثمّ الموعظة الحسنة والتنفير عن الدّنيا بالتنبيه على معايبها.	٤٠٦
الترجمة	٤١٢